مجلة
جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات

توجه المراسلات والأبحاث على العنوان الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة جامعة القدس المفتوحة

جامعة القدس المفتوحة

ص.ب: ٥١٨٠٠

هاتف: ٢٩٨٤٤٩١

فاكس: ٢٩٨٤٤٩٢

بريد الكتروني: hsilwadi@qou.edu

تصميم وإخراج فني:

مركز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

قسم الوسائط المتعددة

جامعة القدس المفتوحة

٠٢-٢٩٦٤٥٧١,٢,٣,٤

قواعد النشر والتوثيق

تنشر المجلة البحوث والدراسات الأصلية المرتبطة بالتخصصات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين في جامعة القدس المفتوحة وغيرها من الجامعات المحلية والعربية والدولية، مع اهتمام خاص بالبحوث المتعلقة بالتعليم المفتوح والتعليم عن بعد، وتقبل أيضا الأبحاث المقدمة إلى مؤتمرات علمية محكمة والمراجعات والتقارير العلمية وترجمات البحوث.

يرجى من الأخوة الباحثين الراغبين في نشر بحوثهم الاقتداء بقواعد النشر والتوثيق الآتية:

١. تُقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية.

٢. أن لا يزيد حجم البحث عن ٣٥ صفحة "٨٠٠٠" كلمة تقريبا بما في ذلك الهوامش والمراجع.

٣. أن يتسم البحث بالأصالة، ويمثل إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه.

٤. يقدم الباحث بحثه منسوخا على «قرص مرن /A Disk» أو CD مع ثلاث نسخ مطبوعة منه، غير مسترجعة سواء نشر البحث أم لم ينشر.

٥. يرفق مع البحث خلاصة مركزة في حدود «١٠٠ – ١٥٠» كلمة. ويكون هذا الملخص باللغة الإنجليزية إذا كان البحث باللغة العربية، ويكون باللغة العربية إذا كان البحث باللغة الإنجليزية.

٦. ينشر البحث بعد إجازته من محكمين اثنين على الأقل تختارهم هيئة التحرير بسرية تامة من بين أساتذة مختصين في الجامعات ومراكز البحوث داخل فلسطين وخارجها، على أن لا تقل رتبة المحكم عن رتبة صاحب البحث.

٧. أن يتجنب الباحث أي إشارة قد تشير أو تدلل على شخصيته في أي موقع من البحث.

٨. يزود الباحث الذي نشر بحثه بخمس نسخ من العدد الذي نشر فيه، بالإضافة إلى ثلاث مستلات منه.

٩. تدون الإحالات المرجعية في نهاية البحث وفق النمط الآتي: إذا كان المرجع أو المصدر كتابا فيثبت اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، اسم المترجم أو المحقق (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد، رقم الصفحة، أما إذا كان المرجع مجلة فيثبت المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، عدد المجلة وتاريخها، رقم الصفحة.

١٠. ترتب المراجع والمصادر في نهاية البحث «الفهرس» حسب الحروف الأبجدية لكنية/عائلة المؤلف، ثم يليها اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد.

١١. بإمكان الباحث استخدام نمط «APA Style» في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية، حيث يشار إلى المرجع في المتن بعد فقرة الاقتباس مباشرة وفق الترتيب التالي: «اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة».

المحتويات

الأبحـــــاث

مجلة
جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات

الأبحاث

معايير الجودة
في مؤسسات التعليم العالي
الجامعة الفلسطينية الفاعلة ـ دراسة حالة

د. سهيل رزق دياب*

* أستاذ ا ناهج وطرق التدريس ا شارك، جامعة القدس ا فتوحة، غزة، فلسط .

ملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوعاً نال اهتمام كثير من التربويين والقائمين على مؤسسات التعليم بشكل عام ومؤسسات التعليم الجامعي بشكل خاص، حيث استهدفت هذه الدراسة بناء أداة موضوعية لقياس درجة استيفاء مبادئ إدارة الجودة الشاملة ومعاييرها في مؤسسات التعليم العالي، حيث تضمن المقياس (٥٢) فقرة تستوفي معايير الصدق والثبات، وتغطي أربعة مجالات رئيسة في إدارة الجودة.

وقد طبق المقياس من قبل (٦٠) أستاذاً وعضو هيئة تدريس في جامعة القدس المفتوحة بقطاع غزة، وفي ضوء النتائج أوصى الباحث بضرورة الإفادة من هذا المقياس في تحديد مدى توافر معايير الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي لغرض تطوير عمليات التعليم والتعلم، وتحسين مخرجات التعليم وتجويدها.

Abstract:

This study is dealing with a subject, which attained more interest from educational specialists. It aims at preparing and developing an instrument for assessing the degree to which (T.Q.M) principles and criteria are met in the higher educational institutions. The final form of the developed TQM scale consists of (52) items reflecting validity and reliability criteria, and covering four basic domains in total quality management. The scale is administered to (60) professors and teaching staff at Al Quds Open University in Gaza strip.

In the light of the results the author recommends to utilize the scale for determining the existence of TQM principles and criteria in the higher education institutions in order to enhance the teaching- learning process and to improve the quality of education and its out-puts.

مقدمـــة:

تتناول هذه الدراسة موضوعاً واسعاً نال اهتمام العاملين التربويين في الماضي والحاضر، وما زال في بؤرة اهتمام العديد من كبار المربين وقادة المجتمع وهو موضوع: «الجودة في مؤسسات التعليم العالي».

فالجودة في التعليم إحدى المسائل الحيوية في نظام التعليم المعاصر، وقد حرصت مؤسسات التعليم العالي في معظم دول العالم المختلفة إلى تبني الجودة منحىً ومنهجاً للعمل، فالمناهج والبرامج التعليمية التي طبقت لتحسين نوعية التعليم في الماضي أبرزت تحسناً محدوداً في الأداء الأكاديمي في المدارس والجامعات، غير أن جودة التعليم ما زالت موضوعاً مثيراً للجدل، حيث إن النظام التعليمي القائم في العديد من هذه الدول لا يهيئ الطلبة لسوق العمل بصورة كافية، ولا يمنحهم الفرصة لإبراز إبداعاتهم (ويليامز، ١٩٩٩:٣٢).

وهناك أسباب عديدة دعت مؤسسات التعليم العالي للاتجاه إلى ذلك ولعل من أبرزها: تنوع أهداف مؤسسات التعليم العالي وتعددها، والتوسع في الطلب على التعليم العالي، وظهور أنماط جديدة لمؤسساته، إضافة إلى التوسع في التعليم العالي الخاص، وظهور وسائط تعليمية جديدة، فهذه التغيرات وغيرها التي شهدها التعليم العالي، وما تضمنته من أنماط جديدة دعت القائمين على هذه المؤسسات للاهتمام بجودة التعليم العالي، حتى صار السعي وراء تحقيق الجودة مطلباً ضرورياً يستلزم وضع مؤشرات ومعايير، يمكن استخدامها في الحكم على مستوى الجودة في هذه المؤسسات التربوية.

وقد اهتمت الدول المتقدمة بهذا الموضوع، وكانت قد وجهت العديد من هذه الدول إلى نظمها التعليمية نقداً وعدم رضا لانخفاض مستوى الجودة فيها، كما ركزت على دراسة الجوانب المرتبطة بالجودة على أثر اكتشافها انخفاض مستوى التعليم فيها، وخير دليل على ذلك ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وغيرها من دول العالم في منتصف القرن العشرين (عابدين،١٩٩٢:٦٩).

وحيث إن مؤسساتنا التربوية في معظمها لم تصل بعد إلى المستوى المطلوب من الجودة التي يتمناها القائمون على هذه المؤسسات في الوقت الذي كان التوسع في التعليم وزيادة الإقبال عليه سمة هذا العصر، ودون أن يكون لدى هذه المؤسسات استعداد كاف

لهذا التوسع من حيث توفير الإمكانات والمستلزمات والتمويل، فإن ذلك دفع التربويين إلى الاهتمام بهذا الموضوع والبحث عن مؤشرات ومعايير للجودة في التعليم العالي، وهذا ما دفع الباحث إلى تناول هذه الدراسة، لعله يصل منها إلى بناء أداة لقياس الجودة وتطويرها في مؤسسات التعليم العالي، وتطبيقها على إحدى الجامعات الفلسطينية كدراسة حالة.

ولا ينكر الباحث أن هناك العديد من الجهود المتنوعة محلياً وعربياً ودولياً قد بذلت، وكانت هناك محاولات عديدة تمثلت في عقد مؤتمرات وندوات وتكوين لجان لوضع وتحديد مؤشرات ومعايير للجودة في مؤسسات التعليم العالي، وعلى سبيل المثال لا الحصر ندوة لعمل مؤشرات تقويم جودة مؤسسات التعليم العالي في مصر عام ١٩٨٩م، وقيام المجلس الأعلى للجامعات المصرية بتبني قرار إنشاء لجنة عليا لتطوير الأداء الجامعي، تختص بوضع معايير لجودة الأداء،كما عقد مؤتمر في جامعة كاليفورنيا بولاية لوس أنجلوس الأمريكية في عام ١٩٨٩م، تركزت موضوعاته حول تحديد مؤشرات الجودة في التعليم.

وظهرت كثير من البحوث والدراسات التي تناولت مؤسسات التعليم الفاعلة، ومنها بحوث بيركي وسميث ١٩٩٠م، التي كان لها الأثر في تغيير مواصفات مؤسسة التربية الفاعلة.

وعلى الصعيد المحلي فقد أنشأت الجامعة الإسلامية في غزة في العام ٢٠٠٤م وحدة الجودة التي نظمت أياماً دراسية لمناقشة هذا الموضوع، وأصدرت عددين من مجلة علمية دورية تعالج قضايا الجودة في التعليم العالي، كما أنشأت جامعة القدس المفتوحة وحدة لإدارة الجودة ووضعت خطة لتبني إدارة الجودة الشاملة في مؤسساتها.

وبالرغم من ذلك، فإن الحاجة ما زالت ملحة لمزيد من الدراسات والأبحاث، أملاً في الوصول إلى بناء أداة تصلح لقياس جودة المؤسسة التعليمية وتطويرها، وتسهم في بناء تصور مشترك للجامعة الفاعلة.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في إعداد أداة لقياس الجودة في مؤسسات التعليم العالي، وتطويرها بحيث تستوفي محكات الصدق والثبات والموضوعية، ومن ثم توظيفها لدراسة حالة من الجامعات الفلسطينية المحلية في قطاع غزة،ولذا حدد الباحث المشكلة في الأسئلة الآتية:

١. ما مؤشرات ومعايير الجودة التي ينبغي توافرها في المؤسسة التربوية الفاعلة؟
٢. إلى أي مدى تتوافر هذه المؤشرات والمعايير في جامعة القدس المفتوحة كدراسة حالة؟ وذلك من وجهة نظر العاملين فيها.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

١. بناء أداة لقياس الجودة في مؤسسات التعليم العالي والتحقق من صدقها وثباتها وقابلية تطبيقها.
٢. توظيف الأداة في قياس الجودة لدى إحدى مؤسسات التعليم العالي في قطاع غزة وأخذ جامعة القدس المفتوحة كدراسة حالة، أملاً في تطوير الأداء والارتقاء به وصولاً إلى مواصفات للمؤسسة التربوية الفاعلة.

أهمية الدراسة:

ترتبط أهمية هذه الدراسة بالجوانب الآتية:

١. حاجة مؤسسات التعليم العالي في بلادنا، وبشكل خاص في قطاع غزة لأدوات تفيدها في عملية رصد نقاط القوة، وكشف نقاط الضعف في الجوانب المختلفة لأدائها، وكذلك مدى التصاقها بحاجات المجتمع وتفاعلها مع متطلباته.
٢. إمكانية توظيف الأداة المطوّرة في استجلاء وضع المؤسسات التربوية، وإعادة النظر في هيكلها الأكاديمي والإداري والتنظيمي.
٣. لعل هذه الدراسة محاولة جادة لوضع مؤشرات ومعايير للجامعة الفلسطينية الفاعلة يمكن الاستفادة منها من أجل تحسين وتطوير أداء مؤسساتنا التربوية، وقد تسهم في تعريف العاملين فيها بمعايير الأداء اللازم، وتزويدهم بأداة يمكن الاستعانة بها في تحقيق تطور كمي ونوعي لعملهم.
٤. إمكانية استخدام نتائج الدراسة لتحسين مخرجات العملية التعليمية، ورسم السياسات والخطط الكفيلة بتفعيل إدارة الجودة الشاملة باعتبارها فلسفة وممارسة فعلية للتطوير والارتقاء بمستوى مؤسساتنا التربوية.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة ضمن الأطر الآتية:

١. تقتصر الدراسة على بناء أداة لقياس جودة مؤسسة التعليم العالي وتطويرها وتوظيفها في إحدى الجامعات المحلية، وهي جامعة القدس المفتوحة في قطاع غزة.
٢. يقتصر توظيف الأداة من قبل عينة من العاملين في جامعة القدس المفتوحة في قطاع غزة في العام الجامعي٢٠٠٧/٢٠٠٦.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي بركنيه الكمي والنوعي لاعتباره أنسب المناهج لتحقيق أهداف الدراسة، وانسجامه مع طبيعة هذه الدراسة.

مصطلحات الدراسة:

تبنى الباحث في دراسته التعريفات الإجرائية الآتية:

مؤشرات الجودة:

هي مجموعة من الخصائص والسمات التي تعبر عن مدى استيفاء المدخلات والعمليات والمخرجات في مؤسسة التعليم العالي لمستويات محددة، يمكن الاستناد إليها كمؤشر على جودة المؤسسة وتقويم إنجازها.

الجودة:

تعرّف بأنها تكامل الملامح والخصائص لمنتج ما، أو خدمة معينة بصورة تمكن من تلبية احتياجات ومتطلبات محددة، بحيث تحقق الأهداف المنشودة والمناسبة للجميع. وإدارة الجودة في المؤسسة التربوية هي فلسفة شاملة للعمل تحدد أسلوباً في الممارسة الإدارية والفنية ترمي للوصول إلى التحسين المستمر لعمليات التعليم والتعلم، وتطوير مخرجات التعليم بما يضمن رضا العاملين والطلبة وأولياء الأمور.

مؤسسة التعليم العالي:

هي كل مؤسسة تعليمية تقبل طلبة أنهوا دراستهم الثانوية، ويحصلون في نهاية دراستهم الجامعية أو المهنية أو التقنية على درجة علمية معينة.

الجامعة الفاعلة:

هي تلك الجامعة القادرة على التجديد التلقائي، وتظهر قدرة على تعرف مشكلاتها وحلها، وتضمن لأفرادها النمو كل حسب طاقاته وقدراته، بحيث تحقق الأهداف المنشودة منها.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

يتناول هذا الإطار وضع تعريف للجودة في التعليم وصولاً إلى مؤشرات ومعايير للجودة، يمكن الاستعانة منها في قياس جودة المؤسسة التربوية.

والجودة مطلب ضروري تسعى معظم المؤسسات إلى تحقيقه، وعلى الرغم من أهمية الجودة لهذه المؤسسات، فإن معظم الباحثين يجدون أن هذا المفهوم مبهم ومن الصعب تعريفه، كما أن قياسه والحكم عليه يعد أكثر صعوبة، والجودة كما عرفها قاموس (Webster, ١٩٩٢:١١٦١) هي صفة أو درجة تفوق يمتلكها شيء ما. وأن العنصر الرئيس في تعريفها يكمن في خدمة الفئة المستفيدة، وهناك من يربط بين الجودة وتحقيق الأهداف، فيعرّفها (Kathleen, ١٩٩٣:٤٠) بأنها تطابق الوظائف والأهداف المعلنة التي تُنجز وفق المعايير المتعارف عليها.

والمؤسسة التربوية الفاعلة هي تلك التي تتسم بالجودة، والتي تحقق أهدافها المنشودة بالكامل ضمن المستوى الذي يجب أن تصل إليه.

وتعد الجودة نتاج عمل جميع العاملين بالمؤسسة، وإن تحقيق سياسة الجودة وأهدافها يحتاج إلى التزام الجميع ومشاركتهم، وتعني أيضاً الملاءمة للاستخدام (قدار، ٩٤:١٩٩٧)، ويؤخذ منظور الجودة في ثلاثة اتجاهات رئيسة اعتماداً على الجهة المقدمة للخدمة، والجهة التي تتلقى الخدمة فضلاً عن الإداريين في المؤسسة. فمنظور الجودة بالنسبة لمقدم الخدمة يعني المهارة والخبرة والموارد والإمكانات التي تمكن من أداء الخدمة المقدمة للآخرين وتحسينها بصورة خاصة، وإلى عموم المجتمع وفق معايير فنية متاحة، و بأنجح الأساليب، ووصولاً إلى تحقيق الرضا عن الخدمة المقدمة من كلا الطرفين مقدم الخدمة ومتلقيها، وإلى جانب ذلك يتطلب التوجه نحو تحسين الخدمة بصورة مستمرة.

أما منظور الجودة وفق ما يراه المستفيد من الخدمة، فإنه يعني الاهتمام والرعاية الجيدة التي يتلقاها المستفيد من الخدمة التي تفضي إلى إشباع حاجاته ورغباته في الوقت المحدد، بما يحقق الرضا عنها.

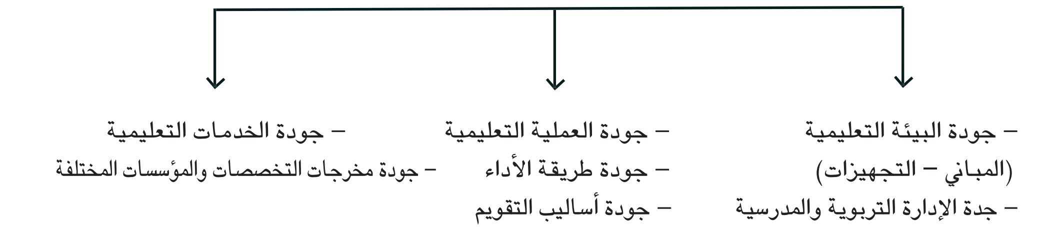
وأما منظور الجودة بالنسبة للإداريين، فإنها تعني قيام المسئولين الإداريين بالنشاطات الإدارية كالإشراف والمالية والتخطيط والتنظيم، وتهيئة المستلزمات الضرورية للعمل بما يتوافق مع الخدمة والتنظيم، وتهيئة المستلزمات الضرورية للعمل بما يتوافق مع الخدمة أو المنتج وبأقل الأخطاء. فالموظف يحتاج إلى راتبه في موعده المحدد، والطالب يحتاج أن يأخذ محاضرته وامتحانه في الوقت المقرر، وأي تأخير في ذلك قد يؤثر على سلوكه ونفسيته، وبالتالي رضاه الوظيفي الذي ينعكس على أدائه وممارساته وإنجازاته.

قياس الجودة في المؤسسة التربوية:

يتأثر قياس الجودة في العمل التربوي، وفي المؤسسات التربوية إلى حد كبير، بدرجة شمولية تعريف الجودة وتكامله. فالتعريف الذي يربط الجودة بالأهداف يؤكد في قياس الجودة على المخرجات، والتعريف الذي ينظر للجودة باعتباره مصطلحاً معيارياً يركز على تحديد خصائص للجودة تكون أساساً معيارياً للقياس، وقد برزت في مجال قياس الجودة في التربية مداخل متعددة منها: قياس الجودة بدلالة المدخلات. وقياس الجودة بدلالة العمليات. وقياس الجودة بدلالة المخرجات. وقياس الجودة بدلالة الخصائص الموضوعية.

ومعظم هذه المداخل يغلب عليها الطابع الجزئي والنظرة المحدودة، ولذلك ظهرت المعالجة الشمولية في قياس الجودة التي تأخذ مكونات العملية التعليمية وعناصرها، والعلاقة الوثيقة بين هذه العناصر.(فرمان، ١٩٩٥:١٦) وبالرغم من تعدد هذه المداخل، فإن للمؤسسات التربوية خصوصيتها، وإدارة الجودة فيها يجب أن تكون على مستوى عال من المهارة والخبرة والتدريب، ولذلك فإن أكثر المداخل استخداماً لقياس جودة المؤسسة التربوية، هو مدخل النظم التربوية كما هو مبين في الشكل الآتي:

مدخل النظم في إدارة الجودة



وتعقيباً على ما سبق يمكن القول إن توظيف مبادئ إدارة الجودة وأفكارها في مؤسسات التعليم العالي يعود بالنفع على المؤسسات التعليمية، إذ يضع حجر الأساس لرؤية فلسفية جديدة لأهداف المؤسسة ورسالتها، ويرفع من معنويات العاملين فيها، ويمنحهم فرصة التعبير ويُغيّر من مفاهيمهم واتجاهاتهم نحو المهنة مما يضفي على البيئة التعليمية مناخاً جيداً فعالاً.

غير أن تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية لا يمكن أن تشملها المؤسسة التربوية كلها، بل يجب أن يبدأ بقطاع معين، ومن ثم تعمم التجربة بعد نجاحها، كما يمكن القول إن إدارة الجودة الشاملة، لا بد أن تبدأ بخطوات صغيرة تحقق تحسينات إبداعية صغيرة ومتنامية يتوقع منها تحقيق تغير ملحوظ نحو الأحسن، وبإشراك العاملين المتميزين في المؤسسة. كذلك فإن تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة التربوية يحتاج إلى إعادة النظر في رسالة المؤسسة وأهدافها وغاياتها، واستراتيجيات تعاطيها مع العمل التربوي، ومعاييرها وإجراءات التقويم المتبعة فيها، والتعرف إلى حاجات المستفيدين؛ أي ماهية نوعية التعليم وأعداد الطلبة الذين يرون أنها تحقق حاجاتهم وتلبي رغباتهم الآنية والمستقبلية، وكذلك تدريب العاملين المساندين من أجل تطوير مهاراتهم، ورفع كفاياتهم مع تحديث للأطر المرجعية، بحيث يتمكنون من استيعاب فلسفة إدارة الجودة الشاملة وتطبيقاتها.

وفيما يتعلق بالموارد والإجراءات المتبعة، فلابد من إعادة النظر في كيفية توظيف الموارد واستثمارها بفاعلية، وإعادة هيكلة التنظيم على نحو يتماشى مع واقع المناهج الدراسية وتوافقها مع متطلبات العصر، وتلبية حاجات المستفيدين والمجتمع الذي ينتمون إليه، ويجب أن يواكب ذلك كله النهوض بجودة المناهج الدراسية من حيث المحتوى ووضوح الغاية، وإمكانية تحقيقها والتأكد من واقعيتها في تلبية رغبات المستفيدين (الطلبة، أولياء الأمور، المجتمع)، كما يجب الاهتمام بطرائق التدريس ووسائل التقويم، مما يؤدي إلى التطوير المتواصل والمستمر. (طعيمة وآخرون، ٢٠٠٦:٨٣).

الدراسات السابقة:

لا يتوافر في حدود علم الباحث واطلاعه كثير من الدراسات التربوية العربية التي تتناول تطوير مقاييس مقننة، لتحديد مدى توظيف مبادئ إدارة الجودة في مؤسسات التعليم العالي. ويفسر الباحث السبب في قلة اهتمام التربويين بموضوع إدارة جودة المؤسسة التربوية بأنه يكمن في صعوبة توظيف معايير الجودة في مجال التربية، وبسبب حداثة هذا الاتجاه وتطبيقه في المنطقة العربية. ومع ذلك استطاع الباحث الحصول على عدد من الدراسات العربية التي تناولت موضوع الجودة ومعايير تقويمها ومنها ما يأتي:

- **دراسة (الموسوي، ٢٠٠٣)** التي استهدفت تطوير أداة لقياس درجة استيفاء مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، فقد تمكن من تطوير مقياس تضمن ٤٨ فقرة، تغطي أربعة مجالات رئيسة في إدارة الجودة، وطبِّق المقياس على ٦٠ أستاذاً في جامعة البحرين، وقد توصل إلى ضرورة توظيف مبادئ إدارة الجودة الشاملة وأفكارها في مؤسسات التعليم العالي، لغرض تطوير عمليات التعليم والتعلم، وتحسين مخرجات التعليم وتجويده في دول الخليج العربي.

- **وفي دراسة** (**البكر**، ٢٠٠١) التي أجريت في الكويت، وركز فيها على كيفية تكييف نظام إدارة الجودة الشاملة في العملية التربوية التعليمية من خلال وضع الخطوات الإجرائية لتوظيف مكونات نظام الجودة «الآيزو ٩٠٠٢» وعناصره في تصميم أداء العناصر والأجهزة والمحتويات ذات العلاقة بالعملية التربوية ومراجعتها مثل: التحصيل العلمي، والمناهج الدراسية والمشكلات الطلابية وأساليب وطرائق التدريس والنشاطات وغيرها. وقد خرج الباحث بتوصيات من أهمها ضرورة حث المؤسسات التربوية والتعليمية على السعي للحصول على شهادة المواصفة الدولية للجودة.
- **وفي دراسة** (**الغنام**، ٢٠٠١) التي أجريت في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، واستخدمت الباحثة فيها المنهج الوصفي التحليلي للتعرّف إلى فاعلية أداء مديرة المدرسة الابتدائية في ضوء معايير إدارة الجودة الشاملة، وتحديد مجالات القوة والضعف في أدائها. وقد استندت الباحثة إلى معايير إدارة الجودة التي طورها (فرحات، ١٩٩٦) في تصميم استبانة تحتوي على ٦٠ عبارة لقياس درجة فاعلية أداء مديرة المدرسة الابتدائية في خمسة مجالات هي: التخطيط وإدارة الموارد البشرية، ومتابعة التحصيل وتقويمه، واتخاذ القرارات والعلاقات الإنسانية، وإدارة العلاقة مع أطراف العملية التربوية. وقد توصلت من دراستها إلى ضرورة تطبيق هذه المعايير لتطوير الإدارة المدرسية والاهتمام بها.
- **وفي دراسة** (**البطي**، ٢٠٠٠) التي استهدفت التعريف بإدارة الجودة، وبيان إمكانية تطبيقها في الميدان التربوي، واستخدم فيها المنهج الوصفي لوصف إدارة الجودة، ومحاولة التأكد من إمكانية تطبيقها في السعودية، فقد اشتملت الدراسة على ثلاثة محاور رئيسة هي: إدارة الجودة الشاملة، وإدارة الجودة في الميدان التربوي، وإدارة الجودة في الميدان السعودي. وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها أن تعريفات الجودة في معظمها تأخذ منحى اقتصادياً، وأنه يمكن تطبيق إدارة الجودة في الميدان التربوي، والاستفادة منها في القطاع التعليمي السعودي.
- **أما دراسة** (**عابدين**، ١٩٩٢)، التي استهدفت تقويم الجهود العلمية في تعريف الجودة، وتقديم تعريف مناسب للجودة التربوية، وكذلك تقويم الجهود المتبعة في قياس الجودة، ورسم معالم الطريق المؤدية إلى قياس الجودة، التربوية وكيفية الاستفادة منها في التربية في مصر. وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي لرصد الكتابات المختلفة التي تناولت مجالات الدراسة وتفسيرها، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أبرزها: وضع تعريفات شاملة للجودة والتفاعلات المتواصلة التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف المنشودة والمناسبة للجميع.

ومن الدراسات الأجنبية التي تناولت هذا الموضوع:

- **دراسة** (Valeria,١٩٩٨) التي أجريت في جامعة شمال فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية بهدف الوصول إلى قائمة من المؤشرات التي تصلح لقياس جودة الجامعة، وقد توصلت الدراسة إلى تحديد تسع مؤشرات للجودة هي: التقدم التربوي، والمردود (النواتج التعليمية)، وبقاء المتعلم في البرنامج مدة كافية حتى تتحقق الأهداف التربوية، وانتقاء الطلبة، والبرنامج التوجيهي، وتخطيط البرنامج وتقويمه، والخدمات التي تقدم للطلبة الذين يحتاجونها، المنهج والتدريس، وتنمية هيئة التدريس.

- **وفي دراسة ستانلي جوردن** (Stanley,١٩٩٥) التي هدفت إلى فحص العلاقة بين الأداء الكمي والمؤشرات المتنوعة لجودة الجامعات الاسترالية، وكذلك التعرّف إلى مدى الارتباط بين عوامل الأداء الثلاثة وهي: الأداء التقليدي للجامعة في البحث، والأداء التدريسي، والأداء البحثي التنافسي. وقد حلل الباحث هذه الارتباطات في ضوء أربعة عوامل مختلفة هي: الحجم والعدالة ومعدل عضو هيئة التدريس للطلبة وسياسة القبول، وقد توصل من دراسته إلى وضع ثمانية مؤشرات مرتبطة بجودة التعليم العالي وهي: مستوى الخريج الجامعي، وإنتاجية أعضاء هيئة التدريس في نشر بحوثهم، وحجم المؤسسة التعليمية، وعدد الطلبة في المؤسسة (معدلات أعضاء هيئة التدريس بالنسبة للطلبة)، والقبول والانتقاء للطلبة، والسمعة والشهرة التي تحصل عليها أعضاء هيئة التدريس، والظروف المالية والإنفاق، وتكلفة كل طالب في العملية التعليمية.

وتعقيباً على هذه الدراسات، فإن الباحث يرى أن هناك تبايناً حاصلاً بين أوساط التربويين بشأن إمكانية تجسيد أفكار إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم، بالرغم من إجماعهم على ضرورة تطبيق إدارة الجودة الشاملة، من أجل تحسين جودة التعليم في مؤسساته المتعددة. وقد استفاد الباحث من هذه الدراسات في وضع الإطار النظري الذي استطاع توظيفه في بناء مقياس لتحديد جودة المؤسسة التعليمية الفاعلة. كما يرى أن هذه الدراسات تعكس مدى حيوية إدارة الجودة الشاملة بصفتها أحدث تطورات الفكر التربوي الحديث في العالم، وأهميتها باعتبارها منهجاً علمياً وتطبيقياً لتطوير مؤسسات التعليم العالي.

وتتميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أنها ركزت على تحقيق أداة واقعية لقياس جودة المؤسسة التربوية، ومن ثم تطبيقها على إحدى الجامعات المحلية، وعليه فقد تضمنت جانبين: جانباً نظرياً وجانباً تبيقياً.

خطوات إعداد الأداة:

اتبع الباحث الخطوات الإجرائية الآتية لإعداد الأداة:

١. الإطلاع والدراسة التحليلية الناقدة للدراسات والأبحاث السابقة التي تناولت موضوع الجودة في التعليم.

٢. تحديد مؤشرات ومعايير الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي من خلال الإطلاع على العناصر المعيارية الأساسية المقرّة دولياً (مواصفات الجودة «الأيزو ٩٠٠٢»).

٣. تكييف هذه العناصر لعمليات التعليم والتعلم الجارية في مؤسسات التعليم العالي ودمجها في أربعة مجالات رئيسية هي: تهيئة متطلبات إدارة الجودة ومتابعة عملية التعليم والتعلم وتطويرها وتطوير القوى البشرية وخدمة المجتمع، وذلك كما حدث في الجدول الآتي:

الجدول (١)
يبين مجالات جودة المؤسسة التعليمية

الرقم	ا جل الرئيس	ا جالات الفرعية
١.	يئة متطلبات إدارة ا ودة التعليم	• وضع القواعد واللوائح ا حددة لنهج ا ؤسسة لعملها • اعتماد منهجية التطوير ا ستمر لعمليات التعليم والتعلم و س الأداء. • توف أعضاء هيئة التدريس وكافة ا ستلزمات اللازمة للعملية التعليمية وأنشطتها.
٢.	متابعة عملية التعليم والتعلم وتطويرها	• تنفيذ إجراءات قبول الطلبة ا ؤسسة. • تقد خدمات تلفة للطالب. • متابعة صيل الطالب ا امعي. • إعداد ال امج التعليمية وا هنية. • تطوير توى التدريس وطرائقه.
٣.	تطوير القوى البشرية	• إعداد برامج التنمية ا هنية للعامل . • ديد أساليب تقو الأداء وتطويره.
٤.	ا اذ القرار وخدمة ا جتمع	• تأم مشاركة العامل ا اذ القرار. • تقد ا دمات ؤسسات ا جتمع ا ختلفة.

وقد تمكّن الباحث من تأطيرها في ثمانية محاور رئيسة يندرج تحت كل محور منها عدد من المؤشرات، وذلك على النحو الآتي:

المحـــــور الأول: الطلاب:

يعد الطالب المتعلم أحد عناصر العملية التعليمية التعلمية الرئيسة، وتتعدد مؤشرات الجودة المرتبطة بهذا المحور إلى ما يأتي:

١-١ انتقاء الطلاب:

حيث تمثل الانتقائية في سياسة قبول طلبة المرحلة الجامعية الأولى إحدى الممارسات الشائعة في الجامعات،وتعد هذه الممارسة مؤشراً للجودة، فانتقاء الطلبة وقبولهم يمثل الخطوة الأولى في جودة التعليم الجامعي، والخطوة التالية هي التأكد من تفاعل الطلبة مع أعضاء هيئة التدريس والإدارة بطرق ايجابية، كما تتوقف جودة الجامعة على وجود روابط وتفاعلات بين الطلبة وأعضاء هيئة التدريس في قاعات المحاضرات، والمجتمع والأنشطة المنهجية المرافقة.

وحتى يكون انتقاء الطلاب واختيارهم مؤشراً مهماً للجودة، فإنه يجب أن يتم عن طريق اختبارات معينة مصممة لهذا الغرض، ولذا فالجامعة التي تنتقي طلابها انتقاءً جيداً غالباً ما تكون الجودة فيها عالية.

٢-١ نسبة عدد الطلاب إلى عدد أعضاء هيئة التدريس:

حيث تتوقف جودة التعليم العالي على قدرة أعضاء هيئة التدريس على أداء مهماتها على أعلى مستوى، وهذا الهدف يتوقف على إجمالي عدد أعضاء هيئة التدريس ونسبتها إلى مجموع عدد الطلاب، وهي نسب يجب أن تكون في حدود مقبولة، وتحقق اقل تكلفة مصحوبة بأعلى كفاية.

٣-١ توسط تكلفة الطالب:

حيث تقاس الجودة بواسطة معدل الإنفاق على كل طالب،فلو كان معدل إنفاق جامعة ما على الطالب أكثر من جامعة أخرى، فمن المتوقع أن تكون الجامعة الأولى أعلى جودة من الأخرى، غير أنه لا يجوز الاعتماد على قياس الجودة بمعدل تكلفة الطالب الجامعي فقط، فقد تهدر النفقات في أمور ليس لها علاقة بالعملية التعليمية، أو قد لا تستثمر النفقات الإضافية استثماراً فعالاً.

وهكذا فان متوسط تكلفة الطالب مؤشر مهم للجودة، إلا أنه ليس المؤشر الوحيد، لأن نوعية الإدارة والتوجيه والتنشيط والحفز، كل ذلك يدخل كعوامل مؤثرة في نوع الإنفاق.

٤.١ الخدمات التي تقدم للطلاب:

فالخدمات الصحية والإقامة والمساعدات المالية، وخدمات التوجيه والإرشاد من المؤشرات المهمة في الجودة في التعليم الجامعي.

١-٥ دافعية الطلبة واستعدادهم للتعلم:

حيث تتوقف جودة التعليم على مدى توافر الدافعية والاستعداد للتعلم، وإقبال الطلبة بحماس نحو التعليم، فلا تعلم بدون رغبة.

والجودة ترتبط بوجود دوافع قوية لبدء التعلم، واستمراره، وحفزه وإتقانه، وتهيئة الظروف المناسبة للمتعلمين.

١-٦ نسبة الخريجين في كلية ما:

الذين التحقوا في برامج الدراسات العليا، إلى نسبة الخريجين من هذه الكلية.

١-٧ ارتباط هيكل الطلبة الجامعيين حسب الكليات والتخصصات، باحتياجات المجتمع:

حيث يتم تخريج الجامعيين بتخصصاتهم المختلفة اللازمة لسد هذه الاحتياجات، على أن يكون ذلك مخططاً بأسلوب يضمن تدفق الخريجين في الوقت المناسب بالأعداد المطلوبة وبالتخصصات اللازمة.

١-٨ مستوى الخريج الجامعي:

حيث يعد الخريج النتاج النهائي لجميع أنشطة التعليم الجامعي، فبحسب هذا المستوى يمكن الحكم على جودة التعليم الجامعي ومؤسساته.

المحــــور الثاني: أعضاء هيئة التدريس:

إن جودة هيئة التدريس من العوامل المهمة لجودة التعليم الجامعي، ويرتبط هذا المحور بحجم الهيئة التدريسية وكفاية أعضائها، وتتعدد المؤشرات التي ترتبط بهذا المحور فيما يأتي:

٢-١ حجم أعضاء هيئة التدريس، وكفايتهم إلى الحد الذي يسمح بتغطية جميع الجوانب المنهجية للتخصص.

٢-٢ امتلاك أعضاء هيئة التدريس للكفايات التدريسية:

حيث إن امتلاك أعضاء هيئة التدريس للكفايات التدريسية، إضافة إلى نموهم المستمر في مجال تخصصهم عامل أساس في الجودة.

٢-٣ مساهمة أعضاء هيئة التدريس في خدمة المجتمع المحيط بهم.

٢-٤ مستوى التدريب الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس.

٢-٥ الإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس:

حيث يعد حجم البحوث والدراسات والكتب المنشورة والمقالات من مؤشرات الجودة، وبخاصة المنشورة في مجلات جيدة السمعة، فهذه الأعمال جميعها مقياس غير مباشر للجودة في التعليم الجامعي.

٢-٦ مدى تفرغ أعضاء هيئة التدريس للعمل الجامعي، وتحسين مستواهم العلمي.

٢-٧ مشاركة أعضاء هيئة التدريس في الجمعيات العلمية والمهنية وغيرها.

٢-٨ احترام أعضاء هيئة التدريس لطلابهم.

المحـــــور الثالث: المناهج الدراسية:

من العوامل المرتبطة بجودة التعليم الجامعي أصالة برامجها وجودة مناهجها من حيث المستوى والمحتوى والطريقة والأسلوب، وإلى أي مدى تعكس المناهج الشخصية القومية أو التبعية الثقافية؟ وإلى أي مدى ترتبط بالبيئة، وتثري شخصية المتعلم وتنمي قدراته ومهاراته؟.

وحيث إن المنهاج ينبغي أن يكون ملائماً ومتكيفاً مع حاضر الطلبة ومستقبلهم، ويراعي ميولهم واتجاهاتهم، واحتياجاتهم ومشكلاتهم واستعداداتهم، ومساعدتهم على إحداث تغيرات مرغوبة في سلوكهم، لذا فإن جودة المنهاج تعكس جودة التعليم، والتعليم الجيد هو ذلك التعليم الذي يهدف إلى مساعدة المتعلمين على بلوغ الأهداف التربوية المراد تحقيقها، وان يرتفع إلى غاية قدراتهم واستعداداتهم وإلى مستوى توقعاتهم، مع الأخذ بعين الاعتبار ما بينهم من اختلافات وفروق فردية.

ومن المؤشرات التي تدل على الجودة ضمن هذا المحور ما يأتي:

٣-١ الخطط الدراسية والتقويم السنوي الذي يحدد ساعات الدوام وعدد أيام الدراسة.

٣-٢ الكتب والمراجع الإضافية والكتب الموصى باقتنائها في المكتبات الجامعية.

٣-٣ أسلوب التقويم المستخدم وأدواته.

٣-٤ البناء والمرافق والتجهيزات.

٣-٥ تقنيات التعليم والوسائل التعليمية والتجهيزات المخبرية والمشاغل التربوية.

٣-٦ نوعية الأنشطة المرافقة للمنهاج ومحتواها.

٣-٧ محتوى برامج الإعداد والتدريب في أثناء الخدمة. من حيث حداثته وتكامله وشموليته وملاءمته.

المحـــــور الرابع: الإدارة الجامعية:

يتعلق هذا المحور باتجاه مؤسسة التعليم الجامعي وسياستها تجاه كل من التدريب والبحث، ومن المؤشرات التي تعكس جودة التعليم في هذه المؤسسة ما يأتي:

٤-١ التزام الإدارة العليا بالجودة، واهتمام القائمين على الجامعة بذلك.

٤-٢ العلاقات الإنسانية بين العاملين في المؤسسة:

فالهيئة التدريسية بالمؤسسة تؤدي وظائفها على الوجه الأكمل في مناخ العلاقات الطيبة مع إدارة القسم أو الكلية وإدارة الجامعة، وهذا يتطلب اتصالات جيدة بين أعضاء هيئة التدريس والجهاز الإداري.

٤-٣ اختيار الإداريين وتدريبهم، والحد من أعدادهم بما يتناسب مع الحاجة إليهم.

المحـــــور الخامس: الإمكانات المادية:

تتعدد الإمكانات المادية في المؤسسة من مبان ومكتبات ومعامل ومختبرات وتمويل، وفيما يأتي المؤشرات المرتبطة بها:

٥-١ مرونة المبنى الجامعي وقدرته على أداء المهمة المنوطة به:

وكفاءته لاستيعاب عدد الطلاب، والمكان الجغرافي للوحدة التعليمية وعلاقته بالبيئة المحيطة.

٥-٢ مدى استفادة أعضاء هيئة التدريس والطلاب من المكتبات الجامعية:

فالمكتبة الجامعية لا بد أن تشتمل على مصادر تخصصية وغير تخصصية، ولا بد أن تحتوي على كتب ومجلات ودوريات تخدم جميع البرامج والتخصصات، كما يجب أن يكون استخدام المكتبة فاعلاً من حيث ساعات العمل فيها، والمساحة المتاحة للقراءة، ومدى المساعدة التي تقدم للقراءة.

٥-٣ مدى استفادة أعضاء هيئة التدريس والطلاب من المعامل:

حيث لابد أن تعكس المعامل متطلبات البرامج التعليمية، التي تقدم بالكلية والجامعة، وأن تُدعم هذه المعامل بالإمكانات اللازمة من أجهزة وأدوات ومعدات وأجهزة قياس ذات جودة ونوعية تضمنان الأداء المعملي الفعال والناجح.

٥-٤ حجم الاعتمادات المالية المخصصة لكل مؤسسة تعليمية:

فجودة التعليم الجامعي تتوقف على مدى نجاح الجامعات في قدرتها على كسب منح وهبات من المجتمع المحيط بها، إضافة إلى حجم الاعتمادات المالية لكل طالب ولكل عضو من أعضاء هيئة التدريس، والمنح التي تعطيها الدولة لكل عضو هيئة تدريس ولكل طالب.

المحـــــور السادس: الجامعة والمجتمع:

تعد خدمة المجتمع والنهوض به من الوظائف الرئيسة للجامعة الفلسطينية، ويقصد بهذه الوظيفة الأنشطة غير المباشرة لطلابها للوفاء باحتياجات البيئة المحيطة من التخصصات المختلفة، والعمل على ربط البحث العلمي بمشكلاتها، والأنشطة المباشرة الموجهة إلى غير طلابها النظاميين بهدف إحداث تغيرات مرغوب فيها، تؤدي إلى نمو المجتمع وتقدمه. وهذا يستوجب أن توجه هذه المؤسسات جل نشاطاتها وبرامجها لتلبية الاحتياجات التي يتطلبها المجتمع وفقاً لظروفه وحالته. وبالرغم من التباين بين المؤسسات، فإن هناك إجماعا مجتمعياً على تحمل المجتمعات للنفقات والجهد لإنشاء هذه الجامعات، سعياً لدعم استمرارية الجامعات، وإيماناً منها بأن الجامعات هي الأقدر على تقديم المساهمات الفاعلة في مجال تلبية الاحتياجات الآنية والمستقبلية والكفيلة

بالمساعدة في تحقيق نمو المجتمع وتطويره. ويتطلب تحقيق هذه الوظيفة من المؤسسة أن تضع نفسها بإمكاناتها البشرية والمادية في خدمة المجتمع، بما في ذلك البيئة المحيطة بها، التي تتلقى منها السند والتأييد لتحقيق أقصى ما تستطيع من نتائج في حدود إمكاناتها.

وإذا كانت أولى أولويات الجامعة في دولنا النامية تتعدد في التأثير الإيجابي في المجتمع، فإن سبيلها في ذلك يتم من خلال قدرتها في الاستفادة من التطورات المعرفية وتوظيفها في خدمة مجتمعها، ولذلك من مؤشرات الجودة لهذه المؤسسة في هذا المحور ما يأتي:

٦-١ ربط التخصصات المختلفة في مؤسسات التعليم الجامعي الفلسطيني باحتياجات المجتمع المحيط به.

٦-٢ ربط البحث العلمي بمشكلات المجتمع المحيط بها بغية إيجاد الحلول لها.

٦-٣ التفاعل بين المؤسسة بمواردها البشرية والبحثية والفكرية وبين المجتمع بقطاعاته الإنتاجية والخدماتية.

وهكذا فإنه إذا استطاعت الجامعات والمؤسسات التعليمية العمل ضمن رؤى واستراتيجيات واضحة محددة، توافق مصالح المجتمع وأفراده، فإنها تستطيع الاستفادة من إنجازات المعرفة الإنسانية دون إلحاق أي ضرر أو تفريط، وهذا ما يحكم على جودة مؤسسة التعليم العالي.

المحـــــور السابع: استقلالية الجامعات أو المؤسسات:

من مؤشرات الجودة في التعليم العالي الفلسطيني استقلاليته وتحرره من أي ضغوط أو أي احتمالات لضغوط تؤثر فيه، ويقصد بالاستقلالية عدم الاشتراط على الجامعة في اتخاذ قراراتها على أي شيء يؤثر في عملية جودتها. فبقدر ما يتاح للمؤسسة من حرية البحث والنشر وحرية الفكر والتعبير عن الرأي، تكون الثقة بالنفس، وينطلق الإبداع والابتكار، وتتحرر الجهود العلمية من القيود التي تكبل حركتها، وليس معنى هذا التقليل من قيمة الضبط الخارجي وأهميته، ولكن يجب أن يكون مدروساً وهادفاً، بحيث لا يقلل من كفاءة المؤسسة وقدرتها على التكيف، بالإضافة إلى فاعليتها التربوية.

ومن مؤشرات الجودة في هذا المحور:

٧-١ التوازن بين مقتضيات الاستقلال الجامعي:

الذي ينطلق من حرية البحث العلمي، وحرية التعبير، وبين مقتضيات الإشراف الحكومي، الذي يرتبط بالتمويل، وبمراعاة تقاليد المجتمع وحرماته.

المحـــــور الثامن:

التنوع والتباين بين الجامعات:

فعلى الجامعة أن تراعي ظروف البيئة أو الإقليم الذي تنشأ فيه، ولذا فعلى الجامعات أن تتميز بتخصص واضح يلائم احتياجات البيئة، وتقدم كل جامعة خدماتها على مستوى المجتمع ككل، فتتولى تخريج عدد معين من ذوي التخصصات التي يحتاجها المجتمع بالفعل بحيث لا يحدث أي نقص في هذه الكفاءات، يتولد عنه عجز، ولا يحدث فائض ينتج عنه بطالة، وهذا يستلزم تنوع الجامعات الفلسطينية وتباينها في تخصصاتها، ولا تكون صوراً متطابقة حتى تراعي احتياجات المجتمع الفلسطيني في مدنه وقراه ومخيماته كافة. ولهذا ينبثق المؤشران الآتيان لهذا المحور من محاور الجودة:

٨-١ مراعاة كل جامعة لاحتياجات المجتمع المحيط بها.

٨-٢ مدى ملاءمة الخريجين من التخصصات المختلفة لحاجة المجتمع.

هذا وقد توصل الباحث في دراسته إلى إعداد قائمة رصد تتضمن في صورتها الأولية (٦٠) معياراً من معايير الجودة للتعليم الجامعي موزعة على أربعة مجالات رئيسة، بحيث يمكن الاستفادة من هذه القائمة في الحكم على مستوى جودة مؤسسات التعليم الجامعي الفلسطيني، كما يمكن أن تكون أداة تقويم يوظفها العاملون في المؤسسة من أجل التحسين والتجويد والتطوير، وقد وضعت هذه المعايير ضمن مقياس خماسي تتضمن المعايير الآتية:

(بدرجة كبيرة جداً- كبيرة- متوسطة- قليلة- قليلة جداً)، حيث وضع لهذه المعايير التقديرات الرقمية الآتية(١،٢،٣،٤،٥) على الترتيب.

صـــدق الأداة وثباتها:

عرض الباحث الأداة على خمسة من الأساتذة وذوي الاختصاص في الجامعات الفلسطينية في غزة والضفة الغربية وذلك لتحكيمها وإبداء آرائهم في: صياغة الفقرات بصورة سليمة وواضحة، ومدى انتماء الفقرات للمجالات المحددة. وإمكانية حذف أو تعديل أو إضافة فقرات جديدة يرونها مناسبة.

في ضوء ذلك أعيدت صياغة الفقرات وكتابتها، وإخراج القائمة بصورة نهائية، بحيث

تحقق التوازن بين مجالاتها، حيث بلغ عدد فقراتها (٥٢) فقرة موزعة على النحو الآتي:

الرقم	ا جال	عدد الفقرات
١	يئة متطلبات إدارة ا ودة	١٥
٢	العملية التعليمية:متابعتها وتطويرها	١١
٣	تطوير القوى البشرية العاملة	١٣
٤	ا اذ الفرار وخدمة ا جتمع	١٣

كما قام الباحث بحساب صدق الاتساق الداخلي لكل فقرات الأداة، وكذلك لكل مجال من المجالات الأربعة من خلال تجريبها على عينة استطلاعية، حيث بلغت معاملات الارتباط بين كل مجال والأداة ككل (٠,٨٦، ٠,٨١، ٠,٨٤، ٠,٨٠) على الترتيب، مما يدل على تمتع الأداة بالصدق. (السيد، ١٩٩٦:٣٨٨)

أما ثبات الأداة فقد حُسب باستخدام طريقة التجزئة النصفية، حيث حُسبت درجات المفحوصين على كل من جزئي الأداة (الأرقام الفردية والأرقام الزوجية)، وحُسب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل جزء، وبسبب اختلاف قيمة المتوسطات، وكذلك الانحراف المعياري للجزئين، فقد طُبقت معادلة جوتمان ***(Guttman)***.

$$ر = ٢ \frac{[١ - (ع_1^2 + ع_2^2)]}{ع^2}$$

حيث ر = معامل الثبات، ع١ الانحراف المعياري للجزء الأول، ع٢ الانحراف المعياري للجزء الثاني، ع الانحراف المعياري للأداة ككل. وقد بلغ معامل الثبات ٠,٨٨ وهو معامل مرتفع يدل على ثبات الأداة ويسمح باستخدامها. (ملحم، ٢٠٠٥:٢٦٤).

دراسة الحالة ونتائج تطبيق الأداة:

بعد التأكد من صدق الأداة وثباتها طُبقت على عينة عشوائية عددها (٦٠) من أعضاء هيئة التدريس والعاملين الإداريين في جامعة القدس المفتوحة اختيرت من المناطق التعليمية الخمس التابعة للجامعة في قطاع غزة، وقد طلب من كل فرد من أفراد العينة أن يضع تقديره الذاتي لمدى الجودة بالنسبة لكل معيار من معايير الأداة، وقد حدد الباحث النسبة ٦٠٪ فما فوق معياراً مقبولاً؛ أي بمتوسط حسابي (٣)، وقد جُمعت البيانات وحُللت ودُونت في الجدول الآتي:

الجدول (٢)

يبين استجابات عينة الدراسة وتقديراتهم، والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي لكل معيار، وذلك بحسب وجهة نظر أعضاء العينة. (ن = ٦٠).

الرفم	الفقرات	عدد الاستجابات وفق التقديرات بدرجة					موع الدرجات من ٣٠٠	النسبة ا ئوية٪	ا توسط من ٥
		كب ة جد ٥	كب ة ٤	متوسطة ٣	قليلة ٢	قليلة جد ١			
أولاً: ال يئة متطلبات إدارة ا ودة:									
١.	توفر ا امعة برامج تعليمية تل حاجات الأفراد وا جتمع.	١٤	١٤	١٢	١٤	٦	١٩٦	٦٥	٣,٢٥
٢.	يئ ا امعة برامج تعليمية تناسب العصر وما دث من مستجدات.	١٦	١٥	١١	٨	١٠	١٩٩	٦٦	٣,٣
٣.	تعد ا امعة خطة استراتيجية تتوافق وخطة التنمية الشاملة للمجتمع.	١٩	١٤	١٥	٨	٤	٢١٦	٧٢	٣,٦
٤.	يئ ا امعة مب يستوعب أعداد الطلبة ا قبول .	١٦	١٤	١٣	٩	٨	٢٠١	٦٧	٣,٣٥
٥.	توفر ا امعة قاعات دراسية ومعامل و ت ات تتناسب وأعداد الطلبة ا قبول .	١٢	١٨	١٤	١٠	٦	٢٠٠	٦٦	٣,٣
٦.	يئ ا امعة مستلزمات الأنشطة ا نهاجية من تقنيات ووسائط وكتب مدرسية ومراجع....	٩	١٦	١٠	١٠	١٥	١٧٤	٥٨	٢,٩
٧.	يئ ا امعة مستلزمات الأنشطة ا رافقة للمنهاج من قاعات، وملاعب وصالات متعددة الأغراض و....	١٠	١٢	١٠	١٣	١٥	١٦٩	٥٦	٢,٨

.٨	توفر ا امعة أساتذة وأعضاء هيئة تدريس وطاقم إداري يتناسب وأعداد الطلبة.	٢٠	١٨	١٨	٢	٢	٢٣٢	٧٧	٣,٨٥
.٩	توفر ا امعة أساتذة ومشرف أكاد ي متخصص لتدريس يع ا قررات الدراسية.	٢٠	٢٠	١٢	٤	٤	٢٢٨	٧٦	٣,٨
.١٠	تنهج ا امعة مبدأ التطوير ا ستمر لعمليا ا الإدارية والفنية.	١٤	١٧	١٦	٩	٤	٢٠٨	٦٩	٣,٤٥
.١١	تستحدث ا امعة آليات لتطوير ا دمات التعليمية.	١٦	١٥	١٠	١٠	٩	١٩٩	٦٦	٣,٣
.١٢	تشجع ا امعة العامل فيها على ا بادرات لتحس الأداء وتطويره.	١٩	١٦	١٤	٧	٤	٢١٩	٧٣	٣,٦٥
.١٣	تضع ا امعة أنظمة واضحة و ددة للالتحاق والقبول لطلبتها.	١٦	١٤	١٢	١٠	٩	٢٠١	٦٧	٣,٣٥
.١٤	تزود ا امعة طلبتها بدليل دد بوضوح شروط الدراسة ومتطلبا ا.	١٦	٣٢	٦	٦	-	٢٣٨	٧٩	٣,٩٥
.١٥	توفر ا امعة خدمات متعددة لطلبتها (صحية،توجيه وإرشاد، مساعدات ومنح دراسية وقروض و...)	٢٠	١٨	١٢	٧	٣	٢٢٥	٧٥	٣,٧٥
	ا جموع						٢٧٠٥	٦٠,١	٣,٠

ثاني : ال العملية التعليمية – متابعتها وتطويرها:									
١.	تم إدارة ا امعة ودة التعليم و رص على فيقها.	١٦	١٤	١٣	٩	٨	٢٠١	٦٧	٣,٣٥
٢.	تفظ ا امعة لفات خاصة لكل طلبتها تضم معلومات وبيانات.	٢٤	١٦	١٦	٣	١	٢٣٩	٧٩	٣,٩٥
٣.	تتخذ الإجراءات اللازمة فظ ا علومات ا اصة بالطلبة وضمان سريتها.	٢٢	١٥	١٨	٣	٢	٢٣٢	٧٧	٣,٨٥
٤.	تتابع ا امعة وإدار ا صيل الطلبة ونتائج تقو هم ا ستمر طيلة فصول الدراسة.	١٢	١٨	١٤	١٠	٦	٢٠٠	٦٦	٣,٣
٥.	تنظم ا امعة فعاليات وأنشطة تسهم فيق التنمية الشاملة ا تكاملة للطالب.	١٢	١٤	١٣	١٤	٧	١٩٠	٦٣	٣,١٥
٦.	تقوم ا امعة تابعة طرائق التدريس والإشراف على ا قررات الدراسية.	٣	٤	١٠	٢٠	٢٣	١٢٤	٤١	٢,٠٥
٧.	تقوم ا امعة راجعة ال امج وا قررات الدراسية وتطويرها ضوء ا ستجدات العلمية والتربوية.	٢٣	١٦	١٢	٥	٤	٢٢٩	٧٦	٣,٨
٨.	يتم تطوير توى ا قررات الدراسية و ديثها باستمرار.	٨	١٢	١٢	١٤	١٤	١٦٦	٥٥	٢,٧٥
٩.	يئ ا امعة ا ناخ التعليمي ا ناسب للعملية التعليمية	٩	١١	١٠	١٥	١٥	١٦٤	٥٤	٢,٧

.١٠	تعمل ا امعة على توف ما يلزم للعملية التعليمية من وسائط وتقنيات.	١٤	١٤	١٢	١٤	٦	١٩٦	٦٥	٣,٢٥
.١١	تقوم ا امعة بإجراءات ددة لتطوير أساليب التقو بناء على نتائج ا تابعة ا ستمرة.	١٠	١٢	١٠	١٣	١٥	١٦٩	٥٦	٢,٨
	ا جموع						٢١١٠	٦٣,٩	٣,٢
ثالثا: ال تطوير القوى البشرية العاملة:									
.١	تستخدم ا امعة أدوات مناسبة للتعرف على احتياجات الطلبة والعامل فيها.	٦	٨	١٢	١٨	١٦	١٥٠	٥٠	٢,٥
.٢	يئ ا امعة الفرص لتطوير قدرات العامل وا شرف الأكاد ي فيها.	٤	٨	١٢	١٦	٢٠	١٤٠	٤٦	٢,٣
.٣	توفر ا امعة برامج تدريبية أثناء ا دمة للعامل ، وبشكل دوري ومستمر.	٩	١١	١٠	١٥	١٥	١٦٤	٥٤	٢,٧
.٤	يُدرب العاملون ا امعة سب حاجا م وذلك لرفع كفايا م.	١٠	١٢	١٠	١٣	١٥	١٦٩	٥٦	٢,٨
.٥	يُدرب ا شرفون الأكاد يون ا امعة لتنمية قدرا م على إعادة صياغة ا ادة التعليمية وتطويرها وتنفيذها.	٨	١٠	١٠	١٨	١٤	١٦٠	٥٣	٢,٦٥

٦.	تقوم برامج التدريب أثناء ا دمة بشكل دوري للتأكد من مدى فاعليتها ومردودها.	٣	٤	١٠	٢٠	٢٣	١٢٤	٤١	٢,٠٥
٧.	تتبنى ا امعة طرق القياس ا وضوعية لتقو أداء العامل فيها.	١٢	١٨	١٤	١٠	٦	٢٠٠	٦٦	٣,٣
٨.	يقوم أداء العامل وأعضاء هيئة التدريس والإدار ا امعة بصورة دورية.	٢٢	١٦	١٤	٥	٥	٢٣١	٧٧	٣,٨٥
٩.	تراعي ا امعة كفاية عضو هيئة التدريس عند اختياره لتنفيذ مهمات أكاد ية أو إدارية.	٦	٩	١١	١٦	١٨	١٤٩	٤٩	٢,٤٥
١٠.	يُرقى ا وظف ويُثبت ا امعة وفق عاي ددة.	١٦	١٤	١٣	٩	٨	٢٠١	٦٧	٣,٣٥
١١.	توظف نتائج التقو لصياغة خطط ا امعة ورسم برا ها ا ستقبلية.	٢٠	٢٠	١٢	٤	٤	٢٢٨	٧٦	٣,٨
١٢.	تعمل ا امعة على رفع كفايات العامل فيها توظيف وسائل الاتصال والتواصل فيما بينهم وب الطلبة.	٨	١٠	١٠	١٨	١٤	١٦٠	٥٣	٢,٦٥
١٣.	تعمل ا امعة على تنمية قدرات العامل والطلبة على توظيف ا صادر والوسائط التعليمية ا توافرة.	٤	٨	١٤	١٩	١٥	١٤٧	٤٩	٢,٤٥
ا جموع							٢٢٢٣	٥٧	٢,٨٥

رابع : ال ا اذ القرار وخدمة ا جتمع:									
.١	دد ا امعة سياسا ا واستراتيجيتها ا قق أهدافها بالتنسيق مع الوزارة وا امعات الأخرى.	١٤	١٦	١٢	١٠	٨	١٩٨	٦٦	٣,٣
.٢	تتب ا امعة مبدأ ا اذ القرار بصورة اعية.	١٢	١٤	١٣	١٤	٧	١٩٠	٦٣	٣,١٥
.٣	نح ا امعة الطلبة ا شرف الأكاد ي والعامل فيها فرصة ا شاركة ا اذ القرارات.	٥	٧	١٠	٢٠	١٨	١٤١	٤٧	٢,٣٥
.٤	تُناقش أفكار العامل وا شرف والطلبة ومقترحا م الاجتماعات ال تنظمها ا امعة ويتم البت فيها.	٦	١٠	١٤	١٥	١٥	١٥٧	٥٢	٢,٦
.٥	تشجع ا امعة وإدار ا يع العامل فيها على ا سا ة ا اذ القرار.	٨	١٤	١٢	١٦	١٠	١٧٤	٥٨	٢,٩
.٦	تشكل ا امعة ا خاصة لدراسة شكاوي الطلبة والعامل ا امعة و رص على حلها.	١٠	١٢	١٨	١٥	٥	١٨٧	٦٢	٣,١
.٧	تفظ ا امعة بعلاقات عمل وروابط قوية مع مؤسسات ا جتمع ا تعددة.	١٨	١٩	١٨	٤	١	٢٢٩	٧٦	٣,٨

.٨	تشجع ا امعة أعضاء هيئة التدريس والأساتذة على تنفيذ البحوث والدراسات العلمية ا تصلة اجات ا جتمع.	١٥	٣٠	٥	١٠	-	٢٣٠	٧٦	٣,٨
.٩	تعطي ا امعة أولوية للأ اث التطبيقية والدراسات ا يدانية من أجل خدمة ا جتمع.	١٠	٩	٢٠	١٦	٥	١٨٣	٦١	٣,٠٥
.١٠	يسهم أعضاء هيئة التدريس ا امعة بإنتاجهم العلمي من خلال وث ودراسات ومشاركات تتسم با دة والأصالة.	٨	١٦	١٨	١٤	٤	١٩٠	٦٣	٣,١٥
.١١	يتناسب حجم البحوث والدراسات وا قالات ا نشودة مع حجم أعضاء هيئة التدريس.	٤	١٠	١٢	١٦	١٨	١٤٦	٤٨	٢,٤
.١٢	رص ا امعة على تنظيم ا ؤ رات والندوات والأيام الدراسية دمة العملية التربوية وا جتمع.	٦	١٨	٢٠	١٢	٤	١٩٠	٦٣	٣,١٥
.١٣	تتفاعل ا امعة واردها البشرية والبحثية والفكرية مع ا جتمع بقطاعاته الإنتاجية وا دماتية.	١٤	١٤	١٢	١٤	٦	١٩٦	٦٥	٣,٢٥
موع البعد الرابع							٢٤١١	٦١,٨	٣,١
ا جموع الكلي							٩٤٤٩	٦٠,٦	٣,٠٣

ويلاحظ من الجدول ما يأتي:

١. النسبة المئوية العامة لمدى توافر معايير الجودة في المؤسسة قيد الدراسة هي ٦٠,٥٪ وهي نسبة مقبولة، ولكن متوسطة بحسب المعيار المحدد في هذه الدراسة.

٢. أن أكثر المجالات الأربعة حظاُ هو المجال الثاني المتعلق بالعملية التعليمية ومتابعتها وتطويرها، حيث كانت نسبته المئوية ٦٣,٩٪، في حين كان أقل هذه المجالات نسبة هو المجال الثالث المتعلق بتطوير القوى البشرية العاملة وتطويره،ا حيث حظي على نسبة ٥٧٪، وهي نسبة غير مقبولة ودون المتوسط.

كما يلاحظ أيضاً أن هناك عدداً من المعايير في المجالات الأربعة لم تحظ على نسبة عالية أو متوسطة حسب تقدير الباحث في هذه الدراسة، وذلك وفق استجابات أفراد عينة الدراسة، مما يدل على وجود ثغرات وفجوات في عدد من الأمور المتعلقة بالمؤسسة التربوية. وبمزيد من التحليل، وبأخذ كل مجال من مجالات الأداة يتضح ما يأتي:

بالنسبة للمجال الأول الذي يتعلق بتهيئة متطلبات إدارة الجودة: يرى أفراد العينة الذين قاموا بالاجابة عن فقرات الأداة أن معظم المعايير قد حظيت على نسبة متوسطة أو عالية، وهناك معياران فقط لم تصل نسبتهما المئوية إلى الحد المقبول، وهما (رقم ٦، رقم ٧) حيث أشارت الاستجابات إلى أن الجامعة لا توفر مستلزمات الأنشطة المرافقة من قاعات وملاعب وصالات متعددة الأغراض، بالرغم من أن المرافق المتعددة لمبنى الجامعة مناسبة إلى حد ما.

وبالنسبة للمجال الثاني الذي يتعلق بالعملية التعليمية وتطويرها: فقد أظهرت الاستجابات أن هناك أربعة معايير لم تحظ على النسبة المقبولة، وهي أرقام: (٦، ٨، ٩، ١١)، بالرغم من أن الاستجابات قد أظهرت اهتمام الجامعة وإدارتها بسير العملية التعليمية ومتابعتها وتطويرها.

ويمكن تفسير هذه الاستجابات بأنه لا يتوافر في أعضاء هيئة التدريس والمشرفين الأكاديميين، وبخاصة غير المتفرغين منهم القدرة على القيام بدور الميسر والمناقش للطلبة أثناء اللقاء إضافة إلى غياب الإبداع في عرضهم للمادة العلمية بصورة مشوقة وسهلة، كما تشير الاستجابات إلى عدم استخدام المشرفين الأكاديميين للأجهزة السمعية والبصرية والتقنيات العلمية، مما يشير إلى استمرارية التدريس في معظم اللقاءات اعتماداً على الإلقاء والعرض فقط، وبدون المشاركة الفاعلة للطلبة.

وتشير الاستجابات أيضاً إلى انخفاض كفاية أساليب القياس والتقويم المتبعة وكفايتها، حيث تعتمد أساليب التقويم في الجامعة على التقويم النهائي، وتفتقد إلى التقويم التكويني والمستمر، مما يضعف من فاعلية التقويم. كما تشير إلى أن هناك قصوراً في اهتمام المشرفين بملاحظة تقدم طلبتهم وانخفاض قدرتهم على توفير مناخ من الثقة والاحترام، وقدرتهم في التعامل مع طلبتهم بفاعلية.

وبالنسبة للمجال الثالث الذي يتعلق بتطوير القوى البشرية العاملة: فقد أشارت الاستجابات إلى قصور في تطوير القوى البشرية العاملة، وعدم توفير برامج تدريبية للعاملين بحسب الحاجة، إضافة إلى عدم تقويم برامج التدريب، كما أشارت إلى اقتصار توظيف وسائل الاتصال والتواصل على المديرين ورؤساء الأقسام فقط. كذلك أشارت الاستجابات إلى عدم توافر معايير دقيقة لتقويم أداء العاملين وخاصة المشرفين غير المتفرغين.

وبالنسبة للمجال الرابع الذي يتعلق باتخاذ القرار وخدمة المجتمع: فقد أشارت الاستجابات إلى افتقار الجامعة إلى آليات الاستخدام الأمثل للقوى البشرية المتوافرة من أجل خدمة المجتمع، كما تبين أيضاً أن الجامعة لا تمنح الطلبة والعاملين فرصة المشاركة في اتخاذ القرارات، ولا تشجعهم على المساهمة في اتخاذ القرار.

وعلى الرغم من اهتمام الجامعة وحرصها على تنظيم المؤتمرات والندوات والبحوث والدراسات استجابات أفراد العينة أظهرت أن حجم البحوث والدراسات والمقالات المنشورة في مجلات محكمة لا يتناسب مع حجم أعضاء هيئة التدريس والمشرفين الأكاديميين في الجامعة.

وتعقيباً على ما سبق يرى الباحث أن إدارة الجامعة تتحمل الجانب الأكبر من المسؤولين عن الفجوات الموجودة وخاصة بين الأهداف المنشودة والواقع الفعلي وخاصة على المستوى الإجرائي، فما زالت الإدارة تعتمد على المحاولة ولا تشجع الابتكار والتجديد، وتتبع الممارسات التقليدية والنمطية التي تفرضها طبيعة التنظيم الإداري.

كما يعتقد أن التميّز والجودة المطلوبة للجامعة وإدارتها لم يعد ترفاً أو أمراً ثانوياً نسعد به إن تحقق ونأسى عليه إن فقدناه، بل أضحى ضرورة من ضرورات العصر ومطلباً أساسياً، بل مقوماً لا غنى عنه من مقومات التطور في أداء المهمات المتعددة في هذا العصر.

وهذه الجودة وهذا التميّز ينعكسان على العملية التعليمية وخدمة المجتمع بمختلف مجالاته، في عصر يتميز بدرجة عالية من التنافس، سواء على مستوى الأفراد أو بين المؤسسات، من أجل تحقيق مستويات أفضل سواء على مستوى الإنتاج أو على مستوى الخدمات.

وحتى تتحقق الجودة والتميز لابد من استثارة العاملين وخلق حوافز تدفعهم للسعي نحو الأفضل وذلك من خلال مشاركتهم في إصدار القرارات وشعورهم بالحرية والأمن والاستقرار، وتوفير قدر من التحدي، وإتاحة الفرصة لهم لتطويرهم والارتقاء بمستواهم، إضافة إلى الدراسة المستمرة لمعوقات التحديث والعمل على حل المشكلات المتجددة دون تحقيق التميز، وتشجيع العاملين على استخدام التقنيات الحديثة في الإدارة والتعليم.

وهنا لابد من الإشارة إلى أنه ليس ثمة برنامج واحد للجودة يصلح لكل مؤسسة تعليمية في كل مستوى ولكل زمان ومكان، كما أن هذه النتائج التي اعتمد في تحليلها ومناقشتها على آراء أفراد عينة الدراسة من العاملين في جامعة القدس المفتوحة الذين شاركوا في الاستجابة لفقرات الأداة، قد تختلف إذا اعتمد على آراء فئات أخرى من العاملين، وهذا أمر طبيعي يجب أخذه بعين الاعتبار.

التوصيات المقترحة:

تبين مما سبق وجود العديد من مظاهر القوة ومواطن الضعف في المجالات المتعددة للمؤسسات التربوية قيد الدراسة، وفي ضوء ذلك يُوصي الباحث بما يأتي:

١. ضرورة العمل على نشر مفاهيم ثقافة الجودة الشاملة داخل مؤسسات التعليم العالي لتهيئة المناخ اللازم، وتقبل متطلبات إدارة الجودة الشاملة لدى العاملين في هذه المؤسسات.

٢. ضرورة العمل على تعزيز مظاهر القوة ودعم عوامل تحقيق الجودة في المؤسسات التربوية، وفي الوقت نفسه العمل على سد الفجوات والثغرات في أداء هذه المؤسسات من أجل الارتقاء بدورها.

٣. ضرورة العمل على إنشاء وحدة لتقويم العمل في المجالات المختلفة في المؤسسة التربوية كي تساعد بتقويمها في المساهمة في وضع الخطط والاستراتيجيات التي تدعم وتساعد في التطوير والارتقاء بالمؤسسة.

٤. على الرغم من أن المقياس الذي أعد في هذه الدراسة يتمتع بخصائص سيكومترية تجعله أداة موثوقة يمكن استخدامها لقياس مدى تحقق معايير الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، فإن الباحث يوصي بأن يُطوَّر هذا المقياس بما يتناسب مع الاستراتيجيات المختلفة المتبعة في هذه المؤسسات، والاستفادة منه في قياس جودة التعليم من أجل تطويره وتحسين مخرجاته.

المصـــادر والمراجع

أولاً: المـــراجع العربية:

١. البطي، عبد الله بن محمد (٢٠٠٠) «إدارة الجودة وإمكانية تطبيقها في الميدان التربوي السعودي» مجلة التوثيق التربوي، العدد ٤٢، وزارة المعارف السعودية.

٢. البكر، محمد (٢٠٠٠) «أسس ومعايير نظام الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية» المجلة التربوية، جامعة الكويت.

٣. السيد، فؤاد البهي (١٩٩٦) «علم النفس الإحصائي» القاهرة: دار الفكر العربي.

٤. طعيمة، رشدي أحمد وآخرون (٢٠٠٦) «الجودة الشاملة في التعليم» ط١، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

٥. عابدين، محمود (١٩٩٢) «الجودة واقتصادياتها في التربية» دراسة نقدية، دراسات تربوية، المجلد السابع، العدد ٤٤، القاهرة.

٦. الغنام، نعيمة (٢٠٠١) «فاعلية أداء مديرة المدرسة الابتدائية بالمنطقة الشرقية في المملكة السعودية في ضوء معايير إدارة الجودة الشاملة» رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، البحرين.

٧. فرمان، ريتشارد (١٩٩٥) «توكيد الجودة في التدريب والتعليم» ترجمة سامي حسن وناصر العديلي، الرياض: دار آفاق الإبداع العالمية للنشر والإعلام.

٨. قدار، طاهر (١٩٩٧) «المخل إلى إدارة الجودة الشاملة والأيزو ٩٠٠٠» دمشق: دار المصادر.

٩. ملحم، سامي (٢٠٠٥) «القياس والتقويم في التربية وعلم النفس» عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

١٠. الموسوي، نعمان (٢٠٠٣) «تطوير أداة لقياس إدارة الجودة» كلية التربية، جامعة البحرين، المجلة التربوية، المجلد ١٧ العدد ٦٧.

١١. ويليامز، ريتشارد (١٩٩٩) «أساسيات إدارة الجودة الشاملة» ترجمة عبد الكريم العقيل، الرياض: مكتبة جرير.

ثانياً: المراجـــع الأجنبية:

1. *David B. Guralnik, (1992) «Websters new world dictionary» London.*
2. *Kathleen, Carak, (1993) «Organizing for Quality» U.S.A. Vol. 21 No. 4.*
3. *Stanley, Gordan, Reynolds, (1995) «Performance Indicators and quality review in Australian universities», Vol. 4, No.2*
4. *Valeria, C. Bryan, (1998) «Diagnostic and prescriptive instrument of quality indicators» U.S.A. Vol. 1, No. 4*

تقويم جودة البيئة الجامعية من وجهه نظر الخريجين في الجامعة الإسلامية بغزة

د.عليان عبد اللّه الحولي*

* أستاذ أصول التربية ا شارك، كلية التربية، ا امعة الاسلامية، غزة، فلسط .

ملخص:

هدفت الدراسة إلى تقويم جودة البيئة الجامعية من وجهة نظر الخريجين في الجامعة الإسلامية بغزة، ودراسة ما إذا كانت هناك فروق تعزي لمتغيرات: الجنس، والاختصاص الأكاديمي، والمعدل التراكمي، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، ووزعت أداة الدراسة على عينة عشوائية من خريجي الجامعة الإسلامية بلغت (٨٥٨) طالباً وطالبة، وقد بنيت هذه الأداة– وهي عبارة عن بطاقة خريج مقننة– من المجالات الآتية: معلومات عامة عن العينة،خدمة القبول والتسجيل، وخدمة شؤون الطلاب، وخدمة عيادة الجامعة، والأندية الطلابية، وخدمة المختبرات والحاسوب، والمكتبة المركزية، والمختبرات العلمية، والكافتيريا، والقاعات الدراسية، وحدائق الجامعة، ومكتبة الطالب، وملاعب الجامعة.

وقد استخدم (الإحصاء الوصفي والاستدلالي)؛ لتحليل البيانات. وقد بينت نتائج الدراسة: أن تقديرات أفراد العينة بشكل عام كانت متوسطة عدا الفقرات المتعلقة بعدد أجهزة الحاسوب، والإعارة من المكتبة، والمشاركة في الأندية الطلابية حيث كانت التقديرات في المتوسط أقل من (٦٠٪). في حين كانت تقديرات أفراد العينة بخصوص الخدمات التي تقدمها: الكافتيريا، والقاعات الدراسية، والحدائق، ومكتبة الطالب، والملاعب متوسطة بشكل عام.

كما أظهرت النتائج: وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس لصالح الطلاب، ولمتغير الاختصاص الأكاديمي لصالح الكليات الشرعية، ولمتغير المعدل التراكمي لصالح ذوي المعدلات العليا.

ثم خرجت الدراسة بعدد من التوصيات منها: تقديم دورات تدريبية للعاملين في عمادة القبول والتسجيل، والمكتبة المركزية، مع تطوير قاعدة البيانات في المكتبة المركزية بالجامعة وزيادة مقتنياتها وزيادة الوقت المخصص للطالب. وتحسين التهوية والإضاءة داخل القاعات الدراسية، وتطوير الحدائق الجامعية والملاعب والساحات من حيث المساحة، والشكل العام، وخاصة في (قسم الطالبات).

Abstract:

The study aimed at evaluating the university environment from the graduates' perspectives at IUG and examine if there are differences due to following variables: sex, academic specialization and GPA. The study is descriptive and analytical. The study tool «exit survey» was distributed to a stratified random sample of (858) IUG graduates and it contained the following domains: general information, registration services, students affairs, university clinic, students clubs, labs and computers services central library, scientific labs, cafeteria, lecture halls, university gardens, student bookstore university playgrounds. Results showed that the evaluative ratings for the sample were average in general except for the following items: the number of computers, borrowing from the library, participating in the students clubs, as the ratings were lower than 60%. The graduates ratings for the services for the cafeteria , lecture halls, playgrounds, student bookstore, were average in most of the items.The study showed the existence of significant differences due to sex favoring male students, due to academic specializations favoring Islamic Sciences, due to GPA favoring those with high GPA. The study recommended several points, amongst them conducting workshops for those who work in the registrar office & central library in addition to establishing data base in the university library, increase its resources and students time. Moreover, the study recommended more support for lecture halls, playgrounds and gardens specially in the women section.

مقـــدمة:

أدى التعليم العالي الفلسطيني بأنواعه كافة: (الجامعات، والكليات، والمعاهد) منذ إنشائه دوراً مهماً وفعالاً في تزويد أبناء الشعب الفلسطيني بالفرص والمحفزات لمتابعة الدراسة العلمية والتقنية، وإخصاب الأفكار من خلال تبادل المعلومات مع المجتمع الأكاديمي الدولي، وتطوير إمكانيات الإنتاج الفكري والاقتصادي. كما قام بترسيخ الهوية الفلسطينية؛ مما ساعد في المحافظة على بقاء الشعب على أرضه. فالأهداف العامة للتعليم العالي الفلسطيني تستند إلى تكامل الأبعاد الفكرية والروحية (القيمية) والتطبيقية بطريقة تضمن تعليماً فلسطينياً عالياً، بغض النظر عن المؤسسة التي تقدمه ومستوى الدراسة (دبلوم، أوبكالوريوس، أودراسات عليا) والذي يستهدف: تنمية الفكر والروح، والمهارات التطبيقية؛ ليصبح خريجو الجامعات والكليات مؤهلين لمتابعة أحد هذه الأبعاد، أو ثلاثتها مجتمعة، وتطويرها حسب احتياجات المجتمع وقابلية الخريج. وهكذا يساهم التعليم العالي الفلسطيني مساهمة جذرية في تطوير الموارد البشرية الفلسطينية تطويراً نوعياً، بالدرجة الأولى، وكمياً بالدرجة الثانية (نخلة وآخرون، ٢٠٠٥).

وقد حدث تطور ملحوظ في نظام التعليم العالي في فلسطين خلال السنوات العشر الأخيرة، فقد ازداد عدد مؤسسات التعليم العالي في الضفة الغربية وقطاع غزة ليصبح (٤٣) مؤسسة منها: (١٠) جامعات تقليدية، وجامعة مفتوحة، و(١٣) كلية جامعية و (١٩) كلية متوسطة. وقد تنوعت البرامج والاختصاصات في المؤسسات التعليمية لتشمل: التربية، والآداب، والعلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، والإدارية، والعلوم البحتة، والهندسة، والعلوم الزراعية، والعلوم الصحية والطبية والخدمات. وقد شهدت مؤسسات التعليم الفلسطينية زيادة ملحوظة في أعداد الطلاب سواء أكانت في جامعات محافظات غزة أم في الضفة الغربية، حيث بلغ حجم زيادة أعداد الطلاب خلال عام واحد (١١٥٠٠) طالب وطالبة، أي: بنسبة زيادة سنوية (٨,٣ ٪) وهي زيادة كبيرة. والمطلع على أعداد الطلاب في مؤسسات التعليم العام، وخاصة من هم في نهاية المرحلة الثانوية العامة يتوقع ازدياداً ملحوظاً في أعداد الملتحقين في الجامعات والكليات الفلسطينية خلال السنوات القليلة القادمة، وخاصة أن البيانات الإحصائية للعام الدراسي ٢٠٠٥-٢٠٠٦ قد بينت أن جميع

الذين انهوا الثانوية العامة في هذا العام ونجحوا ثم قدموا طلباتهم للالتحاق بالجامعات وكان عددهم (١٦٠٦٢) قد قُبلوا جميعاً، ثم التحقوا في أحد مؤسسات التعليم العالي الفلسطينية (وزارة التربية والتعليم العالي، ٢٠٠٦).

وفي ظل هذا الإقبال الهائل على مؤسسات التعليم العالي الفلسطينية، ومع الحرص على ترسيخ الهوية الفلسطينية، وضرورة مواكبة التطورات العلمية المعاصرة التي تشير إلى أهمية التأكيد على ضمان الجودة في التعليم العالي (بوقحوص، ٢٠٠٣؛ البنك الدولي، ٢٠٠٣) وتقديم أفضل خدمة تعليمية للطلاب؛ كان لابد من الاهتمام بجودة التعليم العالي ومخرجاته في فلسطين. و لخدمة هذا الغرض؛ فقد تأسست في فلسطين (الهيئة الوطنية للاعتماد والجودة)، وهي هيئة شبه مستقلة في إطار وزارة التربية والتعليم في ٢٧-١-٢٠٠٢ (وزارة التربية والتعليم العالي، ٢٠٠٣). وقد تفاعلت مؤسسات التعليم العالي الفلسطينية المتعددة في الضفة الغربية وقطاع غزة بإيجابية مع المبادرات الوطنية المدعومة دوليا التي أكدت على وجوب تطوير (الجودة) في مؤسسات التعليم العالي.

وللجودة في التعليم تعريفات عديدة منها: تعريف الجمعية الأمريكية للجودة التي رأت أن الجودة هي الهيئة والخصائص الكلية للمنتج التي تظهر وتعكس قدرة ذلك المنتج على إشباع حاجات صريحة وأخرى ضمنية.

وهناك تعريف أخر (لبيرنبوم) ركز فيه على وجود ثلاثة أبعاد للجودة في التعليم العالي يجب عدم التفريط بها: أولها: البعد الأكاديمي والمتعلق بتمسك المؤسسة بالمعايير، والمستويات المهنية، والبحثية الأكاديمية.

والثاني: البعد الاجتماعي والمتعلق بتمسك المؤسسة بإرضاء حاجات القطاعات المهمّة المكونة للمجتمع الذي توجد فيه الخدمة، أما البعد الثالث: فهو البعد الفردي المتعلق بتمسك المؤسسة بالنمو الشخصي للطلاب من خلال التركيز على حاجاتهم المتنوعة (الحولي، ٢٠٠٤). والارتقاء (بالجودة) في مؤسسات التعليم العالي مرتبط إلى حد كبير بقدرتها على القيام بالأدوار المتوقعة منها مثل: تنمية قدرات الطلاب المعرفية والاجتماعية مع صقلها وإثرائها، ومساعدة الطلاب على كسب المعارف والمهارات المفيدة لهم في حياتهم المهنية والعملية، ونشر المعرفة العلمية والعمل على تقدمها، والمحافظة على التراث الثقافي للمجتمع وإثرائه (د.ك، ٢٠٠٥، ٥)، وذلك بأقل تكلفة في مدخلاتها، وعملياتها، ومخرجاتها من خلال الاستخدام الأمثل للموارد المادية والبشرية المتاحة، والوقوف عند مدى قيام المؤسسة بالأدوار الموكلة إليها، ومدى تحقيقها لغاياتها وأهدافها بما يتلاءم مع احتياجات المجتمع المحلي وتوقعاته، ومواكبة التطورات المعاصرة.

إن تحقيق (الجودة) في المؤسسة الأكاديمية ليس عملا مستحيلا، ولكنه يحتاج إلى رؤية واضحة للتطوير من قبل جميع العاملين فيها من أعضاء هيئة تدريس وإداريين. فجزء من المشكلات القائمة في مؤسسات التعليم التالي – كما لخصها فريد وآخرون (Freed & others، ١٩٩٧)– سببه أن أعضاء هيئة التدريس لا يعملون معا لتحقيق أهداف المؤسسة الأكاديمية، ولا يعطون أهمية لعملية التقويم، كما لا يستخدمون البيانات التي تجمع باستمرار داخل المؤسسة لتطوير عمليات النظام وخاصة على مستوى الجامعة. فالجودة في مضمونها تعزز عملية التقويم والمراجعة الدائمة للعمليات المختلفة التي تقوم بها مؤسسات التعليم العالي.

ولعل لتقويم مؤسسات التعليم العالي أسباباً عديدة منها:

١– التوسع والتنوع الهائل الذي شهدته نظم ومؤسسات التعليم العالي.

٢– زيادة إدراك كثير من الحكومات ومؤسسات التعليم العالي والمنظمات والجهات الوطنية والإقليمية والدولية ذات الصلة بأمر التعليم العالي للضوابط والممارسات والأساليب والمعايير الأكاديمية التقليدية المستخدمة في: التقويم والمحاسبة والمساءلة والمراقبة لمدخلات التعليم العالي وعملياته وأنشطته ومخرجاته؛ وذلك للتأكد من جودتها كماً ونوعاً.

٣– إن التقويم يتصل بأمرين:

الأول:_تولد قناعات لدى مؤسسات التعليم العالي بضرورة التقويم الدوري: لأنشطتها ومدخلاتها ومخرجاتها؛ كي تستطيع أن تطور وتحسن من أدائها، وتعمل على تلبية احتياجات مجتمعاتها، ومن ثم تحصل على الدعم الذي تحتاج إليه.

والثاني:_نمو وتطور البحث العلمي في مجال وضع وتحسين: أسس ومعايير وأدوات ومؤشرات التقويم النوعية والكمية والكيفية(عثمان، ٢٠٠٤، ١١–١٦).

ويعد التقويم المؤسسي (institutional evaluation) من المجالات الحديثة نسبيا في التربية، حيث يمكن اعتباره نمطا من أنماط التقويم الواسع (macro–evaluation)؛ ولاهتمامه بالتوصل إلى إجابات عن تساؤلات تتعلق بماهية المؤسسة وأدائها، وكيفية ذلك الأداء، وجودته، وفاعليته (علام، ٢٠٠٣). و يضم ذلك التقويم العديد من البنود منها: تقويم تحصيل الطالب، وتقويم الأداء التدريسي لعضو هيئة التدريس، والمنهاج، والمواد والمصادر التعليمية، والمناخ التعليمي، والنشاطات الطلابية، والخدمات الطلابية، والمرافق والتجهيزات، والمختبرات، والمكتبة، والتنظيم داخل المؤسسة، والإدارة وغيرها، وذلك يعني: أن الجامعات «تحتاج بصفة مستمرة دورية لمراجعة الهياكل والأطر التعليمية والأهداف والسلوكيات والنتائج؛ كي تقف على الجديد في العالم، وعلى حاجات البيئة الوطنية، والمقومات، والمعوقات، وبناء على ذلك تستطيع الجامعات تشخيص المشكلات، وإعداد الخطط الاستراتيجية لجامعة الغد (النجار،١٩٩٩، ٤٢).

وعملية التقويم لأي مكون أو عنصر من عناصر العملية التعليمية ليست عملية واحدة بسيطة، وإنما مجموعة من العمليات والإجراءات المتتابعة والمتفاعلة الموجه نحو تحقيق هدف معين أو مجموعة من الأهداف. وتختلف طبيعة تلك العمليات والإجراءات باختلاف تعريف عملية التقويم وأدوارها والتصور الفكري لتلك العملية (Worthen،others ١٩٩٧). وبما أن الطلاب الخريجين يعتبرون مصدرا مهماً ورئيسا لتقويم عناصر النظام التعليمي وعملياته؛ سيتم التركيز في هذه الدراسة على تقويم البيئة الجامعية بما فيها من مصادر، وبما تقدمه من خدمات لدعم عملية تعلم الطلاب. ولعل مثل هذا النوع من الدراسات العلمية يعد مصدرا مهماً لرفد متخذي القرار في الجامعات الفلسطينية بمعلومات عن أراء وخبرات الطلاب والخريجين الأكاديمية وغير الأكاديمية بعد تلقيهم الدراسة العلمية ولسنوات في الجامعة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

أُنشئت الجامعة الإسلامية في عام ١٩٧٨. ومنذ نشأتها أخذت دورا مهماً ومتميزا في رفد المجتمع الفلسطيني بمتخصصين وكوادر مؤهلة في شتى التخصصات. وحيث إن الجامعة الإسلامية بغزة قد شهدت تطورا ملحوظا في الكم والنوع في السنوات العشر الأخيرة؛ فأصبح الإقبال عليها كثيراً من قبل طلاب الثانوية العامة من الذكور والإناث في العديد من التخصصات العلمية والأدبية حيث بلغ عدد الطلاب في العام الدراسي ٢٠٠٦-٢٠٠٧ حوالي (٢٠) ألف طالب وطالبة، فذلك كله يؤكد أهمية تقويم البيئة الجامعية من وجهه نظر الخريجين بهدف تحسينها وتطويرها لتتلاءم واحتياجات الطلاب.

وتتحدد أسئلة الدراسة فيما يأتي:

١- ما تقديرات أفراد العينة التقويمية للبيئة الجامعية بالجامعة الإسلامية من حيث: خدمة القبول والتسجيل، شؤون الطلبة، وعيادة الجامعة، والأندية الطلابية، ومختبرات الحاسوب، والمكتبة المركزية، والمختبرات العلمية، والكافتيريا، والقاعات الدراسية، والحدائق، ومكتبة الطالب، والملاعب؟

٢- هل تختلف تقديرات أفراد العينة التقويمية للبيئة الجامعية بالجامعة الإسلامية من حيث خدمة القبول والتسجيل، شؤون الطلبة، وعيادة الجامعة، والأندية الطلابية، ومختبرات الحاسوب، والمكتبة المركزية، والمختبرات العلمية، باختلاف متغيرات الجنس، التخصص الأكاديمي، المعدل التراكمي؟

٣- هل تختلف التقديرات التقويمية لأفراد العينة للبيئة الجامعية بالجامعة الإسلامية المرتبطة بالمرافق الآتية: الكافتيريا، والقاعات الدراسية، والحدائق، ومكتبة الطالب، والملاعب، باختلاف متغيرات الجنس، والتخصص الأكاديمي، والمعدل التراكمي؟

٤- ما الاقتراحات لتطوير البيئة الجامعية في الجامعة الإسلامية بغزة؟

أهميةالدراسة:

ترجع أهمية الدراسة إلى كونها من الدراسات التي تهتم بتقويم البيئة الجامعية من حيث الجودة من وجهه نظر الخريجين والخريجات بالجامعة الإسلامية في غزة. وستساهم نتائج الدراسة بإعطاء تصور واضح لمتخذي القرار في الجامعة الإسلامية حول واقع البيئة الجامعية من وجهه نظر الخريجين؛ مما قد يسهم في عملية التحسين والتطوير ودعم الجامعة الإسلامية في غزة وتوجهاتها نحو التطوير والتحسين المستمر؛ لتتلاءم مع التحديات والتطورات التي تحيط بها.

حدود الدراسة:

تتحدد هذه الدراسة في تقويم جودة البيئة الجامعية في الجامعة الإسلامية بغزة من وجهه نظر الخريجين والخريجات فيها للعام الدراسي ٢٠٠٥-٢٠٠٦.

مصطلحات الدراسة:

التقويم:

«عملية منظمة تنتج عنها معلومات تفيد في إصدار أحكام على قيمة الأشياء أو الأشخاص أو الموضوعات أو الأفكار واتخاذ القرارات العملية».

الجودة في الجامعة:

«جملة المعايير والخصائص التي ينبغي أن تتوافر في جميع عناصر العملية التعليمية بالجامعة سواء أكان منها ما يتعلق بالمدخلات، أم العمليات، أم المخرجات، التي تلبي احتياجات المجتمع ومتطلباته، ورغبات المتعلمين وحاجاتهم، وتتحقق من خلال الاستخدام الفعال لجميع العناصر البشرية والمادية بالجامعة» (عشيبة، ٢٠٠٠، ٥٣٨).

البيئة الجامعية:

يقصد بها في هذه الدراسة «جميع العمادات، والمرافق، والدوائر، والوحدات التي تقدم الخدمات والمساعدة والدعم للطالب فيما يتعلق بدراسته في الجامعة، وتشمل (المكتبة، والقبول والتسجيل، وشئون الطلبة، والكافتيريا، والعيادة الصحية، والمختبرات...)»

تقويم جودة البيئة الجامعية:

جمع بيانات ومعلومات منظمة عن البيئة الجامعية في الجامعة الإسلامية من قبل الخريجين باستخدام الأداة التي أعدت لذلك الغرض (بطاقة الخريج).

الجامعة الإسلامية بغزة:

مؤسسة أكاديمية عامة مستقلة للتعليم العالي تابعة لوزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية، من أهدافها:

توفير فرص التعليم العالي لأبناء قطاع غزة خاصة والشعب الفلسطيني عامة، ومواكبة التقدم العلمي في مختلف مناحي الحياة، مع تقوية العلاقات العلمية والثقافية مع المجتمعات، وتعميق حب الدين والوطن وتعزيز الانتماء له، وترسيخ مفهوم الحرية وقيمة العمل (دليل الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٢). وتضم الجامعة (١٠) كليات لدرجة البكالوريوس، كما تمنح درجة الماجستير في كليات: أصول الدين، الشريعة، التجارة، الهندسة، التربية، الآداب، والعلوم.

أدبيات الدراسة:

أولا: دراسات تناولت الجودة في التعليم العالي في فلسطين

اجتهد عدد من الباحثين في مجال التعليم العالي في فلسطين بدراسة واقع التعليم العالي؛ لاهتمامهم بمخرجات التعليم الجامعي وعلاقته بالواقع. فقد قام شاهين (٢٠٠٤) بعمل دراسة نقدية لمعطيات الواقع الأكاديمي الفلسطيني وارتباطه في الواقع الاجتماعي؛ بغرض الكشف عما ينتج عن الجامعة الفلسطينية في الحال التي هي عليه، إضافة إلى توصيف مستوى أداء الجامعة في جوانب: طرق التقويم وأدواته ونظام الامتحان، والأستاذ الجامعي، والطالب الجامعي، وأساليب التعليم وطرائقه المختلفة، والمرتكزات النظرية للتعليم الجامعي.

أما حشوة وحشوة (Hashwa & Hashwa ٢٠٠٣،) فقد قاما بدراسة مطولة لاحتياجات التعليم العالي في الضفة الغربية وغزة. ثم توصلا إلى أهمية توفير ميزانيات لدعم مؤسسات التعليم العالي؛ لأجل تحسين نوعية البرامج المقدمة وملاءمتها للسوق المحلي وكفاءتها. إلى جانب دعم مؤسسات التعليم العالي، والمؤسسات البحثية والباحثين والجهاز المركزي للإحصاء؛ لعمل دراسات ميدانية متعلقة بتقويم الجودة في مؤسسات التعليم العالي. وحول التعليم الجامعي في فلسطين في ضوء التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، قام صافي (٢٠٠٣) بدراسة هدفت إلى التعرف إلى التحديات التربوية التي تفرضها التغيرات الاقتصادية والاجتماعية على التعليم الجامعي في فلسطين، ومدى استجابة الجامعات الفلسطينية لمثل تلك التحديات من وجهة نظر الأساتذة، مستخدماً المنهج الوصفي التحليلي، وكان من نتائج الدراسة: ضعف دور الجامعات الفلسطينية في مواجهة تحديات: (زيادة الطلب الاجتماعي على التعليم، وتناقص المصادر المالية، والاتجاه نحو الديمقراطية، والتقدم العلمي والتكنولوجي، والاتجاه نحو الجودة في التعليم العالي).

وتحدث الباحثان (Gerner &Schrodt، ١٩٩٩) عن أهم التحديات التي ستواجه التعليم العالي الفلسطيني في الألفية الجديدة، والتي ستؤثر على مساره ومسار المجتمع الفلسطيني. حيث ذكر الباحثان في مقدمة الدراسة أن مؤسسات التعليم العالي في العالم العربي متأثرة بالأنموذج الغربي، كما ذكر الباحثان بأن هناك فرصة للفلسطينيين للاستفادة من الخبرات المختلفة في مجال التعليم العالي، وبناء نظام يلبي طموحات الشعب الفلسطيني واحتياجاته. وركز الباحثان على عدد من التحديات التي تواجه التعليم العالي الفلسطيني منها: القرارات المتعلقة بالجودة، ومدى توافر برامج تعليم عالٍ –جديدة، تتلاءم مع ما هو موجود عالميا لاستقطاب الطلاب للدراسة فيها، وتوافر الدعم المالي لبرامج التعليم العالي (دعم الطلبة، ودعم المؤسسات)، والتوازن بين التدريب التقني والتدريب المتعلق باتخاذ القرارات عند إجراء البحوث الدولية. وقد قام أبو هلال وآخرون (١٩٩٨) بتناول اتجاهات التطور الكمي والنوعي في التعليم العالي، من خلال دراسة الخريجين وأوضاعهم الوظيفية، وخصائص سوق العمل المحلي، ومؤشرات تأثير التعليم العالي على المستوي الشخصي.

وقد أشارت الدراسة إلى أن هناك أسباباً عديدة ذات طابع تراكمي؛ أدت إلى ضعف فعالية مؤسسات التعليم العالي من حيث مدي مساهمتها في خدمة الاقتصاد الفلسطيني بشكل عام، ومن حيث ضعف ارتباطها بسوق العمل المحلي بشكل خاص وأهم الأسباب (ارتفاع نسبة الطلبة إلى أعضاء هيئة التدريس، وعدم تناسب عدد الطلاب مع الأبنية، واكتظاظ الطلاب في الفصول، وضعف الخدمات التدريسية المساعدة، والمستوى المتواضع لأداء أعضاء هيئات التدريس...).

ثانيا: دراسات تناولت تقويم البيئة الجامعية:

لقد قام كثير من الباحثين العرب بدراسة عدد من المتغيرات المتعلقة بالبيئة الجامعية وعلاقتها بعدد من المتغيرات؛ منها دراسة الكندري (٢٠٠٦) التي هدفت إلى التعرف إلى فاعلية الأدوار: الأكاديمية والاجتماعية والثقافية والترفيهية للجمعيات الطلابية في جامعة الكويت وتأثيرها على الطلاب. وقد استخدمت استبانتان لتحقيق الأهداف، وكان من أهم نتائجها: وجود رضا طلابي عن الأدوار: الأكاديمية والاجتماعية والثقافية والترفيهية للجمعيات الطلابية، لا توجد فروق ذات دلالة لاستجابات أفراد العينة على بنود الاستبانة ذات العلاقة بأدوار الجمعيات الطلابية وفقاً للنوع والجنسية، في حين وُجدت فروق ذات دلالة وفقاً للكليات والسنوات الدراسية والمعدل العام. وبينت الدراسة أن المشاركات الطلابية تسهم بشكل واضح في تنمية شخصية الطلاب المشاركين فيها، وأنه لا توجد فروق ذات دلالة لاستجابات أفراد العينة على بنود الاستبانة ذات العلاقة بتأثير المشاركة في الجمعيات الطلابية على الطالب وفقاً: للنوع والسنوات الدراسية والمعدل العام في حين وُجدت فروق ذات دلالة وفقاً للجنسية والكليات.

أما الباحثان الحمدان، والشرف (٢٠٠٣) فقد قاما بدراسة هدفت إلى التعرف إلى وجهة نظر طلاب كلية التربية بجامعة الكويت حول بيئة القاعات الدراسية بكلياتهم؛ والتعرف على علاقة متغيرات: النوع والمستوى التراكمي والتخصص الدراسي للطلاب مع وجهات نظرهم، ثم تقديم مقترحات لدعم العوامل الإيجابية، وتقليص العوامل السلبية المؤثرة على بيئة القاعات الدراسية. وبعد عرض النتائج ومناقشتها حسب محوري الدراسة البشري والمادي وهما: المحور الأول: دور الطلاب، والمحور الثاني: دور بناء القاعات الدراسية وصيانتها؛ خرجت الدراسة بتوصيات للمحور الأول منها: تشجيع تكوين مجموعات عمل من الطلاب، وتخصيص قاعات دراسية منفصلة للطالبات وقاعات أخرى للطلاب للذكور، مع تقوية رابط الاتصال بين الأساتذة والطلاب. ومن توصيات المحور الثاني: زيادة تبريد القاعات صيفاً، وتركيب مراوح شفط للتهوية، وعمل عازل صوتي للنوافذ والأبواب، وتعميم جهاز تعطيل للهواتف النقالة داخل القاعات الدراسية، وتعديل مقاعد الطلاب؛ لتكون أكثر راحة ولتناسب أحجام بعضهم.

وبما أن رضا الطلاب عن الحياة الجامعية يعد مؤشرا مهما على التوافق الأكاديمي والاجتماعي للطلاب؛ فقد قام عبد اللطيف (١٩٩٧) بدراسة مدى رضا الطلاب عن الحياة الجامعية في جامعة الكويت من حيث رضا الطلاب عن أداء الأساتذة، والوالدين، والطالب نفسه، والمواد الدراسية، والحالة المالية، وإداريي الجامعة، والأنشطة غير الدراسية. وقد طبق الباحث أداة الدراسة التي تقيس الأبعاد الثمانية على عينة من طلاب جامعة الكويت منهم (١٦٤) طالبا و (٢٤٦) طالبة. وقد بينت النتائج ارتفاع مستوى الرضا عند الطالبات مقارنة بالطلاب على خمسة أبعاد. أما فيما يتعلق بسنوات الدراسة فقد كان طلاب السنة الرابعة، ويليهم طلاب السنة الثالثة أكثر ارتفاعا في مستوى الرضا مقارنة بطلاب وطالبات السنوات الأولى والثانية. وقد فسِّرت النتائج في ضوء الدراسات السابقة والإطار النظري.

وقد أولت الدراسات الأجنبية اهتماما واضحا برأي وتقييم الخريجين لعدد من المتغيرات ذات العلاقة بجودة المخرجات التعليمية لمؤسسات التعليم العالي. ومن هذه الدراسات دراسة (Todd & Patricia، ١٩٩٣) التي بينت أن أهم عامل محدد لما قد يحصل عليه الطلاب نتيجة للتعلم الجامعي هو الجهد الذي يبذل والمرتبط بالخبرات الأكاديمية والاجتماعية في المؤسسة التعليمية. ثم دراسة (Nora et al، ١٩٩٦)التي بينت أن الخبرات التي يتعرض لها الطلاب في المؤسسة التعليمية وكذلك التحصيل الأكاديمي والعوامل المتعلقة بالبيئة الجامعية تساهم بشكل كبير في قرارات الطلاب الخاصة بمتابعة التعليم. ودراسة (Abraham، et al ، ٢٠٠٢) التي أجريت لمدة ثلاث سنوات على الطلبة الخريجين في جامعة تقع على الحدود الأمريكية المكسيكية في جنوب تكساس حيث ٨٠٪ من

الطلاب هم من (Hispanic)، والتي بينت أن معظم الخريجين يعتقدون أن نوعية حياتهم قد تحسنت؛ بسبب الخبرات التي مروا بها في الجامعة. تضاف إلى ذلك دراسة (Zhao & Kuh ، ٢٠٠٤) التي هدفت إلى تفحص العلاقات بين المشاركة في مجتمعات التعلم والاندماج في عدد من النشاطات التعليمية الهادفة لطلاب المستوى الأول والمستوى الأخير في (٣٦٥) جامعة، حيث بينت أن المشاركة في مجتمعات التعلم مرتبطة ايجابيا بالاندماج في الأنشطة المختلفة، ومخرجات الطلاب، ودرجة الرضا الكلية عن المؤسسة التعليمية. أما دراسة (Pike et al، ٢٠٠٣) التي هدفت إلى تفحص العلاقة بين رؤية المؤسسة التعليمية وبين تعلم الطلاب ونموهم الفكري وخاصة أن تلك العلاقة لم تتأكد من خلال التجريب، فقد بينت أنه لا توجد علاقة بين إدراك الطلاب للبيئة الجامعية، ومستويات المشاركة الأكاديمية والاجتماعية، والمخرجات التعليمية بعد ضبط متغير خلفية الطالب وخصائصه.

يتضح من هذا العرض للدراسات السابقة أنها جميعاً تؤكد على ضرورة دعم الجامعات للاتجاه نحو الجودة في التعليم العالي؛ لتلبية احتياجات الخريجين وسوق العمل ومواكبة التطورات والتحديات المعاصرة. يضاف إلى أهمية تحسين وتطوير البيئة الجامعية من حيث المصادر والخدمات لدعم العملية التعليمية التعلمية وتعزيزها. وتمثل المعلومات والآراء التي تجمع من الخريجين مصدرا مهماً يفيد متخذي القرار في عملية التطوير والتحسين. وقد بينت الدراسات أن هناك عدداً من المتغيرات: كالجنس والمعدل التراكمي ونوع الدراسة وسنة الدراسة، يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة آراء الطلاب.

إجراءات الدراسة:

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة كما هي في الواقع، ويعبر عنها تعبيرا كميا وكيفيا بحيث يؤدى ذلك إلى الوصول لفهم علاقات تلك الظاهرة، إضافة إلى الوصول إلى استنتاجات وتعميمات تساعد في تطوير الواقع المدروس (أبو علام، ١٩٩٨).

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من خريجي وخريجات الجامعة الإسلامية للعام الدراسي ٢٠٠٥-٢٠٠٦ الذين بلغ عددهم (٢٤٤٧). والجدول الآتي يوضح توزيعهم حسب متغيري الجنس والتخصص الأكاديمي:

الجدول (١)
مجتمع الدراسة:

ا جموع	خر ات	خر ون	التخصص
٣٦٥	٢٧٥	٩٠	- العلوم الشرعية (أصول دين وشريعة)
١٤٣٨	٩٦٩	٤٦٩	- العلوم التطبيقية (علوم، هندسة، تكنولوجيا ا علومات، و ريض)
٦٤٤	٢٦٨	٣٧٦	- العلوم الإنسانية (التربية، الآداب، والتجارة)
٢٤٤٧	١٥١٢	٩٣٥	ا جموع

عينة الدراسة:

اختيرت عينة الدراسة بطريقة عشوائية ممثلة نسبتها ٣٥٪ من المجتمع الأصلي. والجدول الآتي يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغيري الجنس والتخصص الأكاديمي:-

الجدول (٢)
عينة الدراسة:

ا جموع	خر ات	خر ون	التخصص
٨٦	٦٦	٢٠	- العلوم الشرعية (أصول دين، وشريعة)
٥١٦	٣٥٠	١٦٦	- العلوم التطبيقية (علوم، هندسة، تكنولوجيا ا علومات، و ريض)
٢٥٦	١١٢	١٤٤	- العلوم الإنسانية (التربية،الآداب،والتجارة)
٨٥٨	٥٢٨	٣٣٠	ا جموع

أداة الدراسة:

بُنيت أداة الدراسة وهي عبارة عن (بطاقة خريج) لطلاب الجامعة الإسلامية، هدفها تقويم البيئة الجامعية في المجالات الآتية: خصائص العينة (معلومات عامة)، وتقييم خدمة القبول والتسجيل، وتقييم شئون الطلاب، وعيادة الجامعة، والأندية الطلابية، وخدمة المختبرات والحاسوب، والمكتبة المركزية، والمختبرات العلمية، والكافتيريا، والقاعات الدراسية، وحدائق الجامعة، ومكتبة الطالب، وملاعب الجامعة.

خطوات بناء أداة الدراسة (بطاقة الخريج) وتصميمها:

لتحقيق أهداف الدراسة وتجميع البيانات المطلوبة للإجابة على تساؤلات الدراسة؛ طُورت أداة الدراسة بعد الإطلاع على الأدبيات التربوية العربية منها: (الحولي وأبو دقة، ٢٠٠٤)، (أبودقة واللولو، ٢٠٠٧) وكذلك الأدبيات الأجنبية المتعلقة بعدد من الجامعات منها: (Schnieder & Niederjohn، ١٩٩٥; ISU، ٢٠٠١; UIUC، ١٩٩٩; UW،١٩٩٨; SFSU، ٢٠٠١; Northern Research Institute، ٢٠٠٣; QU، ٢٠٠٤)

وبعد تطوير الأداة في صورتها الأولية، طبقت على عينة استطلاعية عددها (٣٠)، ثم صيغت بشكلها النهائي في ضوء الملاحظات التي جمعت. وقد اشتملت الأداة على الأجزاء الآتية:

الجزء الأول: وقد ضم بيانات شخصية عن الخريج مثل: مكان السكن (رفح، خان يونس، المنطقة الوسطي، غزة، منطقة الشمال)، والعمر، والجنس: (ذكر، أنثى)، والتخصص: (علوم شرعية، علوم إنسانية، علوم تطبيقية)، والمعدل عند التخرج، وإجادة لغات أجنبية، ووجود إعاقة، وسبب اختيار الاختصاص، ودورات تدريبية، وتقديم طلب لوظيفة ما، والالتحاق ببرامج الدراسات العليا.

الجزء الثاني: ويتكون من (٤) عبارات؛ لتقييم خدمة القبول والتسجيل، حيث يختار أفراد العينة من بين خمس استجابات تتراوح ما بين (٥) موافق بشدة و (١) غير موافق بشدة.

والجزء الثالث: ويتكون من (٦) عبارات؛ لتقييم خدمات شئون الطلاب، حيث يختار أفراد العينة من بين خمس استجابات تتراوح ما بين (٥) موافق بشدة و (١) غير موافق بشدة.

الجزء الرابع: ويتكون من (٥) عبارات؛ لتقييم خدمات عيادة الجامعة، حيث يختار أفراد العينة من بين خمس استجابات تتراوح ما بين (٥) موافق بشدة و (١) غير موافق بشدة.

الجزء الخامس: ويتكون من (٥) عبارات؛ لتقييم الأندية الطلابية، حيث يختار أفراد العينة من بين خمس استجابات تتراوح ما بين (٥) موافق بشدة و (١) غير موافق بشدة.

والجزء السادس ويتكون من (١٠) عبارات؛ لتقييم خدمة مختبرات الحاسوب، حيث يختار أفراد العينة من بين خمس استجابات تتراوح ما بين (٥) موافق بشدة و (١) غير موافق بشدة.

الجزء السابع: ويتكون من (١٦) عبارة؛ لتقييم خدمة المكتبة المركزية، حيث يختار أفراد العينة من بين خمس استجابات تتراوح ما بين (٥) موافق بشدة و (١) غير موافق بشدة.

والجزء الثامن: ويتكون من (٥) عبارات؛ لتقييم خدمة المختبرات العلمية، حيث يختار أفراد العينة من بين خمس استجابات تتراوح ما بين (٥) موافق بشدة و (١) غير موافق بشدة

الجزء التاسع: يتكون من (٤) عبارات؛ لتقييم خدمة الكافتيريا، حيث يختار أفراد العينة من بين خمس استجابات تتراوح ما بين (٥) موافق بشدة و (١) غير موافق بشدة.

الجزء العاشر: ويتكون من (٤) عبارات؛ لتقييم القاعات الدراسية، حيث يختار أفراد العينة من بين خمس استجابات تتراوح ما بين (٥) موافق بشدة و (١) غير موافق بشدة.

الجزء الحادي عشر: ويتكون من (٤) عبارات؛ لتقييم حدائق الجامعة، حيث يختار أفراد العينة من بين خمس استجابات تتراوح ما بين (٥) موافق بشدة و (١) غير موافق بشدة.

الجزء الثاني عشر: ويتكون من (٣) عبارات؛ لتقييم مكتبة الطالب، حيث يختار أفراد العينة من بين خمس استجابات تتراوح ما بين (٥) موافق بشدة و (١) غير موافق بشدة.

الجزء الثالث عشر: ويتكون من (٤) عبارات؛ لتقييم ملاعب الجامعة، حيث يختار أفراد العينة من بين خمس استجابات تتراوح ما بين (٥) موافق بشدة و (١) غير موافق بشدة.

الخصائص السيكومترية لأداة الدراسة:

للتحقق من صدق البطاقة؛ عُرضت الاستبانة الأولية، التي طورها الباحث من خلال الرجوع إلى الأدبيات المختصة بالتقويم، ثم عرضها على (١٠) من الأكاديميين من ذوي الاختصاص والخبرة في كليات التربية بالجامعات الفلسطينية بقطاع غزة. وبعد الإطلاع على آراء المحكمين؛ أجريت التعديلات التي اقترحت: حذفاً أو إضافة ثم تعديل بعض الفقرات، بعد ذلك طُبقت الاستبانات على عينة استطلاعية من مجتمع الدراسة بلغ عددها (٣٠) خريجاً وخريجة، حيث أجريت بعض التعديلات ثم طُبقت البطاقة على عينة الدراسة، ثم جُمعت وفُرزت ودُققت نتائجهما واستبعده غير المناسب منها، ثم أدخلت البيانات في الحاسوب من خلال برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS). ثم أجريت بعض التحليلات الإحصائية الوصفية الأساسية؛ للتأكد من صحة ودقة البيانات المدخلة. وقد استخرجت معاملات الاتساق الداخلي لكل محور من محاور بطاقة الخريج، وكذلك لكل فقرة من خلال حساب درجة الارتباط بين الدرجة الكلية لكل محور والفقرات، وبين الدرجة الكلية للأداة والفقرات، وبين درجة المحور والدرجة الكلية للأداة، وقد كانت جمعيها جيدة. أما بالنسبة لثبات البطاقة، فقد حُسب معامل الثبات (كرونباخ ألفا) لكل جزء من أجزاء بطاقة الخريج. وكانت النتائج بالشكل التالي:

الجدول (٣)
ثبات أجزاء بطاقة الخريج

البنود:	عدد الفقرات:	معامل الثبات (كرونباخ ألفا):
خدمة القبول والتسجيل	٤	٠,٥٩
شؤون الطلبة	٦	٠,٨٤
عيادة ا امعة	٥	٠,٨٦
الأندية الطلابية	٥	٠,٨٧
خدمة ة ات ا اسوب	١٠	٠,٧٣
ا كتبة ا ركزية	١٦	٠,٧٣
ا خة ات العلمية	٥	٠,٨٢
الكافة يا	٤	٠,٧٦
القاعات الدراسية	٤	٠,٧٩
حدائق ا امعة	٤	٠,٧٥
مكتبة الطالب	٣	٠,٧٦
ملاعب ا امعة	٤	٠,٥٦
الاستبانة كلها	٧٠	٠,٩٣

من هنا يتبين أن أداة الدراسة اتصفت بخصائص (سيكومترية) جيدة من صدق وثبات؛ مما يعنى أن الاستدلالات التي ستخرج بها هذه الدراسة ستكون مرتبطة وبدقة بما قيس من خلال أداة الدراسة (بطاقة الخريج).

تصميم الدراسة ومتغيراتها:

لقد اشتمل تصميم الدراسة على المتغيرات الآتية:

أولا: المتغيرات المستقلة، وهي: الجنس (ذكر/أنثى)، والتخصص الأكاديمي (علوم شرعية، علوم إنسانية، علوم تطبيقية)، والمعدل التراكمي في الجامعة (أقل من ٨٠٪، ٨٠ فأعلى).

ثانيا: المتغيرات التابعة وقد تمثلت في تقييم الخريجين لمجالات مختلفة متعلقة بالبيئة الجامعية وهي: خدمة القبول والتسجيل، وشؤون الطلبة، وعيادة الجامعة، والأندية الطلابية، وخدمة مختبرات الحاسوب، والمكتبة المركزية، والكافتيريا، والمختبرات العلمية، والقاعات الدراسية، وحدائق الجامعة، ومكتبة الطالب، وملاعب الجامعة.

وقد عُملت درجة كلية لكل متغير من المتغيرات السابقة من خلال حساب متوسط استجابات الخريجين على الدرجة الكلية لكل مجال؛ وذلك بعد تحويل الفقرات السلبية إلى ايجابية.

ثالثا:المعالجة الاحصائية: لأجل معالجة البيانات إحصائياً، استخدم الباحث برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وذلك باستخدام المعالجات الإحصائية الوصفية والتحليلة الآتية: المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والنسب المئوية، واختبار (ت–) للعينات المستقلة(T–Test)، وتحليل التباين الثلاثي (Three–Way ANOVA)، واختبار (شيفيه) للاختبارات البعدية (Scheffe–test).

عرض نتائج الدراسة و مناقشتها:

نص السؤال الأول: ما تقديرات أفراد العينة التقويمية للبيئة الجامعية في الجامعة الإسلامية من حيث خدمة القبول والتسجيل، شؤون الطلاب، وعيادة الجامعة، والأندية الطلابية، ومختبرات الحاسوب، والمكتبة المركزية، والمختبرات العلمية؟

وللإجابة عن هذا السؤال، استخدمت المتوسطات الحسابية للأوزان النسبية لكل بند من بنود مجالات الاستبانة وهي: خدمة القبول والتسجيل، شؤون الطلاب، وعيادة الجامعة، والأندية الطلابية، ومختبرات الحاسوب، والمكتبة المركزية، والمختبرات العلمية، والكافتيريا، والقاعات الدراسية، والحدائق، ومكتبة الطالب، والملاعب.

وقد بينت النتائج: أن تقديرات أفراد العينة التقويمية بخصوص خدمة القبول والتسجيل كانت تتراوح ما بين ٦٤٪ و ٩٣٪، وفي مجال شؤون الطلاب كانت تتراوح ما بين ٦٤٪ و ٧٨٪، وبخصوص عيادة الجامعة كانت تقديرات أفراد العينة تتراوح ما بين ٧٠٪ و٧٧٪، وبخصوص الأندية الطلابية كانت تقديرات أفراد العينة ما بين ٥٨٪ و٧٦٪. وبخصوص مختبرات الحاسوب والخدمة التي تقدم للطلاب، فقد كانت تقديرات أفراد العينة تتراوح ما بين ٥٢٪ عند سؤال الطلاب عن مدى كفاية عدد أجهزة الحاسوب بالنسبة لهم، إلى ٩٠٪ عند سؤال الطلاب عن متابعة الدرجات من خلال الحاسوب. وبخصوص خدمات المكتبة المركزية فقد كانت تقديرات الطلاب تتراوح ما بين ٥٠٪ عندما تم استطلاع رأي الطلاب حول المشكلات التي يواجهونها أثناء عملية الإعارة في المكتبة المركزية، وما بين ٨٠٪ عندما سُئل الطلاب عن المساعدة التي يجدونها من قبل أمين المكتبة في عملية البحث عن أي موضوع. وبالنسبة للمختبرات العلمية فقد تراوحت تقديرات أفراد العينة ما بين ٦١٪ و٧٣٪. كما بينت النتائج أن تقديرات أفراد العينة بخصوص الخدمات التي تقدمها الكافتيريا كانت تتراوح ما بين ٤٩٪ لحجم قاعة الكافتيريا، و٦٩٪ للخدمات التي تقدمها الكافتيريا. وبخصوص القاعات الدراسية كانت التقديرات تتراوح بين ٦٤٪ وبين ٧٥٪. وبالنسبة لحدائق الجامعة فالتقديرات كانت ما بين ٦٢٪ إلى ٨٠٪. أما تقديرات الطلاب الخاصة بمكتبة الطالب فقد تراوحت ما بين ٥٥٪ عندما سُئل الطلاب عن مراعاتها للظروف الاقتصادية و٧٤٪ للخدمات التي تقدمها للطلاب. أما بالنسبة للملاعب فقد كانت تقديرات أفراد العينة ٥٣٪ عندما تم سؤالهم عن عددها و ٨١٪ عندما تم سؤالهم عن حاجتها للتطوير والتحسين. والجدول الآتي يوضح النتائج السابقة:

الجدول (٤)
إحصاءات وصفية لاستجابات أفراد العينة

البيان *	العدد	ا توسط**	الا راف ا عياري	الوزن النس
خدمة القبول والتسجيل:				
أستخدم الانترنت عملية التسجيل.	٨٣٥	٣,٧٣	٠,٥٣٨	٪٩٣
أواجه صعوبة أثناء عملية التسجيل.	٨٣٧	٣,١٩	١,١١٠	٪٨٠
يعاملـ موظفو عمادة القبول والتسجيل باحترام	٨٣٧	٢,٤٥	٠,٩٦٤	٪٦١
أجد ا ساعدة عندما أواجه مشكلة ما عملية التسجيل.	٨٣١	٢,٥٤	٠,٨٨٥	٪٦٤
شـ ـؤون الطـ ـلاب:				
تسعى ل مشكلات الطلبة سواء أكانت أكاد ية أم اجتماعية.	٨٠٨	٢,٨١	٠,٧٧٨	٪٧٠
تقيم لقاءات (ندوات) دف إ تنمية التفاعل ب ا جتمع وا امعة.	٨٠٠	٢,٥٤	٠,٨٥٦	٪٦٤
تسعى الأنشطة الطلابية إ تنمية ا انب الإ ا لدى طلاب ا امعة.	٨٠٢	٣,٠٩	٠,٧٨٦	٪٧٧
تشجع الأنشطة الطلابية على البذل والعطاء جتمعهم.	٨٠٦	٢,٩٨	٠,٧٨٦	٪٧٥
تنظم حفلات استقبال للطلاب ا دد.	٨٠٦	٣,١٣	٠,٧٧٢	٪٧٨
تسعى إ تقد ا ساعدة ا الية للطلاب ا حتاج .	٨٠٣	٢,٩٢	٠,٨٣٤	٪٧٣
عيادة ا امعة:				
يقدم الطبيب ا ختص ا دمة بشكل جيد.	٧٤٠	٣,٠٩	٠,٧٠٩	٪٧٧
أثق بتشخيص أطباء عيادة ا امعة.	٧٣٥	٣,٠٠	٠,٧٤١	٪٧٥
تتوافر عيادة ا امعة الاختصاصات ا طلوبة.	٧٢٩	٢,٨١	٠,٧٥٩	٪٧٠
أثق بتحاليل ة ات ا امعة الطبية.	٧٢٥	٣,٠٤	٠,٧١٨	٪٧٦
أجد العلاج بسهولة عيادة ا امعة.	٧٢٣	٢,٨٧	٠,٧٤٢	٪٧٢
الأندية الطلابية:				
أستفيد من الندوات ال تقوم ا الأندية.	٧٨٥	٢,٦٥	٠,٨٧٦	٪٦٦
أستفيد من الإعلانات الثقافية داخل ا رم ا امعي.	٧٩٠	٣,٠٤	٠,٨٠٠	٪٧٦
تشجع الأندية على الإبداع من خلال عقد الندوات وا سابقات الثقافية.	٧٨٢	٢,٨٤	٠,٨٣١	٪٧١
أشارك أنشطة الأندية الطلابية.	٧٩٠	٢,٣١	٠,٩٠٤	٪٥٨
تساعد الأندية الطلابية حل ا شكلات ال تواجه .	٧٨٦	٢,٣٩	٠,٨٨١	٪٦٠

ا اسوب:				
قمت بالتدرب على استخدام ا اسوب.	٧٨٧	٢,٩٣	٠,٩٠٦	٧٣٪
أتلقى مساعدة فورية من مشرف/ة ت ات ا اسوب.	٧٨٤	٢,٦٠	٠,٨٦٦	٦٥٪
أواجه مشكلات متكررة عند استخدام أجهزة ا اسوب.	٧٧٩	٢,٥٣	٠,٨٨١	٦٣٪
أرى أن أجهزة ا اسوب اجة إ صيانة متكررة.	٧٨٣	٣,١٥	٠,٨٠٠	٧٩٪
تاج برامج ا اسوب إ ديثات مستمرة.	٧٨٢	٣,٢٦	٠,٧١٥	٨٢٪
أفضل متابعة درجا من خلال ا اسوب:	٧٨٧	٣,٥٨	٠,٦٣٢	٩٠٪
أرى أن شبكة (الانترنت) با امعة كافية دمة الطلبة.	٧٨٢	٢,٨٣	٠,٩٧٢	٧١٪
عدد أجهزة ا اسوب كافية بالنسبة للطلاب.	٧٨٦	٢,٠٧	٠,٩٠٧	٥٢٪
أجد سهولة البحث ع (الإنترنت).	٧٨٦	٢,٨٩	٠,٨٦٥	٧٢٪
لا أتردد على القاعة الإلكترونية؛ بسبب ارتفاع الأسعار.	٧٧٤	٢,٧٠	٠,٩٢٩	٦٨٪
ا كتبة ا ركزية:				
أجد صعوبة ا صول على الكتاب ا طلوب.	٨٢١	٢,٢٣	٠,٨٤٩	٥٦٪
أواجه مشكلات أثناء عملية الإعارة ا كتبة ا ركزية.	٨١٦	١,٩٩	٠,٧٨٥	٥٠٪
أجد مساعدة من قبل أم ا كتبة عملية البحث عن أي موضوع.	٨١٨	٣,٣٦	٠,٧٥٤	٨٤٪
يتوفر ا دوء الكامل أثناء ا طالعة ا كتبة.	٨١٨	٣,٢٥	٠,٧٣٢	٨١٪
أستغرق وقت كب أثناء تصوير الكتب ا طلوبة من ا كتبة.	٨١٩	٢,٩٣	٠,٨٥٥	٧٣٪
هناك تشكيلة واسعة من الكتب والدوريات ا ديثة.	٨١٨	٣,١٩	٠,٧٤٢	٨٠٪
هناك تنوع عناوين الرسائل العلمية.	٨١١	٣,١٧	٠,٦٨٢	٧٩٪
أجد صعوبة الوصول إ قاعدة البيانات ا كتبة الإلكترونية.	٧٨٢	٢,٤٩	٠,٧٨٥	٦٢٪
تتوافر ا كتبة مصادر تلفة دم ا ناهج وا قررات الدراسية.	٨٠٧	٣,٢٠	٠,٧١٧	٨٠٪
مكتبة ا امعة تل رغبا ا طالعة.	٨١٤	٣,٢٦	٠,٧١٥	٨٢٪
مكتبة ا امعة تل رغبا البحث العلمي.	٨٠٦	٣,٢١	٠,٧٠٨	٨٠٪
أرى أن الوقت ا خصص للطلاب ا كتبة مناسب.	٨١٥	٢,٧١	٠,٩٠٢	٦٨٪
أشعر بالارتياح عند ترك حقيب قسم الأمانات.	٨١٦	٣,١٣	٠,٨٤٣	٧٨٪
أرى أن صفحة ا كتبة الإلكترونية للبحث عن مصادر ا عرفة مفيدة.	٧٩٨	٣,٠٧	٠,٧٣٧	٧٧٪
أجد أن استخدام الفهرس الآ للبحث عن مصادر ا عرفة سهلاً.	٧٩٣	٣,٠٥	٠,٧١٢	٧٦٪
أجد أن استخدام نظام الإعارة الذا سهلاً.	٨٠١	٣,٢٨	٠,٦٩٠	٨٢٪

ا ختـ ات العلمية:				
يعطي مدرسو الاختصاص الفرصة لكل طالب للعمل بيديه ا ختـ ات.	٥٨١	٢,٩٠	٠,٨١٦	٧٣٪
تتوافر ا ختـ ات ا واد اللازمة للعمل.	٥٧٧	٢,٨٦	٠,٧٣٣	٧٢٪
أشعر أن الوقت ا اص بالتدريب ا ختـ مناسب.	٥٧٦	٢,٧٤	٠,٧٩١	٦٩٪
عدد الأجهزة ا ختـ يتناسب مع عدد الطلاب.	٥٨١	٢,٤٤	٠,٨٩٥	٦١٪
تتميز أجهزة ا ختـ با داثة	٥٨٥	٢,٧٩	٠,٧٩٧	٧٠٪
الكافتـ يا:				
تقدم الكافتـ يا خدمات جيدة للطلاب.	٨٢٤	٢,٧٧	٠,٨٣١	٦٩٪
الأسعار الـ تضعها الكافتـ يا للوجبات مناسبة.	٨٢٥	٢,٦٠	٠,٨٠٠	٦٥٪
تتميز الكافتـ يا و هادئ.	٨٢١	١,٩٩	٠,٨٣١	٥٠٪
حجم الكافتـ يا يتناسب مع عدد الطلاب.	٨٢٢	١,٩٦	٠,٨٩٦	٤٩٪
القاعات الدراسية:				
القاعات الدراسية توفر مناخ دراسي جيد .	٨٢٣	٢,٨١	٠,٧٨٠	٧٠٪
التهوية داخل القاعات الدراسية مناسبة.	٨٢٤	٢,٥٩	٠,٨٥٩	٦٥٪
يتناسب حجم ا قاعد مع عدد الطلاب.	٨٢٣	٢,٥٦	٠,٨٣٠	٦٤٪
الإضاءة داخل القاعات مناسبة.	٨٢٣	٢,٩٩	٠,٧٢١	٧٥٪
حـدائـق ا ـامعـ ـة:				
تتميز حدائق ا امعة با ناظر ا ميلة.	٨٢٤	٣,٢٠	٠,٦٩٩	٨٠٪
تتناسب حدائق ا امعة مع عدد الطلاب.	٨٢٣	٢,٤٩	٠,٩٤٢	٦٢٪
أرى أن حدائق ا امعة اجة إ مزيد من التطوير والتوسعة.	٨٢٤	٢,٥٣	١,٤٢٧	٦٣٪
توفر حدائق ا امعة ا و ا ادئ وا ريح للدراسة.	٨٢١	٢,٧٣	٠,٩٠١	٦٨٪
مكتبة الطالب:				
تقدم مكتبة الطالب خدمات جيدة للطلاب.	٨١٧	٢,٩٧	٠,٧٥٩	٧٤٪
أسعار الكتب والقرطاسية الـ تقدمها ا كتبة مناسبة.	٨١٤	٢,٤٠	٠,٨١٥	٦٠٪
تراعي ا كتبة الظروف الاقتصادية للطلاب.	٨٠٨	٢,٢١	٠,٨٣٩	٥٥٪
ملاعب ا امعة الرياضية (للطلاب):				
هناك العديد من ا لاعب داخل ا امعة.	٦١٨	٢,١١	٠,٨٤٥	٥٣٪
تلـ ا لاعب حاجة الرياضيـ من طلاب ا امعة.	٦٠٢	٢,١٨	٠,٨٤٥	٥٥٪
أرى أن ا لاعب اجة ماسة إ التطوير والتحسـ .	٦٠١	٣,٢٥	٠,٨٥٣	٨١٪
تعا ا امعة من نقص الأدوات الرياضية.	٥٩٦	٣,٠٨	٠,٨٧٦	٧٧٪

* ا قياس ا ستخدم ٤= موافق بشدة، ٣=موافق، ٢=غـ موافق، ١= غـ موافق بشدة

** إجراء اختبار استدلا توسط واحد، وكانت يع ا توسطات دالة إحصائيـ عند مستوي دلالة ٠,٠٥.

نلاحظ من الجدول السابق الذي تناول تقويم أفراد العينة للبيئة الجامعية بالجامعة الإسلامية من حيث خدمة القبول والتسجيل، وشؤون الطلبة، وعيادة الجامعة، والأندية الطلابية، ومختبرات الحاسوب، المكتبة المركزية، والمختبرات العلمية، أن تقديرات أفراد العينة التقويمية بشكل عام متوسطة عدا الفقرات المتعلقة بعدد أجهزة الحاسوب، والإعارة من المكتبة، والمشاركة في أنشطة الأندية الطلابية، فقد كانت التقديرات اقل من ٦٠٪ بالمتوسط. ويمكن تفسير هذه النتائج بوجود حرمين جامعيين في الجامعة الإسلامية بغزة، أحدهما: للطلاب، والأخر: للطالبات، وبكثرة عدد الطالبات مقارنة بعدد الطلاب حيث تمثل الطالبات أكثر من ٦٠٪ من عدد الطلبة الكلي في الجامعة. وبالنسبة للاستجابات الايجابية المتعلقة باستخدام الانترنت في التسجيل ومتابعة الدرجات، فذلك دليل على تطور المهارات التكنولوجية لدى المجتمع الطلابي في الجامعة، حيث يستخدم كثيرون منهم الحاسوب لمتابعة أمورهم الجامعية سواء أكان من داخل الجامعة أم من خارجها. وكذلك اندفاع مجموعة كبيرة من الطلاب لاستخدام أجهزة الحاسوب والإعارة من المكتبة والمشاركة في الأنشطة خلال فترة الاستراحة لجميع الطلاب، والتي تتراوح ما بين (ساعة إلى ساعة ونصف) يومياً، مما يشكل ضغطاً على تلك المرافق الجامعية.

ونلاحظ كذلك تقويم أفراد العينة للبيئة الجامعية بالجامعة الإسلامية من حيث المرافق الآتية:

الكافتيريا، والقاعات الدراسية، والحدائق، مكتبة الطالب، والملاعب، أن التقديرات التقويمية بشكل عام متوسطة في أغلب الفقرات مع ملاحظة أن تقديرات الطلاب انخفضت؛ عندما سئلوا عن الهدوء في الكافتيريا ومراعاة مكتبة الطالب للظروف الاقتصادية للطالب، وتلبية الملاعب لحاجات الطلاب الرياضية. و يمكن تفسير النتائج السابقة المتعلقة بالكافتيريا بكثرة عدد الطالبات بالرغم من وجود أكثر من كافتيريا إلا أنها مازالت لا تلبى احتياجاتهن من الهدوء،وتركيز الضغط خلال فترة الاستراحة وبين المحاضرات. أما بالنسبة لملاعب الجامعة فهي في حرم الطلاب ومحدودة جدا، حيث ركزت الجامعة في السنوات الماضية على توفير متطلبات الدراسة بشكل أكبر. والجهود الآن تبذل لتطويرها وتوسيعها لتتلاءم واحتياجات الطلاب من الجنسين من خلال مشروع الملاعب الجامعية الشاملة.

نص السؤال الثاني: هل تختلف التقديرات التقويمية لأفراد العينة للبيئة الجامعية بالجامعة الإسلامية من حيث خدمة القبول والتسجيل، وشؤون الطلاب، وعيادة الجامعة، والأندية الطلابية، ومختبرات الحاسوب، والمكتبة المركزية، والمختبرات العلمية، باختلاف متغيرات الجنس (ذكور، إناث)، التخصص الأكاديمي (علوم شرعية، علوم إنسانية، وعلوم تطبيقية)، المعدل التراكمي(أقل من ٨٠٪، ٨٠ فأعلى)؟

خدمة القبول والتسجيل:

لدراسة الفروق في متوسطات تقويم أفراد العينة للبيئة الجامعية بالجامعة الإسلامية من حيث خدمة القبول والتسجيل تبعا لمتغيرات الدراسة؛ استخدم تحليل التباين الثلاثي لمتغيرات الدراسة. وقد بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) للدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة لخدمة القبول والتسجيل بالجامعة لمتغير المعدل التراكمي، وعند مستوى التفاعلات الثنائية بين متغيرات: الجنس والتخصص الأكاديمي، والجنس والمعدل التراكمي، وكذلك للتفاعل الثلاثي بين الجنس والتخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي؛ مما يعنى قبول الفرضيات الصفرية ذات العلاقة. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة لخدمة القبول والتسجيل والتخصص تعزى لمتغير الجنس حيث كانت قيمة ف (١، ٦٩٠)= ١٣,٧٦٩، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠، مما يعني: رفض الفرض الصفري. وقد بينت نتائج اختبار (ت) وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقويم أفراد العينة لخدمة القبول والتسجيل بين الذكور والإناث، يمكن أن تعزى النتائج السابقة إلى كثرة عدد الطالبات عند محاولة إتمام المعاملات يدويا في بداية كل فصل. ورغم وجود نظام التسجيل الآلي في الجامعة، فما زالت مشكلة الظروف الاقتصادية التي يعاني منها الشعب الفلسطيني تلقى بظلالها على عملية تسجيل الطلاب حيث إن أعداداً كبيرة من الطلاب لا يستطيعون دفع الرسوم كاملة؛ مما يستوجب حضوره شخصيا إلى عمادة القبول والتسجيل. ولعدة مرات مما يشكل ازدحاماً فيها.

وأشارت النتائج أيضا إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة لخدمة القبول والتسجيل، والتخصص تعزى لمتغير التخصص الأكاديمي حيث كانت قيمة (ف) (٢، ٦٩٠)= ٨,٩٧٥٧، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠ مما يعنى رفض الفرض الصفري. وقد بينت نتائج تحليل الاختبار البعدى شافيه وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقويم أفراد العينة لخدمة القبول والتسجيل بين الكليات الشرعية (المتوسط الحسابي =١٢,٤٤) والكليات الإنسانية (المتوسط الحسابي =١١,٦٠).ويمكن تفسير النتائج الخاصة باختلاف تقييم افراد العينة لخدمات القبول والتسجيل باختلاف متغير الجنس؛ بسبب ازدحام الطالبات عند مبنى عمادة القبول والتسجيل، وخاصة فى بداية الفصل عند محاولة انهاء اجراءات التسجيل حيث تشكل الطالبات حوالي (٦٠٪) من أعداد الطلاب في الجامعة.

شؤون الطلاب:

ولدراسة الفروق في متوسطات تقويم أفراد العينة لشئون الطلاب تبعا لمتغيرات الدراسة؛ استخدم تحليل التباين الثلاثي. وقد بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) للدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة لخدمة شئون الطلاب لمتغير الجنس، ومتغير المعدل التراكمي، ولا للتفاعلات الثنائية بين متغيرات الجنس والتخصص الأكاديمي، والجنس والمعدل التراكمي، وكذلك للتفاعل الثلاثي بين الجنس والتخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي؛ مما يعنى: قبول الفرضيات الصفرية ذات العلاقة. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة لشئون الطلاب تعزى لمتغير التخصص الأكاديمي حيث كانت قيمة (ف) (٢، ٦٥٢) = ١٦,٦٤٢، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠؛ مما يعنى رفض الفرض الصفري. وقد بينت نتائج تحليل الاختبار البعدى شافيه وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقييم أفراد العينة لخدمة شئون الطلاب بين الكليات الشرعية: (المتوسط الحسابي =١٨,٨٧) والكليات الإنسانية (المتوسط الحسابي =١٦,٠٣)، وبين الكليات الشرعية (المتوسط الحسابي =١٨,٨٧) و الكليات التطبيقية (المتوسط الحسابي =١٧,٨٧). وقد يُعزى ذلك إلى التسهيلات التي تقدمها عمادة شئون الطلاب للكليات الشرعية من حيث (المنح الدراسية، والقروض، والاعفاءات الكاملة من الرسوم الدراسية لحفظة القرآن الكريم...).

عيادة الجامعة:

ولدراسة الفروق في متوسطات التقديرات التقويمية لأفراد العينة لخدمة عيادة الجامعة تبعا لمتغيرات الدراسة استخدم تحليل التباين الثلاثي. وقد بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ٠,٠٥ للدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة لخدمة عيادة الجامعة لمتغير الجنس، ومتغير المعدل التراكمي، ولا للتفاعلات الثنائية بين متغيرات الجنس والتخصص الأكاديمي، والجنس والمعدل التراكمي، وكذلك للتفاعل الثلاثي بين الجنس التخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي؛ مما يعنى: قبول الفرضيات الصفرية ذات العلاقة. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة لخدمة عيادة الجامعة تعزى لمتغير الاختصاص الأكاديمي حيث كانت قيمة (ف) (٢، ٦٥٢)= ١٦,٦٤٢، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠ مما يعنى رفض الفرض الصفري. وقد بينت نتائج تحليل الاختبار البعدى شافيه

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقييم أفراد العينة لخدمة عيادة الجامعة بين الكليات الشرعية: (المتوسط الحسابي =١٥,٤٢)، والكليات الإنسانية (المتوسط الحسابي =١٣,٩١)، وبين الكليات الشرعية (المتوسط الحسابي =١٥,٤٢) والكليات التطبيقية (المتوسط الحسابي =١٥,٣٠).

الأندية الطلابية:

ولدراسة الفروق في متوسطات التقديرات التقويمية لأفراد العينة للأندية الطلابية تبعا لمتغيرات الدراسة؛ استخدم تحليل التباين الثلاثي. وقد بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ٠,٠٥ للدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة للأندية الطلابية لمتغير الجنس، ومتغير المعدل التراكمي، ولا للتفاعلات الثنائية بين متغيرات الجنس والتخصص الأكاديمي، والجنس والمعدل التراكمي، وكذلك للتفاعل الثلاثي بين الجنس والتخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي. مما يعنى قبول الفرضيات الصفرية ذات العلاقة. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة للأندية الطلابية تعزى لمتغير التخصص الأكاديمي حيث كانت قيمة (ف) (٢، ٦٥٢)= ١٦,٦٤٢، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠ مما يعنى رفض الفرض الصفري. وقد بينت نتائج تحليل الاختبار البعدي شافيه وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقويم أفراد العينة للأندية الطلابية بين الكليات الشرعية (المتوسط الحسابي =١٤,٢٤)، وبين الكليات الإنسانية (المتوسط الحسابي =١١,٦٩)، وبين الكليات الشرعية (المتوسط الحسابي =١٤,٢٤)، وبين الكليات التطبيقية (المتوسط الحسابي =١٣,٧٧)، وقد يُعزى ذلك إلى تنوع وتعدد الأنشطة التي تقوم بها الأندية الطلابية في الكليات الشرعية توعيةً وتثقيفاً للطلبة خاصة في المناسبات الدينية والوطنية.

مختبرات الحاسوب:

ولدراسة الفروق في متوسطات التقديرات التقويمية لأفراد العينة لمختبرات الحاسوب بالجامعة تبعا لمتغيرات الدراسة؛ استخدم تحليل التباين الثلاثي. وقد بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) للدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة لمختبرات الحاسوب لمتغير الجنس، ومتغير المعدل التراكمي، ولا للتفاعلات الثنائية بين متغيرات الجنس والتخصص الأكاديمي، والجنس والمعدل التراكمي، وكذلك للتفاعل الثلاثي بين الجنس والتخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي؛ مما يعنى: قبول

الفرضيات الصفرية ذات العلاقة. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ٠,٠٥ في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة لمختبرات الحاسوب تعزى لمتغير التخصص الأكاديمي حيث كانت قيمة (ف) (٢، ٦١٣)= ٣,٠٩٠، ومستوى الدلالة= ٠,٠٤٦؛ مما يعني رفض الفرض الصفري. وقد بينت نتائج تحليل الاختبار البعدي شافيه وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقويم أفراد العينة لمختبرات الحاسوب بين الكليات الشرعية (المتوسط الحسابي =٢٥,٦٠) والكليات الإنسانية (المتوسط الحسابي =٢٨,٩٨)، وبين الكليات الشرعية (المتوسط الحسابي =٢٥,٦٠) والكليات التطبيقية (المتوسط الحسابي =٢٨,٧٢)؛ وقد يُعزى ذلك إلى قلة عدد المختبرات المتوافرة للكليات الشرعية، وقلة استخدامها من قبل الطلاب والأساتذة إلا في بعض المساقات، في حين أن محاضرات الكليات التطبيقية تعقد بشكل كبير في مختبرات الحاسوب؛ مما يستدعي توفير أعداد أكبر من مختبرات الحاسوب لها.

المكتبة المركزية:

ولدراسة الفروق في متوسطات التقديرات التقويمية لأفراد العينة لخدمات المكتبة المركزية بالجامعة تبعا لمتغيرات الدراسة؛ استخدم تحليل التباين الثلاثي. وقد بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) للدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة للمكتبة المركزية تبعا لمتغير الجنس، ومتغير المعدل التراكمي، ولا للتفاعلات الثنائية بين متغيرات الجنس والتخصص الأكاديمي، والجنس والمعدل التراكمي، وكذلك للتفاعل الثلاثي بين الجنس والتخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي؛ مما يعني: قبول الفرضيات الصفرية ذات العلاقة. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة لخدمات المكتبة المركزية تعزى لمتغير التخصص الأكاديمي حيث كانت قيمة (ف) (٢، ٦٠٤)= ١٩,٧٣٧، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠؛ مما يعني: رفض الفرض الصفري. وقد بينت نتائج تحليل الاختبار البعدي شافيه وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقويم أفراد العينة لخدمات المكتبة المركزية بين: الكليات الشرعية (المتوسط الحسابي =٤٨,١٥)، والكليات الإنسانية (المتوسط الحسابي =٤٥,٤٩)، وبين الكليات الشرعية (المتوسط الحسابي =٤٨,١٥) والكليات التطبيقية (المتوسط الحسابي =٤٨,٥٤) وبين الكليات الإنسانية (المتوسط الحسابي =٤٥,٤٩)، والكليات التطبيقية (المتوسط الحسابي =٤٨,٥٤. ولعل ذلك راجع لسهولة استخدام الكليات التطبيقية (للإنترنت) –المتاح في مكتبة الجامعة، وباللغة الانجليزية – للاطلا ع على المجلات العلمية الالكترونية، والتواصل مع كل جديد في مجال المعرفة.

المختبرات العلمية:

ولدراسة الفروق في متوسطات التقديرات التقويمية لأفراد العينة للمختبرات العلمية بالجامعة تبعا لمتغيرات الدراسة؛ استخدم تحليل التباين الثلاثي. وقد بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) للدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة تبعا لمتغير الجنس، ومتغير المعدل التراكمي، ولا للتفاعلات الثنائية بين متغيرات الجنس والتخصص الأكاديمي، والجنس والمعدل التراكمي، وكذلك للتفاعل الثلاثي بين الجنس والتخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي. مما يعنى قبول الفرضيات الصفرية ذات العلاقة. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة للمختبرات العلمية تعزى لمتغير التخصص الأكاديمي حيث كانت قيمة (ف) (٢، ٤٧٧)= ١٣,٧٥، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠؛ مما يعنى رفض الفرض الصفري. وقد بينت نتائج تحليل الاختبار البعدي شافيه وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقويم أفراد العينة للمختبرات العلمية بين: الكليات الإنسانية (المتوسط الحسابي =١٢,٨٤)، وبين الكليات التطبيقية (المتوسط الحسابي =١٤,٣٨) لصالح الكليات التطبيقية. ويمكن أن يُعزى ذلك إلى قلة المختبرات أصلاً في الكليات الإنسانية؛ لمركزيتها في الكليات العلمية، والتي توفرها الجامعة بشكل جيد، وبمبانٍ مستقلة لكل كلية مما يتيح الفرصة للاستفادة القصوى منها.

نصَّ السؤال الثالث: هل تختلف التقديرات التقويمية لأفراد العينة للبيئة الجامعية بالجامعة الإسلامية المرتبطة بالمرافق التالية: الكافتيريا، والقاعات الدراسية، والحدائق، ومكتبة الطالب، والملاعب باختلاف متغيرات الجنس، والتخصص الأكاديمي، والمعدل التراكمي؟

الكافتيريا:

ولدراسة الفروق في متوسطات التقديرات التقويمية لأفراد العينة للكافتيريا تبعا لمتغيرات الدراسة؛ استخدم تحليل التباين الثلاثي. وقد بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ٠,٠٥ للدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة تبعا لمتغير الجنس، ومتغير المعدل التراكمي، وعدم وجود تفاعلات ثنائية بين متغيرات الجنس والتخصص الأكاديمي، والجنس والمعدل التراكمي، وكذلك للتفاعل الثلاثي بين الجنس والتخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي؛ مما يعنى: قبول الفرضيات الصفرية ذات

العلاقة. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة لخدمات الكافتيريا تعزى لمتغير التخصص الأكاديمي حيث كانت قيمة ف (٢، ٦٨٦)= ٤,٨٦، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠؛ مما يعني رفض الفرض الصفري. وقد بينت نتائج تحليل الاختبار البعدي شافيه وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقويم أفراد العينة لخدمات الكاقتيريا بين الكليات الإنسانية (المتوسط الحسابي =٨,٨٣)، والكليات التطبيقية (المتوسط الحسابي =٩,٥٥) لصالح الكليات التطبيقية.

ولعل مكوث طلاب الكليات التطبيقية فترة أكبر في الجامعة نظراً لطبيعة دراستهم العملية، وتواجدهم في المختبرات لساعات طويلة يتطلب تعامل مع الكافتيريا ؛ يزيد من حاجتهم لكافتيريا لتوفير وجبات متنوعة خلال اليوم الدراسي، بشكل أكثر من الكليات الإنسانية.

القاعات الدراسية:

ولدراسة الفروق في متوسطات التقديرات التقويمية لأفراد العينة للقاعات الدراسية تبعا لمتغيرات الدراسة؛ استخدم تحليل التباين الثلاثي. وقد بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) للدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة تبعا لمتغير الجنس، ومتغير المعدل التراكمي، وعدم تفاعلات ثنائية بين متغيرات الجنس والتخصص الأكاديمي، والجنس والمعدل التراكمي، وكذلك للتفاعل الثلاثي بين الجنس والتخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي؛ مما يعني: قبول الفرضيات الصفرية ذات العلاقة. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة للقاعات الدراسية تعزى لمتغير التخصص الأكاديمي حيث كانت قيمة (ف) (٢، ٦٨٨)= ٩,٩٣، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠؛ مما يعني: رفض الفرض الصفري. وقد بينت نتائج تحليل الاختبار البعدي شافيه وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقويم أفراد العينة بين: الكليات الشرعية (المتوسط الحسابي =١١,٤٦) والكليات الإنسانية (المتوسط الحسابي =١٠,٣٨)، وبين الكليات الشرعية (المتوسط الحسابي =١١,٤٦) والكليات التطبيقية (المتوسط الحسابي =١١,١٣).ويمكن أن يُعزى ذلك إلى أن القاعات الدراسية للكليات الشرعية يغلب عليها النمط التقليدي للقاعات الدراسية؛ لأن المساقات – في غالبها – لا تستدعي قاعات مجهزة بالأدوات والتجهيزات. وهذه النتيجة تتفق مع دراسة الكندرى (٢٠٠٦).

حدائق الجامعة:

ولدراسة الفروق في متوسطات التقديرات التقويمية لأفراد العينة لحدائق الجامعة تبعا لمتغيرات الدراسة؛ استخدم تحليل التباين الثلاثي. وقد بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) للدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة تبعا لمتغير الجنس، وعدم وجود تفاعلات ثنائية بين متغيرات: الجنس والتخصص الأكاديمي، والجنس والمعدل التراكمي، وكذلك للتفاعل الثلاثي بين الجنس والتخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي؛ مما يعنى: قبول الفرضيات الصفرية ذات العلاقة. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة للقاعات الدراسية تعزى لمتغير التخصص الأكاديمي حيث كانت قيمة ف (٢، ٦٧٧)= ٧,١١، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠؛ مما يعنى: رفض الفرض الصفري. وكذلك في الدرجة الكلية المتعلقة بتقييم أفراد العينة للقاعات الدراسية تعزى لمتغير المعدل التراكمي حيث كانت قيمة (ف) (٢، ٦٧٧)= ٥,٢٥، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠؛ مما يعنى: رفض الفرض الصفري. فقد كانت الفروق لصالح أفراد العينة ذوى المعدلات التراكمية العالية، ويفسر ذلك حرص هذه الشريحة من الطلاب على الدراسة.

وقد بينت نتائج تحليل الاختبار البعدي شافيه لمتغير الاختصاص الأكاديمي وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقويم أفراد العينة بين الكليات الإنسانية (المتوسط الحسابي =١٠,٥٢)، وبين الكليات التطبيقية (المتوسط الحسابي =١١,١٧).

مكتبة الطالب:

ولدراسة الفروق في متوسطات التقديرات التقويمية لأفراد العينة لمكتبة الطالب تبعا لمتغيرات الدراسة؛ استخدم تحليل التباين الثلاثي. وقد بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) للدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة تبعا لمتغير الجنس، التخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي، وعدم وجود تفاعلات ثنائية بين متغيرات: الجنس والتخصص الأكاديمي، والجنس والمعدل التراكمي، وكذلك للتفاعل الثلاثي بين الجنس والتخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي؛ مما يعنى: قبول الفرضيات الصفرية ذات العلاقة؛ لأن مكتبة الطالب تقدم تقريباً الخدمة نفسها لجميع الطلاب. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الكندري (٢٠٠٦).

ملاعب الجامعة الرياضية:

ولدراسة الفروق في متوسطات التقديرات التقويمية لأفراد العينة لملاعب الجامعة الرياضية تبعا لمتغيرات الدراسة؛ استخدم تحليل التباين الثلاثي. وقد بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) للدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة تبعا لمتغير المعدل التراكمي، وعدم وجود تفاعلات ثنائية بين متغيرات الجنس والتخصص الأكاديمي، والجنس والمعدل التراكمي، وكذلك للتفاعل الثلاثي بين الجنس والتخصص الأكاديمي والمعدل التراكمي؛ مما يعني: قبول الفرضيات الصفرية ذات العلاقة. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة للملاعب الرياضية تعزى لمتغير الجنس حيث كانت قيمة (ف) (٢، ٤٩٤)= ١٦,٣٧، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠؛ مما يعني: رفض الفرض الصفري. وكذلك في الدرجة الكلية المتعلقة بتقويم أفراد العينة للملاعب الرياضية تعزى لمتغير والتخصص الأكاديمي حيث كانت قيمة (ف) (٢، ٤٩٤)= ٤,٣٣، ومستوى الدلالة = ٠,٠٠٠؛ مما يعنى: رفض الفرض الصفري.

نص السؤال الرابع: ما الاقتراحات لتطوير البيئة الجامعية بالجامعة الإسلامية بغزة؟

وقد سُئل أفراد العينة سؤالا مفتوحا عن اقتراحاتهم لتطوير الخدمات المختلفة التي تقدمها الجامعة. فكانت إجاباتهم كثيرة ومتنوعة، لُخص أهمها حسب التكرار في الجدول الآتي:

الجدول (٦)
اقتراحات أفراد العينة لتطوير البيئة الجامعية

م	البيان	التكرار	٪
١	تطوير خدمات القبول والتسجيل وخاصة فيما يتعلق بتواصل ا وظف مع الطلاب	٢٣٥	٢٨
٢	توسيع مساحة ساحات ا امعة مع زيادة ا ساحات ا ضراء و هيزها	٢١٤	٢٦
٣	تطوير خدمات الكافتي يا مع زيادة مساحا ا	١١٤	١٤
٤	زيادة القاعات الدراسية مع توسيعها و هيزها	٨٤	١٠
٥	مراعاة ظروف الطالب الاقتصادية	٧٥	٩
٦	زيادة عدد قاعات ا اسوب مع زيادة عدد الأجهزة فيها	٦١	٧
٧	زيادة الأنشطة الطلابية و س الملاعب ا وجودة مع توف ملاعب للطالبات	٥٣	٦
ا جموع		٨٣٦	١٠٠

ويتضح من الجدول السابق الذي تضمن معلومات نوعية، تأكيد أفراد العينة الواضح على تطوير العديد من الخدمات التي قيست كميا من خلال أسئلة (بطاقة الخريج) وأهمها: خدمات القبول والتسجيل وخاصة الجانب المتعلق بالتواصل مع الطلاب من قبل الموظفين إلى جانب الاهتمام بالمساحات الخضراء في الجامعة وزيادتها، وبخدمات الكافتيريا. هذا مع العلم أن الجامعة الإسلامية تشهد تطورا ملحوظا من حيث (الكم والنوع) في الخدمات التي تقدمها للطلاب منذ أن أُنشئت في عام ١٩٧٨، ولكن تزايد أعداد الطلاب الملتحقين سنويا بالجامعة يجعلها دائما في حاجة إلى التوسع وتطوير الخدمات الطلابية وبشكل متسارع.

وقد رأى الباحث أن عملية تقويم جودة البيئة الجامعية مهمة وضرورية، وما دُرس في هذا البحث ما هو إلا جزء من كل لا يكتمل إلا بالحصول على معلومات كثيرة من أكثر من مصدر للجوانب المتعددة في الجامعة؛ لتقويم جودة البرامج الأكاديمية. ومن العرض السابق يوصى الباحث بما يأتي:

١- **توصيات تتعلق بعمادة القبول والتسجيل**:
- تقديم دورات تدريبية للعاملين في عمادة القبول والتسجيل في مجال مهارات: الاتصال، الحاسوب، واللغة الانجليزية...
- دعم قسم الإرشاد والتوجيه بالعمادة، مع توسيع صالة التسجيل الخاصة بقسم الطالبات.

٢- **توصيات تتعلق بعمادة بشؤون الطلبة**:
- تعدد وتنوع الأنشطة الطلابية التي ترعاها العمادة.
- تقديم سلسلة من الدورات التدريبية بناء على دراسة تقدير الاحتياجات التدريسية لطلاب الجامعة.

٣- **توصيات تتعلق بالمكتبة المركزية**:
- تطوير قاعدة البيانات في المكتبة المركزية بالجامعة، مع توسيع المكتبة وزيادة قدرتها الاستيعابية من الطلاب.
- زيادة الوقت المخصص للطالب؛ للاستفادة من مرافق المكتبة على مدار اليوم الدراسي.
- زيادة عدد المرشدين المؤهلين في المكتبة.
- زيادة مقتنيات المكتبة من (الكتب،-الدوريات، والمجلات الورقية والالكترونية)في بعض التخصصات.

٤- **توصيات تتعلق بالمختبرات العلمية**:
- التحديث المستمر للأجهزة والمعدات والمختبرات.

- زيادة الوقت المخصص للتدريب العملي في المختبرات.
- زيادة عدد المختبرات للكليات الإنسانية (الآداب، التربية، والتجارة) والحرص على نوعيتها.

٥- توصيات تتعلق بالكافتيريا:

- زيادة حجم الكافتيريا، مع إتاحة جو أكثر هدوءاً فيها.
- دعم أسعار الوجبات والخدمات المقدمة في الكافتيريا.

٦- توصيات تتعلق بالقاعات الدراسية:

- تعزيز التهوية والإضاءة داخل القاعات الدراسية.
- توفير التجهيزات المناسبة (LCD، حاسوب، جهاز العرض فوق الرأس...) داخل القاعات الدراسية عامة، وخاصة في للكليات الإنسانية.

٧- توصيات تتعلق بالحدائق الجامعية والملاعب:

- تطوير الحدائق الجامعية وتحسينها من حيث المساحة والشكل العام وخاصة في قسم الطالبات.
- تطوير الملاعب من حيث المساحات والأدوات الرياضية خاصة في قسم الطالبات.

٨- توصيات تتعلق بعيادة الجامعة:

- تنويع الخدمات والتخصصات الطبية التي تقدمها العيادة، مع توفير كم ونوعية أكبر من الأدوية في صيدلية الجامعة.
- تعزيز الحملات الطبية التي تقدمها العيادة مع الكليات والأقسام ذات العلاقة مثل (كلية التمريض، الطب، قسم التحاليل الطبية، وقسم تكنولوجيا البصريات...).

٩- توصيات تتعلق بالأندية الطلابية:

- الدعم المادي والإشرافي للأندية الطلابية مع تنويع أنشطتها، لتجذب عدداً أكبر من الطلاب بناء الخطة السنوية للأندية الطلابية من خلال: التقويم الدوري للأنشطة المقدمة من الأندية الطلابية. وتحديد احتياجات الطلاب من الأنشطة المختلفة في الأقسام المختلفة.

١٠-توصيات تتعلق بمختبرات الحاسوب:

- زيادة أعداد المختبرات المتاحة للطلاب، مع تطوير خدمات الإرشاد في مختبرات الحاسوب العامة.

المصـــادر والمراجع

أولاً: المـراجع العربية:

1. أبو هلال، ماهر وآخرون (١٩٩٨). مدى توافق التعليم العالي مع سوق العمل المحلي: دراسة تحليلية. مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، الدائرة الاقتصادية، سلسلة تقارير الأبحاث، رقم (٩)، نابلس، فلسطين.
2. أبو علام، رجاء (١٩٩٨). مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية. القاهرة: دار النشر للجامعات.
3. أبو دقة، سناء واللولو، فتحية (٢٠٠٧). دراسة تقويمية لبرنامج إعداد المعلم بكلية التربية بالجامعة الإسلامية. مجلة الجامعة الإسلامية، العلوم الإنسانية، ١٥، ١، ٤٦٥–٥٠٤.
4. الحولي، عليان (٢٠٠٤).مفهوم الجودة في التعليم العالي، الجودة في التعليم العالي، مج١، ع١، وحدة الجودة، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، ص ص ٩–١٣.
5. الحمدان، جاسم و الشرف، عادل (٢٠٠٣). بيئة القاعات الدراسية من وجهه نظر طلبة كلية التربية بجامعة الكويت. المجلة التربوية، ١٨، ٦٩.
6. البنك الدولي (٢٠٠٣). بناء مجتمعات المعرفة: التحديات الجديدة التي تواجه التعليم العالي، مركز معلومات قراء الشرق الأوسط (ميريك)، القاهرة.
7. الكندري، نبيلة (٢٠٠٦). الجمعيات الطلابية وأثرها على الطالب في جامعة الكويت: دراسة ميدانية. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ١٢٢.
8. النجار، فريد (١٩٩٩) إدارة الجامعات بالجودة الشاملة، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة.
9. بوقحوص، خالد احمد (٢٠٠٣). بعض الاتجاهات العالمية للتعليم العالي في ظل العولمة. التربية، البحرين، ع٨، ٣١–٤١.
10. دليل الجامعة الإسلامية (٢٠٠٢). الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
11. د.ك (٢٠٠٥). ضمان الجودة في التعليم العالي: مفهومها، مبادئها، تجارب عالمية، ترجمة وتعريب السيد عبد العزيز البهواشي، وسعيد الربيعي، عالم الكتب، القاهرة.

١٢. عثمان، عبد المنعم (٢٠٠٤). التقويم في التعليم العالي، سلسلة إصدارات الهيئة [٢]،الهيئة العليا للتقويم والاعتماد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جمهورية السودان.

١٣. نخلة، خليل واخرون (٢٠٠٥). خطة عمل إستراتيجية لتطوير التعليم العالي في فلسطين. وزارة التربية والتعليم، رام الله، فلسطين.

١٤. عبد اللطيف، حسن (١٩٩٧). الرضا عن الحياة الجامعية لدى طلاب جامعة الكويت. المجلة التربوية. العدد الثالث والأربعون، المجلد الحادي عشر، ٣١٠-٣٤٩.

١٥. علام، صلاح الدين (٢٠٠٣). التقويم التربوي المؤسسي: أسسه، ومنهجياته، وتطبيقاته في تقويم المدارس. القاهرة: دار الفكر العربي.

١٦. عشيبة، فتحي درويش (٢٠٠٠). الجودة الشاملة وإمكانية تطبيقها في التعليم الجامعي المصري - دراسة تحليلية-، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد المختص (٣)، الأمانة العامة لإتحاد الجامعات العربية، عمان، ٥٢٠ - ٥٦٦.

١٧. صافي، يوسف (٢٠٠٣). التعليم العالي في فلسطين في ضوء التغيرات الاقتصاديةوالاجتماعية، رسالة دكتوراة غير منشورة، البرنامج المشترك (جامعة عين شمس، جامعة الأقصى)، فلسطين.

١٨. .شاهين، ناجح (٢٠٠٤). واقع التعليم الجامعي الفلسطيني: رؤية نقدية، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، فلسطين.

١٩. وزارة التربية والتعليم العالي (٢٠٠٣). واقع التعليم العالي في فلسطين: أرقام وإحصاءات. فلسطين.

٢٠. وزارة التربية والتعليم العالي (٢٠٠٦). سلسلة التقارير والدراسات. تقرير رقم (١)، الطلبة في التعليم العالي.، الإدارة العامة للتطوير والبحث العلمي. فلسطين.

ثانياً: المـراجع الاجنبية:

1. *Abraham, J , Lujan, S, López, E Walker, M (2002). Graduating Students' Perceptions of Outcomes of College Experiences at a Predominantly Hispanic University Journal of Hispanic Higher Education, Vol. 1, No. 3, 267-276*

2. *Hashweh, M & Hashweh, M. (2003). An Assessment of Higher Education Needs in West Bank and Gaza. The Academy of Educational Development. Ramallah, Palestine.*

3. *Freed, J. , Klugman, M, Fife, J. (1997). A culture of academic excellence: implementing the quality principles in higher education. ERIC clearinghouse on higher education DC. BBB32577. George Washington university DC. Graduate school of education and human development. Retrieved Dec. 2003. from:*

4. *http://www.ericfacility.net/databases/eric_digest/ed406962.html*

5. *Gerner, D. & Schrodt, P. (1999). Into the New Millennium: Challenges Facing Palestinian Higher Education in the Twenty First Century. Arab Studies Quarterly, vol. 21, 4, 19-29.*

6. *ISU (2001). ISU undergraduate education survey. College of Education. Iowa State University.*

7. *Marvin W. Peterson & Catherine H. Augustine (2000). Organizational Practices Enhancing the Influence of Student Assessment Information in Academic Decisions. Research in Higher Education, Volume 41, Number 1, 21-52.*

8. *Nora, A., Cabrera, A., Hagedorn, L. & Pascarella, E. (1996). Differential impacts of academic and social experiences on college-related behavioral outcomes across different ethnic and gender groups at four-year institutions. Research in Higher Education, Volume 37, Number 4 / August.*

9. *Northern Research Institute (2003). Yukon college student exit survey 2000/2001. A survey of the experiences of students who attended Yukon college in 2000-2001. Accessed September, 2006. www.exitsurvey0001final.pdf*

10. Pike, G., Kuh, G. and Gonyea, R. (2003). The Relationship Between Institutional Mission and Students' Involvement and Educational Outcomes. Research in Higher Education. Volume 44, Number 2 , 241-261.

11. SFSU (2001). SFSU undergraduate exit survey 2000-2001. Accessed 5-3-2004. http://www.sfsu.edu/~acadplan/ugexits01inst.htm

12. Schnieder, S. & Niederjohn, R. (1995). Assessing student learning outcomes using graduating senior exit surveys & alumni surveys. Retrieved 5-3-2004 from http://www.fie.enging.pitt.edu/files95/2c1/2c11.htm

13. Todd M. D. & Patricia H. M. (1993). Structural model of perceived academic, personal, and vocational gains related to college student responsibility. Research in Higher Education. Volume 34, Number 3 / June.

14. QU (2004). Undergraduate learning experiences at Queen's university: results from the exit poll 2004. Retrieved September, 2006 www. exitpoll_2004.pdf

15. UW (1998). Senior survey. Office of Educational Assessment. University of Washington.

16. UIUC (1999). Campus senior exit survey. Retrieved 5-3-2004 from http://www.ece.uiuc.edu/abet/senexit.html

17. Worthen, B. , Sanders, J., Fitzpatrick, J. (1997). Program evaluation: alternative approaches and practical guidelines. New York: Longman.

18. Zhao , C. & Kuh G. (2004). Adding Value: Learning Communities and Student Engagement. Research in Higher Education, Volume 45, Number 2, 115-138.

السمات الشخصية المميزة للاعبي المنتخب الفلسطيني الأول لكرة الطائرة

د. رمزي رسمي جابر*

* أستاذ علم النفس الرياضي ا ساعد كلية التربية الرياضية، جامعة الأقصى، غزة، فلسط .

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف إلى السمات الشخصية المميزة للاعبي المنتخب الفلسطيني الأول للكرة الطائرة. ولتحقيق، ذلك أجريت الدراسة على عينة قوامها (١٤) لاعبا، ولجمع بيانات الدراسة وتحقيق أهدافها استخدم المنهج الوصفي، وقائمة فرايبورج للشخصية التي أعد صورتها العربية علاوي (١٩٩٨).أظهرت نتائج الدراسة أن «محور الاجتماعية» احتل المرتبة الأولى، تلاه في المرتبة الثانية «محور الهدوء»، ثم جاء «محور الاكتئابية» في المرتبة الثالثة، وفي المرتبة الرابعة «محور القابلية للاستثارة»، ثم جاء محور «الضبط (الكف)» في المرتبة الخامسة، بينما جاء «محور العصبية» في المرتبة السادسة، جاء «محور السيطرة» في المرتبة قبل الأخيرة،ثم محور «العدوانية» في المرتبة الثامنة والأخيرة. وقد أوصى الباحث بضرورة تنمية السمات الشخصية لدى لاعبي المنتخب الفلسطيني الأول للكرة الطائرة من خلال عقد جلسات توعية نفسية لهم.

Abstract:

His study aimed at identifying the distinguished personal features of the players in the Palestinian team in volleyball. The sample of the study consisted of (14) players. the researcher used the descriptive approach. The list of Fry Borg for the personality was prepared by Alawi (1998).

The result showed that:

- ***The social domain came is in the first.***
- ***The quiet domain came is in the second.***
- ***The depression domain came is in the tired***
- ***The excitement domain came is in the fourth.***
- ***The control domain came is in the fifth.***
- ***The nervousness domain came is in the sixth.***
- ***The domination domain came is in the seventh***
- ***The aggression domain came is in the eight and the last.***
- ***The researcher recommended the necessity of developing the personal***
-

features among the players in the national Palestinian volleyball team by preparing for psychological cultivate meetings for the players.

مقــدمة:

الشخصية من أهم الموضوعات التي تعالجها كثير من العلوم الانسانية من جوانبها المختلفة، والمحور الذي تدور حوله البحوث المختلفة في هذه الميادين، فمن حيث معناها وكونها المصدر الرئيس لمعظم الظواهر الانسانية يعالجها علم النفس العام، ومن حيث تفاعلها مع البيئة الاجتماعية يعالجها علم النفس الارتقائي وعلم النفس التربوي، والشخصية في توافقها وتكيفها يعالجها علم الصحة النفسية. فالشخصية موضوع عندما ينفذ في ميدان من ميادين العلوم الانسانية يمثل المحور الذي تدور حوله دراسات وبحوث هذا الميدان بهدف الكشف عن فاعلية الفرد، وشروط تحقيق هذه الفاعلية وصولا إلى القوانين التي تخضع لها الظواهر النفسية (فرج، ١٩٨٠: ٣-٤).

ويرى فوزي (٢٠٠٣) أنه بالرغم من تعدد مفاهيم الشخصية وتنوعها، فإنها جميعها مشتركة في أن للشخصية مجموعة واحدة من الخصائص، ويمكن إجمال أهم الخصائص التي تشتمل عليها جميع مفاهيم الشخصية بالأتي: الافتراضية، والتفرد، والتكامل، والديناميكية، والاستعداد للسلوك والزمنية، وللشخصية الرياضية مكوناتها الوظيفية التي تختلف من فرد إلى آخر، ولو اشترك الأفراد في مجتمع رياضي واحد أو في نشاط رياضي واحد. ويرجع هذا الاختلاف بين الأفراد في شخصياتهم، إلى أن لكل فرد مكوناته الوظيفية الأساسية التي تختلف درجاتها وخصائصها عن تلك المكونات الوظيفية للآخرين، نتيجة لعامل الوراثة. فالاستعداد البدني الموروث مع النشاط الحركي الذي قام به الفرد، يعطي له تنظيما بدنيا متفردا، كما أن إمكاناته العقلية الموروثة مع الأنشطة الفكرية التي قام بها، تعطيه تنظيما معرفياً مميزاً عن غيره، وهكذا مع تنظيمه الانفعالي، وهذه التنظيمات الثلاثة البدنية، والمعرفية، والانفعالية، تتفاعل وظيفيا مع بعضها بعضاً، وتكون التنظيم الوظيفي للشخصية. (فوزي، ٢٠٠٣:١٣١-١٣٤).

ويرى عنان و باهي (٢٠٠١) أن نظريات الشخصية تعددت وتباينت من حيث المفاهيم والافتراضات، غير أنه يمكن النظر إلى الشخصية، في ضوء التعريفات المتعددة

لأصحاب تلك النظريات، على أنها ذلك الجانب من الفرد الذي يمثله أكثر من بقية الجوانب الأخرى، ليس لأنه الجانب الذي يميزه عن الآخرين، فيما نسميه بالسمات الفارقة، ولكن الأهم من ذلك، هو أنه يمثل حقيقة ما يكون عليه الفرد، ويتمثل ذلك فيما يراه «البورت» من أن الشخصية هي ما يكون عليه الإنسان في الحقيقة، ويقتضي ذلك أن تكون الشخصية في نهاية الأمر، من أكثر الصفات تمثيلا، وأعمقها تميزا للفرد (عنان و باهي ٢٠٠١: ٥٧:٨٨).

ويرى موسى (١٩٨٢) أن معنى الشخصية، من أشد معاني علم النفس تعقيدا وتركيبا، لأنه يشمل جميع الصفات الجسمية، والوجدانية، والخلقية في حالة تفاعلها مع بعضها بعضا وتكاملها في شخص يعيش في بيئة اجتماعية معينة، ويذكر أيضا، أن الشخصية هي مجموعة سمات الفرد كما تبدو في عاداته الفكرية، وتعبيراته، واتجاهاته، واهتماماته، وأسلوبه في الحياة، فالفروق بين الأشخاص لا تظهر فقط في استعداداتهم وذكائهم وصفاتهم الجسمية فقط، ولكنها تظهر أيضا في سمات شخصياتهم وسمات الشخصية، هي الطرق المميزة لسلوكهم التي تعطي لكل منهم فرديته التي يتميز بها عن غيره، وتعتبر هذه السمات كلها من العوامل الوراثية والبيئية (موسى،١٩٨٢: ٢٩٤، ٢٩٥).

ويذكرالدريني (١٩٨٥) أن لدى كل فرد درجة من كل سمة، وبالتالي فإن شخصية الفرد هي درجاته التي يحصل عليها في مقاييس السمات المختلفة (الدريني، ١٩٨٥: ٤٠٤).

ويشير علاوي (١٩٩٨) إلى أن الرياضة لا تقوم فقط بدورها في تكوين الشخصية بل أنها تسهم كذلك في التعرف عليها وعلى حقيقتها وطبيعتها. هذا التعرف الذي يعد خطوة أساسية وضرورية في عملية علاجها وتنميتها وتوجهها، فالرياضة جزء لا يتجزأ من نسيج الشخصية، وعامل أساسي في إعدادها وتكوينها (علاوي، ١٩٩٨:٧).

وتتفق نتائج الدراسة مع دراسات كلٍّ مما ياتي: دراسة جابر (٢٠٠٧)، ودراسة اللامي وآخرون عام(٢٠٠٥)، ودراسة العثماني (٢٠٠٦)، ودراسة سوليفان (Sullivan ١٩٩٨)، ودراسة جات و ماك (Mc & Gat ، ١٩٩٨)، ودراسة الدرعة (١٩٩٧)، ودراسة مالك و إبراهيم (١٩٩٣)، ودراسة حسن (١٩٩٣)، ودراسة أحمد (١٩٩٢)، ودراسة شين (Chen، ١٩٨٨)، ودراسة وليم نيمان (Wilume Nieman ، ١٩٨٧)، ودراسة ديانو (Diano، ١٩٨٥).

مشكلة الدراسة:

يرى الباحث أن الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع الفلسطيني تؤثر بشكل كبير على شخصية الفرد، وهذه الظروف لها دور كبير في تشكيل الشخصية وبنائها، وبما أن لاعبي منتخب فلسطين لكرة الطائرة يعيشون ضمن هذا المجتمع، فإن جوانب شخصيتهم تتأثر بشكل كبير بالأوضاع الصعبة التي يعيشها مجتمعهم الفلسطيني. ومن خلال العرض السابق فإن لاعبي منتخب فلسطين لكرة الطائرة جزء من هذا المجتمع الذي يعيش ظروفاً خاصة، وهذا له دور كبيرفي تشكيل شخصية الفرد، وهنا تبرز مشكلة البحث، لذلك أراد الباحث التعرف على السمات الشخصية للاعبي منتخب فلسطين للكرة الطائرة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة بأنها الأولى، في حدود علم الباحث، التي تتناول موضوع السمات الشخصية للاعبي المنتخب الفلسطيني للكرة الطائرة، وأيضا تكمن أهميتها في أن السمات هي محور دينامية السلوك، وتلعب دوراً كبيراً في توحيد الشخصية، وبالتالي التعرف على السمات الشخصية المميزة للاعبي المنتخب الفلسطيني الأول لكرة الطائرة.

وكذلك تكمن أهمية الدراسة أيضا من كونها تتعرض لموضوع السمات الشخصية المميزة للاعبي المنتخب الفلسطيني الأول للكرة الطائرة، بما قد يعمل على توفير بعض المعلومات، لتكون في متناول المسؤولين القائمين على الرياضة من الاتحاد الفلسطيني للكرة الطائرة، ووزارة الشباب والرياضة الفلسطينية و اللجنة الاولمبية الفلسطينية، وربما يساهم في التعرف على أهم المشكلات التي يعاني منها لاعبو المنتخب الفلسطيني للكرة الطائرة في فلسطين. وكذلك يمكن الاستفادة من نتائج الدراسة من قبل المدربين ولاعبي كرة الطائرة عامة، ولاعبي المنتخب الفلسطيني للكرة الطائرة خاصة.

هدف الدراسة:

تحديد السمات الشخصية المميزة للاعبي المنتخب الفلسطيني الأول للكرة الطائرة.

تساؤل الدراسة:

ما مستويات السمات الشخصية المميزة للاعبي المنتخب الفلسطيني الأول للكرة الطائرة؟

مصطلحات الدراسة الإجرائية:

١. **الشخصية**: هي التنظيم الدينامي داخل الفرد للأجهزة النفسجسمية التي تقرر الطابع الفريد للشخص في السلوك والتفكير (فوزي، ٢٠٠٣: ١٣٢).
٢. **السمة**: هي الاتجاه المميز للشخص كي يسلك بطريقة معينة، أو هي أي صفة يمكن أن نفرق على أساسها بين فرد وآخر (علاوي، ١٩٩٨: ١٩٨).
٣. **السمة**: هي الصفات التي من خلالها يمكن التمييز بين لاعب ولاعب آخر، ومن خلال التعرف على هذه السمات يمكن إصدار الأحكام المتعلقة باللاعب الرياضي (تعريف إجرائي).
٤. **سمة الشخصية**: استعداد شخصي ثابت نسبيا للاستجابة للبيئة بطرق سبق تحديدها، بمعنى استعداد مسبق للاستجابة في مواقف لا تنافسية (عنان، ١٩٩٥: ٦٧٧).

الإطار النظري:

تولي الاتجاهات الحديثة في الدراسات السيكولوجية دراسة الشخصيةاهتماما بالغا لدرجة أنها أصبحت مادة مستقلة بين مناهج الدراسات النفسية، وتشمل هذه الدراسات الجوانب المختلفة للشخصية وكيفية نموها، والعوامل المؤثرة فيها، وكيفية قياسها، والنظريات المختلفة التي وضعت لدراساتها وتفسيرها، فمن خلال دراسة الشخصية يمكن دراسة جميع موضوعات علم النفس (عيسوي، ٢٠٠٢: ٤٥،٤٦). والشخصية الرياضية هي وحدة الحياة النفسية. ودراستها يقصد بها الاهتمام بالصفات الخاصة بكل لاعب، والتي تجعل منه وحدة متميزة عن غيره من حيث العوامل المختلفة التي تفاعلت مع بعضها، فأدت إلى الأسلوب الخاص من سلوكه، وهو الطابع الذي لا يشترك فيه شخصان اشتراكاً كاملاً في جميع النواحي (أبو العلا، ١٩٩١: ٢٦١).

ومن المعروف أن الأفراد يختفلون فيما بينهم من حيث تكوين شخصية كل منهم. وأنه لا يوجد شخصان متشابهان تماما، بل لكل شخص طابعه الفريد الذي يميزه عن غيره (الكناني، شعراوي، ٢٠٠٤: ٣٧٣). والأهداف التربوية من الممارسة الرياضية بأشكالها المتنوعة، ودرجاتها المتباينة، تنحصر في تعديل سلوك الفرد والارتقاء به وتميزه. وهذا التعديل في السلوك هو نتاج للتعديل الذي يطرأ على الشخصية، نتيجة لممارستها الرياضية، يذكر محمد علاوي (١٩٨٧) أن الأنشطة الرياضية متعددة ومتنوعة، وأن لكل نشاط رياضي خصائصه النفسية التي يتفرد بها عن غيره من أنواع الأنشطة الرياضية

الأخرى، سواء بالنسبة لطبيعة مكونات النشاط أم بالنسبة لطبيعة المهارات الحركية التي يشتمل عليها، أم بالنسبة لما يتميز به اللاعب من سمات مثل: (التعاون – شجاعة – قوة الإرادة... وغيرها من السمات)، وأن المنافسات الرياضية ضرورة استخدام اللاعب لأقصى قواه وقدراته النفسية والبدنية في محاولة لتحقيق أفضل مستوى ممكن، ويعتبر هذا الجانب من مميزات المنافسة الرياضية التي تؤثر في شخصية الفرد الرياضي، وتسهم في تنمية كثير من خصائصه وسماته الشخصية وتطويرها (علاوي، ١٩٨٧: ٢٢)، كما يؤكد راشال (١٩٧٠) على أهمية دور السمات الشخصية في الإنجاز الرياضي بالإضافة إلى أن شخصية الفرد وسماته تعتمد في تشكيلها إلى حد كبير على المواقف التي يقبلها ويتفاعل معها خلال ممارسته للنشاط الرياضي، سواء أثناء التدريب أو المنافسات (عيسوي، ٢٠٠٢: ١٦٧)، ولذا تعد دراسة السمات الشخصية للرياضيين واحدة من أكثرموضوعات البحث في علم النفس الرياضي (DONALD.١٩٨١: ١٥٩). وفي ضوء ماسبق عرضه يتضح مدى أهمية دراسة الشخصية بصفة عامة، وفي المجال الرياضي بصورة خاصة، ولقد لاحظ الباحث تعددها نظراً لتنوع وجهات النظر، وقد أشار أحمد فوزي (٢٠٠٣) بأنه لا يوجد تعريف صحيح وأخر خطأ فالشخصية لها معانٍ كثيرة تختلف باختلاف الهدف من التعامل معها، أو من الخلفية العلمية التي اعتمد عليها (فوزي، ٢٠٠٣: ١٣١)، وتستخدم معظم أبحاث الشخصية المعايير الشخصية التي تعتمد على وظيفة ومدخل السمات. والسمات غالبا ما تكون ذات خصائص ثابتة يمكن أن تمارس بشكل تأثيرات عديدة على السلوك.

وتتضمن نظريات السمة في مجال دراسة الشخصية (DIANE.٢٠٠٠:٤٥) نظريات سمات تماسك السلوك وثباته، وتعتبر من بين أبرز النظريات التي حاولت دراسة الشخصية، وفهم أبعادها وجوانبها والتنبؤ بسلوكها، والتي أهتم بها العديد من الباحثين في مجال علم النفس الرياضي (علاوي، ١٩٩٨: ١٠٥)، فعن طريق نظريات السمة نستطع أن نميز بين الأفراد في خصائص شخصيتهم، كما يمكننا أن نتعرف على طرق قياس هذه الاختلافات بين الأفراد في سمات الشخصية، ومن ثم دراسة العلاقة بين هذه الاختلافات في درجة السمة وبين مظاهر السلوك المختلفة لهؤلاء الأفراد، مما يمدنا بخلفية كبيرة ومدى أوسع في معرفة شخصية من نريد ومدى انعكاس ذلك على الدراسة الحالية (Baron.١٩٨٩:٣٨١). لذا، يعد مفهوم السمة من المفاهيم العامة في نظرية الشخصية، حيث تعتبر السمات الوحدات الأساسية للشخصية، حيث يرى العديد من الباحثين أن الشخصية عبارة عن انتظام دينامي لسمات أو صفات مختلفة جسمية وعقلية ومزاجية وخلقية واجتماعية فطرية أو مكتسبة،

ويحصل كل فرد بقدر معين من كل سمة، ويمكن التحقق من وجود هذه السمة كميا أو إحصائيا باستخدام المقاييس والاختبارات، وهكذا يمكننا وصف الشخص بناء على ما يتمتع به من سمات مختلفة تبعاً لموضعه في كل منها بالنسبة للجماعة التي ينتمي إليها (صالح، ١٩٩٧: ٢٥٤). والسمات تكون نابعة من ميول الفرد واستعداداته، وتتميز بأنها ثابتة نسبيا ومتسقة، ومتناغمة. ويتضح ذلك من خلال ملاحظة اتساق سلوك الفرد في العديد من المواقف المختلفة والمتنوعة التي يمر بها، ويؤدي مفهوم السمة دوراً كبيراً في تحقيق الإنجاز، والتفوق في مجال الرياضة من خلال نظريات السمة. ويمتلك اللاعب أو المدرب بعض سمات التفوق والإنجاز في المنافسات. وذلك عن طريق متابعة وملاحظة سلوك الفرد في أكثر من موقف من مواقف التدريب والمنافسة ولا يهم هنا استجابة الفرد في العديد من مواقف النوعية بالشكل نفسه، بل المهم أن تتميز بالثبات النسبي والاستمرارية والبقاء (Cox.١٩٩٨:٢٣) والشخصية وفق نظرية السمة عبارة عن نظام يتكون من مجموع سمات أو عوامل مستقلة تمثل مجموع أجزائها؛ أي أنها عبارة عن انتظام دينامي لمختلف سمات الشخصية (الكناني، شعراوي،٢٠٠٤: ٣٨١)، ويذكر فوزي و فاضل (٢٠٠٥) أن فحوى نظرية السمة يتلخص بامكانية دراسة شخصية الفرد، والحكم على خصائصة، والتنبؤ بسلوكه، ومقارنته بالآخرين، من خلال مجموعة السمات التي تميزه عن غيره من الأفراد. ولقد اختلف العلماء في تعريفهم للشخصية تبعا لاختلاف نتائجهم، والنظريات التي اعتمدوا عليها في تفسيرها، ويتبع ذلك اختلاف في تعريفهم لسمات الشخصية، فالذين رأوا أن الشخصية هي مفهوم فرضي، لا يمكن ملاحظتها بطريقة مباشرة، ولكن يمكن الاستدلال عليها من خلال السلوك الصادر عنها، اعتبروا أن السمة التي تميز الفرد هي أيضا مكون فرضي من مكوناته الفرضية، التي لا يمكن التعرف عليها إلا من خلال مؤشرات في السلوك (فوزي، بدر الدين،٢٠٠١: ٦١) ويرى علاوي (٢٠٠٢) أن السمة خاصية يختلف فيها الناس، أو تتباين درجة وجودها من فرد إلى آخر، وقد تكون السمة استعدادا فطريا كالسمات المزاجية، وقد تكون مكتسبة مثل السمات الاجتماعية، فالسمة –إذاً– هي صفة فطرية أو مكتسبة يمكن أن نفرق على أساسها بين فرد وآخر، كما أوضح أن تعريفات السمة قد تعددت، ولكنها بصفة عامة تشير إلى الاتجاه المميز للشخص كي يسلك بطريقة معينة، أو هي صفة يمكن أن نفرق على أساسها بين فرد وآخر، وبمعرفة سمات الفرد بدقة نستطيع أن نتنبأ بسلوكه في المستقبل (علاوي، ٢٠٠٢: ١٧٤).

حدود الدراسة:

١. المجال الجغرافي: أجريت الدراسة في فلسطين.
٢. المجال البشري: أجريت الدراسة على لاعبي المنتخب الفلسطين الأول للكرة الطائرة، وتكون مجتمع الدراسة وعينتها من ١٤ لاعبا.
٣. المجال الزماني: أجريت الدراسة عام (٢٠٠٧م)٠

الدراسات السابقة:

قام الباحث بالاطلاع على الدراسات المتعلقة بموضوع هذه الدراسة من خلال مسح الأدب المرتبط بموضوع السمات الشخصية لدى الرياضيين.

١. **دراسة جابر (٢٠٠٧) بعنوان:** (**حالة ما قبل البداية وعلاقاتها بالسمات الشخصية لدى لاعبي المسافات المتوسطة**).

هدفت الدراسة إلى التعرف على حالة ما قبل البداية، وعلاقاتها بالسمات الشخصية لدى لاعبي المسافات المتوسطة، وقام الباحث باستخدام المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (١٦) لاعبا، ولتحقيق ذلك استعان الباحث باستبانة لقياس الاستجابة الانفعالية لدى لاعبي المسافات المتوسطة التي وضعها في الأصل توماس تيتكو، وأعدها بالصورة العربية علاوي وشمعون (١٩٩٨). وتم التوصل إلى النتائج الآتية: – احتل محور التحكم في التوتر المرتبة الأولى، وجاء في المرتبة الثانية محور الثقة، ثم جاء في المرتبة الثالثة محور الضبط الذاتي، بينما جاء محور الرغبة في المرتبة الرابعة، تلا ذلك محور المسئولية الشخصية في المرتبة الخامسة، ثم جاء محور الحساسية في المرتبة السادسة، وأخيرا جاء محور الإصرار في المرتبة السابعة والأخيرة.

٢. **دراسةالعثماني (٢٠٠٦)بعنوان:(السمات الشخصية المميزة للرياضيين بدولة فلسطين).**

وهدفت الدراسة إلى تحديد السمات الشخصية المميزة للرياضيين بأندية الدرجة الممتازة في قطاع غزة بدولة فلسطين، والتعرف إلى الفروق في درجات سمات الشخصية المميزة للرياضيين بأندية الدرجة الممتازة في قطاع غزة بدولة فلسطين وفقا لخصائص النشاط الرياضي المختار (أنشطة جماعية، أنشطة فردية)، والعمر الزمني، واختلاف سنوات الممارسة واستخدم المنهج الوصفي بالطريقة المسحية، وتكون مجموع العينة من (١٩٥) لاعباً، واستعان الباحث بقائمة الشخصية الرياضية التي أعدها صدقي نور الدين محمد

وأسامة كامل راتب.وقد أسفرت نتائج الدراسة عن الآتي: – إن السمات الشخصية المميزة بأندية الدرجة الممتازة في قطاع غزة هي على الترتيب: الدوافع والقيم، والدينامية، الاجتماعية، والانفتاح، وأساليب التدريب الذاتي، والضغط.

٣. **دراسة اللامي وآخرون عام(٢٠٠٥) بعنوان:(السمات الشخصية وعلاقتها بالاحتراق النفسي لدى مدربي كرة القدم).**

وهدفت الدراسة إلى التعرف على السمات الشخصية ودرجة الاحتراق النفسي التي يتمتع بها مدربو كرة القدم في محافظة القادسية، كما هدفت إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين السمات الشخصية، ودرجة الاحتراق النفسي لعينة البحث، وتكونت عينة الدراسة من (١٦) مدرباً، واستخدم الباحثون المنهج الوصفي، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدمت أداة اختبار كاتل لسمات الشخصية، واختبار درجة الاحتراق النفسي الذي أعده «رينز مارتتز» وعربه كامل راتب (١٩٩٩). **وأظهرت نتائج الدراسة الآتي:**

١. أن معظم السمات الشخصية لمدربي كرة القدم مركزة في وسط المقياس، ونادراً ما تميل باتجاه اليمين أو اليسار.
٢. امتاز المدربون بالجدية والضمير الحي والحساسية وتعد هذه الصفات من أهم صفات المدرب الناجح.
٣. أغلب المدربين مُعرَّضون لظاهرة الاحتراق النفسي إذ بلغت نسبتهم ٧٥٪ من مجموع العينة.
٤. اتضح أن هناك علاقة ارتباطية بين بعض السمات كالخجل والقلق والضمير الحي مع مظاهر الاحتراق النفسي؛ لمدربي كرة القدم.

٤. **دراسة سوليفان (Sullivan ١٩٩٨) بعنوان: (خصائص الشخصية للاعبي الأنشطة الجماعية ولاعباتها).**

وهدفت الدراسة إلى تحديد الفروق في السمات الشخصية للاعبي الأنشطة الرياضية ولا عباتها مثل: (الهوكي والكرة الطائرة وكرة الماء)، استخدم الباحث المنهج الوصفي بالطريقة المسحية، وتكونت عينة الدراسة من (٥٠) لاعباً، و(٥٠) لاعبة، وقد استعان الباحث بقائمة ادوارد للشخصية، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن أن اللاعبين تفوقوا على اللاعبات في تحقيق الإنجاز والاستقرار الانفعالي والمثابرة.

٥. **دراسة جات و ماك (Mc & Gat ، ١٩٩٨) بعنوان:(خصائص الشخصية لدى لاعبي الدراجات المتنافسين والترويحيين).**

وهدفت الدراسة إلى مقارنة الخصائص الشخصية بين لاعبي الدراجات المسجلين بالاتحاد، ويشتركون في المنافسات، وبين الممارسين بغرض الترويح، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي بالطريقة المسحية، وتكونت عينة الدراسة من (٣٠) لاعبا رياضيا، (٣٠) لاعبا غير رياضي، واستخدم الباحثان اختبار العوامل الستة عشر لكاتل. وقد أسفرت النتائج عما يأتي: تميز وجود فروق ذات دلالة احصائية لصالح لاعبي الدراجات الذين يشتركون في المنافسات في سمات الثقة بالنفس والجرأة والمبادأة والابتكار.

٦. **دراسة الدرعة (١٩٩٧)بعنوان: (دراسة تحليلية لبعض سمات الشخصية للاعبي المنتخب الكويتي لكرة اليد).**

وهدفت الدراسة إلى التعرف إلى سمات الشخصية للاعبي المنتخب الكويتي لكرة اليد، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي بالطريقة المسحية، وتكونت العينة من (٣٠) لاعبا من منتخب الكويت لكرة اليد، وقد استعان الباحث بقائمة فرايبورج للشخصية، وقد أسفرت النتائج عما يأتي:

١. يتميز لاعبو كرة اليد بدولة الكويت بسمتي الهدوء والاجتماعية
٢. يتميز لاعبو كرة اليد بدولة الكويت بوجود السمات الآتية بدرجة منخفضة: (الكف والعصبية والسيطرة والعدوانية) وهي نتيجة إيجابية.

٧. **دراسة مالك و إبراهيم (١٩٩٣) بعنوان: (السمات الشخصية للاعبي كرة الماء طبقا لنتائج المسابقة).**

وهدفت الدراسة إلى التعرف إلى السمات الشخصية للاعبي كرة الماء طبقا لنتائج المسابقات، واستخدم الباحث المنهج الوصفي بالطريقة المسحية، وتكونت العينة من (٦٠) لاعباً لكرة الماء، وقد استعان الباحث بقائمة فرايبورج للشخصية، وقد أسفرت النتائج عما يأتي:

١. تميز لاعبو كرة الماء بدرجة منخفضة في سمتي العدوانية والسيطرة مقابل ارتفاع درجاتهم في سمتي الهدوء والاجتماعية.
٢. تميز لاعبو المستوى الأول بدرجة منخفضة في سمتي العصبية والقابلية للاستثارة مقابل تميزهم بدرجة عالية في سمة الهدوء.

٨. **دراسة حسن (١٩٩٣) بعنوان:(دراسة بعض السمات الشخصية وعلاقتها بفاعلية التصويب لدى لاعبي كرة اليد).**

وهدفت الدراسة إلى التعرف على سمات الشخصية وعلاقتها بفاعلية التصويب لدى لاعبي كرة اليد، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي بالطريقة المسحية، وتكونت العينة من (١٨٥) لاعب، وقد استعان الباحث بمقياس التفضيل الشخصي، وقد أسفرت النتائج عما يأتي:

١. إن سمات الشخصية المميزة للاعبي الدرجة الأولى لمتغيرات مقياس التفضيل النفسي جاء ترتيبها كالآتي: العطف، التحمل، التغير، السيطرة، التحصيل، لوم الذات، النظام، الاعتداد، التامل.
٢. وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسط الدرجات التي حصل عليها لاعبو الخط الخلفي ولاعبو الخط الأمامي للهجوم في سمات الاستعراض والاستقلال لصالح لاعبي الخط الأمامي للهجوم.

٩. **دراسة أحمد (١٩٩٢) بعنوان: (بعض سمات الشخصية لدى لاعبي الجودو وعلاقتها بنتائج المباريات).**

وهدفت الدراسة إلى تحديد العلاقة بين درجات سمات الشخصية كما تقيسها قائمة فريبورج للشخصية للاعبي الجودو الفائزين والمهزومين، وبين نتائج المباريات. واستخدم المنهج الوصفي بالطريقة المسحية، وتكون مجموع العينة من (٨٥) لاعباً موزعين على جميع الأوزان، و سجلات الاتحاد المصري للجودو.وقد أسفرت نتائج الدراسة عما يأتي: وجود علاقة عكسية دالة إحصائيا بين نتائج المباريات ودرجة سمات الشخصية لدى اللاعبين في كل من سمة العصبية والعدوانية والاكتئابية وسرعة القابلية للاستثارة.

١٠. **دراسة شين (Chen ، ١٩٨٨) بعنوان: (تحليل السمات الشخصية للمتفوقين الرياضيين في جمهورية الصين بالدورة الأولمبية ألـ ٢٤ في سول).**

وهدفت الدراسة إلى التعرف إلى السمات الشخصية لمنتخب رياضيي القمة الأولمبيين الذين يمثلون جمهورية الصين، وذلك قبل فترة الألعاب الأولمبية سول عام ١٩٨٨، واستخدم الباحث المنهج الوصفي بالطريقة المسحية، وتكونت عينة الدراسة من (١٢٠) لاعباً دولياً، واستخدم الباحث مقياس التفضيل لـ أدواردز. وقد أسفرت النتائج عما يأتي:تميز الرياضيون بدرجة عالية في سمات القدرة على الانجاز والاستقرار الانفعالي والمثابرة والتصميم.

١١. دراسة وليم نيمان (Wilume Nieman ، ١٩٨٧) **بعنوان**: (**تحديد سمات الشخصية وارتباطها بالنجاح في الجري لمسافات طويلة**).

الدراسة إلى تحديد سمات الشخصية وارتباطها بالنجاح في الجري لمسافات طويلة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي بالطريقة المسحية، وتكونت عينة الدراسة من (٢٣١) لاعباً من لاعبي الجري لمسافات طويلة، واستخدم الباحث مقياس التفضيل لـ أدواردز. وقد أسفرت النتائج عما يأتي:

- أن اللاعبين البالغين أسعد حالا من باقي العدائين، وألـ ٨٩ الأوائل كانوا أكثر استقرارا من الناحية العاطفية من ألـ ٤٢ الباقين.
- كلما كان العداء أسرع، كلما كان أسعد حالا من الباقين. إذاً فالنجاح في العدو يكون متصلا بعوامل شخصية.

١٢. دراسة ديانو (Diano ، ١٩٨٥) **بعنوان**:

(تحديد الاختلافات في سمات الشخصية للاعبي التنس).

وهدفت الدراسة إلى تحديد الاختلافات في السمات الشخصية للاعبي التنس، واستخدم الباحث المنهج الوصفي بالطريقة المسحية، وتكونت عينة الدراسة من (١٣٢) لاعباً ولاعبة من لاعبي التنس، وقد أسفرت النتائج عما يأتي:

- توجد اختلافات في خصائص الشخصية بين المجموعتين حيث تميزت مجموعة لاعبي التنس بأنها أفضل في سمات قوة الشكيمة، والتصميم، والأداء.
- حققت مجموعة غير الممارسين للرياضة درجة أعلى في سمات ارتفاع درجة الإثارة الانفعالية، والقابلية للإحباط.

١٣. دراسة كودمان (Kodman ١٩٨٤) **بعنوان**:

(بعض السمات الشخصية لطلاب الجامعة المتفوقين).

هدفت الدراسة إلى معرفة بعض السمات الشخصية لطلبة الجامعة المتفوقين، وقد أجريت الدراسة على عينة من (١٠٠) طالب من طلاب الجامعة المتفوقين، واستخدم الباحث مقياس الشخصية المتعدد الأوجه (المينيسونا). وتبين أن الطلبة المتفوقين يختلفون عن غير المتوقين في العديد من سمات الشخصية كالذكاء والاتزان الانفعالي، كما أنه توجد سمات شخصية مرتبطة بالانجازات الأكاديمية العالية كالطموح.

التعليق على الدراسات السابقة:

في ضوء استعراض الدراسات السابقة العربية والأجنبية يمكن الإشارة إلى النقاط الآتية:

١. اهتم عدد من هذه الدراسات بدراسة السمات لنوع النشاط الرياضي المختار، أو التعرف على تأثير هذه السمات على بعض المتغيرات مثل الأنماط الجسمية أو نتائج المباريات.

٢. تعدد البيئات التي أجريت فيها الدراسات فمنها العربية والأجنبية.

٣. معظم الدراسات حديثة حيث أجريت في أثناء التسعينيات وما بعدها، عدا دراستين في الثمانينيات.

وقد استفاد الباحث من الدراسات السابقة في:

١. تحديد مشكلة الدراسة.

٢. صياغة تساؤل الدراسة.

٣. تحديد مفاهيم الدراسة.

٤. تحديد المعالجات الإحصائية.

٥. يمكن أن تساعد نتائج هذه الدراسات في تفسير نتائج الدراسة الحالية والاسترشاد بها في مناقشة هذه النتائج.

وتتشابه الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في:

١. تناولها لظاهرة السمات الشخصية للاعبين.

٢. استخدام المنهج الوصفي كمنهج للدراسة.

فيما تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أن الموضوع الذي تناولته الدراسة لم تتناوله الدراسات السابقة من حيث أداة البحث وهي قائمة فرايبورج للشخصية، والانشطة الرياضية.

الطريقة والإجراءات:

- **منهج الدراسة**:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي بالصورة المسحية لملائمته لطبيعة هذه الدراسة.

- **مجتمع الدراسة وعينتها**:

تكون مجتمع الدراسة من ١٤ لاعبا من لاعبي المنتخب الفلسطيني الأول للكرة الطائرة في فلسطين، شملتهم الدراسة جميعهم، وبذلك كانت عينة الدراسة شاملة لمجتمعها.

- **أداة جمع البيانات**:

قائمة فرايبورج للشخصية التي وضعها في الأصل جوكن فارنبرج وهربرت سيلج وراينز هامبل وأعد صورتها العربية محمد حسن علاوي (١٩٩٨). وتتكون القائمة من ثمانية أبعاد وتتضمن ٥٦ عبارة، والأبعاد التي تقيسها القائمة هي: العصبية (٧)، العدوانية (٧)، الاكتئاب(٧)، القابلية للاستثارة(٧)، الاجتماعية(٧)، الهدوء (٧)، السيطرة (٧)، الكف والضبط (٧) (علاوي، ١٩٩٨: ٧٨ – ٨٧).

وقد حسب جابر (٢٠٠٧) صدق المقياس في البيئة الفلسطينية بصدق المحكمين وبالاتساق الداخلي، كما حسب ثباته بالطرق الآتية: معامل كرونباخ ألفا، وبطريقة التجزئة النصفية. وأسفرت نتائج حساب الصدق والثبات أن المقياس يتمتع بصدق وثبات في البيئة الفلسطينية.

وفي الدراسة الحالية حسبت الباحث صدق المقياس وثباته على النحو الآتي:

- صدق المحكمين:

عرض المقياس على خمسة من أعضاء هيئة التدريس في قسم التربية الرياضية في جامعة الأقصى، واتفق على صلاحية المقياس للبيئة الفلسطينية.

- صدق الاتساق الداخلي:

تحقق الباحث من تمتع المقياس بالاتساق الداخلي، وذلك بحساب معامل ارتباط بيرسون بين درجة كل مجال والدرجة الكلية للمجالات، وكانت معاملات الارتباط جميعها دالة عند مستوى (٠,٠١، ٠,٠٥).

الجدول (١)

حُسب من خلال حساب معامل ارتباط بيرسون بين المجالات والمقياس ككل

م	ا جال	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
١	العصبية	٠,٥٧٧	٠,٠٥
٢	العدوانية	٠,٧٤٥	٠,٠١
٣	الاكتئابية	٠,٦١٨	٠,٠٥
٤	القابلية للاستثارة	٠,٥٥٣	٠,٠٥
٥	الاجتماعية	٠,٧٧٩	٠,٠١
٦	ا دوء	٠,٥٧٦	٠,٠٥
٧	السيطرة	٠,٥٥٣	٠,٠٥
٨	الضبط	٠,٨٦١	٠,٠١

يتضح من الجدول السابق أن جميع فقرات المقياس ترتبط بالدرجة الكلية للمقياس ارتباطا ذا دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١ – ٠,٠٥)، وهذا يؤكد أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الاتساق الداخلي.

• ثبات المقياس:

تم تقدير ثبات المقياس على أفراد العينة، وذلك باستخدام طريقتي معامل ألفا كرونباخ والتجزئة النصفية:

أولا: طريـــقة ألفا كرونباخ:

الجدول (٢)

حُسب من خلال حساب طريقة ألفا كرونباخ لكل مجال من مجالات المقياس والمجالات مجتمعة

م	ا جال	قيمة ألفا كرونباخ	رقم ا جال
١	العصبية	٠,٧٥	١
٢	العدوانية	٠,٧٨	٢
٣	الاكتئابية	٠,٧٦	٣
٤	القابلية للاستثارة	٠,٨٤	٤
٥	الاجتماعية	٠,٧٨	٥
٦	ا دوء	٠,٨٦	٦
٧	السيطرة	٠,٨٨	٧
٨	الضبط	٠,٧٢	٨
	ا قياس ككل	٠,٨٩	

استخدم الباحث طريقة كرونباخ الفا، وذلك لإيجاد معامل ثبات المقياس، حيث حصلت على قيمة معامل ألفا (٠,٨٩)، وهذا يدل على أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الثبات تطمئن الباحث إلى تطبيقها على عينة الدراسة.

ثانيا: طريـــقة التجزئة النصفية:

كما استخدم الباحث طريقة التجزئة النصفية لحساب معامل ثبات المقياس، وقد ظهرت النتائج كما يعبر الجدول (٣).

الجدول (٣)

حُسب من خلال حساب طريقة التجزئة النصفية بين كل مجال والمجالات مجتمعة

م	ا جال	قيمة ألفا كرونباخ
١	العصبية	٠,٨٤
٢	العدوانية	٠,٧٦
٣	الاكتئابية	٠,٧٤
٤	القابلية للاستثارة	٠,٨٠
٥	الاجتماعية	٠,٨٣
٦	ا دوء	٠,٧٧
٧	السيطرة	٠,٧٩
٨	الضبط	٠,٨٢
ا قياس ككل		٠,٩١

يتبين من الجدول (٣) أن معامل ثبات المقياس ككل بلغ (٩١)، ويعتبر من تعاملات الثبات المرتفعة

طرق استخراج النتائج:

١. قام الباحث بتطبيق أدوات الدراسة بنفسه على أفراد العينة بهدف توضيح الغرض من البحث، وأكّد لهم أنه ليس اختبارا، وإنما مجرد محاولة لخدمتهم وخدمة زملائهم من اللاعبين، وأنه لغايات البحث العلمي، ولن تستخدم إجاباتهم إلا لذلك، ولهذا طلب منهم عدم كتابة أسمائهم على الاختبار، عندها شعر المفحوصين بالطمأنينسة وشارك كل منهم يقناعة ورغبة.

٢. بعد توزيع الاستبيانات على أفراد عينة الدراسة، طلب الباحث من أفراد العينة عدم البدء قبل انتهاء التوزيع، والاستماع إلى التعليمات المتعلقة بخطوات وكيفية الإجابة على الاختبار، من خلال تقديم أمثلة للإجابة الصحيحة، وتعلمهم الأسلوب الصحيح للتأشير على كل عبارة.

٣. الرد على استفسارات أفراد العينة إذا طلب ذلك، وحثهم على قراءة كل عبارة بدقة وتمعن، وأن يجيبوا عليها بكل صدق وجدية واهتمام.

٤. الحرص والتأكد من إجابة كل فرد من أفراد العينة على كل عبارة من عبارات الاستبانات، وذلك بالمراجعة السريعة وقت تسليم الاستبانة.

٥. إعادة الاختبار الذي ترك صاحبه الإجابة عن أي عبارة من عباراته، للإجابة عليها مرة أخرى عند التسليم.

٦. إعطاء الوقت الكافي لأفراد العينة للإجابة على أداة الدراسة.

٧. رُقمت الاستبانات ورُمزت، ثم فُرِّغت البيانات حسب الأصول وعُولجت إحصائيا، من خلال جهاز الحاسوب باستنخدام برنامج SPSS، برنامج الرزم الاحصائية للعلوم الاجتماعية للحصول على نتائج الدراسة.

الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

١. المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والانحراف المعياري

٢. لإيجاد صدق الاتساق الداخلي للمقياس، استخدم معامل ارتباط بيرسون.

٣. لإيجاد معامل ثبات المقياس استخدم معامل ارتباط سبيرمان براون للتجزئة النصفية المتساوية، ومعامل كرونباخ ألفا.

عرض النتائج ومناقشتها:

بناء على النتائج التي أسفرت عن تطبيق مقياس الدوافع على عينة البحث، وفي ضوء أهداف البحث سوف يناقش الباحث النتائج التي توصل إليها وفقا لما يأتي:

النتائج المتعلقة بالتساؤل الرئيس:

مامستويات السمات الشخصية المميزة للاعبي المنتخب الفلسطيني الأول للكرة الطائرة؟

للإجابة عن السؤال استخدمت مجموع الدرجات والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لكل فقرة ولكل مجال من مجالات مقياس الدوافع.

المجــال الأول: العصبيــــة:

الجدول (٤)
يوضح مجموع الاستجابات والمتوسطات والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لمحـــور العصبية

م	الفقرة	موع الاستجابات	متوسط الاستجابات	الا راف ا عياري	الوزن النس	الترتيب
٣	أحيان تسرع دقات قل أو تدق دقات غ منظمة بدون بذل هود عنيف	٢٠	١,٤٢٩	٠,٥١٤	٠,٧١٤	٣
٤	أشعر أحيانا أن دقات قل تصل إ رقب دون أن أعمل عملا شاقا	١٧	١,٢١٤	٠,٤٢٦	٠,٦٠٧	٥
١٥	أشعر أحيان بضيق التنفس أو بضيق الصدر	١٩	١,٣٥٧	٠,٤٩٧	٠,٦٧٩	٤
١٨	معد حساسة (أشعر بأ أو ضغط أو انتفاخ معد)	٢٠	١,٤٢٩	٠,٥١٤	٠,٧١٤	٣
٢٣	أشعر كث بانتفاخ بط كما لو كانت لموءة بالغازات	٢٠	١,٤٢٩	٠,٥١٤	٠,٧١٤	٣
٣٨	أجد صعوبة اولة النوم	٢٢	١,٥٧١	٠,٥١٤	٠,٧٨٦	٢
٥٤	غالب ما أشعر بالإ اك والتعب والتوتر	٢٣	١,٦٤٣	٠,٤٩٧	٠,٨٢١	١
	ا جموع	١٤١	١,٤٥	٠,٤٩٦	٠,٧١٩	

يتضح من الجدول (٤) الاستجابات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة الدراسة على كل فقرة من فقرات المجال الأول وعلى متوسط فقراته، وقد تبين أن متوسط الفقرات قد تراوح بين (١,٢١٤ – ١,٦٤٣).

كما يتضح من الجدول أن الفقرة «غالباً ما أشعر بالإنهاك والتعب والتوتر» قد احتلت المرتبة الأولى حيث كان متوسطها (١,٦٤٣) ووزنها النسبي (٠,٨٢١)، تلا ذلك وفي المرتبة الثانية الفقرة «أجد صعوبة في محاولة النوم» حيث كان متوسطها (١,٥٧١) ووزنها النسبي (٠,٧٨٦)، ثم جاءت «معدتي حساسة (أشعر بألم أو ضغط أو انتفاخ معدتي)»،و «أشعر كثيراً بانتفاخ في بطني كما لو كانت مملوءة بالغازات،وأحياناً تسرع دقات قلبي أو تدق دقات غير منظمة بدون بذل مجهود عنيف» حيث كان متوسطها (١,٤٢٩) ووزنها النسبي (٠,٧١٤) في المرتبة الثالثة، تلا ذلك بالمرتبة الرابعة «أشعر أحياناً بضيق في التنفس، أو بضيق في الصدر» حيث كان متوسطها (١,٣٥٧) ووزنها النسبي (٠,٦٧٩)، وأخيرا جاءت الفقرة «أشعر أحيانا أن دقات قلبي تصل إلى رقبتي دون أن أعمل عملا شاقا» احتلت المرتبة الخامسة والأخيرة حيث كان متوسطها (١,٢١٤) ووزنها النسبي (٠,٦٠٧).

وعرَّف أبو ناهية (٢٠٠٠) العصابية «يوصف الشخص العصابي بأنه متلهف قلق كئيب محبط غالبا ومتقلب، ويعاني أحيانا من اضطرابات سيكوباتية، وشديد الانفعال يستجيب للإثارة، ولا يعود لطبيعته بسرعة، وغالبا ما يكون حساساً خاصة إذا وجد في موقف محرج، وقد يصبح هائجاً وعدوانياً أحياناً، فينشغل بالأشياء التي قد يؤديها بشكل خاطئ، ويكون فعله شرساً ومتسما بالقلق تجاه هذه الأفكار. ويشبه بُعد العصابية فكرة عدم الاتزان الانفعالي، فالأفراد الذين يقعون عند طرف بعد العصابية يميلون إلى التعرض للقلق ويسهل استثارتهم، ويحتمل أن يشكوا من الصداع والأرق وفقدان الشهية، وعلى الرغم من أنه يزداد احتمال تعرضهم للاضطرابات العصابية في ظل الظروف الضاغطة المتكررة، فإن معظم الأفراد لا يواجهون إلا مشكلات قليلة، ويؤدون عملهم على نحو سليم، ويقومون بدورهم الأسري والمجتمعي على نحو مناسب (جابر، ١٩٨٦: ٣٣٤).

المجال الثاني: العدوانيـــة:

الجدول (٥)

يوضح مجموع الاستجابات والمتوسطات والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لمحـــور العدوانية

م	الفقرة	موع الاستجابات	متوسط الاستجابات	الا راف ا عياري	الوزن النس	الترتيب
٧	أحيان أجد متعة كب ة مضايقة أو معاكسة الآخرين	٢٠	١,٤٢٩	٠,٥١٤	٠,٧١٤	٢
١٠	سبق الفيام بأداء بعض الأشياء ا طرة بغرض التسلية أو ا زاح	٢١	١,٥٠٠	٠,٥١٩	٠,٧٥٠	١
٢٦	يسعد إظهار أخطاء الآخرين	١٨	١,٢٨٦	٠,٤٦٩	٠,٦٤٣	٤
٢٧	يدور ذه غالب عندما أكون وسط اعة كب ة أن أحدث مشاجرة ولا أستطيع مقاومة هذا التفك	٢٠	١,٤٢٩	٠,٥١٤	٠,٧١٤	٢
٤١	أحب أن أعمل الناس بعض ا قالب غ ا ؤذية	٢١	١,٥٠٠	٠,٥١٩	٠,٧٥٠	١
٤٤	أحب التكتيك على الآخرين	١٩	١,٣٥٧	٠,٤٩٧	٠,٦٧٩	٣
٤٩	أفرح أحيان عند أصابه بعض من أحبهم	١٧	١,٢١٤	٠,٤٢٦	٠,٦٠٧	٥
	ا جموع	١٣٦	١,٣٩٥	٠,٤٩٤	٠,٦٩٤	

يتضح من الجدول (٥) الاستجابات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة الدراسة على كل فقرة من فقرات المجال الأول وعلى متوسط فقراته، وقد تبين أن متوسط الفقرات قد تراوح بين (١,٢١٤ – ١,٥٠٠).

يتضح من الجدول (٥) أن الفقرتين «سبق لي القيام بأداء بعض الأشياء الخطرة بغرض التسلية أو المزاح»، و «أحب أن أعمل في الناس بعض المقالب غير المؤذية» احتلتا المرتبة الأولى، حيث كان متوسطهما (١,٥٠٠) ووزنهما النسبي (٠,٧٥٠)، تلا ذلك وفي المرتبة الثانية الفقرتان «يدور في ذهني غالباً عندما أكون في وسط جماعة كبيرة أن أحدث مشاجرة، ولا أستطيع مقاومة هذا التفكير»،و «أحياناً أجد متعة كبيرة في مضايقة أو معاكسة الآخرين»، حيث كان متوسطهما (١,٤٢٩) ووزنهما النسبي (٠,٧١٤)، ثم جاءت «أحب التكتيك على الآخرين» في المرتبة الثالثة حيث كان متوسطها (١,٣٥٧) ووزنها النسبي (٠,٦٠٧)، تلا ذلك بالمرتبة الرابعة «يسعدني إظهار أخطاء الآخرين» حيث كان متوسطها (١,٢٨٦) ووزنها النسبي (٠,٦٤٣)، وأخيرا جاءت الفقرة «أفرح أحياناً عند أصابه بعض من أحبهم» حيث احتلت المرتبة الخامسة والأخيرة، حيث كان متوسطها (١,٢١٤) ووزنها النسبي (٠,٦٠٧).

ويشير فوزي (٢٠٠٦) إلى أن علماء النفس اهتموا بظاهرة العدوان لكونها أصبحت تمثل ظاهرة سلوكية واسعة الانتشار تكاد تشمل جميع الأنشطة الرياضية، فلم يعد العدوان كسلوك ضار قاصراً على فئة معينة من اللاعبين، أو على لاعبي أنشطة معينة دون الأخرى، الأمر الذي جعل العدوان ظاهرة سلوكية في كثير من المحافل الرياضية يفوق التقدم المنشود لكثير من النتائج والمستويات الرياضية (فوزي، ٢٠٠٦: ٣٠١).

ويؤكد علاوي (٢٠٠٤) أن العدوان يعتبر من النتائج المباشرة للصراع النفسي. فالفرد في سعيه لتحقيق هدف من أهدافه قد ينزع إلى العدوان إذا ما قام عائق في سبيل تحقيقه لهذا الهدف. وقد يتخذ العدوان صورة الطرق البدائية كاستعمال القوة البدنية مثلا، أو اتخاذ صورة أخرى في شكل سب أو هجاء أو نميمة. كما قد يكون العدوان مباشرا على الشئ أو الفرد المسبب للصراع، فإذا عجز الفرد عن العدوان المباشر على المصدر الأصلي خوفا من العقاب، تحول بعدوانه نحو فرد أو شئ آخر بينه وبين المصدر الأصلي وجه شبه.

المجــال الثالث:الاكتئابيـــة:

الجدول (٦)

يوضح مجموع الاستجابات والمتوسطات والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لمحــور الاكتئابية

م	الفقرة	موع الاستجابات	متوسط الاستجابات	الا راف ا عياري	الوزن النس	الترتيب
٢١	أفعل أشياء كث ة أندم عليها فيما بعد	٢٢	١,٥٧١	٠,٥١٤	٠,٧٨٦	٤
٢٥	كث ما أفكر أن ا ياة لا مع ا	٢٠	١,٤٢٩	٠,٥١٤	٠,٧١٤	٥
٣٤	أحلم لعدة ليالٍ أشياء أعرف أ ا لن تتحقق	٢٦	١,٨٥٧	٠,٣٦٣	٠,٩٢٩	١
٣٧	غالب ما يدور ذه أفكار غ مهمة تسبب الضيق	٢٤	١,٧١٤	٠,٤٦٩	٠,٨٥٧	٢
٤٠	كث ما يراود التفك حيا ا الية	٣٣	٢,٣٥٧	٢,٨١٨	٠,٧٩١	٣
٥٢	أحيان كث ة أفقد القدرة على التفك	٢٠	١,٤٢٩	٠,٥١٤	٠,٧١٤	٥
٥٥	أحيان يراود التفك بأن لا أصلح لأي شيء	١٨	١,٢٨٦	٠,٤٦٩	٠,٦٤٣	٦
	ا جموع	١٦٣	١,٧٣٠	٠,٨٠٨	٠,٨٣٢	

يتضح من الجدول (٦) الاستجابات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة الدراسة على كل فقرة من فقرات المجال الأول وعلى متوسط فقراته، وقد تبين أن متوسط الفقرات قد تراوح بين (١,٥٧١ – ١,٨٥٧).

يتضح من الجدول (٦) أن الفقرة «أحلم لعدة ليالٍ في أشياء أعمق في تحقيقها» قد احتلت المرتبة الأولى حيث كان متوسطها (١,٨٥٧) ووزنها النسبي (٠,٩٢٩)، تلا ذلك وفي المرتبة الثانية الفقرة «غالباً ما يدور في ذهني أفكار غير مهمة تسبب لي الضيق»، حيث كان متوسطها (١,٧١٤) ووزنها النسبي (٠,٨٥٧)، ثم جاءت الفقرة «كثيراً ما يراودني التفكير في حياتي الحالية» في المرتبة الثالثة حيث كان متوسطها (١,٣٥٧) ووزنها النسبي (٠,٧٩١)، تلا ذلك بالمرتبة الرابعة «أفعل أشياء كثيرة أندم عليها فيما بعد»، حيث كان متوسطها (١٥٧١) ووزنها النسبي (٠,٧٨٦) تلا ذلك وفي المرتبة الخامسة الفقرتان

«كثيراً ما أفكر أن الحياة لا معنى لها»، وفي أحيان كثيرة أفقد القدرة على التفكير» حيث كان متوسطها (١,٤٢٩) ووزنها النسبي (٠,٧١٤)، وأخيرا جاءت الفقرة «أحياناً يراودني التفكير بأنني لا أصلح لأي شيء» احتلت المرتبة السادسة والأخيرة حيث كان متوسطها (١,٢٨٦) ووزنها النسبي (٠,٦٤٣).

ويعدُّ الاكتئاب إحدى المشكلات النفسية التي تؤثر على توافق الفرد اجتماعيا، وتحد من قدراته على أداء دوره في المجتمع (الأنصاري، ١٩٩٨). وينظر إلى الاكتئاب باعتباره اضطرابا انفعاليا يمكن تشخيصه من خلال مجموعة من الأعراض التي تنقسم إلى ثلاثة جوانب: ١) الجوانب الانفعالية كالشعور العميق بالحزن، وقلة الاهتمام بالأمور التي كانت تبعث السرور في السابق. ٢) الجوانب المعرفية المتمثلة في انخفاض تقدير الذات، واضطراب الذاكرة، وتوقع الفشل، وعدم القدرة على التركيز الذهني. ٣) الجوانب الفسيولوجية كاضطراب النوم وضعف الشهية والصداع وكثرة البكاء(Gotib & Hammen، ٢٠٠٢. Rowland، ١٩٩٥). كما أن الاكتئاب يحد من فعالية الأفراد، ويفسد علاقتهم بالآخرين (Ahmadi، ١٩٩٢).

المجـــال الرابع: القابليـــة للاستثارة:

الجدول (٧)

يوضح مجموع الاستجابات والمتوسطات والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لمحـــور القابلية للاستثارة

م	الفقرة	موع الاستجابات	متوسط الاستجابات	الا راف ا عياري	الوزن النس	الترتيب
٥	أفقد السيطرة على أعصا ولك أستطيع التحكم فيها بسرعة أيض	٢٥	١,٧٨٦	٠,٤٢٦	٠,٨٩٣	١
٣١	عندما أغضب أو أثور فأ لا أهتم بذلك	٢١	١,٥٠٠	٠,٥١٩	٠,٧٥٠	٤
٣٣	لا أستطيع غالب التحكم شخصي وغض	٢٥	١,٧٨٦	٠,٤٢٦	٠,٨٩٣	١
٣٦	أنا لسوء ا ظ من الذين يغضبون بسرعة	٢٤	١,٧١٤	٠,٤٦٩	٠,٨٥٧	٢
٣٩	أقول غالب أشياء بدون تفك وأندم عليها فيما بعد	٢١	١,٥٠٠	٠,٥١٩	٠,٧٥٠	٤
٤٦	كث ما استثار بسرعة مع الآخرين	٢١	١,٥٠٠	٠,٥١٩	٠,٧٥٠	٤
٥٣	كث ما أغضب بسرعة من الآخرين	٢٣	١,٦٤٣	٠,٤٩٧	٠,٨٢١	٣
	ا جموع	١٦٠	١,٦٤٢	٠,٤٨٢	٠,٨١٦	

يتضح من الجدول (٧) الاستجابات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة الدراسة على كل فقرة من فقرات المجال الأول، وعلى متوسط فقراته، وقد تبين أن متوسط الفقرات قد تراوح بين (١,٥٠٠ – ١,٧٨٦).

يتضح من الجدول (٧) أن الفقرتين: «أفقد السيطرة على أعصابي ولكني أستطيع التحكم فيها بسرعة أيضاً»، و «لا أستطيع غالباً التحكم في شخصيتي وغضبي» احتلتا المرتبة الأولى، حيث كان متوسطهما (١,٧٨٦) ووزنها النسبي (٠,٨٩٣)، تلا ذلك وفي المرتبة الثانية الفقرة «أنا لسوء الحظ من الذين يغضبون بسرعة» حيث كان متوسطها (١,٧١٤) ووزنها النسبي (٠,٨٥٧) تلا ذلك وفي المرتبة الثالثة الفقرة «كثيراً ما أغضب بسرعة من الآخرين» حيث كان متوسطها (١,٦٤٣) ووزنها النسبي (٠,٨٢١) وجاءت الفقرات «عندما أغضب أو أثور فأنني لا أهتم بذلك»، و «أقول غالباً أشياء بدون تفكير وأندم عليها فيما بعد»، و «كثيراً ما استثار بسرعة مع الآخرين» في المرتبة الرابعة حيث كان متوسطها (١,٦٤٣) ووزنها النسبي (٠,٧٥٠). ويشير راتب (١٩٩٠) إلى أن الاستثارة الانفعالية هي نتاج انفعالات نوعية عديدة.

المجـــال الخامس: الاجتمـــاعية:

الجدول (٨)

يوضح مجموع الاستجابات والمتوسطات والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لمحـــور الاجتماعية

م	الفقرة	موع الاستجابات	متوسط الاستجابات	الا راف ا عياري	الوزن النس	الترتيب
٢	يصعب علي أن أجد ما أقوله عند اولة التعرف على الناس	٢٤	١,٧١٤	٠,٤٦٩	٠,٨٥٧	٢
١٢	أستطيع أن أبعث ا رح بسهولة سهرة لة	٢٤	١,٧١٤	٠,٤٦٩	٠,٨٥٧	٢
١٤	أعت نفسي غ لبق تعاملي مع الآخرين	٢٦	١,٨٥٧	٠,٣٦٣	٠,٩٢٩	١
٢٨	يبدو علي النشاط وا يوية	٢٦	١,٨٥٧	٠,٣٦٣	٠,٩٢٩	١
٤٧	أجد صعوبة كسب الآخرين لصفي	٢٣	١,٦٤٣	٠,٤٩٧	٠,٨٢١	٣
٤٨	أستطيع أن أصف نفسي بأ شخص متكلم	٢٤	١,٧١٤	٠,٤٦٩	٠,٨٥٧	٢
٥١	أميل إ عدم بدء ا ديث مع الآخرين	٢٣	١,٦٤٣	٠,٤٩٦	٠,٨٢١	٣
	ا جموع	١٧٠	١,٧٣٨	٠,٤٤٦	٠,٨٦٧	

يتضح من الجدول (٨) الاستجابات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة الدراسة على كل فقرة من فقرات المجال الأول، وعلى متوسط فقراته، وقد تبين أن متوسط الفقرات قد تراوح بين (١,٦٤٣ – ١,٨٥٧).

يتضح من الجدول (٨) أن الفقرتين «أعتبر نفسي غير لبق في تعاملي مع الآخرين»، و «يبدو علي النشاط والحيوية» احتلتا المرتبة الأولى، ووزنها النسبي حيث كان متوسطهما (١,٨٥٧) ووزنهما النسبي (٠,٩٢٩)، تلا ذلك وفي المرتبة الثانية الفقرات «يصعب علي أن أجد ما أقوله عند محاولة التعرف على الناس»، و «أستطيع أن أبعث المرح بسهولة في سهرة مملة»، و «أستطيع أن أصف نفسي بأنني شخص متكلم»، حيث كان متوسطها (١,٧١٤) ووزنها النسبي (٠,٨٥٧)، وأخيرا جاءت الفقرتان «أجد صعوبة في كسب الآخرين لصفي»، و «أميل إلى عدم بدء الحديث مع الآخرين» احتلتا المرتبة الثالثة والأخيرة حيث كان متوسطها (١,٦٤٣) ووزنها النسبي (٠,٨٢١).

ويذكر محمد علاوي (١٩٩٨) أنه لضمان الوصول إلى مزيد من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية في الفريق الرياضي، ينبغي اختيار اللاعبين المميزين، الذين يستطيعون التفاعل معا بدرجة كبيرة. وفي ضوء ذلك برزت أهمية التعرف على نوعية التفاعلات والعلاقات، وبصفة خاصة التفاعلات والعلاقات الاجتماعية بين اللاعبين في الفريق الرياضي الواحد، وضرورة تقييم هذه التفاعلات بصورة علمية. وهنا يشير فوزي و بدر الدين (٢٠٠١) إلى أهمية قياس العلاقات الاجتماعية بين أعضاء الفريق الرياضي، كعملية هادفة إلى الفهم الموضوعي لطبيعة التفاعل الاجتماعي بينهم، وهذا القياس الذي يظهر مدى التفاعل بين أعضاء الفريق يجب أن يكون الخطوة الأولى من خطورة العمل لتحسين الكفاءة التفاعلية والانتاجية للفريق. وبذلك يتبين أن الرياضة تستهدف النمو الاجتماعي لدى الأفراد، وتزيد من تفاعلهم مع المجتمع الذي يعيشون فيه، كما تهذب ميولهم الأولية وتكسبهم مبادىء ومكانة اجتماعية سامية.

المجـــال السادس: الهـــدوء:

الجدول (٩)
يوضح مجموع الاستجابات والمتوسطات والانحراف المعياري
والوزن النسبي والترتيب لمحـــور الهدوء

م	الفقرة	موع الاستجابات	متوسط الاستجابات	الا راف ا عياري	الوزن النس	الترتيب
١	أنا دائما مزاجي معتدل	٢٤	١,٧١٤	٠,٤٦٩	٠,٨٥٧	٤
٢٠	عندما أصاب أحيان بالفشل فإن ذلك لا يث	١٨	١,٢٨٦	٠,٤٦٩	٠,٦٤٣	٥
٢٩	أنا من الذين يأخذون الأمور ببساطة وبدون تعقيد	٢٥	١,٧٨٦	٠,٤٢٦	٠,٨٩٣	٣
٤٢	أنظر غالب إ ا ستقبل نتهى الثقة	٢٤	١,٧١٤	٠,٤٦٩	٠,٨٥٧	٤
٤٣	عندما تكون كل الأمور ضدي فإن لا أفقد شجاع	٢٥	١,٧٨٦	٠,٤٢٦	٠,٨٩٣	٣
٤٥	عندما أخرج عن شعوري فإن أستطيع غالب دئة نفسي بسرعة	٢٧	١,٩٢٩	٠,٢٦٧	٠,٩٦٤	١
٥٦	عندما أفشل فإن أستطيع طي الفشل بسهولة	٢٦	١,٨٥٧	٠,٣٦٣	٠,٩٢٩	٢
	ا جموع	١٦٩	١,٧٤٦	٠,٤١٢	٠,٨٦٢	

يتضح من الجدول (٩) الاستجابات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة الدراسة على كل فقرة من فقرات المجال الأول وعلى متوسط فقراته، وقد تبين أن متوسط الفقرات قد تراوح بين (١,٢٨٦ – ١,٩٢٩).

يتضح من الجدول (٩) أن الفقرة المتعلقةبـ «عندما أخرج عن شعوري فأنني أستطيع غالباً تهدئة نفسي بسرعة» قد احتلت المرتبة الأولى حيث كان متوسطها (١,٩٦٤) ووزنها النسبي (٠,٩٦٤)، تلا ذلك وفي المرتبة الثانية «عندما أفشل فأنني أستطيع تخطي الفشل بسهولة» حيث كان متوسطها (١,٨٥٧) ووزنها النسبي (٠,٩٢٩)، ثم جاءت الفقرتان «أنا من الذين يأخذون الأمور ببساطة وبدون تعقيد»، و «عندما تكون كل الأمور ضدي فأنني لا أفقد شجاعتي» في المرتبة الثالة، حيث كان متوسطها (١,٧٨٦) ووزنها النسبي (٠,٨٩٣)، تلا ذلك الفقرتان «أنا دائما مزاجي معتدل»، و «أنظر غالباً إلى المستقبل بمنتهى الثقة» بالمرتبة الرابعة حيث كان متوسطها (١,٧١٤) ووزنها النسبي (٠,٨٥٧)، وأخيرا جاءت الفقرة «عندما أصاب أحياناً بالفشل فإن ذلك لا يثيرني» احتلت المرتبة الخامسة والأخيرة حيث كان متوسطها (١,٢٨٦) ووزنها النسبي (٠,٦٤٣).

المجـــال السابع: الســـيطرة:

الجدول (١٠)
يوضح مجموع الاستجابات والمتوسطات والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لمحـــور السيطرة

م	الفقرة	موع الاستجابات	متوسط الاستجابات	الا راف ا عياري	الوزن النس	الترتيب
٩	إذا أخطا البعض حقي فإ أ أن يصيبهم الضرر	١٦	١,١٤٣	٠,٣٦٣	٠,٥٧١	٦
١١	إذا اضطررت لاستخدام القوة البدنية ماية حقي فأ أفعل ذلك	٢١	١,٥٠٠	٠,٥١٩	٠,٧٥٠	٣
١٦	أ يل أحيانا بعض الضرر الذي قد دث نتيجة لبعض الأخطاء ال أرتكبها	١٢	١,٥٠٠	٠,٥١٩	٠,٧٥٠	٣
٢٢	الشخص الذي يث أو يؤذي أ له الضرر	١٨	١,٢٨٦	٠,٤٦٩	٠,٦٤٣	٤
٢٤	عندما يغضب أحد أصدقائي من بعض الناس فإ أدفعه للانتقام منهم	١٧	١,٢١٤	٠,٤٢٦	٠,٦٠٧	٥
٣٠	عندما اول بعضهم إها فإ أحاول أن أ اهل ذلك	٢٢	١,٥٧١	٠,٥١٤	٠,٧٨٦	٢
٥٠	أفضل أن تلحق أصابه بالغة على أن أكون جبانا	٢٤	١,٧١٤	٠,٤٦٩	٠,٨٥٧	١
	ا جموع	١٣٩	١,٣٤٧	٠,٤٦٨	٠,٧٠٩	

يتضح من الجدول (١٠) الاستجابات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة الدراسة على كل فقرة من فقرات المجال الأول وعلى متوسط فقراته، وقد تبين أن متوسط الفقرات قد تراوح بين (١,١٤٣ – ١,٧١٤).

يتضح من الجدول (١٠) أن الفقرة المتعلقة بـ «أفضل أن تلحق بي إصابة بالغة على أن أكون جباناً» قد احتلت المرتبة الأولى حيث كان متوسطها (١,٧١٤) ووزنها النسبي (٠,٨٥٧)، تلا ذلك وفي المرتبة الثانية «عندما يحاول بعضهم إهانتي فإنني أحاول أن أتجاهل ذلك» حيث كان متوسطها (١,٥٧١) ووزنها النسبي (٠,٧٨٦)، ثم جاءت الفقرتان «أنا إذا اضطررت لاستخدام القوة البدنية لحماية حقي فإنني أفعل ذلك»، و«أتخيل أحياناً بعض الضرر الذي قد يحدث نتيجة لبعض الأخطاء التي أرتكبها» في المرتبة الثالثة، حيث كان متوسطها (١,٥٠٠) ووزنها النسبي (٠,٧٥٠)، تلا ذلك الفقرة: «الشخص الذي يثيرني أو يؤذيني أتمنى له الضرر» حيث كان متوسطها (١,٢٨٦) ووزنها النسبي (٠,٦٤٣) بالمرتبة الرابعة، بينما أحتلت الفقرة «عندما يغضب أحد أصدقائي من بعض الناس فإني أدفعه للانتقام منهم» المرتبة الخامسة حيث كان متوسطها (١,٢١٤) ووزنها النسبي (٠,٦٠٧) وأخيرا جاءت الفقرة المتعلقة بـ «إذا أخطا بعضهم في حقي فإنني أتمنى أن يصيبهم الضرر» في المرتبة السادسة والأخيرة حيث كان متوسطها (١,١٤٣) ووزنها النسبي (٠,٥٧١).

ويعرف عنان وباهي (٢٠٠٠) السيطرة بأنها تسيطر وتتحكم في بيئتك الانسانية، وتؤثر في سلوك الآخرين أو توجههم عن طريق الإيحاء، أو الإغراء، أو الإقناع، أو إصدار الأوامر، وتثني الشخص عن شئ أو تقيده أو تمنعه من شئ (عنان وباهي، ٢٠٠٠: ١٠٢).

يؤكد علاوي (٢٠٠٤) أن سمة السيطرة تعتبر من السمات التي تتجه نحو القدرة لتوجيه وقيادة الآخرين من خلال إخضاعهم أو إغرائهم أو إصدار الأوامر إليهم. كما أن الرغبة في السيطرة لا تتأثر فقط برغبة الفرد الرياضي في السيادة على بيئة أو على الآخرين، بل أيضا على الرغبة في سيطرة الفرد على نفسه.

وكذلك يؤكد علاوي (١٩٩٤) أن سمة السيطرة تؤثر في الفرد وتجعله في حاجة إلى القوة التي تتميز بالرغبة في التأثير أو التحكم في الآخرين وعلى بيئة الفرد. وهي تتجه نحو القدرة على توجيه وقيادة الآخرين من خلال إخضاعهم أو إغرائهم أو إصدار الأوامر إليهم.

ومن أهم مظاهر هذه السمة لدى الرياضيين الثقة بالنفس، ومحاولة التأكيد المتطرف للذات (كالتفاخر أو التباهي أو الغرور والزهو)، وكذلك العدوانية (القوة والعنف) والأنانية، والحساسية أو عدم السعادة نحو عدم التقبل الاجتماعي والاتجاه للأساليب العقابية الخارجية.

المجـــال الثامن: الضبط (الكف):

الجدول (١١)

يوضح مجموع الاستجابات والمتوسطات والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لمحـــور الضبط (الكف)

م	الفقرة	موع الاستجابات	متوسط الاستجابات	الا راف ا عياري	الوزن النس	الترتيب
٦	مر أو تقع لو بسهولة	١٨	١,٢٨٦	٠,٤٦٩	٠,٦٤٣	٥
٨	بعض الأحيان لا أحب رؤية بعض الناس الشارع أو مكان عام	٢١	١,٥٠٠	٠,٥١٩	٠,٧٥٠	٣
١٣	أرتبك بسهولة أحيانا	٢٣	١,٦٤٣	٠,٤٩٧	٠,٨٢١	٢
١٧	أخجل من الدخول فردي غرفة لس فيها بعض الناس وهم يتحدثون	٢٠	١,٤٢٩	٠,٥١٤	٠,٧١٤	٤
١٩	يبدو علي ا وف والاضطراب	٢٣	١,٦٤٣	٠,٤٩٧	٠,٨٢١	٢
٣٢	أرتبك بسهولة عندما أكون مع أشخاص مهم أو مع رؤسائي	٢١	١,٥٠٠	٠,٥١٩	٠,٧٥٠	٣
٣٥	يظهر علي الارتباك والتوتر بسهولة عند مواجهة أحداث معينة	٢٥	١,٧٨٦	٠,٤٢٦	٠,٨٩٣	١
	ا جموع	١٥١	١,٥٥٦	٠,٤٩١	٠,٧٧٠	

يتضح من الجدول (١١) الاستجابات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة الدراسة على كل فقرة من فقرات المجال الأول وعلى متوسط فقراته، وقد تبين أن متوسط الفقرات قد تراوح بين (١,٢٨٦ – ١,٧٨٦).

يتضح من الجدول (١١) أن الفقرة المتعلقة بـ «يظهر علي الارتباك والتوتر بسهولة عند مواجهة أحداث معينة» قد احتلت المرتبة الأولى حيث كان متوسطها (١,٧٨٦) ووزنها النسبي (٠,٨٩٣)، تلا ذلك وفي المرتبة الثانية الفقرتان «أرتبك بسهولة أحياناً»، و «يبدو علي الخوف والاضطراب»،حيث كان متوسطهما (١,٦٤٣) ووزنهما النسبي (٠,٨٢١)، ثم

جاءت الفقرتان «في بعض الأحيان لا أحب رؤية بعض الناس في الشارع أو في مكان عام»، و «أرتبك بسهولة عندما أكون مع أشخاص مهمين أو مع رؤسائي» في المرتبة الثالثة، حيث كان متوسطهما (١,٥٠٠) ووزنها النسبي (٠,٧٥٠)، تلا ذلك «أخجل من الدخول بمفردي في غرفة يجلس فيها بعض الناس وهم يتحدثون» بالمرتبة الرابعة حيث كان متوسطها (١,٤٢٩) ووزنها النسبي (٠,٧١٤)، وأخيرا جاءت الفقرة المتعلقة بـ «يحمر أو يمتقع لوني بسهولة» في المرتبة الخامسة والأخيرة حيث كان متوسطها (١,٢٨٦) ووزنها النسبي (٠,٦٤٣).

ويشير فوزي (٢٠٠٦) إلى أن سمة الضبط الانفعالي تعني قدرة الفرد الرياضي على كبح جماح نفسه والسيطرة على سلوكه خلال المواقف التي تتصف بالاستثارة الانفعالية كالفوز أو الهزيمة أو التعب أو عند مواجهة المواقف الصعبة (فوزي، ٢٠٠٦: ٢٠٩).

الجدول (١٢)
يوضح مجموع الاستجابات والمتوسطات والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لمحاور المقياس ككل

م	ا حور	موع الاستجابات	متوسط الاستجابات	الا راف ا عياري	الوزن النس	الترتيب
١	العصبية	١٤١	١٠,٠٧١	٢,٢٣٥	٠,٧١٩	٦
٢	العدوانية	١٣٦	٩,٧١٤	١,٧٢٩	٠,٦٩٤	٨
٣	الاكتئابية	١٦٣	١١,٦٤٣	٣,٢٧٢	٠,٨٣٢	٣
٤	القابلية للاستثارة	١٦٠	١١,٤٢٩	١,٩٨٩	٠,٨١٦	٤
٥	الاجتماعية	١٧٠	١٢,١٤٣	١,٠٩٩	٠,٨٦٧	١
٦	ا دوء	١٦٩	١٢,٠٧١	١,٢٠٧	٠,٨٦٢	٢
٧	السيطرة	١٣٩	٩,٩٢٩	١,٦٨٥	٠,٧٠٩	٧
٨	الضبط (الكف)	١٥١	١٠,٧٨٦	٢,٣٩٢	٠,٧٧٠	٥
	ا جموع	١٢٢٩	٨٧,٧٨٦	٨,٩٠٣	٠,٧٨٤	

يتضح من الجدول رقم (١٢) أن المحور رقم (٥) والمتعلق بـ «بمحور الاجتماعية «احتل المرتبة الأولى بوزن نسبي قدرة (٠,٨٦٧) تلا ذلك المحور رقم (٦) المتعلق بـ «بمحور الهدوء «حيث احتل المرتبة الثانية وبوزن نسبي قدرة (٠,٨٦٢). ثم المحور المتعلق بـ «الاكتئابية» حيث احتل المرتبة الثالثة وبوزن نسبي(٠,٨٣٢) تلا ذلك «محور القابلية للاستثارة» حيث احتل المرتبةالرابعة وبوزن نسبي (٠,٨١٦) ثم جاء محور «الضبط (الكف)» حيت احتل المرتبة الخامسة وبوزن نسبي (٠,٧٧٠) بينما جاء «محور العصبية» في المرتبة السادسة وبوزن نسبي (٠,٧١٩)، تلا ذلك المحور رقم (٧) المتعلق بـ «بمحور السيطرة» حيث احتل المرتبة قبل الأخيرة بوزن نسبي قدره (٠,٧٥٩).ثم جاء المحور رقم (٢) المتعلق بـ «بمحور العدوانية» حيث احتل المرتبة الأخيرة بوزن نسبي قدرة (٠,٦٩٤).

مناقشة النتائج:

يتضح من الجدول (١٢) الذي يشير إلى السمات الشخصية المميزة للاعبي منتخب فلسطين لكرة الطائرة إلى **أن البعد الخامس (الاجتماعية) يمثل أعلى السمات لدى عينة** البحث بوزن نسبي (٠,٨٦٧)، ويعزو الباحث ذلك إلى صغر المجتمع الرياضي الممارس لرياضة كرة الطائرة في فلسطين، مما يتولد عن ذلك سرعة وتنمية العلاقات الاجتماعية بين اللاعبين الممارسين لرياضة كرة الطائرة. وكذلك من أهم السمات التي يتميز بها اللاعب سمة الاجتماعية داخل الملعب، وبالتالي تنتقل إلى خارج الملاعب الرياضية.

وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج العثماني (٢٠٠٦)، وجابر (٢٠٠٧)، ودراسة أحمد (١٩٩٢)، ودراسة الدرعة (١٩٩٧)، ومالك وابراهيم (١٩٩٣) حيث اتفقوا على أن سمة الاجتماعية من السمات التي احتلت المراتب المتقدمة.

ويشير محمد حسن علاوي(١٩٩٨) إلى أن أصحاب الدرجة العالية يتميزون بالقدرة على التفاعل مع الآخرين ومحاولة التقرب للناس وسرعة عقد الصداقات، ولديهم دائرة كبيرة من المعارف، كما يتميزون بالمرح والحيوية والنشاط، ويتسمون بالمجاملة وكثرة التحدث وحضور البديهة.

وتشير بثينة محمد فاضل (١٩٩٠) إلى أن الرياضة تعتبر من أهم الوسائل وأجداها لتحقيق النضج الاجتماعي وإشاعة روح الجماعة بين الأفراد، وذلك لما تتيحه مجالاتها العريضة الواسعة من فرص اللقاء والتعارف والأخذ والعطاء، وما تضيفه أنظمتها من أسس ومبادىء اجتماعية كالعمل للصالح العام واحترام الآخرين، وضرورة التحكم في الانفعالات في المواقف المشحونة بالإثارة، كما يحدث في أثناء النشاط الرياضي.

كما أن ميادين الرياضة لم تهمل النواحي الذاتية في الفرد، بل عملت على إعداده فرديا واجتماعيا في آن واحد، فقسمت له ميادين الألعاب إلى فردية تنمي الاحترام والشجاعة والاعتماد على النفس وتحمل المسئولية، وألعاب جماعية يتدرب خلالها على التخطيط التعاوني وتنفيذ الخطة معا. فتقوى بذلك روح التعاون والعمل من أجل النهوض بالمجتمع وزيادة تماسك بنيانه (فاضل، ١٩٩١: ٨٩،٩٠). أما عبد المقصود (١٩٨١) فترى أن للرياضة وظائف اجتماعية متعددة.

هذا ويرى كل من عبد الحفيظ و باهي (٢٠٠١) أن المدرب الرياضي يؤدي دوراً مهماً في بناء الفريق، فعلى سبيل المثال قد يلاحظ مدرب رياضي في نشاط ما أن أعضاء فريقه غير منسجمين، والأعضاء الجدد لم يتعرفوا بعد على زملائهم في الفريق، كذلك لا توجد صداقات قوية وحميمة بين الأعضاء في هذه الحالة يستطيع المدرب تطويرمفهوم الفريق، حيث يقوم بوضع خطة لتقوية العلاقات الاجتماعية بين الأعضاء مثل القيام ببعض الرحلات وتنظيم المسابقات الاجتماعية، وإقامة مباريات رياضية، كذلك تشجيع أعضاء الفريق على إجراء مقابلات شخصية مع بعضهم بعضاً، والتعاون وتبادل المعرفة، وأيضا تشجيعهم على أن يظهروا لباقي أعضاء الفريق مباشرة ما تعلموه. وبهذه الطريقة يستطيع المدرب المساهمة في نمو الوعي الاجتماعي والاتصالات والاعتماد المتبادل بين أعضاء الفريق مما يساهم في مساعدتهم على مواجهة الضغوط التي يواجهونها في أثناء المنافسة، فاللاعب يمكن أن يحصل على الأمن النفسي عن طريق معرفةأن أعضاء الفريق سوف يتفهمون استجابته للموقف.

وجاء الهدوء في المرتبة الثانية بوزن نسبي قدره (٠,٨٦٢)، ويعزو الباحث ذلك إلى ثقة لاعبي المنتخب الفلسطيني الأول بأنفسهم، وكذلك يعتبر الهدوء من السمات المميزة التي يتميز بها لاعبو الكرة الطائرة. وهو يتفق مع ما توصلت إليه نتائج دراسة كل من الدرعة (١٩٩٧)، ونتائج دراسة مالك وإبراهيم (١٩٩٣)، وكذلك مع نتائج دراسة جات و ماك (Mc & Gat، ١٩٩٨)، ونتائج دراسة شين (Chen، ١٩٨٨، وجابر (٢٠٠٧) حيث اتفقوا على أهمية سمة الهدوء للاعبين لتركيز انتباههم نحو المنافسة.

ولا تتفق النتائج الحالية مع نتائج دراسة أحمد (١٩٩٢) ودراسة ديانو (١٩٨٥) حيث احتل الهدوء المراكز المتقدمة في الدراستين، وذلك يرجع إلى نوع الرياضة الممارسة. ويعتبر الهدوء تعبيراً عن شخصية قوية ومتماسكة في المجال الرياضي عامةً وكرة الطائرة خاصةً.

ويشير محمد حسن علاوي (١٩٩٨) إلى أن أصحاب الدرجة العالية يصفون أنفسهم بالثقة بالنفس، وعدم الارتباك أو تشتت الفكر والهدوء وصعوبة الاستثارة، واعتدال المزاج والتفاؤل والبعد عن السلوك العدواني والدأب على العمل.

وجاء محور الاكتئابية في المرتبة الثالثة بوزن نسبي قدره (٠,٨٣٢)، ويعزو الباحث ذلك إلى عدم مشاركتهم في معظم البطولات العربية والآسيوية والإقليمية. وكذلك لعدم تحقيقهم نتائج متقدمة في البطولات التي شاركوا فيها. حيث تولد عن كل ذلك زيادة سمة الاكتئابية لدى اللاعبين. وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج كل من: أحمد (١٩٩٢) و دريانو (١٩٨٥). ولا تتفق مع نتائج دراسة وليم نيمان (١٩٨٧)، ودراسة مالك وإبراهيم (١٩٩٣)، و دراسة سوليفان (١٩٩٨)، ودراسة اللامي (٢٠٠٥) حيث أكدوا على عدم تحلي اللاعبين بسمة الاكتئابية في المنافسات الرياضية.

ويشير محمد حسن علاوي(١٩٩٨) إلى أن الدرجة العالية على هذا البعد، تميز الأفراد الذين يتسمون بالاكتئاب والتذبذب المزاجي والتشاؤم والشعور بالتعاسة، وعدم الرضا والخوف والإحساس بمخاوف غير محددة والوحدة وعدم فهم الآخرين لهم، وعدم القدرة على التركيز، والميل للعدوان على الذات والإحساس بالذنب.

و يؤكد المطيري (٢٠٠٥) أن الشخص المكتئب لا يستطيع أن يستمتع بالأنشطة التي يستمتع بها الآخرون، إضافة إلى أنه يعاني من اضطرابات النوم، وشعور بالحزن، ورغبة في البكاء وعدم الرغبة في مزاولة أي نشاط، والميل للعزلة عن المحيط الاجتماعي. كما أن الافراد المصابين بالاكتئاب يعانون من اضطرابات نفس حركية ونقص في الحيوية، وتسيطر عليهم الافكار السوداوية وهم معرَّضون أكثر من غيرهم للإصابة بأمراض القلب لأسباب عدة (Barefoot & Schroll، ١٩٩٦. Zindel et al، ١٩٩٨. Gilbert W. Binford، ١٩٩٧).

– وجاء محور القابلية للاستثارة في المرتبة الرابعة بوزن نسبي قدره (٠,٨١٦) ويعزو الباحث ذلك إلى ضعف الاهتمام بهم من قبل الاتحاد الفلسطيني للكرة الطائرة، واللجنة الأولمبية الفلسطينية، ووزارة الشباب والرياضية. إضافة إلى ضعف الإمكانات الرياضية المتوافرة لديهم. وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج كل من ديانو (١٩٨٥) واللامي (٢٠٠٥) ودراسة أحمد (١٩٩٢)، حيث اتفقوا على أن قابلية اللاعبين للاستثارة. ولا تتفق النتائج الحالية مع نتائج دراسة كودمان (١٩٨٤) ودراسة وليم نيمان (١٩٨٧) و دراسة شين (١٩٨٨) ودراسة مالك وإبراهيم (١٩٩٣) ودراسة جات ومات (١٩٩٨)، حيث أكدوا على تحلي اللاعبين بعدم الاستثارة في المنافسات الرياضية.

يؤكد راتب (١٩٩٠) إلى أن الاستثارة الانفعالية عبارة عن كمية الانفعالات التي يمتلكها الرياضي للمنافسة، أو عند أدائة الرياضي.

ويشير محمد حسن علاوي (١٩٩٨) إلى أن الدرجة العالية على هذا البعد تميز الأفراد الذين يتسمون بالاكتئاب والتذبذب المزاجي والتشاؤم والشعور بالتعاسة، وعدم الرضا والخوف والإحساس بمخاوف غير محددة والوحدة، وعدم فهم الآخرين لهم، وعدم القدرة على التركيز، والميل للعدوان على الذات والإحساس بالذنب.

ويتمثل الدور الرئيس الإيجابي للاستثارة الانفعالية في إمداد اللاعب بالطاقة الضرورية للأداء، حيث من المتوقع –بصفة عامة– أن اللاعب الذي يشعر بقدر كبير من الإثارة الانفعالية يكون لديه قدر كبير من الطاقة، يمكن إخراجها أثناء الأداء أو في المنافسة (راتب، ١٩٩٠: ٩٢).

– وجاء محور الضبط (الكف) في المرتبة الخامسة بوزن نسبي قدره (٠,٧٧٠) ويعزو الباحث ذلك إلى تأقلم لاعبي المنتخب الفلسطيني الأول للكرة الطائرة مع الصعوبات والعراقيل الداخلية والخارجية.

وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج كل من جابر (٢٠٠٧) ودراسة الدرعة (١٩٩٧)، حيث أتفقوا على أهمية الضبط للاعبين.

ولا تتفق النتائج الحالية مع نتائج دراسة كودمان (١٩٨٤) ودراسة وليم نيمان (١٩٨٧) و دراسة شين (١٩٨٨) ودراسة مالك وإبراهيم (١٩٩٣) ودراسة جات ومات (١٩٩٨) حيث أكدوا على تحلي اللاعبين بعدم الاستثارة في المنافسات الرياضية.

ويشير محمد حسن علاوي (١٩٩٨) إلى أن أصحاب الدرجة المنخفضة يتميزون بالقدرة على التفاعل والتعامل مع الآخرين، وعدم الارتباك والثقة بالنفس، وتظهر عليهم الأعراض الجسمية عند الاضطراب بصوره غير واضحة، وأنهم قادرون على التحدث والمخاطبة.

– وجاءت العصبية في المرتبة السادسة بوزن نسبي قدره (٠,٧١٩) ويعزو الباحث ذلك إلى عدم وجود ضغوط تنافسية. وعدم انتظام تدريبات المنتخب الفلسطيني الأول للكرة الطائرة. وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج كل من العثماني (٢٠٠٦) وجابر (٢٠٠٧) ودراسة أحمد (١٩٩٢)، حيث اتفقوا على أن سمة الاجتماعية من السمات التي احتلت المراتب المتقدمة.

ولا تتفق النتائج الحالية مع نتائج دراسة كودمان (١٩٨٤) ودراسة وليم نيمان (١٩٨٧) و دراسة شين (١٩٨٨) ودراسة مالك وابراهيم (١٩٩٣) ودراسة جات ومات (١٩٩٨) و دراسة شين (١٩٨٨) ودراسة سوليفان (١٩٩٨) ودراسة الدرعة (١٩٩٧).

ويشعر اللاعب بالعصبية بصفة عامة، ويراوده الشعور بالاهتياج والنرفزة الشديدتين، ويحدث ذلك في أي مكان، ويكون ملحوظا وواضحا (راتب، ١٩٩٠: ٢٢٧).

ويشير محمد حسن علاوي (١٩٩٨) إلى أن الدرجه المنخفضه على هذا البعد تميز الأفراد الذين يتسمون بقلة الاضطرابات الجسميه والاضطرابات العامه النفسجسمية، وبعدم وضوح المظاهر العصبية والجسمية للاستثارة الانفعالية.

وتشير الدرجات العليا على بعد العصبية إلى عدم الثبات الانفعالي والتقلب، وزيادة الأوجاع الانفعالية، ويميل الأشخاص الذين يحصلون على درجات مرتفعة على هذا البعد إلى أن تكون استجاباتهم الانفعالية مبالغا فيها، كما أن لديهم صعوبة في العودة إلى الحاجة السوية بعد مرورهم بالخبرات الانفعالية (عبد الخالق، ٢٠٠٢: ٧٢).

– **وجاء محور السيطرة في المرتبه السابعة** بوزن نسبي قدره (٠,٧٠٩)، ويعزو الباحث ذلك إلى عدم احترافية اللاعبين الفلسطينيين. وعدم السيطرة على أنفسهم في بعض الحالات الناتجة عن الضغوط التي يعيشها الشعب الفلسطيني. وهناك بعض الدراسات التي أشارت إلى أن سمة السيطرة من السمات الواضحة لدى الرياضيين. ومن هذه الدراسات، دراسة بوث Booth ١٩٥٦، و سنجر Singer ١٩٦٩. وفي معظم هذه الدراسات تم التوصل إلى أن الرياضيين يتسمون بسمة السيطرة في مواقف حياتهم، كما يظهرون هذه السمة في مواقف التحصيل الرياضي. وعامل السيطرة مركب عريض يشير بصفة عامة إلى: إثبات الذات، والقوة والعنف والعدوان التنافسي.

ويشير محمد حسن علاوي (١٩٩٨) إلى أن أصحاب الدرجه المنخفضة يتميزون بالاعتدالية، واحترام الآخرين، والاتجاه لرفض استخدام أسلوب العنف والعدوانية، والميل للثقة، بالآخرين. ولايعشقون السلطة ولايحاولون السعي لفرض اتجاهاتهم على الآخرين.

ويؤكد علاوي (٢٠٠٤) أن هذه السمة من بين السمات الواضحة لدى اللاعبين والرياضيين في مواقف حياتهم وكذلك في المواقف الرياضية. وتتكون هذه السمة من مركب عريض يشير بصفة عامة إلى: إثبات الذات والقوة والعنف والعدوان الوسيلي، ومحاولة التأثير أو التحكم في الآخرين أو في بيئة الفرد. كما تظهر هذه السمة لدى الرياضيين في الثقة بالنفس، أو التطرف في تأكيد للذات (كالتفاخر والتباهي أو الغرور)، وكذلك القوة والعنف أو الحساسية عند عدم التقبل الاجتماعي.

– **وجاء بُعد العدوانية في المرتبه الثامنة** بوزن نسبي قدره (٠,٦٩٤)، ويعزو الباحث ذلك لعدم وجود احتكاك مباشر مع المنافسين. وهو يتفق مع ما توصلت إليه نتائج دراسة كل من الدرعة (١٩٩٧) ونتائج دراسة مالك وابراهيم (١٩٩٣) و نتائج دراسة العثماني (٢٠٠٦) ونتائج دراسة جابر (٢٠٠٧) ونتائج دراسة اللامي (٢٠٠٥) ونتائج دراسة حسن (١٩٩٣) بأن ممارسة الانشطة الرياضية الجماعية تساعد على التخلص من درجة العدوانية لدى الرياضيين. ولا تتفق النتائج الحالية مع نتائج دراسة أحمد (١٩٩٢) التي أكدت أن سمة العدوانية قد احتلت المرتبة الثانية.

ويشير محمد حسن علاوي (١٩٩٨) إلى أن الدرجة المنخفضه تشير إلى قلة الميل التلقائي للعدوان، والتحكم في الذات، والسلوك المعتدل الذي قد يتميز بالهدوء الزائد والنضج الانفعالي.

ويشير عبد الله (١٩٨٠) إلى أن سمة العدوان سلاح ذو حدين، حيث يؤكد كان kane في قوله: إن سمة العدوان إذا أدت إلى المكأفات بالفوز في المباراة أو التأييد الاجتماعي للقتال بقوة، فبعد وقت قصير سيصبح اللاعبون أكثر عدوانية. أما إذا كانت نتيجة السلوك العدواني الفشل في الفوز، أو عدم التأييد الاجتماعي، فإن العدوان لن يدعم، وسيصبح أعضاء الفريق لا يقاتلون بقوة في المرة التالية. كما يضيف (كان، kane) أن أداء الشخص العدواني يخفف من طاقة عدوانية مكبوتة تنتج توتراً، وبذلك يجعل الأفراد يشعرون بتحسن، ولهذا فإنه يسهم في الصحة الانفعالية.

هذا ويشير مطاوع (١٩٨١) إلى أن دراسة فلتشر ودويل(Fleticher & Dowell) أوضحت أن بعض لاعبي المستويات الرياضية العالية لا يكونون فقط عدوانيين، ولكنهم يشعرون بحرية التعبير عن نزعاتهم العدوانية أكثر من الأفراد غير الرياضيين.

النتائج والتوصيات:

أولا: نتائج الدراسة:

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة يمكن استنتاج الآتي:

يتضح أن محور الاجتماعية احتل المرتبة الأولى بوزن نسبي (٠,٨٦٧)، تلا ذلك محور الهدوء بوزن نسبي (٠,٨٦٢)، ثم جاء محور الاكتئابية بوزن نسبي (٠,٨٣٢) وفي المرتبة الثالثة، تلا ذلك محور القابلية للاستثارة بالمرتبة الرابعة بوزن نسبي (٠,٨١٦)، ثم محور الضبط (الكف) في المرتبة الخامسة بوزن نسبي (٠,٧٧٠)،، ثم جاء محور العصبية في المرتبة السادسة و بوزن نسبي (٠,٧١٩)، تلا ذلك محور السيطرة بالمرتبة السابعة بوزن نسبي (٠,٧٠٩)، وأخيراً كان محور العدوانية في المرتبة الثامنة والأخيرة بوزن نسبي (٠,٦٩٤).

ثانيا: التوصيات:

في ضوء ما توصل إليه البحث من نتائج فإن الباحث يوصي بالآتي:

١. تنمية السمات الشخصية لدى لاعبي المنتخب الفلسطيني الأول للكرة الطائرة من خلال عقد عقد جلسات توعية نفسية لهم.
٢. ضرورة اهتمام الاتحاد الفلسطيني للكرة الطائرة بعقد دورات تثقيفية في علم النفس الرياضي.
٣. العمل على تعزيز السمات الشخصية لدى لاعبي المنتخب الفلسطيني الأول للكرة الطائرة.

المصادر و المــــراجع:

أولا: المـراجع العربية:

١. العثماني، أحمد، ٢٠٠٦، السمات الشخصية المميزة للرياضيين بدولة فلسطين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنات، جامعة الاسكندرية، الاسكندرية، مصر.

٢. الكناني، ممدوح، شعراوي، علاء (٢٠٠٤). مبادئ علم النفس. القاهرة:مكتبة عين شمس.

٣. أبوالعلا، محمد(١٩٩١). علم النفس.القاهرة:مكتبة عين شمس.

٤. الدريني، حسين (١٩٨٥). المدخل إلى علم النفس.القاهرة.الطبعة الثانية: دار الفكر العربي.

٥. اللامي، عبدا لله وآخرون(٢٠٠٥). السمات الشخصية وعلاقتها بالاحتراق النفسي لدى مدربي كرة القدم، مجلة علوم التربية الرياضية، جامعة بابل، العدد الأول، المجلد الرابع، بغداد، العراق

٦. ابو ناهية، صلاح الدين (٢٠٠٠). قائمة سمات العصابية – الاتزان الانفعالي، كراسة التعليمات.القاهرة: الانجلو المصرية.

٧. الأنصاري، بدر محمد، (١٩٩٨)، الصورة الكويتية لقائمة بيك للاكتئاب، المجلة التربوية، ١٢ (٤٦)، ٧٧ – ١١٢.

٨. المطيري، معصومة (٢٠٠٥). الصحة النفسية: مفهومها واضطراباتها، دار الفلاح للنشر والوزيع، الكويت.

٩. أحمد، عصام (١٩٩٢). بعض سمات الشخصية لدى لاعبي الجودو وعلاقتها بنتائج المباريات، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنيين بالقاهرة، جامعة حلوان.

١٠. جابر، رمزي (٢٠٠٧). حالة ما قبل البداية وعلاقاتها بالسمات الشخصية لدى لاعبي المسافات المتوسطة، مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية، مجاز للنشر، جامعة الأقصى، فلسطين

١١. جابر، عبد الحميد جابر (١٩٨٦). نظريات الشخصية البناء. الديناميات. النمو. طرق البحث. التقويم.القاهرة: دار النهضة العربية.

١٢. حسن، كمال (١٩٩٣). دراسة بعض السمات الشخصية وعلاقتها بفاعلية التصويب لدى لاعبي كرة اليد»، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنين،

جامعة أسيوط.

١٣. رضوان، محمد (٢٠٠٢). الإحصاء الوصفي في علوم التربية البدنية والرياضية. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الفكر العربي.

١٤. راتب،أسامة (١٩٩٠). دوافع التفوق في النشاط الرياضي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

١٥. شاكر فرهود الدرعة(١٩٩٧). دراسة تحليلية لبعض سمات الشخصية للاعبي المنتخب الكويتي لكرة اليد، المجلة العلمية للتربية البدنية والرياضة، العدد الثاني عشر، كلية التربية الرياضية للبنات، جامعة الإسكندرية.

١٦. علاوي، محمد، راتب، أسامة(١٩٩٩). البحث العلمي في التربية الرياضية وعلم النفس الرياضي. القاهرة: دار الفكر العربي.

١٧. علاوي، حسن (١٩٩٨). موسوعة الاختبارات النفسية. الطبعة الأولى. القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

١٨. علاوي، محمد (١٩٩٤).علم النفس الرياضي. القاهرة. الطبعة التاسعة: دار المعارف

١٩. علاوي، محمد (٢٠٠٤). مدخل في علم النفس الرياضي. القاهرة. الطبعة الرابعة: مركز الكتاب للنشر

٢٠. علاوي، محمد (١٩٩٨). مدخل في علم النفس الرياضي.القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

٢١. علاوي، محمد (٢٠٠٢). علم نفس التدريب والمنافسة الرياضية. القاهرة: دار الفكر العربي.

٢٢. علاوي، محمد (١٩٨٧). سيكلوجية التدريب والمنافسات.القاهرة. الطبعة السادسة:دار المعارف.

٢٣. عيسوي، عبد الرحمن (٢٠٠٢). نظريات الشخصية.الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٤٢. عنان، محمود و باهي، مصطفى(٢٠٠٠). مقدمة في علم النفس الرياضة. الطبعة الأولى.القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

٢٥. عنان، محمود و باهي، مصطفى(٢٠٠١). مقدمة في علم النفس الرياضي. الطبعة الثانية.القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

٢٦. عنان، محمود (١٩٩٥). سيكلوجية التربية والرياضية. القاهرة. الطبعة الأولى: دار الفكر العربي.

٢٧. عبد الحفيظ، إخلاص،باهي، مصطفى(٢٠٠١). الاجتماع الرياضي. الطبعة الثانية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٢٨. عبد الخالق، محمد (٢٠٠٠). قياس الشخصية. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

٢٩. عبد المقصود، فاطمة (١٩٨١). اثر ممارسة الأنشطة الرياضية على التدريب القيمي لدى طلبة وطالبات كلية التربية الرياضية بالقاهرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنين بالقاهرة، جامعة حلوان.

٣٠. عبد الله، محمد (١٩٨٠). دراسة بعض القدرات العقلية وسمات الشخصية للاعبي المبارازة الناشئين والدرجة الأولى وعلاقتها بنتائج المباريات، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنيين بالإسكندرية، جامعة حلوان.

١٣. فرج، محمد (١٩٨٠). البناء الاجتماعي والشخصية. الاسكندرية: الهيئة المصرية للكتاب.

٢٣. فوزي، أمين (٢٠٠٣). مبادئ علم النفس الرياضي» المفاهيم. التطبيقات». الاسكندرية: دار الفكر العربي.

٣٣. فوزي، أمين (٢٠٠٦). مبادئ علم النفس الرياضي. الطبعة الثانية: دار الفكر العربي.

٤٣. فوزي، أمين، بدر الدين، طارق(٢٠٠١). سيكولوجية الفريق الرياضي.الطبعة الأولى. القاهرة: دار الفكر العربي.

٣٥. فاضل، بثينة (١٩٩٠). دراسة تأثير الرياضة على النسق القيمي للشخصية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنات، جامعة الاسكندرية.

٣٦. فوزي، أحمد (١٩٨٦). نتائج الفرق الرياضية وعلاقتها بالمكانة الاجتماعية لرؤسائها، مجلة دراسات وبحوث، جامعة حلوان، مصر.

٧٣. مطاوع، علي (١٩٨١). دراسة تحليلة للسمات الشخصية للاعبي المستويات الرياضية العالية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنات بالإسكندرية، جامعة حلوان.

٣٨. موسى، عبد الله (١٩٨٢). دراسات في علم النفس. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

٣٩. مالك، صلاح الدين و عمر إبراهيم (١٩٩٣): السمات الشخصية للاعبي كرة الماء طبقا لنتائج المسابقة، مؤتمر رؤية مستقبلية للتربية البدنية والرياضة في الوطن العربي، كلية التربية الرياضية للبنيين بالقاهرة، جامعة حلوان.

٤٠. نبيلة محمد صالح (١٩٩٧). العوامل المعرفية وسمات الشخصية لمدربي العاب القوى

٤١. بجمهورية مصر العربية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنين بالقاهرة،جامعة حلوان.

ثـــانيا: المـــراجع الأجنبية:

1. *Ahmadi, J. (1992). Biobehavior Therapy and Biobehaviorism: the fu ture of Psychiatry.Second edition, Shiraz, Rahgosha Press.*
2. *Baron A, Robert (1989): psychology The Essential Science , Ellyn Bacon ,Gould street , Need ham , 02194.*
3. *Booth, E.G.(1956): Personality Traits of Athletes as Measured by the MMPI. Res. Quart. 29,.*
4. *Barefoot JC, Schroll M. (1996). Symptoms of depression, acute myocardial infarction, and total mortality in a community sample. Circulation 976-1980.*
5. *Cox H., Richard (1998): Sport psychology, concepts and applications, The Mc Grow-Hill , Companies.*
6. *Chen, H (1988): Apersonality trait analysis of elite athletes of the republic of cgina for the 24 Olympic games in scoul R.O,No.*
7. *Diano. A (1985): personality traits players. Journal of sport medicine and physical fitness. Torsion 30 (8). Jan. pp45-53 Refs:9.*
8. *Diane l. Gill (2000): psychological Dynamics of sport and Exercise. 2 nd ed , Human Kinetics, U.S.A , library of congress-in-publication dada.*
9. *Donald E.F & , Robert J.T (1981): Effective Coaching , psychological Approach, New York, John Wiley & Sons.*
10. *Gat & Me Whrites, (1998): Personality characteristics of competitive and recreational cychists, Journal of sport behavior. (Mobil, Als) 21 (4) Dal, pp 408 – 420 , Refs: 29.*
11. *Gilbert W. Binford (1997) Pastoral care of depression: a guidebook. Haworth Pastrol Press. New York.*
12. *Gotlib H. Ian & Hammen L. constanc. (2002). Handboo; of Depression. Guilford Press. New York.*
13. *Kodman. F., (1984) « Some Personality Traits Of Superior University Students» Social Behavior and Personality , Journal Article (080) Research report 143. P 135-138.*
14. *Rowland, Belinda. (1995).Gale Encyclopedia of Alternative Medicine,v 101*
15. *Sullivan (1998):personality characteristics of male female participation in team sport. Personality and individual differences (Killington) 25 (1) pp-119-128.*
16. *Singer, R.N. (1969): Personality Differences between and within Baseball and Tennis Players. Res. Quart.*
17. *Wilume Nieman, D.C., George D. M. (1987): Personality traits that correlate with saccess in distance running , R.Q. No 380.*
18. *Zindel V. Segal, Jeanne Miranda, and Rick E. Ingram (1998). Cognitive Vulnerability to Depression. Guilford Press. New York.*

المرفقات: ـ أداة الدراسة:

ت	الفقرات	نعم	لا
١.	أنا دائما مزاجي معتدل		
٢.	يصعب علي أن أجد ما أقوله عند محاولة التعرف على الناس		
٣.	أحياناً تسرع دقات قلبي أو تدق دقات غير منظمة بدون بذل مجهود عنيف		
٤.	أشعر أحيانا أن دقات قلبي تصل إلى رقبتي دون أن أعمل عملا شاقا		
٥.	أفقد السيطرة على أعصابي ولكني أستطيع التحكم فيها بسرعة أيضاً		
٦.	يحمر أو يمتقع لوني بسهولة		
٧.	أحياناً أجد متعة كبيرة في مضايقة أو معاكسة الآخرين		
٨.	في بعض الأحيان لا أحب رؤية بعض الناس في الشارع أو في مكان عام		
٩.	إذا أخطأ البعض في حقي فأنني أتمنى أن يصيبهم الضرر		
١٠.	سبق لي القيام بأداء بعض الأشياء الخطرة بغرض التسلية أو المزاح		
١١.	إذا اضطررت لاستخدام القوة البدنية لحماية حقي فأنني أفعل ذلك		
١٢.	أستطيع أن أبعث المرح بسهولة في سهرة مملة		
١٣.	أرتبك بسهولة أحياناً		
١٤.	أعتبر نفسي غير لبق في تعاملي مع الآخرين		
١٥.	أشعر أحياناً بضيق في التنفس أو بصق في الصدر		
١٦.	أتخيل أحياناً بعض الضرر الذي قد يحدث نتيجة لبعض الأخطاء التي أرتكبها		
١٧.	أخجل من الدخول بمفردي في غرفة يجلس فيها بعض الناس وهم يتحدثون		
١٨.	معدتي حساسة (أشعر بألم أو ضغط أو انتفاخ معدتي)		

أثر الإعلان عن طرح أسهم للاكتتاب على أسعار أسهم الشركات داخل القطاع الصناعي في بورصة عمان

د. محمد خيري توفيق الشيخ عبدالله*

د. عبد المعطي رضا بكر ارشيد**

* أستاذ مساعد، الأكاد ية العربية للعلوم ا الية وا صرفية عمان، الأردن

* * أستاذ مساعد، الأكاد ية العربية للعلوم ا الية وا صرفية عمان، الأردن

ملخص:

ناقشت هذه الدراسة أثر الإعلان عن طرح أسهم للاكتتاب على أسعار أسهم الشركات داخل القطاع الصناعي في بورصة عمان، وهل يؤثر الإعلان على العوائد المتحققة من أسهم الشركات التي تعلن عن طرح أسهمها للجمهور، عن تلك التي تفضل عدم الإعلان؟ أو ينحصر تأثير الإعلان على الشركات التي تتبنى منهجية الإعلان ؟.

لقد اتبع الباحثان ما يعرف بمنهجية دراسة الحدث؟ باستخدام نموذج العامل الواحد Single index model في تقدير الأرباح العادية، ومن ثم تقدير الأرباح غير العادية على غرار المنهجية المستخدمة من قبل الباحث صموئيل سيزويزيك عام ١٩٩٢.

وقد خلصت الدراسة إلى أن الإعلان عن طرح أسهم للاكتتاب يتضمن محتوى معلوماتياً له تأثير سلبي ضعيف على عوائد الشركات المعلنة، كما أشارت الدراسة إلى أن دراسة الحدث في بورصة عمان لم تثبت أي انتقال للمعلومات بين الشركات المعلنة والشركات غير المعلنة ضمن القطاع نفسه.

Abstract:

The study concentrated on two issues. Firstly ,the effect of advertising the issuing of new stocks on Amman Stock Exchange. Secondly, does the advertisement affect the gained earnings by the companies that advertise as well as the companies that do not and is the resulted effect restricted to those who follow the advertisement policy?.

The methodology that has been adopted is the single index model.This methodology was employed to estimate usual earnings along with unusual one in accordance with the methodology used by Samuel Cecarello in 1992.

The researchers concluded that the advertising of issuing new stocks includes insight information in a way that has a weak and negative effect on the company's earnings, The study also showed that the event study didn't prove any information movement among the companies that advertise and those that don't in the same sector.

مقـدمة:

تستطيع الشركة أن تحصل على تمويل طويل الأجل على شكل أسهم أو دين، أو إيرادات محتجزة، أو من خلال تركيبة من هذه المصادر، وتتفاوت القطاعات المختلفة في معدل متوسط الدين، فعلى سبيل المثال تتصف صناعات التقنية العالية بمتوسط دين منخفض يبلغ تقريباً[١] ٢١٪، أما الشركات الخدماتية فتتميز بنسب دين عالية تصل إلى ٦٠٪ تقريباً ،إلا أن الشركات داخل الصناعة تتفاوت في هذه النسبة، حيث تحاول نظرية هيكل رأس المال الإجابة عن الأسباب الكامنة وراء هذا التفاوت، وأن تقرر هل تستطيع الشركة أن تجعل نفسها أكثر قيمة من خلال اختيارها لمعدل الدين؟.

تتصف الدول النامية بانخفاض نسبة الدين مقارنة بنسبة الدين في الدول الصناعية، فعلى الصعيد المحلي مثلاً يبلغ متوسط نسبة الدين لثماني وعشرين شركة صناعية تمثل أهم الشركات في القطاع الصناعي المدرجة في بورصة عمان ٤١٪، ومن ضمنها مصفاة البترول التي تتصف بارتفاع نسبة الدين فيها على نحو غير عادي، و٣١٪ بدون مصفاة البترول، وهذه نسبة ضعيفة (أنظر الجدول (١)، ملحق (١)).

يعتقد الباحثان أن هناك تفضيلاً لدى متخذي القرار في الشركات المساهمة العامة الأردنية لاستخدام طرح الأسهم كمصدر تمويل طويل الأجل[٢] وربما يكون هذا عائداً إلى فكرة أنهم غير مضطرين لتوزيع الأرباح لهذه الأسهم، وبالتالي اعتباره مصدر تمويل بدون كلفة، مع أنه أعلى كلفة مقارنة بالدين، كما أنهم قد لا يدركون أن طرح الأسهم يتضمن محتوى معلوماتياً له آثار إيجابية على قيمة السهم[٣].

الأساس النظري يفترض أن الإعلان المفاجئ لمبيعات الأسهم يعطي علامة للمستثمرين خارج الشركة أن الإيرادات أقل من المتوقع، وأن المديرين لديهم دافع لاستغلال ميزة المعلومات الداخلية التي يحصلون عليها، وذلك بإصدار أسهم يعرفون أنها مسعرة بأعلى مما يجب، وبالتالي يستنتج المستثمرون الخارجيون دلالات غير إيجابية حول القيمة الحقيقية لأصول الشركة، وفرص النمو الموجودة لديها، كما أن الخيارات المتاحة أمام إدارة الشركات المخفضة لمعدل الدين، تعطي إشارة للمستثمرين الخارجيين على انخفاض الثقة بإمكانات الربحية المستقبلية المتاحة للشركة.

مشكلة الدراسة:

تتميز بورصة عمان بارتفاع عدد المستثمرين الصغار، وبالرغم من محدودية الملاءة المالية للمستثمر الصغير موازنة بالمستثمر الكبير، فإنه لمجموعة مستثمرين صغار قد تكون ذات قوة تأثيرية كبيرة.

تتضمن مشكلة الدراسة الإجابة عن السؤالين الآتيين:

- ما مدى تأثير الإعلان عن طرح أسهم للاكتتاب في القطاع الصناعي في بورصة عمان على سعر السهم؟ ومن ثم كيف يستجيب المستثمرون في البورصة لهذا الإعلان؟.
- هل هناك فروقات بين الشركات المعلنة، وبين الشركات غير المعلنة في بورصة عمان فيما يتعلق بالاكتتاب؟.

أهمية الدراسة:

من المعلوم أن تنمية الاقتصاد الوطني لبلد ما ينعكس على مستوى دخل الفرد، وعلى أغلب المؤشرات الاقتصادية، ولتحقيق التنمية لا بدَّ من تدبير التمويل اللازم؛ بمعنى أن تقوم الشركة بطرح أسهم للاكتتاب في البورصة، فأهمية الدراسة تأتي من أن الشركات الصناعية عندما تطرح أسهماً فينبغي أن يتناسب وموعد الاكتتاب؛ لأن ذلك يؤثر على عملية تسعير السهم، فعدالة التسعير تعزز التعاطي من جانب المستثمرين بإيجابية مع الاكتتاب في الأسهم، وأن ما ينطبق على الشركات الصناعية يمكن أن ينسحب على القطاعات الاقتصادية الأخرى، إضافة إلى استفادة صناع القرار في الشركات غير المعلنة من نظرائهم في الشركات المعلنة لتلاقي أي ضعف، أو خلل ناتج من أثر الإعلان عن الاكتتاب.

تكمن أهمية الدراسة من كونها دراسة سلوكية مالية، تتعلق بفحص سلوك المستثمرين المتعاملين مع بورصة عمان من خلال تغير ممثلٍ لهذا السلوك هو حجم الاكتتاب، وهناك أهمية أخرى تضاف للدراسة تكمن في تحديد الاختلاف في العوائد المتحققة من جانب الشركات الصناعية المعلنة وغير المعلنة، وتتعاظم هذه الأهمية عند الأخذ بعين الاعتبار الأعداد الكبيرة من المستثمرين الصغار التي يتصف بها مجتمع المستثمرين في الأردن.

لم يجد الباحث أي دراسات أجريت على بورصة عمان، الأمر الذي يعطي هذه الدراسة أهمية كبيرة، من حيث أنها تكمل هذا النقص، كما أن عدم وجود أي دراسات من هذا النوع يؤكد على أن هذا الموضوع مهمل من قبل الباحثين في الأردن، وأن عدم وجود سوق سندات رسمي في الأردن لا يمنع من تطبيق هذا النوع من الدراسات على الأسهم.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى فحص تأثير إعلان طرح أسهم للاكتتاب على الشركات المعلنة والشركات غير المعلنة داخل قطاع الصناعة في بورصة عمان في الفترة من عام ١٩٩٧م وحتى ٢٠٠٦م، وهل يتضمن إعلان طرح الأسهم للاكتتاب معلومات سلبية للشركة المعلنة أو لا؟ وهل تنطبق التبريرات النظرية المفسرة للأثر السلبي لطرح الأسهم على بورصة عمان؟ وهل ينتقل الأثر (إيجابياً كان أم سلبياً) إلى الشركات المشابهة المعلنة ضمن الصناعة نفسها؟

بيانات الدراسة ومنهجيتها:

سيتبع الباحثان المنهج الذي استخدمه من قبل صموئيل سيزويزيك، عام ١٩٩٢[٤] وسيستخدمان أسلوب دراسة الحدث لفحص التأثير السلبي على العوائد غير العادية للشركات أعلنت طرحها للأسهم في الفترة ما بين عام ١٩٩٧ و٢٠٠٦، وسيستخدمان أيضاً نموذج العامل الواحد Single Index Model في تقدير الأرباح العادية، ومن ثم تقدير الأرباح غير العادية وفقاً للمعادلة الآتية:

Abnormal Returns= Actual Returns- Normal Return

حيث ستقدَّر الأرباح العادية بناء على العامل الواحد الآتي:

$$K_i = a + B\ K_m + U_i$$

حيث K_i هو العائد العادي، وK_m هو عائد محفظة السوق، وهو عائد المؤشر العام في بورصة عمان. و ((a and B معاملات نموذج العامل الواحد، Ui (Cofficients) يمثل الخطأ المعياري في الاحتساب.

أما الأرباح الفعلية في نافذة الحدث، فتقدَّر بموجب المعادلة الآتية:

$$\text{Actual Return} = \frac{P_1 - P_0}{P_0}$$

وستتكون فترة الاختبار أو نافذة الحدث من يومين (0، – 1) حيث أن العائد يتطلب يومين كي يتحقق، وبالتالي فنحن بحاجة لفترة يومين لنتمكن من احتساب العائد غير العادي في يوم إعلان الحدث، أما فترة التقدير، فسوف تتكون من 120 يوماً السابقة لليوم – 1، وذلك بهدف تقدير ألفا وبيتا في نموذج العامل الأوحد.

أما البيانات المستخدمة في تقدير العائد غير العادي، فهي بيانات يومية لعينة مختارة من الشركات التي قامت بالإعلان عن إصدار الأسهم، وشكلت عينة مقابلة من الشركات التي لم تعلن عن طرح أسهم بحيث يراعى في هذه العينة التشابه مع العينة الأولى من حيث الحجم ونوع الصناعة[5].

الاختبارات الإحصائية:

أجري اختبار t على العائد غير العادي المقدر في يوم إعلان الحدث، وكذلك على معامل الارتباط بين العوائد غير العادية للشركات المعلنة والشركات غير المعلنة، بالنسبة لاختيار يوم الإعلان والمشاكلات المتعلقة بالاختيار هناك تواريخ عدة مرتبطة بإعلان طرح الأسهم للاكتتاب (لا يشمل طرح الأسهم أول مرة) والتواريخ هي:

- تاريخ اجتماع مجلس الإدارة، واتخاذ قرار بطرح الأسهم.
- تاريخ موافقة وزارة الصناعة والتجارة.
- تاريخ موافقة هيئة الأوراق المالية.
- تاريخ النشر في الجرائد اليومية.

وقد وقع اختيار الباحثين على التاريخ الذي تعينه هيئة الأوراق المالية باعتباره تاريخ يوم الحدث، وذلك للأسباب الآتية(٦):

- يشهد سهم الشركة التي تقرر طرح أسهم للاكتتاب حركة بيع وشراء منذ اجتماع مجلس الإدارة لاتخاذ قرار بالموضوع.
- لا يصبح الطرح قانونياً إلا بعد موافقة الهيئة، وبالتالي قد لا تُطرح الأسهم في حال عدم الموافقة.
- الوسطاء والمضاربون وأصحاب الشركات ينتظرون الموافقة يوم اجتماع الهيئة للنظر في موضوع طرح الأسهم.

بناء عليه اتخذ الباحثان قراراً باعتبار يوم موافقة الهيئة هو اليوم الذي أصبحت فيه المعلومة معلنة ومتاحة للجمهور.

محددات الدراسة:

عملية المقابلة بين الشركات المعلنة، وبين الشركة غير المعلنة كانت صعبة للغاية لعدم وجود تصنيف دقيق للشركات، وقد اضطر الباحثان في بعض الحالات لمقابلة الشركات المعلنة بشركات من خارج القطاع. (٧)

البيانات المتعلقة بالأسعار تنقطع فجأة، أو تكون ثابتة لفترات طويلة جدا، أو لا يوجد بيانات على الإطلاق، وفي بعض الحالات لا يوجد اسم على الإطلاق في جدول الأسعار لشركة أعلنت عن طرح أسهم للاكتتاب.

الدراسات السابقة:

دراسة صموئيل سيزويزيك، ١٩٩٢: قامت هذه الدراسة بفحص تأثير إعلان طرح الأسهم للاكتتاب على العوائد المتحققة من تداول الأسهم والسندات القابلة للتحويل إلى أسهم وسندات عادية في الفترة من عام ١٩٧٠، وحتى عام ١٩٨٣ في بورصة نيويورك، وأظهرت نتائج الدراسة أن متوسط العائد غير الاعتيادي للشركات المعلنة سالب ومهم إحصائياً لكل من الأسهم العامة والسندات القابلة للتحول إلى أسهم، أما متوسط العائد غير الاعتيادي للسندات التقليدية، فقد كانت سالبة، ولكنها ليست مهمة إحصائيا، وكان متوسط معدل العائد غير العادي للشركات غير المعلنة سالباً ومهماً إحصائيا للأنواع الثلاثة من الطرح العام، بالإضافة إلى ذلك كان معامل الارتباط للعوائد غير العادية للشركات والعوائد غير الاعتيادية لقطاع الصناعة ككل موجبا، وهذا يعني أن المستثمرين يستنتجون دلالات معينة حول الإمكانات العامة للصناعة ككل، وليس من التحولات في الميزة التنافسية بين الشركات المعلنة والشركات غير المعلنة.

اقترح (1994،Kim، Verrecchia) أنه إذا لم يسبب الإعلان تغييراً في معتقدات المستثمرين، فان ذلك من شأنه أن يخلق ردود فعل لدى المكتتبين، كما توصلا إلى أنه إذا كانت المعلومات ما قبل الإعلان دقيقة، فإن هذا يزيد من حجم الاكتتاب الذي يزداد أيضا بسبب ما يؤثره الإعلان على معتقدات المستثمر. إن ما يحمله الإعلان من معلومات من شأنه أن يزيد من تقارب أو تباعد معتقدات المستثمر فيما يتعلق بإقباله على الاكتتاب.

وركّزت **دراسة أوجيستو كوستيلو، ٢٠٠٤** على تأثير إعلان طرح السندات والأسهم في حالة تشيلي، حيث فحصت الدراسة تأثير إعلان طرح الأوراق المالية على أسعار الأسهم لعينة تتكون من ١٧٢ إصدار للأوراق المالية في سوق تشيلي المالي، خلال الفترة من ١٩٩٣–٢٠٠٣، ووجد أن إصدار السند لم ينتج أية أرباح غير عادية مهمة إحصائياً،

أما إصدار الأسهم فقد أنتج عوائد غير عادية سالبة مهمة إحصائياً، كما وجد الباحث أن حجم العوائد غير العادية السلبية كانت مرتبطة بشكل مباشر مع حجم إصدار الأسهم. تعتبر هذه الدراسة رائدة في بحث تأثير الإعلانات في الدول النامية، وفيما يتعلق بإصدار السندات كانت النتائج منسجمة مع نظرية لا أخبار No News Theory، أو مع نظرية No Impact Theory، كما أن هذه النتائج منسجمة مع مايرز وماجلوف (١٩٨٤) صاحبي نظرية اختلاف

المعلومات التي تتضمن مدلولاتها أن إعلان إصدار الدين يجب أن لا يكون له أي تأثير على أسعار الأسهم، أو أن تأثيره السلبي بسيط جداً كما تبين ذلك الدراسة عن السوق التشيلي.

إن نموذج **مايرز ماجلوف** (١٩٨٤) يقترح أنه بوجود اختلاف في المعلومات بين مديري الشركة والسوق، فسوف يكون هنالك دافع لإصدار أسهم عندما تكون الأسهم مسعرة بأعلى مما يجب، عندها فإن السوق سيربط مع الحدث احتمالات موجبة، متمثلة بأن الشركة مسعرة بأعلى مما يجب عندما تصدر أسهماً جديدة، ومن هنا تأتي النتيجة بأن أسعار الأسهم يجب أن تنخفض عندما تعلن الشركات إصدار أسهم، الأمر الذي يجعل مثل هذا التمويل أكثر كلفة، وأظهرت الدراسة أن الموافقة على إصدار السهم يولد عوائد غير عادية سالبة، وهذه النتيجة منسجمة مع نموذج عدم تشابه المعلومات المقترح من قبل مورك (١٩٨٥) ومايرز وماجلوف (١٩٨٤).

دراسة **كارمن كوتي وتارون موخيرجي**، (٢٠٠٤) عن الأدلة التي توفرها هذه الدراسة، تؤكد التنبؤات النظرية التي وردت في دراسات لراماكريشنان وتاكور (١٩٨٤) ودراسة جورتون (١٩٨٥) الذي تنبأ بأن إعلانات البنوك لها تأثيرات خارجية Externalities Effect على البنوك الأخرى، وأن إصدارات السهم الأولية IPOs للبنوك يمكن أن تعطي معلومات ذات قيمة عن الإمكانات المستقبلية في صناعة البنوك، وذلك لأن قيمة البنك تعتمد بشكل جزئي على إمكانات الصناعة بأكملها، فالبنوك المنافسة يمكن أن تتأثر قيمتها استجابة لإعلان طرح الأسهم المبدئي، إن تحليل إعلانات طرح الأسهم المبدئي التي تقع في ٤٥ ولاية أمريكية مقسمة إلى خمسة أقاليم في الفترة من عام ١٩٨٣–٢٠٠٠ من المنافسين الإقليميين والمنافسين داخل الولاية لها ردود فعل موجبة ومهمة لمعظم عينة الإعلانات عن الإصدارات الأولية، لكن الفروقات بين الأقاليم من حيث ردود الفعل ملحوظة بشكل كبير، حيث توجد ردود فعل إيجابية مهمة في إقليمين اثنين في حين أظهر إقليم ثالث ردود فعل سلبية مهمة، إن هذه الآثار المتناقضة تفسر الردود الكلية غير المهمة للمنافسين الإقليميين استجابة لإعلان إصدار الأسهم الأولي في الفترة من عام ١٩٩٧–٢٠٠٠، ولكنها تظهر أيضاً أن الموقع الإقليمي للبنك المعلِن، له دور في التأثيرات الإقليمية المصاحبة لإعلان طرح الأسهم المبدئي، وكذلك من المهم ملاحظة المدى الذي تؤثر به الاعتبارات الإقليمية على ردود فعل أسعار الأسهم للبنوك المعلنة.

الإطار النظري للدراسة:

ما الأثر الذي نتوقعه من إعلان إصدار الأوراق المالية من قبل الشركات على سعر السهم؟ لا يوجد هناك إجابة وحيدة على هذا السؤال حيث إن كتاباً كثيرين قد طوروا نظريات متناقضة ومتنافسة، ويمكن تجميع ثلاث نظريات بهذا الخصوص:

أولاً: فرضية عدم التأثير المقترحة من قبل الباحثين مودجلياني (١٩٥٨) وميلر (١٩٧٧)، ومفادها بشكل أساسي أن معدل الرفع المالي لا يؤثر على القيمة السوقية للشركة، وهذا يتضمن أن إعلان إصدار سندات، أو إعلان إصدار أسهم يجب أن لا يولد أية عوائد غير عادية.

ثانياً: فرضية التأثير الإيجابي التي مفادها أن الدين له تأثيرات إيجابية على القيمة السوقية للشركة، إذ إن هناك درعاً ضريبياً يتولد عن الدين الذي يجعل قيمة الشركة تزداد بمقدار نسبة الدين إلى الأصول. وأشار Jensen and Meckling; (١٩٧٦) إلى العلاقة التبادلية بين الميزة الضريبية للدين وكلفة العسر المالي وكذلك إلى العلاقة التبادلية بين الميزة الضريبية تكلفة الوكالة والتأثيرات الإدارية العكسية للدين، وقد أشار Shleifer(١٩٨٦) إلى اختلاف المعلومات بين المديرين والمستثمرين حيث يمتلك المديرون معلومات أكثر أهمية بالمقارنة مع المستثمرين، كل هذه الفرضيات تتضمن أن الإعلان عن إصدار السندات للجمهور بغرض الاكتتاب يجب أن يولد عوائد غير عادية لصالح الشركة المصدرة، وبالمنطق نفسه، فإن الإعلان عن إصدار الأسهم يعمل على إنقاص نسبة الأصول الممولة من قبل الدين، ومن ثم يتوقع أن يولد عوائد غير عادية وفي الاتجاه السلبي.

ثالثاً: فرضية التأثير السالب، وهي تقدم أنموذجاً لاختلاف المعلومات بين مديري الشركة والمستثمرين خارج الشركة حيث إن تمويلاً خارجياً كبيراً غير متوقع يكشف عن تدفقات نقدية أقل من المتوقع، ونموذج اختلاف معلومات آخر يقترح أن إصدار أسهم أو سندات بالنسبة للمستثمر المنفرد تجعله يطلب الحصول على خصم، وذلك للتحوط ضد مخاطر شراء أوراق مالية مسعرة بأعلى مما يجب، وانطلاقاً من هذه النظريات نستنتج أن إعلان شركة ما عن إصدار دين له تأثيرات سلبية على القيمة السوقية للشركة، وإن الإعلان عن إصدار أسهم له تأثيرات سلبية أكبر على القيمة السوقية للشركة المعلنة.

النتائج:

يظهر الجدول (١) قيم ألفا وبيتا المقدرة من خلال نموذج العامل الواحد Single Index Model حيث استخدم التغير النسبي في مؤشر السوق ممثلاً للعائد على محفظة السوق في حين استخدم التغير النسبي في أسعار الأسهم اليومية للشركات التي أعلنت عن طرح الأسهم ممثلاً عن عائد السهم في فترة التقدير البالغة ١٢٠ يوماً، وذلك من خلال عمل انحدار خطي بسيط بين العائدين، ومن الجدير ذكره أن معاملات الانحدار (ألفا وبيتا) للشركات جميعها كانت مهمة إحصائيا باستخدام اختبار t، وعند مستوى معنوية ٠,٠٥.

ثم حُسب العائد العادي في فترة الحدث وهي يوم الإعلان (الفترة٠،– ١) أي التاريخ المذكور في الجدول والمقابل لكل شركة، وذلك من خلال تقديره بمعادلة نموذج السوق، ثم حُسب العائد الفعلي في يوم الحدث باستخدام التغير النسبي في الأسعار في يوم الحدث، وقد لاحظ الباحثان عدم تغير الأسعار في هذا اليوم للعديد من الشركات وهو الأمر الذي يلقي بظلال الشك على اختيار يوم الحدث، لكن بمراجعة الأيام حول هذا اليوم نلحظ أيضاً عدم تغير سعر السهم في هذه الأيام أيضاً.

وحُسب الربح غير العادي لكل شركة من خلال طرح الربح الفعلي من الربح العادي المستخرج من خلال النموذج، ويُظهر الجدول أن قيمة متوسط الأرباح غير العادية AR Abnormal Return سالبة، ويبلغ – ٠,٠٠٦٣، وبالفحص الإحصائي لهذا المتوسط باستخدام اختبار (t) عند مستوى معنوية ٥٪ تبين أن هذا المتوسط مهم إحصائيا مما يعني أن إعلان طرح الأسهم في بورصة عمان يتضمن محتوى معلوماتياً له تأثير سلبي، ولكنه ضعيف على العوائد ومهم إحصائياً.

أما الجدول (٢) فهو يبين تقدير (ألفا وبيتا) والأرباح العادية والفعلية، والأرباح غير العادية للشركات التي لم تعلن عن طرح الأسهم في يوم إعلان الشركات المقابلة عن طرح الأسهم، وقد روعي في اختيار هذه الشركات أن تكون مشابهة إلى حد كبير للشركات المعلنة، مع صعوبة عمل ذلك في بورصة عمان، لعدم وجود أي نوع من أنواع التصنيفات من قبل هيئة الأوراق المالية، ويظهر الجدول (٢) أن متوسط الأرباح غير العادية رقم موجب ويبلغ ٠,٠٠٣٢، وباختباره إحصائيا باستخدام اختبار (t) تبين أنه غير مهم إحصائياً، ولكون أن العائد غير العادي موجب، فهذا يعني أن إعلان الشركات عن طرح الأسهم لم يكن له أي

الجدول (١)
العوائد غير العادية للشركات المعلنة عن طرح أسهم
Abnormal Return of Announcing Companies

		ALPHA	BETA	KM0	Normal Return	Actual Return	AR	Day0
1	العربية الدولية للفنادق	0.00173	1.127	-0.00244	-0.00101988	0	0.00101988	29/10/1997
2	العقارية الاستثمارية	0.0027	0.047	-0.00234	0.00259002	0	-0.00259002	08/01/1998
3	مناجم الفوسفات	-0.00372	0.05607	0.00216	-0.00359889	0.0084269	0.012025789	03/06/1998
4	الفنادق والسياحة الأردنية	0.000293	-0.117	-0.00257	0.00323069	0	-0.00323069	25/07/1998
5	الوطنية للصناعات ا ندسية	0.00434	-0.516	0.00714	0.00065576	0	-0.00065576	03/09/1999
6	السلفوكيماويات	0.00227	1.058	0.00044	0.00180448	-0.0403225	-0.04212698	03/02/1999
7	العربية الدولية للفنادق		0.277	0.00257	0.00068089	0	-0.00068089	14/02/1999
8	الزي لصناعة الألبسة	0.00041	1.189	-0.00346	-0.00370394	0	0.00370394	24/06/1999
9	ا اد الصناعات الكيماوية والزيوت	-0.00199	0.988	0.00184	-0.00180821	0	0.001808208	16/10/1999
10	الدستور	-0.00144	0.163	0.011162	0.00037941	0	-0.0037941	01/09/2000
11	الدستور	-0.000927	0.148	0.000234	-0.0089237	0	0.000892368	12/11/2000
12	الوطنية للدواجن	-0.00109	0.189	-0.00233	-0.00153037	-0.0163934	-0.01486303	22/11/2000
13	البوتاس العربية	-0.000514	0.593	0.001393	0.00031205	0	-0.00031205	06/12/2000
14	رافيا	-0.0017	-1.471	-0.02473	0.03467783	0	-0.03467783	24/01/2001
15	مصانع الورق والكرتون	-0.00112	-0.145	0.00144	-0.0009112	0	0.0009112	13/06/2001
16	الاستثمارية القابضة	0.0000168	0.0284	0.000248	2.3843E-05	0	-2.3843E-05	17/10/2001
17	العربية لصناعة الأ نيوم	-0.000238	0.552	-0.00742	-0.0064584	0	0.00647584	17/11/2001
18	الصناعات والكـ بت	0.000149	0.06301	0.010843	0.00217322	0	-0.00217322	25/01/2002
19	الرازي	0.00045	-0.00969	-0.00246	0.00072784	-0.0327868	-0.03351464	08/04/2002
20	الدستور	-0.00045	0.114	0.004892	0.00010769	0	-0.0010769	19/05/2002
21	الوطنية للدواجن	-0.000599	0.385	-0.00704	-0.0033094	0	0.0033094	27/06/2002
22	الزرقاء	0.0197	0.847	-0.01166	-0.00790602	-0.05	-0.04209398	03/01/2003
23	الأردنية للتسويق	-0.0041	-0.172	0.000248	-0.00141266	0	0.004142656	22/02/2003
24	الوطنية للدواجن	0.00159	-0.18	0.000101	0.00157182	0	-0.00157182	25/10/2003
25	الشرق للمشاريع	-0.00269	-0.588	0.00017	-0.00278996	0	0.00278996	12/06/2004
26	تصنيع و ارة الورق	0.000514	-0.434	-0.00482	0.00260588	-0.192307	-0.02183658	13/09/2004
27	العربية للفنادق	-0.00106	1.076	0.01252	0.01241152	0	-0.01241152	10/11/2005
28	الدولة لصناعة السليكا	-0.00377	-0.572	0.000711	-0.00417669	0	0.004171152	15/05/2005
29	مناجم الفوسفات	0.00256	0.873	0.001841	0.00416719	0.0116959	0.007528707	27/01/2005
30	دار الغذاء	0.0006355	-0.29	0.001021	0.0033941	-0.0238095	-0.02414891	07/01/2006

-0.18861421
A -0.00628714 AR

الجدول (٢)
العوائد غير عادية للشركات غير المعلنة عن طرح أسهم
Abnormal Return For Non-announcing Companies

		ALPHA	BETA	KM0	Normal Return	Actual Return	AR	Day0
1	فندق الشرق الأوسط والكمودور	0.002769	1.713	-0.00244	-0.00141072	0.0123966	0.01380732	29/10/1997
2	الأردنية ا لبجبة للاستثمارات العقارية	0.004101	1.671	-0.00234	0.00019086	0	-0.00019086	08/01/1998
3	مصانع الا نت	0.001925	0.861	0.00216	0.00378476	-0,00993	-0.01371476	03/06/1998
4	العربية الدولة للفنادق	0.005534	1.75	-0.00257	0.0010365	0	-0.0010365	25/07/1998
5	العامة للصناعات ا ندسية	0.00286	0.893	0.00714	0.00923602	0.0095846 -	0.00034858	03/09/1998
6	البتروكيماويات الوسيطة	-0.00399	1.307	-0.00044	-0.00456508	0.0072992	0.01186428	03/02/1999
7	فنادق الشرق الأوسط والكمودور	-0.00189	1.355	0.00257	0.00159235	0.0095238	0.00793145	14/02/1999
8	رافيا للصناعات	0.0027	-0.209	-0.00346	0,00342314-	0	-0.00342314	24/06/1999
9	ا واشي والدواجن	-0.0000212	1	0.000184	0.0001628	0	-0.0001628	16/10/1994
10	ا ؤسسة الصحفية الأردنية / الرأي	-0.0014	0.177	0.011162	0.00057567	0	-0.00057567	01/09/2000
11	ا ؤسسة الصحفية الأردنية / الرأي	0.001448	0.002517	0.000234	0.00144859	0	-0.00144859	12/11/2000
12	الأردنية لتجهيز وتسويق الدواجن	-0.000025	0.009088	-0.00233	-4.6175E-05	-0.0120481	-0.01200192	22/11/2000
13	مناجم الفوسفات	-0.000939	0.126	0.001393	-0,00076348	0	0.000763482	06/12/2000
14	الأردنية لصناعة الصوف الصخري	-0.00154	0.14	-0.02473	-0.0050022	0	0.0050022	24/01/2001
15	العربية لتصنيع و ارة الورق	0.0006577	0.693	-0.00144	-0.00034022	0	0.00034022	13/06/2001
16	الأردنية الوطنية القابضة	0.0004423	0.00196	0.000248	0.00044279	0	-0.00044279	17/10/2001
17	الوطنية لصناعة الصلب	-0.00173	2.613	-0.00742	-0.02111846	0	0.02111846	17/11/2001
18	الأردنية لصناعات الصوف الصخري	0.001872	0.159	0.010843	0.00359604	0	-0.00359604	25/01/2002
19	الصناعات الدولية ا تطورة	-0.000627	-0.0502	-0.00246	-0.00050351	0	0.000503508	08/04/2002
20	ا ؤسسة الصحفية الأردنية/ الرأي	0.00295	0.683	0.004892	0.00629124	0	-0.00629124	19/05/2002
21	ا واشي والدواجن	0.0544	0.745	-0.00704	0.0491552	0	-0.0491552	27/06/2002
22	العربية الدولة للتعليم والاستثمار	0.00095	0.268	-0.01166	-0,00217488	0	0.00217488	03/01/2003
23	التسهيلات التجارية	0.0001456	0.288	0.000248	0.00021702	0	-0.00021702	22/02/2003
24	ا واشي والدواجن	-0.0000854	0.492	0,000101	-3.5708E-05	0.037037	0.037072708	25/10/2003
25	Union Universal Corporation	0.000787	0.357	0.00017	0.00084769	0.0375	0.03665231	12/06/2004
26	الإقبال للطباعة والتغليف	-0.00118	0.394	-0.00482	-0.00307908	0.0107526	'0.01383168	03/09/2004
27	العامة للتعدين	0.00134	0.456	0,01252	0.00704912	0,05	0.04295088	10/11/2005
28	البوتاس العربية	0.0023	1.134	0.000711	0.00310627	0	-0.00310627	15/05/2005
29	فنادق الشرق الأوسط الكمودور	0.00255	0.641	0.001841	0.00373008	0	-0.00373008	27/01/2005
30	Jordan Vegetables oil Industries	-0.00109	-0.115	0.001021	-0.00120742	0	0.001207415	07/01/2006

784674690.0
388512300.0 RA

تأثير على الشركات التي لم تعلن، وهذا ينسجم مع الفرضية التي مفادها صعوبة انتقال المحتوى المعلوماتي ضمن أحجام التداول المنخفضة، وكذلك ضمن ما يعرف بالأسواق الضحلة.

يُظهر الجدول (٣) تلخيصاً للنتائج التي تم الحصول عليها، حيث يبين الجدول أن نسبة العوائد غير العادية السالبة بلغت ٦٠٪، في حين بلغت بالنسبة للشركات غير المعلنة ٥٠٪.

الجدول (٣)

نوع التمويل	الشركات ا علنة			الشركات القابلة (غ ا علنة)		
	العوائد غ العادية			العوائد غ العادية		
	الوسط ا سا	اختبار (t)	نسبة السالب	الوسط ا سا	اختبار (t)	نسبة السالب
أسهم عادية	*-٠,٠٠٦٣	٠,٠٢٨	٦٠٪	٠,٠٠٣٢	٠,٣٠٢	٥٠٪

* مهم إحصائياً عند مستوى معنوية = ٠,٠٥.

وبالقيام بالإجراء نفسه الذي قام به صموئيل سيزويزك (1992) بإيجاد معامل ارتباط بيرسون وسبيرمان بين العائد غير العادي للشركات المعلنة والشركات غير المعلنة، وذلك بهدف إثبات أن المعلومات التي تؤثر على قطاع الصناعة قد تعكس الإمكانات العامة للصناعة كلها، أو تدلل على تغير في الوضع التنافسي للشركة المعلنة، فإذا كانت المعلومات تؤدي إلى إعادة تقييم لإمكانات الصناعة كلها، فإن بالإمكان توقع معامل ارتباط موجب بين العوائد غير العادية للشركة المعلنة والشركة غير المعلنة، ومن ناحية أخرى إذا كانت إعلانات طرح الأسهم تؤدي إلى تغير في وضع الشركة التنافسي، فإنه يمكن توقع ارتباط سالب بين العائد غير العادي.

وحيث إن دراسة الحدث على بورصة عمان لم تثبت انتقال المعلومات بين الشركة المعلنة والشركات غير المعلنة، فإنه من المتوقع أن لا يكون معامل الارتباط بين العائدين غير العاديين مهماً إحصائياً؛ أي دالاً على عدم وجود ارتباط، ونتائج تحليل الارتباط الفعلي يظهرها الجدول أدناه.

الجدول (٤)

نوع التمويل	معامل ارتباط بـ سون	معامل ارتباط سبـ مان
أسهم عادية	٠,١٤٤- (٠,٤٤٩)	*٠,٣٧٨- (٠,٠٤)

* مهم إحصائياً عند مستوى معنوية = ٠,٠٥.

يُظهر الجدول (4) أن معامل ارتباط بيرسون يحمل إشارة سالبة، وهو غير مهم إحصائياً مما يدل على عدم وجود علاقة بين العائدين، وهذا ينسجم مع نتائج البحث المتعلقة بعدم انتقال المعلومات بين الشركات المعلنة والشركات غير المعلنة. أما النتيجة الحاصلة بمعامل سبيرمان، فيظهر وجود ارتباط مهم إحصائياً. إن هذا التناقض في الفحصين موجود لدى دراسة صموئيل سيزويزك فيما يتعلق بإصدار الدين الصرف (debt Straight) حيث لم يعلّق على هذا التناقض، واكتفى بالتفسير العام للنتائج بأن أسعار الأسهم للشركات غير المعلنة تعكس المعلومات الجديدة المعلقة بالوضع العام داخل الصناعة، وليس لإعادة تقييم الوضع التنافسي للشركات المعلنة. ويمكن القول إن نتيجة فحص معامل بيرسون تؤكد عدم وجود الصلة بين العائدين (للشركات المعلنة وغير المعلنة)، الأمر الذي يضيف تأكيداً ملائماً على عدم انتقال المحتوى المعلوماتي السيء في أسهم الشركات غير المعلنة.

التوصيـــات:

١. الاهتمام بضرورة نشر البيانات على اختلاف أنواعها وتصديقها بحيث تكون معتمدة من هيئة الأوراق المالية بما في ذلك تقارير الشركات الدورية والسنوية حيث إننا مازلنا نجد كثيراً من عدم الوضوح أو النقص في بعض هذه البيانات، كما أن هناك أنواعاً من البيانات مهملة، ولا تنشر ويكتفى بتخزينها.

٢. ينبغي بيان أهمية طرح الأسهم في بورصة عمان للشركات المساهمة العامة، كونه يشكل وسيلة جلب أموال، سواء لأغراض الإنشاء أو التوسع، وضرورة إيجاد آلية تؤدي إلى سهولة انسياب المعلومات التي يتم الافصاح عنها بين الشركات المسجلة.

٣. التحقق من محتوى المعلومات التي تتضمنها عملية طرح الأسهم في بورصة عمان.

٤. قد يكون من المهم للشركات الصناعية الأردنية الاعتماد على مصادر التمويل الأخرى غير الملكية، التي تشتمل على جميع أنواع الدين، حيث إن هذا قد يؤدي لزيادة الربحية، وذلك بسبب انخفاض تكاليف هذه المصادر بالمقارنة مع تكلفة الملكية، ولكن الأهم هو قيام هذه الشركات بالموازنة بين مصادر التمويل المختلفة.

٥. العمل على تكرار دراسات الحدث؛ لأن السوق الكفؤ قد يتحول إلى سوق غير كفؤ في فترة أخرى، حيث إن ظروف السوق تتغير من فترة زمنية لأخرى.

٦. العمل على توعية الشركات بأن عملية طرح الأسهم أفضل من تبني طرح أدوات الدين، اذا تعلق الأمر بحاجة هذه الشركات لأموال بغرض دعم صافي رأسمالها العامل.

٧. تشجيع المؤسسات الاستشارية ودور الوساطة على أهمية احتساب بيتا للشركات، وبشكل دوري في استخراج السعر العادل للشركات، باستخدام نموذج تسعير الأصول المالية.

الخلاصة:

إعلان طرح الأسهم في بورصة عمان المالية يتضمن محتوى معلوماتياً سيئاً يؤثر سلباً على عوائد الشركة المعلنة، ولكن هذا التأثير ضعيف ومهم من وجهة النظر الإحصائية. وهذا يتوافق مع الإطار النظري للموضوع، إلا أن هذا المحتوى المعلوماتي لا ينتقل إلى الشركات غير المعلنة ضمن الصناعة نفسها، ويعود السبب – في تقدير الباحث– إلى ضحالة بورصة عمان وانخفاض حجم التداول.

لا حظ الباحث ومن خلال تكرار طرح الأسهم لأكثر من مرة وجود تفضيل لدى الشركات المساهمة العامة في طرح الأسهم كمصدر للحصول على الأموال، على الرغم من أنه يشكل مصدراً تمويليا أكثر كلفة مقارنة بكلفة الدين، إلا أن فكرة انتهاج الشركة للأسلوبين في التمويل(طرح أسهم وأدوات الدين) يمثل سياسة مالية حكيمة تدعم الحفاظ على توازن هيكل رأس المال في الشركة.

الهوامش:

1. Bringham E.& Ehrhardt.M. Financial Management Theory and practice، Thomson South Western. USA،2005.P.213.

٢. تؤكد هذه الفكرة البيانات المتعلقة بالشركات المصدرة للأسهم حيث يلاحظ تكرار شديد في طرح الأسهم.

٣. تحتاج هاتان الفكرتان إلى تحقق من خلال استخدام استبانة، والذي عزز هذه الفكرة لدى الباحثيْن الانطباع العام لدى العاملين في دائرة الأبحاث في هيئة الأوراق المالية بأن إعلان طرح الأسهم هو معلومة جيدة، إذ يدل هذا بالنسبة إليهم على أن الشركة في وضع جيد، وأنها تنوي التوسع، وتشهد أسهم هذه الشركات فعلاً على أرض الواقع تحركاً لافتاً للانتباه.

4. Szewczyk S.»The Intra– Industry Transfer of Information Inferred from announcements of Corporate Security Offerings» The Journal of Finance، VoIXL No. 5، Dec. 1992.

٥. مصدر البيانات دائرة الإفصاح/ هيئة تنظيم الأوراق المالية.

٦. يمكن إجراء دراسة حدث مصغرة لاختبار أفضل يوم من الأيام الأربعة المذكورة أعلاه.

٧. (٧) من الصعوبات التي واجهها الباحثان في هذا الموضوع مثلا أنه بعد أن يتم اختيار الشركة المقابلة يكتشف الباحثان عدم تحرك الأسعار لهذه الشركة في فترة التقدير.

المراجـــــع:

1. Cotei, Carman, Mukherjee, Tarun, «Informational Externalities of banks initial public offerings», Dec. 2004.
2. Castillo, Augusto, «The announcement of bond and equity issues: Evidence from Chile» Estudios de Economia. Vol. 3 1 No. 2 Dec. 2004 pages 177-205.
3. Szewczyk S. «The Intra-Industry Transfer of Information Inferred from announcements of Corporate Security Offerings» The Journal of Finance, Vol XLVII No-5, Dec. J992.
4. Brigham E., Ehrhardt, M. Financial Management Theory and practice, Thomson South Western, USA, 2005.
5. Mayers D. , and Maglof E., "Non-marketable assets and capital market equilibrium under uncertainty, in Jensen, M.C (Ed), studies in the theory of capital markets" Praeger, New York.
6. Kim O., Verrecchia, R., 1994. " Market Liquidity and volume around earnings announcements". Journal of accounting and economics, 17, 41-67.
7. Randall, Morch, "Management ownership market valuation: an Empirical analysis", journal of financial economics, Vol. 20, p. 293-315, 1985.
8. Modiglian, F and M. Miller "the Cost of capital, corporation finance and the theory of investment" American economics, Vol. 48(3), p. 261-297.
9. Jensen , M. C., 1986, "Agency costs of free cash flow, corporate finance, and takeovers ", American economics review, vol. 76 p. 323-129.
10. Shleifen E, "large shareholders and corporate control", journal of political economy, vol. 94, p. 461-488.
11. Mayers, S., "Determinants of corporate borrowing" journal of financial economics, vol.5, p.147-146 1977.
12. Gordon p. "corporate strategy and capital structure" strategic management journal, vol. 9, p.123-132, 1985.
13. Kreshnam, R., f takor, D., "The role of majority shareholders in publicly held corporations: an explanatory analysis" journal of financial economics, vol. 20, p.317-346, 1984.

الملحق (١)

الجدول (١):نسبة الرفع المالي في بعض الشركات المساهمه العامه الأردنية

الجدول (٢):الشركات المعلنة والشركات غير المعلنة الخاضعة للدراسة

الجدول (١)

نسبة الدين في بعض الشركات

الصناعية المساهمة العامة (الالتزامات/حقوق الملكية)

إسم الشركة	ا طلوبات / حقوق ا لكية
مصفاة البترول	٢,٩٧
الألبان الد اركية	٠,٣٩
العامة للتعدين	٠,١٩
العربية لصناعة الأ نيوم	٠,٢٦
العربية لصناعة الأدوية	٠,٠٨
مصانع ا نظفات الكيماوية	٠,٢
الوطنية لصناعة الصلب	٠,١٢
دار الدواء للتنمية والإستثمار	٠,١٥
مصانع الأجواخ الأردنية	٠,٣٩
مصانع ا زف الأردنية	٠,١٣
الإستثمارات العامة	٠,٠٨
الأردنية لصناعة الأنابيب	٠,٣٧
الدباغة الأردنية	٠,٠٨
ا ركز العر للصناعات الدوائية	٠,١٢
الصناعات الكيماوية الأردنية	٠,١٦
مصانع الورق والكرتون	٠,٣٢
العا ية للصناعة الكيماوية	٠,١٧
مصانع الإ نت	٠,٣٤
البوتاس	٠,٥٣
الدخان والسجائر الدولية	٠,٣٨
الكابلات الأردنية ا ديثة	٠,٩٣
الباطون ا اهز للتوريدات الإنشائية	١,٠٢
حديد الأردن	٠,٣٤
مصانع الإ اد لإنتاج التبغ والسجائر	٠,٥٤
الوطنية لصناعة الأ نيوم	٠,٢٨
العرب لصناعة ا واس ا عدنية	٠,١٩
الإقبال للتعبئة والتغليف	٠,١٥
الا اد للصناعات ا تطورة	٠,٥٧
ا توسط	٠,٤١
ا توسط بدون مصفاة البترول	٠,٣١

المصدر:

- التقارير السنوية للشركات الصناعية المدونة في الجدول (١)
- كتاب الإحصاء السنوي – أعداد متفرقة لعدة سنوات
- تقارير الشركات – أعداد متفرقة
-

الجدول (٢)
قائمة بالشركات المعلنة وغير المعلنة بعد عملية المقابلة

الرقم	الشركات ا علنة	الشركات غ ا علنة
١	العربية الدولية للفنادق	فنادق الشرق الأوسط والكمودور
٢	القارية الاستثمارية	الأردنية ا ليجية للاستثمارات العقارية
٣	مناجم الفوسفات	مصانع الا نت
٤	الفنادق والسياحة الاردنية	العربية الدولية للفنادق
٥	الوطنية للصناعات ا ندسية	العامة للصناعات ا ندسية
٦	السلفوكيماويات	البتروكيماويات الوسيطة
٧	العربية الدولية للفنادق	فنادق الشرق الاوسط والكمودور
٨	الزي لصناعة الألبسة	رافيا للصناعات
٩	ا اد الصناعات الكيماوية والزيوت	ا واشي والدواجن
١٠	الدستور	ا ؤسسة الصحفية الأردنية/ الرأي
١١	الدستور	ا ؤسسة الصحفية الأردنية / الرأي
١٢	الوطنية للدواجن	الأردنية لتجهيز وتسويق الدواجن
١٣	البوتاس العربية	مناجم الفوسفات
١٤	رافيا	الأردنية لصناعة الصوف
١٥	مصانع الورق والكرتون	العربية لتصيع و ارة الورق
١٦	الاستثمارية القابضة	الأردنية الوطنية القابضة
١٧	العربية لصناعة الأ نيوم	الوطنية لصناعة الصلب
١٨	الصناعات والك يت	الأردنية لصناعة الصوف الصخري
١٩	الرازي	الصناعات الدوائية ا تطورة

٢٠	الدستور	ا ؤسسة الصحفية الأردنية / الرأي
٢١	الوطنية للدواجن	ا واشي والدواجن
٢٢	الزرقاء	العربية الدولية للتعليم والاستثمار
٢٣	الأردنية للتسويق	التسهيلات التجارية
٢٤	الوطنية للدواجن	ا واشي والدواجن
٢٥	الشرق للمشاريع	Union investment corporation
٢٦	تصنيع و ارة الورق	الافبال للطباعة والتغليف
٢٧	العربية للفنادق	فنادق الشرق الأوسط والكمودور
٢٨	الدولية لصناعة السيليكا	العامة للتعدين
٢٩	مناجم الفوسفات	البوتاس العربية
٣٠	دار الغذاء	Jordan Vegetable oil industries

المصدر:

- النشرات والتقارير المالية الصادرة من بورصة عمان
- الكتاب الإحصائي السنوي – وزارة التخطيط – أعداد متفرقة
- تقارير الشركات الواردة في الجدول (٢) – أعداد متفرقة

الملحق (٢)

- نتائج الاختبارات الاحصائية باستخدام برنامج SPSS
- عينة من جداول البيانات التي تم استخراج الشركات المعلنة منها وتواريخ موافقة الهيئة للشركات المدروسة

T – Test:

	N	Mean	Std.Deviation	Std. Error mean
NON ANNOU	30 30	.00321588 -.00628714	.016770432 .014928805	.00306185 .00272561

One – Sample Statistics:
One – Sample Test

	Test Value = 0					
	t	df	Sig. (2-tailed)	Mean Difference	95% Confidence Interval of the Difference	
					Lower	Upper
NON ANNOU	1.050 -	29 29	.302 .028	.00321588 -.00628714	-.00304630 -.	.00947807 -.
	2.307				00628714	00071263

Correlations:

Correlations

	ANNOU	NON
ANNOU Pearson Correlation Sig. (2-tailed) N	1 . 30	-.144 .449 30
NON Pearson Correlation Sig. (2-tailed) N		

Nonparametric Correlations:

Correlations

	ANNOU	***NON***
Spearman's rho ANNOU Correlation Coefficient ***Sig. (2 – tailed)*** ***N***	***1.000*** ***.*** ***30***	***-.378 **** ***.040*** ***30***
NON Correlation Coefficient ***Sig. (2 – tailed)*** N	***-.378 **** ***.040*** ***30***	***1.000*** ***.*** ***30***

الرقم	إسم الشركة	رأس ا ال ا صرح به	رأس ا ال الكتتب به	عدد الأسهم ا طروحة	سعر الإصدار	قيمة الأسهم ا طروحة
شهر كانون الثا						
١	الزرقاء للتعليم والاستثمار / استراتيجي	٦,٧٥٠,٠٠٠	٦,٢٠٦,١٣٧	٥٠٠,٠٠٠	١,١٥	٥٧٥,٠٠٠
٢	البلاد للخدمات الطبية/ معينو	٧,٠٠٠,٠٠٠	٥,٢٥٣,١٦٥	١,٧٤٦,٨٣٥	٠,٨٠	١,٣٩٧,٤٦٨
	ا جموع الشهري	١٣,٧٥٠,٠٠٠	١١,٤٥٩,٣٠٢	٢,٢٤٦,٨٣٥	٠	١,٩٧٢,٤٦٨
شهر شباط						
٣	الطباعون العرب / خاص	٣,١١٠,٠٠٠	٣,١٠٧,٦٧٠	٢,٣٣٠	١,٠٠	٢,٣٣٠
٤	ا جموعة الاو للاتصالات/ معينو	٣,٤٠٠,٠٠٠	١,٤٤٢,٥٠٠	٢٠٠,٠٠٠	١,٠٠	٢٠٠,٠٠٠
5	الاردنية للتسويق/ خاص	١,٥٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	٥٠٠,٠٠٠	٠,٥٠	٢٥٠,٠٠٠
٦	بنك الشرق الاوسط للاستثمار / استراتيجي	٢٠,٠٠٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠,٠٠٠	٥,٩٤٥,٠٩١	٠,٨٤	٥,٠٠٠,٠٠٠
	ا جموع الشهري	٢٨,٠١٠,٠٠٠	١٥,٥٥٠,١٧٠	٦,٦٤٧,٤٢١	٠	٥,٤٥٢,٣٣٠
شهر اذار						
٧	الصناعية التجارية الزراعية الانتاج شراء شركة	٩,٠٠٠,٠٠٠	٦,٢٥٠,٠٠٠	١,٨٠٨,٥١١	١,٠٠	١,٨٠٨,٥١١
٨	العامة للصناعات ا ندسية/ معينو	٥,٠٠٠,٠٠٠	٣,٣٥٢,٧٧١	١٢٠,٠٠٠	١,٠٠	١٢٠,٠٠٠
٩	الرازي للصناعات الدوائية/ استراتيجي	١٣,٠٠٠,٠٠٠	١١,٨١٧,٥٤٦	١,٠٠٠,٠٠٠	٠,٧٠	٧٠٠,٠٠٠
١٠	العصرية للصناعات الغذائية والزيوت النباتية/ خاص	٣,٠٠٠,٠٠٠	٢,٨١٦,٧٢٠	١٨٣,٢٨٠	٠,٦٠	١٠٩,٩٦٨
	ا جموع الشهري	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	٢٤,٢٣٧,٠٣٧	٣,١١١,٧٩١	٠	٢,٧٣٨,٤٧٩
شهر نيسان						
١١	موعة الشرق الأوسط للاستثمارات الدولية/ خاص	٨,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	١,٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠
١٢	هيز وتسويق الدواجن / مستثمر استراتيجي	٦,٠٠٠,٠٠٠	٥,١٣٤,٩٦٩	٨٦٥,٠٣١	١,٠٠	٨٦٥,٠٣١
	ا جموع الشهري	١٤,٠٠٠,٠٠٠	١٠,١٣٤,٩٦٩	٣,٨٦٥,٠٣١	٠	٣,٨٦٥,٠٣١
شهر ايار						
	زارة للاستثمار/ خاص	١٢٥,٠٠٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠,٠٠٠	٢٧,٥٠٠,٠٠٠	١,٥٠	٤١,٢٥٠,٠٠٠
	ا جموع الشهري	١٢٥,٠٠٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠,٠٠٠	٢٧,٥٠٠,٠٠٠	٠	

	عدد الأسهم ا غطاة	قيمة الأسهم ا غطاة	رأس ا ال ا كتتب به بعد الزيادة	موافقة ا يئة	تاريخ حق ا ساهم	الاجتماع غ العادي	موافقة الوزارة
	٥٠٠,٠٠٠	٥٧٥,٠٠٠	٦,٧٠٦,١٣٧	٠٣/٠١/٢٠٠٠	_	لس ٢٠٠٠/٩/٢١	_
	١,٧٤٦,٨٣٥	١,٣٩٧,٤٦٨	٧,٠٠٠,٠٠٠	٢٥/٠١/٢٠٠٠	_	_	_
	٢,٢٤٦,٨٣٥	١,٩٧٢,٤٦٨	١٣,٧٠٦,١٣٧	_	_	_	_
	٢,٣٣٠	٢,٣٣٠	٣,١١٠,٠٠٠	٠٨/٠٢/٢٠٠٠	_	لس ادارة	_
	٢٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	١,٦٤٢,٥٠٠	٠٨/٠٢/٢٠٠٠	_	لس ادارة	توفيق اوضاع ٢٠٠٠/١/٣١
	٣٣	١٧	١,٠٠٠,٠٣٣	٢٢/٠٢/٢٠٠٠	٠٢/٠٣/٢٠٠٠	٣٠/١١/١٩٩٩	١٣/١٢/١٩٩٩
	٥,٩٤٥,٠٩١	٥,٠٠٠,٠٠٠	١٥,٩٤٥,٠٩١	٢٢/٠٢/٢٠٠٠	٠٢/٠٣/٢٠٠٠	١٠/٨/١٩٩٨ ٣١/١٠/١٩٩٩	_
	٦,١٤٧,٤٥٤	٥,٢٠٢,٣٤٦	٢١,٦٩٧,٦٢٤	_	_	_	_
	١,٨٠٨,٥١١	١,٨٠٨,٥١١	٨,٠٥٨,٥١١	٠٧/٠٣/٢٠٠٠	_	٢٣/١٢/١٩٩٩	١٠/٠٢/٢٠٠٠
	١٢٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠	٣,٤٧٢,٧٧١	٠٧/٠٣/٢٠٠٠	_	لس	_
	١,٠٠٠,٠٠٠	٧٠٠,٠٠٠	١٢,٨١٧,٥٤٦	٠٧/٠٣/٢٠٠٠	_	لس٢٧/١/٢٠٠٠	_
	١٨٣,٢٨٠	١٠٩,٩٦٨	٣,٠٠٠,٠٠٠	١٢/٠٣/٢٠٠٠	٢١/٠٣/٢٠٠٠	لس ٢٠٠٠/٢/٧	_
	٣,١١١,٧٩١	٢,٧٣٨,٤٧٩	٢٧,٣٤٨,٨٢٨	_	_	_	_
	٢,٣٥٠,٥١٧	٢,٣٥٠,٥١٧	٧,٣٥٠,٥١٧	١١/٠٤/٢٠٠٠	٢٠/٠٤/٢٠٠٠	١٠/٠٧/١٩٩٩	٢٣/١١/١٩٩٩
	٨٦٥,٠٣١	٨٦٥,٠٣١	٦,٠٠٠,٠٠٠	١١/٠٤/٢٠٠٠	_	لس ادارة ٣٠/٣/٢٠٠٠	٢٥/٠٧/١٩٩٥
	٣,٢١٥,٥٤٨	٣,٢١٥,٥٤٨	١٣,٣٥٠,٥١٧	_	_	_	_
		٢٧,٥٠٠,٠٠٠	١٠٧,٥٠٠,٠٠٠	٠٩/٠٥/٢٠٠٠	١٨/٠٥/٢٠٠٠	١٧/١١/١٩٩٩	٢٩/١١/١٩٩٩

شهر حزيران						
١٤	العصرية للصناعات الغذائية والزيوت النباتية / خاص ومعينة	٣,٧٥٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	٧٥٠,٠٠٠	٠,٦٠	٤٥٠,٠٠٠
	ا جموع الشهري	٣,٧٥٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	٧٥٠,٠٠٠	٠	٤٥٠,٠٠٠
شهر وز						
١٥	الدولية لصناعة السيليكا/ خاص	٢,٠٠٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٥٠٠,٠٠٠	١,٠٠	٥٠٠,٠٠٠
١٦	اللؤلؤه لصناعة الورق الصحي/ استراتيجي	٥,٠٠٠,٠٠٠	٢,٣٥٦,٢٨٣	٢,٦٤٣,٧١٧	٠,٦٤٨٥	١,٧١٤,٤٥٠
	ا جموع الشهري	٧,٠٠٠,٠٠٠	٣,٨٥٦,٢٨٣	٣,١٤٣,٧١٧	٠	٢,٢١٤,٤٥٠
شهر آب						
١٧	الزرقاء للتعليم والاستثمار/ استراتيجي	٦,٧٥٠,٠٠٠	٦,٧٠٦,١٣٧	٤٣,٨٦٣	١,١٥	٥٠,٤٤٢
١٨	العربية الأمريكية للتأم / خاص	٣,٠٠٠,٠٠٠	٢,٠٥٢,٥٠٠	٩٤٧,٥٠٠	٠,٥٠	٤٧٣,٧٥٠
	ا جموع الشهري	٩,٧٥٠,٠٠٠	٨,٧٥٨,٦٣٧	٩٩١,٣٦٣	٠	٥٢٤,١٩٢
شهر ايلول						
١٩	البلاد للخدمات الطبية/ خاص	٩,٠٠٠,٠٠٠	٧,٠٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠	١,٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠
	ا جموع الشهري	٨٠,٠٠٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	١,٢٥	٣٧,٥٠٠,٠٠٠
شهر تشرين الأول						
٩	زارة للإستثمار / خاص	٨٠,٠٠٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	١,٢٥	٣٧,٥٠٠,٠٠٠
١٠	الأسواق ا رة / خاص	٤,٥١٠,٠٠٠	٤,١٤٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	١,٧٥	١٧٥,٠٠٠
١١	التأم العاملية / خاص	٢,٥٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٠,٦٧	١,٠٠٠,٠٠٠
	ا جموع الشهري	١١٤,٥١٠,٠٠٠	٧٤,٤١٠,٠٠٠	٤٠,١٠٠,٠٠٠	٠	٤٣,٦٧٥,٠٠٠
شهر كانون أول						
١٢	الإ اد للصناعات ا تطورة / خاص	٤,٠٠٠,٠٠٠	٣,٠٩٠,٩٦٨	٥٠,٠٠٠	٠,٧٥	٣٧,٥٠٠
١٣	الأهلية للمراكز التجارية / خاص	٦,٠٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	٥٣٧,٠٠٠	١,٠٠	٥٣٧,٠٠٠
١٤	فنادق الاراضي ا قدسة / خاص	٦٠٠,٠٠٠	٥٠٥,٧٤٥	٩٤,٢٥٥	١,٠٠	٩٤,٢٥٥
	ا جموع الشهري	١٠,٦٠٠,٠٠٠	٦,٥٩٦,٧١٣	٦٨١,٢٥٥	٠	٦٦٨,٧٥٥
	ا جموع السنوي العام	٢٠٩,٩١٠,٠٠٠	١٤١,٨٣٢,٨٠٧	٦١,٧٥٥,١٦١	٠	٦٠,٤٩٤,٢٤١

		٤٢٠,٠٠٠	٢٥٢,٠٠٠	٣,٤٢٠,٠٠٠	٣٠/٠٥/١٧	١٧/٠٥/٢٠٠٠	٢٢/٠٥/٢٠٠٠
	٤٢٠,٠٠٠	٤٢٠,٠٠٠	٣,٤٢٠,٠٠٠	–	–	–	–
	٥٠٠,٠٠٠	٥٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠	٢٧/٠٦/٢٠٠٠	٠٦/٠٧/٢٠٠٠	٠٤/١١/٢٠٠٠	٠٧/٠٦/٢٠٠٠
	٢,٦٤٣,٧١٧	١,٧١٤,٤٥٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	٠٤/٠٧/٢٠٠٠	–	٢٨/٠٤/٢٠٠٠	٠٢/٠٧/٢٠٠٠
	٣,١٤٣,٧١٧	٢,٢١٤,٤٥٠	٧,٠٠٠,٠٠٠	–	–	–	–
	٤٣,٨٦٣	٥٠,٤٤٢	٦,٧٥٠,٠٠٠	٢٠٠٠	–	لمس ادارة ٦/٦/٢٠٠٠	–
	٧٦٥,٧٠٠	٣٨٢,٨٥٠	٢,٨١٨,٢٠٠	٢٢/٠٨/٢٠٠٠	٣١/٠٨/٢٠٠٠	١٧/١٠/١٩٩٩	لمس ادارة ٢٠٠٠/٣/٥
	٨٠٩,٥٦٣	٤٣٣,٢٩٢	٩,٥٦٨,٢٠٠	–	–	–	–
	٤٠,١٨٥	٤٠,١٨٥	٧,٠٤٠,١٨٥	١٥/٠٨/٢٠٠٠	٢٤/٠٨/٢٠٠٠	٢٢/٠٦/٢٠٠٠	١٩/٠٧/٢٠٠٠
	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	٣٧,٥٠٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠,٠٠٠	٢٣/٩/٩٩	٢/١٠/٩٩	١٥/٧/٩٩	١٨/٨/٩٩
	,٠٠٠,٠٠٠	٣٧,٥٠٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠,٠٠٠	٢٣/٩/٩٩	٢/١٠/٩٩	١٥/٧/٩٩	١٨/٨/٩٩
	١٠٠,٠٠٠	٧٥,٠٠٠	٤,٥١٠,٠٠٠	٢٣/٩/٩٩	٢/١٠/٩٩	٢١/٣/٩٩	٢٤/٥/٩٩
	١,٥٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠	٢٣/٩/٩٩	٢/١٠/٩٩	٢٧/٦/٩٩	٦/٧/٩٩
	,١٠٠,٠٠٠	٣٨,٦٧٥,٠٠٠	,٥١٠,٠٠٠	–	–	–	–
	٥٠,٠٠٠	٣٧,٥٠٠	٣,١٤٠,٩٦٨	–	–	–	–
	٥٣٧,٠٠٠	٥٣٧,٠٠٠	٣,٥٣٧,٠٠٠	–	–	–	–
	٩٤,٢٥٥	٩٤,٢٥٥	٦٠٠,٠٠٠	–	–	–	–
	٦٨١,٢٥٥	٦٦٨,٧٥٥	٧,٢٧٧,٩٦٨	–	–	–	–
	٥٨,٠٩٩,٥٠٠	٥٢,٥٤٢,٦٨٣	,٩٣٢,٣٠٧	–	–	–	–

أثر قانون ضريبة الدخل رقم ١٧ للعام ٢٠٠٤م على ظاهرة التهرب الضريبي في فلسطين

د. سامح العطعوط*

* أستاذ مساعد، قسم ا حاسبة،كلية العلوم الإدارية وا الية، ا امعة العربية الأمريكية، جن ، فلسط

ملخص:

تحظى الضرائب باهتمام كبير في دول العالم بشكل عام، وفي فلسطين بشكل خاص؛ لأن معظم ايرادات السلطة الفلسطينية متأتية من خلال الضرائب، ويقدم البحث دراسة نقدية تحليلية لقانون ضريبة الدخل رقم (١٧) للعام ٢٠٠٤، وأثره على ظاهرة التهرب الضريبي في فلسطين.

وهدفت الدراسة إلى التعرف إلى أشكال التهرب الضريبي، ومعرفة الأسباب الرئيسة للتهرب الضريبي، وتحديد الآثار الناجمة على الاقتصاد الفلسطيني من وراء التهرب الضريبي، وحاولت الدراسة معرفة مدى معالجة قانون ضريبة الدخل لظاهرة التهرب الضريبي.

وتوصل الباحث إلى أسباب عدة وراء هذه الظاهرة من أهمها وجود ثغرات قانونية ناتجة عن عدم وضوح في القانون، وضعف السلطة في تطبيق العقوبات التي نص عليها القانون، وكذلك الأوضاع الاقتصادية العامة التي يعيشها الشعب الفلسطيني.

Abstract:

Taxes are a major concern in the countries of the world in general, and in Palestine, in particular, because most of the revenues of the Palestinian Authority come from taxes. The research provides a critical and analytical study for the Income Tax Act No. (17) of 2004 and its impact on the phenomenon of tax evasion in Palestine.

The study aimed to identify the forms of tax evasion and to examine the main reasons for tax evasion and to determine its effects on the Palestinian economy.

The study attempted to determine the extent of the Income Tax Act dealing with the phenomenon of tax evasion the researcher discovered several reasons for the phenomenon of tax evasion, one of which is the existence of legal gaps resulting from lack of clarity in the law.

In addition, the weakness of authority in the application of the penalties provided by the law, as well as the general economic situations of the Palestinian people.

مقــدمة:

من واجبات الدولة تجاه مواطنيها العمل على توفير اكبر قدر ممكن من الخدمات المجانية. وعرف ذلك وعمل به منذ أقدم العصور والسنين، إلا أن هذه الخدمات ازدادت وتطورت وتشعبت مع التطور الحاصل في المجالات كافة، الأمر الذي أدى إلى زيادة نفقات الدولة وبالتالي الحاجة إلى تمويل مادي ضخم، وقد اعتمدت الدولة على مصادر عدة، كان من أهمها فرض الضرائب التي تطورت مع التطور العالمي وتعددت مسمياتها وأشكالها، وتغير مضمونها، إلا أن أهدافها بقيت كما هي، فالمضمون تغير من كونه قيمة عينية إلى مبلغ نقدي يدفع من قبل المواطن للدولة.

أما عن الأهداف فتتمثل بـ الأهداف المالية والاقتصادية والاجتماعية حيث يتمثل هدفها الاجتماعي في العمل على الحد من بعض العادات السيئة، بالإضافة إلى إعادة توزيع الثروة فيما بين طبقات المجتمع، وذلك من خلال الضريبة المحصلة من أصحاب الدخول المرتفعة التي يكملها الهدف المالي من خلال استخدام هذه الأموال في تغطية نفقات الخدمات المقدمة، التي يعتبر أصحاب الدخول المتدنية والطبقة الفقيرة المستفيدين الأوائل منها. أما عن الهدف الاقتصادي، فتؤدي الضريبة دوراً مهما في توجيه الاقتصاد من خلال تشجيع الاستثمار في بعض القطاعات الداعمة للاقتصاد وفقا لطبيعة الدولة.

ومما سبق تتضح لنا أهمية وضرورة وجود قانون واضح وعادل وواقعي ينظم هذه الهيكلية الضريبية، الأمر الذي يستوجب وعياً ضريبياً، وسلطة قوية قادرة على تطبيق هذا القانون، مع الأخذ بعين الاعتبار البيئة المحيطة.

إلا أنه يوجد بعض المشكلات التي تواجه نظام الضريبة، ومنها مشكلة التهرب الضريبي الذي يعني: قيام المكلف ببعض الأفعال والأعمال المخالفة للقانون، والتي من شانها تخفيض مقدار الضريبة المستحقة عليه. ومن المهم عند التطرق لهذه المشكلة الإشارة إلى أن هناك ظاهرة تسمى بالتخطيط الضريبي، وهي عملية إضفاء شرعية وقانونية على التهرب الضريبي بحيث تصبح العملية في إطار قانوني لا يحاسب عليه القانون، لذا يجب التفريق بين مصطلح التهرب الضريبي غير المشروع والتخطيط الضريبي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه رغم تعاقب القوانين وتعديلها لم يتم التوصل إلى حل جذري لهذه المشكلة، ونحن هنا في صدد دراسة تأثير قانون ضريبة الدخل رقم (١٧) للعام ٢٠٠٤م على مشكلة التهرب الضريبي في فلسطين.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في التهرب الضريبي، الذي يعدُّ من أهم المشاكلات التي تهدد النظام المالي للدولة وذلك من خلال قصورها في تغطية نفقاتها العامة مما يجبرها على اللجوء للاقتراض لتغطية عجز الموازنة، ومع تعاقب التعديلات على قانون ضريبة الدخل، وبقاء المشكلة ذاتها، الأمر الذي استدعى دراسة أثر قانون ضريبة الدخل رقم (١٧) للعام ٢٠٠٤م على التهرب الضريبي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في دراسة قانون ضريبة الدخل المعدل لعام ٢٠٠٤،ومعرفة مدى مساهمته في معالجة ظاهرة التهرب الضريبي، وكذلك معرفة أسباب التهرب الضريبي، ومحاولة الوصول إلى توصيات تعالج الثغرات الموجودة في قانون ضريبة الدخل.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة بشكل أساسي لتحقيق الأهداف الآتية:

١. التعرف إلى أشكال التهرب من ضريبة الدخل.
٢. التعرف إلى الأسباب الرئيسة وراء التهرب من ضريبة الدخل.
٣. توضيح الآثار الناجمة عن التهرب من ضريبة الدخل.

فرضيات الدراسة:

١. لا يوجد فرق بين وجهات نظر كل من المبحوثين حول التهرب الضريبي، فيما يتعلق بقطعية دلالة القانون.
٢. لا يوجد فرق بين وجهات نظر كل من المبحوثين حول التهرب الضريبي فيما يتعلق بالعبء الضريبي.
٣. لا يوجد فرق بين وجهات نظر كل من المبحوثين حول التهرب الضريبي، فيما يتعلق بالعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.
٤. لا يوجد فرق بين وجهات نظر كل من المبحوثين حول التهرب الضريبي، فيما يتعلق المسؤوليات المهنية على المحاسب القانوني.
٥. لا يوجد فرق بين وجهات نظر كل من المبحوثين حول التهرب الضريبي، فيما يتعلق بفعالية وكفاءة الإدارة في ضريبة الدخل.

الدراسات السابقة:

قام عرفات (١٩٦٥) في بحثه (اقتصاديات التهرب من ضريبة الدخل في الأردن) طرق من الضرائب ووضح اسباب التهرب الضريبي حيث بين أن هناك أسبابا سياسية واقتصادية تؤدي دوراً في زيادة التهرب الضريبي، كما بين أشكال التهرب الضريبي، وأهمها إبدال الدخل بارباح أو موجودات غير خاضعة للضريبة.

١. وضَّح أبو جبارة (١٩٧٥) في بحثه (ضريبة الدخل نظريتها وواقعها في الاردن) صور التهرب الضريبي في الأردن حيث حدد أربع أسباب رئيسية هي: أسباب تشريعية ونفسية اخلاقية واقتصادية وإدارية كلجوء مأمور التقدير إلى التقدير الجزافي وعدم المساواة في التطبيق.

٢. قام الخطيب (٢٠٠٠) بدراسة (التهرب الضريبي) وقد تناول الباحث الموضوع بشكل عام، حيث حدد أسبابه وطرق مكافحته، وتناول البحث العقوبات التي يفرضها القانون السوري على المتهربيين من الضرائب، وقدمت الدراسة توصيات لمكافحة التهرب الضريبي.

٣. قام المنتصر (٢٠٠١) بدراسة التهرب الضريبي في ليبيا، وركز الباحث على أهمية التهرب الضريبي وأثره على الدخل القومي، وقدم الباحث توصيات من أجل معالجة ظاهرة التهرب الضريبي.

٤. قام سعيفان (٢٠٠٥) بدراسة حول (التهرب الضريبي/ رؤية في الإصلاح الاقتصادي) تناول فيها أسباب التهرب الضريبي، وكيفية معالجته وأثره البالغ على الاقتصاد الوطني السوري، وتناول الباحث أنواع التهرب الضريبي، وقدم توصيات حول الإصلاح الضريبي مما يخفف عبء التهرب الضريبي.

منهجيـة الدراسة:

أساليب جمع البيانات:

قسم البحث إلى محورين أساسيين:

الأول: نظري اشتمل على دراسة قانون ضريبة الدخل رقم(١٧) للعام ٢٠٠٤ مع إجراء مسح للمراجع العلمية المختلفة.

الثاني: عملي حيث صُممت استبانة تضمنت الجوانب الرئيسة في البحث.

مجتمع الدراسة:

اشتمل مجتمع الدراسة على مدققي الحسابات، ومستشاري الضرائب، وموظفي ضريبة الدخل، والمكلفين والمحامين، وقد أخذت عينة من (١٠٠) شخص موزعة على (٢٠) شخصاً لكل فئة من الفئات السابق ذكرها.

أدوات التحليل الإحصائي:

اعتمدت المجموعة الإحصائية للعلوم الاجتماعية في تحليل البيانات واختبار الفرضيات، ولتحقيق ذلك استُخدمَ الإحصاء الوصفي وكذلك توزيع (F).

الفصل الأول (الفصل التمهيدي):

١ـ١ مفهوم الضريبة وخصائصها:

عُرِّفت الضريبة بأنها «فريضة نقدية تقتطعها الدولة، أو من ينوب عنها من أشخاص القانون العام من أموال الأفراد جبرا وبصفة نهائية وبدون مقابل، وتستخدمها لتغطية نفقاتها والوفاء بمقتضيات السياسة المالية العامة وأهدافها».(١)

ومن هنا يمكن أن نستخلص خصائص الضريبة بشكل عام وهي:

١. مبلغ من النقود تدفع نقدا وليست عينا.
٢. فريضة حكومية تفرضها الحكومة، أو من ينوب عنها، ويمثلها من الأفراد والهيئات العامة.
٣. إنها تفرض بشكل جبري، بمعنى أن الضريبة بمجرد إقرارها من قبل الجهات المختصة، فإن المكلف الذي تستحق عليه يكون مجبرا على تأديتها للدولة.

٢ـ١ أهداف فرض الضريبة:

يكمن الهدف من فرض الضريبة في المساهمة بتغطية نفقات الدولة المختلفة، وكذلك تحقيق بعض الأهداف الاجتماعية والاقتصادية، و يعتبر الهدف المالي من الأهداف الرئيسة وراء فرض الضريبة، إذ تعتمد معظم الدول على الأموال التي تجبيها وتحصلها من الضرائب في تغطية نفقاتها المختلفة. ومع ازدياد حجم الخدمات التي تقدمها الدولة، فقد أدى ذلك إلى زيادة في نفقات الدولة بشكل عام، مما دفعها لفرض ضرائب جديدة، مما نجم عنه تنوع في الضرائب.

أما الأهداف الاجتماعية للضريبة، فهي إعادة توزيع الثروة بين المواطنين، فالمبدأ العام من فرض الضرائب هو أن الجزء الأكبر من الضرائب يُحصل من الدخول العالية،

وبالمقابل فإن الأموال المحصلة من الضريبة تستخدم في تغطية النفقات العامة كالتعليم والصحة وغيرها، والتي أكثر المستفيدين منها هم أصحاب الدخول المنخفضة، وكذلك الحد من بعض العادات السيئة أو غير المرغوب بها في المجتمع، مثل المسكرات والتدخين، وذلك بزيادة أسعار الضرائب على مثل هذه السلع.

أما الأهداف الاقتصادية فهي تشجيع الصناعات المحلية وحمايتها من المنافسة الخارجية عن طريق فرض ضريبة على السلع المستوردة مما يعمل على رفع سعرها، وبالتالي يضعفها من الناحية التنافسية، وكذلك توجيه الاستثمار المحلي إلى بعض القطاعات المرغوب فيها عن طريق إعفاء ذلك القطاع من الضريبة، أو تخفيضها مما يشجع على الاستثمار فيه.

١ـ٣ قواعد فرض الضريبة:

هناك عدد من القواعد التي وضعها آدم سميث في كتابه(ثروة الأمم)، والتي ينبغي على الدولة مراعاتها عند فرض الضريبة، وذلك حتى تلقى القبول لدى الأفراد، وبغير ذلك تدخل الدولة في متاهة ظلم الأفراد والتعسف في استعمال هذا الحق في فرض الضريبة. **ويمكن تلخيص هذه القواعد في:**

أولا: العدالة والمساواة:

«وتعني هذه القاعدة ضرورة اشتراك كل شخص في الدولة سواء أكان شخصا طبيعيا أم معنويا في دفع الضرائب المقررة عليه، وهو ما يعرف بمبدأ عمومية الضرائب.»[٢]

ثانيا: قاعدة اليقين:

«وتعني هذه القاعدة أن تكون أحكام قوانين الضرائب واضحة للمكلف وبسيطة دون غموض أو إبهام، وذلك فيما يتعلق بتحديد الأموال الخاضعة للضريبة، والنسبة التي تقطع من وعائها (سعر الضريبة)، ومعيار وكيفية دفعها وأسلوب تحصيلها، وكل ما يتصل بها من أحكام وإجراءات، بحيث تكون معروفة بوضوح، وبصورة مسبقة لدى المكلفين بأدائها».

ثالثا: الملاءمة:

«وتعني هذه القاعدة ضرورة أن تكون أحكام تحصيل الضريبة المتعلقة بمواعيد وأساليب تحصيلها ملائمة للمكلف، وتتلاءم مع ظروفه وأوضاعه».

رابعا: قاعدة الاقتصاد في نفقات التحصيل:

«وتعني هذه القاعدة ضرورة أن تعمل الدولة جاهدة على ضغط نفقات تحصيل الضرائب إلى أقل قدر ممكن، مقارنة مع ما يدفعه المكلفون إلى الخزينة العامة من حصيلة الضرائب، فلا خير في ضريبة تتكلف جبايتها الجزء الأكبر من حصيلتها».[٣]

٤.١ المكلف بدفع الضريبة وأنواع المكلفين:

من المهم لدى الباحث معرفة المكلف بدفع ضريبة الدخل، واصطلاح مكلف ينبع من التكليف والالتزام الذي يفرضه القانون الضريبي على الأفراد المخاطبين بأحكامه، فكل شخص ملزم بدفع الضريبة يعدُّ مكلَّفاً.

لقد عرَّف القانون الفلسطيني رقم (١٧) للعام ٢٠٠٤م المكلف على أنه «كل شخص طبيعي أو معنوي يخضع للضريبة بموجب أحكام هذا القانون».(٤) وبناءً على ذلك؛ فإن أي شخص يتمتع بأحد الدخول التي لم ينص القانون ٢٠٠٤/١٧م على إعفائها من ضريبة الدخل يدخل في نطاق تعريف المكلف، ويكون ملزما بدفع الضريبة التي قررها القانون، وحتى يعتبر الشخص مكلفا، فيجب أن يكون مقيماً، وقد عرف القانون الفلسطيني ٢٠٠٤/١٧م المقيم في المادة رقم(١) على أنه:

- الفلسطيني الذي سكن فلسطين مدة لا تقل عن (١٢٠) يوماً خلال السنة التي تحقق فيها الدخل متصلة أو متقطعة، وكان له مكان إقامة في فلسطين، وعمل عملا رئيساً فيها.
- الفلسطيني إذا كان خلال أي فترة من السنة موظفا أو مستخدما لدى السلطة الوطنية، أو أي هيئة محلية.
- الفلسطيني المعار إلى شخص معنوي خارج فلسطين.
- الشخص الطبيعي غير الفلسطيني الذي سكن فلسطين خلال السنة التي تحقق فيها الدخل مدة لا تقل عن (١٨٣) يوما متصلة أو متقطعة.
- الشخص المعنوي المؤسس بموجب القوانين الفلسطينية ويكون مركز إدارته في فلسطين.(٥)

الفصــل الثاني: (الإطار النظري):

٢-١ الالتزام الضريبي:

ينشئ قانون الضريبة التزاما على عاتق المكلف بدفع المبلغ المستحق عليه من الضريبة، إضافة إلى التزامات أخرى، وينشا هذا الالتزام كون القانون سن من قبل جهة رسمية وهي المجلس التشريعي الفلسطيني، حيث نصت المادة رقم (٧٩) من القانون الفلسطيني الأساسي على أن: «فرض الضرائب العامة والرسوم وتعديلها وإلغاءها لا يكون إلا بقانون، ولا يعفى أحد من أدائها كلها أو بعضها في غير الأحوال المبينة في القانون».

وبالتالي إن أي محاولة للتخلف عن دفع الضريبة الواجبة عليه هي مخالفة للقانون، وتعدُّ جناية يعاقب عليها القانون الفلسطيني ١٧/٢٠٠٤م من خلال نص المادة (٣٨)، التي نصت على بعض العقوبات والغرامات في هذا الصدد، وتمثل هذه الظاهرة مشكلة البحث وهي التهرب الضريبي.

٢-٢ ماهية التهرب الضريبي وشروطه:

يحصل التهرب الضريبي عن طريق تخلص المكلف من عبء الضريبة الواقع عليه. ولكن هناك شروط يجب أن تتوافر حتى يكون هناك تهرب ضريبي.

ماهية التهرب الضريبي:

يعد التهرب الضريبي جريمة، إذ ينطوي على الإخلال في أداء الضريبة في موعدها القانوني، ويكون ذلك إما بعدم أداء الضريبة كلها أو بعضها أو التأخر في أدائها عن موعدها القانوني.

نظرا لما تم ذكره سابقا عن أهمية وأهداف الضريبة فان التهرب الضريبي يمثل اعتداء على اقتصاد الدولة، وهو أحد صور الجرائم الاقتصادية، وحاول القانون الفلسطيني ١٧/٢٠٠٤م الحد من هذه الظاهرة من خلال نصه على بعض العقوبات التي تترتب على مرتكب هذه الجريمة، وهذا من نصت عليه المادة (٣٩) في القانون:

أولا: مع عدم الإخلال بأي عقوبة أشد في قانون آخر يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن شهر، ولا تزيد عن سنة أو بغرامة لا تقل عن(١٠٠) دولار، ولا تزيد عن (١٠٠٠) دولار أمريكي، أو ما يعادلها بالعملة المتداولة قانوناً أو بكلتا العقوبتين معا، كل من ارتكب أو حاول أو حرض أو اتفق أو ساعد غيره بقصد التهرب من الضريبة.

ثانيا: في جميع الأحوال يلتزم مرتكب المخالفة بدفع مثلي النقص الذي حدث في مقدار الضريبة، ويكون الشريك المحكوم عليه مسؤولاً بالتضامن مع المكلف في أداء قيمة الضريبة المستحقة التي لم يتم أداؤها. [٦] ومما سبق تتضح لنا ماهية التهرب الضريبي بأنه: «**التخلص من دفع الضريبة كلها أو بعضها أو من تحمل عبئها**».[٧]

شروط التهرب الضريبي:

حتى نتوصل إلى جريمة التهرب الضريبي، لا بد من توافر عدد من الشروط، ومن أهمها:

١. التخلص من العبء الضريبي.
٢. مخالفة قواعد القانون.
٣. استعمال إحدى الطرق الاحتيالية للإفلات من دفع الضريبة، ونص قانون ضريبة الدخل الفلسطيني ١٧/٢٠٠٤م على بعض طرق الاحتيال التي قد يلجا إليها المكلف للتهرب من دفع الضريبة[٨] والمتمثلة بـ:

١. قدم الإقرار الضريبي السنوي بالاستناد إلى دفاتر أو سجلات أو حسابات أو مستندات مصطنعة، مع تضمينه بيانات تخالف ما هو ثابت بالدفاتر التي أخفاها عن المديرية أو إحدى دوائرها المختصة.
٢. قدم إقرارا ضريبيا غير صحيح، وذلك بأن أغفل أو أنقص أو حذف منه أي دخل أو أي جزء من الدخل الذي يترتب عليه بمقتضى هذا القانون، وأثر على مقدار الضريبة بشكل جوهري.
٣. قدم الإقرار الضريبي السنوي على أساس عدم وجود دفاتر أو سجلات أو حسابات أو مستندات، مع تضمينه بيانات تخالف ما هو ثابت لديه فعلاً من دفاتر أو سجلات أو حسابات أو مستندات أخفاها عن موظف الضريبة.
٤. أتلف أو أخفى الدفاتر أو السجلات أو المستندات قبل انقضاء الأجل لحفظ تلك الدفاتر أو السجلات أو المستندات في القوانين المرعية.
٥. أدرج أي بيان كاذب أو قيد صوري أو غير صحيح في كشف أو بيان قدم بموجب أحكام هذا القانون.
٦. وزع أرباحا على شريك أو شركاء وهميين بقصد تخفيض نصيبه من الأرباح.
٧. اصطنع أو غير فواتير الشراء أو البيع أو غيرها من المستندات بغية تخفيض الأرباح أو زيادة الخسائر.
٨. أخفى نشاطا أو أكثر مما يخضع للضريبة.
٩. امتنع عن تقديم المعلومات التي طلب منه تقديمها أو أعطى معلومات أو بيانات غير صحيحة فيما يتعلق بأية مسألة تؤثر في مسؤوليته أو مسؤولية أي شخص آخر في دفع ضريبة الدخل أو التأثير على مقدارها.
١٠. أعطى خطياً أي جواب كاذب على أي سؤال أو طلب وجه إليه للحصول على معلومات أو بيانات يتطلبها هذا القانون وذلك بهدف التهرب من دفع الضريبة كليا أو جزئيا.
١١. عدم التصريح عن ممارسة النشاط أو إنهائه خلال المدة المحددة.
١٢. لم يخصم الضريبة أو خصمها، ولم يوردها لحساب الدائرة.
١٣. لم يقدم أو تخلف عن تقديم الإقرار الضريبي المنصوص عليه في هذا القانون[٩].

٢-٣ صور التهرب الضريبي وأشكاله:

للتهرب الضريبي صورتان هما: التهرب الضريبي المشروع، والتهرب الضريبي غير المشروع.

أولا: التهرب الضريبي المشروع:

يوجد تناقض في جمع تلك الكلمتين في مصطلح واحد، «فكلمة تهرب تعني الإفلات بسوء نية من أحكام القانون، وكلمة مشروع تعني أن يكون متفقا مع أحكام القانون، أو على الأقل عدم مخالفته لأحكام القانون»[١٠]، وهذا يبين أن التهرب الضريبي المشروع يقوم على استغلال المكلف أو الممول للثغرات الموجودة في القانون الضريبي، بحيث يتجنب القيام بالعمل الذي تجب عليه الضريبة من خلال القيام به، وبالتالي لا يمكن إثبات الواقعة المنشأة للدخل، الأمر الذي يترتب عليه إفلات المكلف من دفع الضريبة.

ثانيا: التهرب الضريبي غير المشروع:

يقصد به قيام المكلف بمخالفة قانون الضرائب في الدولة بقصد تخفيض مقدار الضريبة الواقعة عليه، ملحقا الخسارة بالخزانة العامة، وتختلف أشكال التهرب الضريبي غير المشروع باختلاف أنواع الضرائب، وقد يكون التهرب كليا أو جزئيا من دفع الضريبة المستحقة.

من أشكال التهرب الضريبي في فلسطين:

١. «عدم التصريح عن النشاط الذي يمارسه المكلف نهائيا ولا يتوافر عنه أية معلومات للدوائر الضريبية المختصة، الأمر الذي يترتب عليه عدم دفع الضريبة على هذا النشاط.
٢. قيام المكلف بزيادة نفقات العمل ومصاريفه بشكل لا يمثل الحقيقة، ويكون قاصداً بذلك تقليل الأرباح، وبالتالي تخفيض قيمة الضريبة.
٣. يلجأ المكلف إلى تخفيض المبيعات بشكل كبير (تخفيض الإيرادات)، وبخاصة أنه يوجد سهولة في تزوير الفواتير، وفي كثير من الأحوال لا يقوم صاحب المتجر مثلا بإخراج فاتورة، ويساعده في ذلك عدم طلب المشتري لهذه الفاتورة.
٤. التهرب من ضريبة الدخل على الرواتب والأجور في القطاع الخاص، فكثيرا من أرباب العمل لا يقومون بفتح ملفات للعاملين لديهم في قسم الاقتطاعات لدى دائرة ضريبة الدخل.
٥. تخفيض بعض المكلفين لحجم أعمالهم وخصوصا الذين لا يتعاملون مع مؤسسات ودوائر حكومية، وذلك لعدم حاجتهم لشهادة عدم الخصم بالمصدر، ولا يستطيع المكلفون الذين يتعاملون مع هذه المؤسسات والدوائر القيام بذلك.
٦. تقديم المكلفين أو محاسبيهم بيانات مالية تعبر عن خسارة أو أرباح بسيطة، وفي حال تقديم بيانات خاسرة، فان هذه الخسارة تدور، وبالتالي فهو تهرب ليس فقط في السنة الحالية، بل في السنوات اللاحقة.

٧. ينتشر التهرب من ضريبة الدخل بشكل واضح عند أصحاب المهن الحرة كالأطباء والمحامين والصيادلة والمهندسين، وهم من أصحاب الدخول المرتفعة.
٨. ينتشر التهرب من ضريبة الدخل على الأملاك المؤجرة، حيث أن معظم أصحاب هذه الدخول لا يقومون بدفع الضرائب المستحقة عليهم.
٩. يحاول المكلف التهرب من ضريبة الدخل عن طريق شهادة خصم بالمنبع، بالتلاعب باسم الجهة التي ستوجه إليها هذه الشهادة، والمبلغ الذي يريده، ورقم الفاتورة الضريبية، وتاريخ منح هذه الشهادة، وتاريخ انتهائها».(١١)

٤ـ١ أسباب التهرب الضريبي:

لا بدَّ من معرفة أسباب التهرب الضريبي للعمل على الحد من هذه الظاهرة، حيث من الممكن حصرها بما يأتي:

١. رغبة المكلف بالتوفير المادي.
٢. عدم وجود الوعي الكافي لدى المكلفين حول أهمية جباية الضرائب للدولة، وما فيه من مصلحة المجتمع.
٣. ارتفاع أسعار الضرائب.
٤. عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي.
٥. سوء الإنفاق العام وعدم شعور المكلف بتقديم الخدمات.
٦. ضعف السلطة في تطبيق العقوبات المنصوص عليها في قانون ضريبة الدخل الفلسطيني.
٧. العبء الضريبي الواقع على المكلف.
٨. الشعور بعدم العدالة في توزيع العبء الضريبي.
٩. أسباب أخلاقية كضعف الحس المالي كواجب اجتماعي لدى المكلف.

الفصـــل الثالث: (طرق مكافحة التهرب الضريبي):

٣ـ٢ طرق مكافحة التهرب الضريبي:

بعد أن تحدثت في المبحث السابق عن التهرب الضريبي وأسبابه وأشكاله وأهم الوسائل المتبعة من قبل المكلفين للتهرب الضريبي في فلسطين، أصبح من الواجب البحث عن الوسائل الناجعة لمكافحة هذه الظاهرة، وواجب الدولة حيالها. ومن الجدير بالذكر أن هذه الوسائل أو الطرق التي تتبعها الدولة في معالجة هذه الظاهرة، لا تعني القضاء عليها كليا أو نهائيا، بل من شأنها أن تؤدي إلى الحد من انتشار هذه الظاهرة، ومن أهم تلك الطرق:

أولا: **«تضمين التشريعات الضريبية عقوبات صارمة وواضحة بحق مرتكبي جرائم التهرب الضريبي والمتخلفين عن الدفع»**(١٢)، حيث لم يخلُ أي قانون ضريبي من مادة تنص على عقوبات وغرامات بحق مرتكب جريمة التهرب الضريبي، وهذا ما تضمنه قانون ضريبة الدخل الأردني رقم ٢٥ لسنة ١٩٦٤م المطبق سابقا في الضفة الغربية.

ثانيا: الجباية من المصدر:

تعد هذه الوسيلة من أهم الوسائل المتبعة في الحد من مشكلة التهرب من ضريبة الدخل وأنجحها، بحيث تُخصم الضريبة من منبعها أي قبل تسلم المكلف لدخله، وهذا بدوره يمثل سهولة في إجراءات التحصيل وتقليل النفقات؛ إذ يلزم رب العمل بدفع هذه الضريبة من ماله الخاص في حال عدم خصمها من الدخول المدفوعة، وهذا ما اتبعه المشرع الفلسطيني في قانون ضريبة الدخل الفلسطيني رقم (١٧) لسنة ٢٠٠٤م حيث نص على ذلك في المادة (٣١) منه.

ثالثا: عدم المبالغة والمغالاة في تعداد الضرائب:

يحق للدولة فرض ضرائب ووضع تخطيط ضريبي يتناسب ورسم سياسة الدولة المالية الاقتصادية، إلا أنه يجب على الدولة أن تراعي عند فرضها لهذه الضرائب العديد من الاعتبارات، وأن تأخذ بعين الاعتبار العديد من المعايير، فيجب مراعاة ظروف المكلفين وخاصة الظروف الاقتصادية، من خلال معقولية أسعار الضريبة، والعدد القابل للتطبيق حسب إمكانات المكلف، فإذا لم تأخذ الدولة بهذه الاعتبارات وتجاهلتها، فكأنها بذلك تدفع مكلفيها للتهرب من دفع الضرائب، فكلما زاد العبء الضريبي على المكلف، كلما بذل ما بوسعه للتخلص منه، وهذا ما يؤدي إلى التهرب الضريبي.

رابعا: حق الاطلاع:

يقصد به تضمين التشريعات الضريبية نصوصا تجيز لموظفي الضرائب حق الاطلاع على دفاتر المكلف ومستنداته وملفاته، وذلك ضمن تلك النصوص.وهذا يشكل رادعا للمكلف بحيث يشعر بالخوف من تقديم سجلات وهمية غير مطابقة للحقيقة، ومن ثم اكتشافها من قبل موظف الضريبة.

خامسا: التنسيق بين الدوائر الحكومية المختلفة للدولة:

تعد هذه الوسيلة من أهم الوسائل المتبعة للحد من ظاهرة التهرب الضريبي، فهو بدوره يساعد على جمع العديد من المعلومات عن المكلفين، وبالتالي قطع الطريق أمام المكلفين المتهربين من دفع الضريبة المستحقة عليهم من خلال الكشف عن معلوماتهم.

سادسا: تقديم إقرار مؤيد باليمين:

حيث يوجد هناك بعض القوانين والتشريعات الضريبية تطلب من المكلف حلف اليمين لإثبات صحة المعلومات المصرح عنها في كشوفاته وإقراراته المقدمة للدوائر الضريبية.

الفصل الرابع: (قانون ضريبة الدخل الفلسطيني رقم ١٧ للعام ٢٠٠٤م وضريبة الدخل في فلسطين):

٤.١ الواقع الفلسطيني وضرورة الإصلاح الضريبي:

تعرض الوضع الضريبي في السلطة الفلسطينية للعديد من المشكلات التي برز من خلالها ضرورة الإصلاح الضريبي ومنها:

- **غياب التشريع القانوني:**

نتيجة لتشابك الضرائب بين المرحلة السابقة والمرحلة الانتقالية، والقيود التي فرضت على تغير الضرائب غير المباشرة، فقد كان هناك فراغ قانوني يتعلق بالضرائب غير المباشرة التي تطبق حاسوبياً لحظة تطبيقها في إسرائيل. كما يوجد العديد من الضرائب التي ليس لها تشريع ضريبي يفرضها دائما، بل فرضت من قبل إسرائيل، والتي لا يوجد أي وضوح في الفروقات بينها، وعليه فإن هناك حاجة ماسة لإصدار أمر بتحديد الضرائب غير المباشرة والسارية والتعريف بها، وكذلك بالنسبة لضريبة الدخل، فمنذ عام١٩٦٤م والقانون المطبق هو قانون الضريبة الأردني (٢٥) لسنة ١٩٦٤م فهو قانون صدر منذ (٤٠) عاما فالزمن تغير والعصر تطور، الأمر الذي دعا إلى ضرورة سن قانون جديد يتلاءم ووقتنا الحاضر، وما جدَّ من تطورات في مجال الشركات وغيرها.

- **تعدد الضرائب التي يدفعها الممول:**

فهناك العديد من الضرائب التي تدفع للسلطة الفلسطينية، وأسعارها مرتفعة، ومن شانها التأثير في زيادة العبء الضريبي الذي يدفع بالمكلف إلى التهرب. كما أن هذه الضرائب المتعددة تعني صعوبة في استقطاب رؤوس أموال أجنبية عند فحص الوضع الضريبي المحلي.

- **تعدد الإدارات الضريبية:**

هناك حاجة لإعادة هيكلية إدارة الضرائب، فهناك أربع دوائر مستقلة تتولى موضوع الضرائب وهي: دائرة ضريبة الدخل، ودائرة القيمة المضافة والمكوس، ودائرة الجمارك، والدائرة المالية التي تتولى إدارة ضرائب العقارات وتحصيلها. ويمكن دمج هذه الدوائر بحيث تتضافر الجهود، وتصبح الكفاءة أعلى، الأمر الذي ينعكس إيجابا على الجباية.

- **زيادة العبء الضريبي:**

عند مراجعة القوانين الضريبية، أو لغرض إعادة الهيكلية الاقتصادية للدولة وتنفيذ خطط إصلاح اقتصادية، تقتضي الحاجة معرفة العبء الضريبي الذي يمكن حسابه من خلال طرق عدة، فقد وصل معدل الضريبة في السلطة الفلسطينية ٢٩٪حسب معدلات سنة ١٩٩٦م، وهي نسبة مرتفعة للمجتمعات النامية، وبخاصة تلك التي تشهد تحولات سياسية واقتصادية.

- **قصور هدف الضريبة:**

كان دور الضريبة في الاقتصاد الفلسطيني وما زال قاصراً على تمويل إيرادات الدولة، ولا يؤدي أي دور اقتصادي أو اجتماعي أو مالي، ولا يأخذ بالاعتبار السياسات المالية أو النقدية، ويجب ملاحظة أن إبقاء الوضع الضريبي كما هو يعني عدم تغير أهداف الضريبة التي سادت خلال فترة الاحتلال **وهما هدفان**:

١. تمويل موازنة ما عرف بالإدارة المدنية.
٢. ربط الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الإسرائيلي.

٢ـ٤ الوسائل التي تبناها قانون ضريبة الدخل الفلسطيني للحد من ظاهرة التهرب الضريبي:

من خلال قانون ضريبة الدخل الفلسطيني رقم ١٧ للعام ٢٠٠٤م قامت السلطة الفلسطينية بتوحيد قانون ضريبة الدخل المطبق في كل من الضفة وغزة، الأمر الذي سهل من عمل موظفي الضرائب، ودوائر الضريبة في تطبيق القوانين الضريبية مع اختلاف المناطق، وكانت هذه أول إيجابية لهذا القانون. ومن الوسائل التي تبناها القانون للحد من ظاهرة التهرب الضريبي:

١. عمل القانون على مراعاة الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للمكلف من خلال زيادة حجم الإعفاءات المنصوص عليه في المادة رقم (١٠) من القانون، وجعلها بحد أقصى ١٢٠٠٠$ عوضا عن ٢٠٠٠٠ شيقل سابقا، أو مساويا لحجم الدخل أيهما أقل، والتي من شأنها التأثير في العبء الضريبي الواقع على المكلف من خلال تخفيضه، مما يحد من ظاهرة التهرب الضريبي، إلا أنه لم يوفق كثيرا عندما خفض عدد الشرائح من خمس إلى ثلاث شرائح مما انعكس على المكلف من خلال زيادة الأسعار على الشرائح الأولى، التي تضم الدخول المنخفضة، وبالتالي فالمتضرر الأول هم أصحاب الدخول المنخفضة، حيث لم يتغير العبء الضريبي عليهم بشكل ملموس، أما عن أصحاب الدخول المرتفعة فقد تمتعوا بانخفاض ملموس في العبء الضريبي، وذلك من خلال انخفاض أسعار الضريبة على الشرائح المرتفعة التي تضمهم عما كان سابقا إضافة إلى الإعفاءات التي يتمتعون بها، علما بأنهم يمثلون أهم وارد

لضريبة الدخل، على الرغم من أنهم قلة في المجتمع الفلسطيني.

٢. ألزم قانون ضريبة الدخل الفلسطيني رقم (١٧) للعام ٢٠٠٤م المكلفين الذين لديهم مصدر دخل أو أكثر بتقديم الإقرار الضريبي، وهذا ما نصت عليه المادة رقم (١٦) في البند رقم (١) من القانون، كما حدد موعد تقديم هذا الإقرار بنص المادة رقم (١٧) بند رقم (١)، إضافة إلى إعطاء المقدر الحق في قبول الإقرار أو رفضه من خلال تدقيقه للإقرار ومرفقاته، إلا أنه يأخذ صفته القطعية إذا انقضت فترة سنة من تاريخ تقديمه، ولم يقم مأمور التقدير بتدقيقه وفحصه، وإبلا غ المكلف بشأنه خلال تلك الفترة، وهذا ما نصت عليه المادة رقم (١٩).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الآلية سهلت من عملية التقدير والتحصيل، فعندما يقوم المكلف بتقدير دخله فهو أعلم به، وذلك بالإستناد للحسابات القانونية المنصوص عليها، ولإتمام هذه الآلية فقد منح المشرع الفلسطيني امتيازات للمكلفين الملتزمين بموعد التقديم، وذلك من خلال ما جاء في نص المادة (١٧) البند رقم (٢) والمتمثلة بتنزيلات نسبية على قيمة الضريبة المستحقة.

٣. حرص المشرع الفلسطيني على وقت المكلفين، فقد أجازت المادة رقم (٢٥) لأي شخص طبيعي أو معنوي أن ينيب عنه خطيا أيا من الأشخاص لتمثيله لدى الدائرة الضريبية.
٤. حرص قانون ضريبة الدخل على الحيلولة دون وقوع الازدواج الضريبي، فقد نص في المادة رقم (١٢) على تقاضي ضريبة الأبنية والأراضي.
٥. أعطى القانون تسهيلا للمكلفين من خلال إمكانية التقسيط، وجاء ذلك في نص المادة رقم (٣٣).
٦. الخصم من المنبع، فقد نص قانون ضريبة الدخل من خلال المادة رقم (٣١) على مبدأ الخصم من المنبع، وقد سهلت هذه الطريقة عملية الجباية والتقليل من نفقاتها، مما يعود بالنفع على الخزانة العامة.
٧. اعتبار التهرب الضريبي جريمة يعاقب عليها القانون، فقد نص القانون على عقوبات وغرامات بحق المكلف المتهرب من خلال المادة رقم (٣٩) إضافة إلى المادة رقم (٤٠) التي نصت على عقوبات بحق المحاسب القانوني مرتكب المخالفة.

هذه هي أبرز الوسائل التي اتبعها القانون الضريبي الفلسطيني رقم (١٧) للعام ٢٠٠٤م للحد من ظاهرة التهرب الضريبي، والمطلوب الآن أن يعمل القانون على الحد من هذه الظاهرة، ولكن الأهداف النظرية والرؤية النظرية شيء، والتطبيق شيء آخر، فهذه الوسائل تثبت صحتها من خلال تطبيقها، فعند التطبيق تبرز بعض الثغرات التي ينعكس أثرها على هذه الوسائل. هذا شأن أي قانون ضريبي، فالقانون يوضع بشكل عام، ولا

يوضع بشكل خاص، وبالتالي فإن أي قانون ضريبي ربما يتضمَّن بعض الثغرات والنقاط التي لا يكون فيها قطعية في الدلالة، ولكن يجب أن تكون هذه الثغرات محدودة وأن تتوافر إمكانية معالجتها من خلال التعليمات الصادرة مع القانون، إلا أنه ومع الأسف عندما بدأ العمل بتطبيق قانون ضريبة الدخل الفلسطيني رقم (١٧) للعام ٢٠٠٤م برزت العديد من المشاكلات والثغرات منها نقص الوضوح والقطعية في نصوص بعض البنود المشمولة في مواد القانون، مما عطل عملية استكمال إجراءات الضريبة من خلال الجباية والتحصيل، بسبب اختلاف التفسيرات في هذا القانون من قبل المكلف والدائرة، ونحن هنا نلقي الضوء على بعض ثغرات القانون التي أدت بهذا القانون إلى عدم الوضوح مما عرقل العمل به، ومنها:

١. تكمن الثغرة الأولى في قانون ضريبة الدخل الفلسطيني ٢٠٠٤/١٧م في القائمين على سن هذا القانون، فكان يجدر بهم أن يكونوا مزيجا من مهنيين و محاسبين و مستثمرين و أكاديميين و محامين و ماليين، حتى يخلص هؤلاء معا بنص واضح صريح لا مجال فيه للتفسير والتأويل الخاطئ من قبل المكلف أو المحاسب.
٢. عندما عرف قانون ضريبة الدخل الفلسطيني ٢٠٠٤/١٧م المقيم بأنه: الشخص المعنوي المؤسس بموجب القوانين الفلسطينية، ويكون مركز إدارتها في فلسطين. كان هذا في البداية مخالفاً للقوانين الضريبية الأخرى، فهي لم تشترط أن يكون مركز إدارتها في البلد نفسه.
٣. تبع ثغرة تعريف المقيم بالشخص المعنوي ثغرة أكبر عندما أخضع الشخص المعنوي غير المقيم، وهو الشركة الموجودة في فلسطين ومركز إدارتها خارج فلسطين لنسبة ضريبة ١٦٪ من الدخل المتحقق، فلو ذهبنا لتحليل كلمة دخل، فماذا تعني؟

الدخل المتحقق = الدخل الإجمالي

الدخل الإجمالي = الدخل الصافي + التنزيلات

التنزيلات = التكلفة + المصروف + الخسارة

الدخل الإجمالي = الدخل الصافي + التكلفة + المصروف + الخسارة

بالتالي: الدخل الإجمالي = الإيراد = الدخل المتحقق.

هذا ينفي العدالة الضريبية التي تقضي بتنزيل النفقات والمصاريف التي يتكبدها المكلف في سبيل إنتاج الدخل، لأنه لولا هذه النفقات لما تحقق هذا الدخل.

١. أي قانون ضريبي يعمل على الحد، أو منع الازدواج الضريبي إما من خلال القانون أو من خلال الاتفاقات الدولية، فمثلا نصت المادة رقم (٢) من القانون ٢٠٠٤/١٧م على أنه ما لم يرد نص على الإعفاء في هذا القانون، تكون الدخول المتحققة كافية، لأي شخص، ومن أي مصدر خاضعة لضريبة الدخل. فلو درسنا الشركة المقيمة التي لها أفرع خارج فلسطين، فهذه الأفرع ستخضع لازدواج ضريبي ما لم يكن هناك اتفاقية دولية، فهناك اتفاقيتان فقط هما مع مصر وتونس.

٢. لم يضع القانون حداً معيناً لسن الابن المعال، وعدد الأبناء المعالين أو المعالين كلهم، الأمر الذي أعطى المكلف مجالا واسعا للتلاعب.

٣. عندما أعطى إعفاء لغرض التعليم في مؤسسات التعليم العالي لم يحدد درجة التعليم، وكذلك عدد سنوات التعليم، فهناك الطالب المنتسب الذي قد يستغرق سنوات عديدة، أو أن يسجل ساعات قليلة قاصدا متعمدا لأجل الاحتفاظ بالإعفاء لمدة أطول.

٤. نصت المادة (٧) (الدخل المعفي من الضريبة بشروط) في البند الأول على أن: « الأرباح الرأسمالية الناتجة عن بيع عقارات أو أوراق مالية، بشرط أن لا يكون ذلك بصورة دورية ومنتظمة، وأن لا يكون من طبيعة عمله التجارة بذلك»[١٣]، وهو بذلك استبعد نظرية الإثراء، وهنا ماذا عن البنوك أو بعض الشركات التي تتاجر بالأسهم، ومع أنه ليس من طبيعة عملها؟ ونقطة الفصل هنا هي الإثبات، وبالتالي تتيح فرصة للمكلف لأخذ الحذر.

٥. هناك تضارب في القانون عندما نصت المادة رقم (١٧) بند رقم (٣) على أن يضاف إلى الضريبة المستحقة ٣٪ منها عن كل شهر يتخلف فيه المكلف المشمول في هذه التعليمات عن تقديم الإقرار على أن لا يتجاوز مجموع المبالغ المضافة ٢٠٪ من الضريبة المستحقة، في حين نصت المادة رقم (٣٨) بند رقم (٢) على أن « يضاف على كل مكلف بتقديم إقرار ضريبي ولم يقدمه في الموعد المحدد نسبة ٢٪ من الضريبة المستحقة، أو التي سيجري تقديرها ولمدة ثلاثة شهور».[١٤]

أما من الناحية القانونية ففي المادة (١٧) بند (٣) تكون هذه النسبة عبارة عن ضريبة إضافية على ضريبة الدخل، وتكون بمسؤولية مدنية، أما عن المادة (٣٨) بند (٢) تكون هذه النسبة عبارة عن غرامة تدفع عقابا بسبب تخلف المكلف عن تقديم الإقرار الضريبي، إلا أن هناك حيرة لدى القانونيين، فهل هذه النسبة ستكون من الضريبة المستحقة قبل الإضافة على الضريبة أم بعدها؟.

١. لقد ساعد مبدأ تبني الإقرار الذاتي على التهرب الضريبي، حيث يعتبر هذا الإقرار صحيحا ما لم يثبت عكس ذلك، إذ أتاح القانون لمأمور التقدير مدة سنة من أجل فحصه وتعديله كليا أو جزئيا و إلا فبعد السنة يعدُّ مقبولا كما هو عليه.

٢. عدم تبني القانون لنظام السلفيات في تحصيل الضرائب، فقد أجازت المادة (٣٠) في البند الأول منها على أن يؤدي المكلف هذه الضريبة إن شاء حسب نظام السلفيات، علما بأن تطبيق مبدأ السلفيات يكون متزامنا مع تحقق الدخل، فالدين الضريبي ينشأ بمجرد توافر الواقعة التي يحددها قانون ضريبة الدخل، مما يقلل من إمكانية التهرب الضريبي.

٣. عدم تطبيق قانون تحصيل الأموال العامة، فقد أجازت المادة (٣٤) لمأمور التقدير وبعد موافقة المدير أن يشرع بتطبيق أحكام قانون تحصيل الأموال العامة المعمول به، وذلك بعد ٩٠ يوما من تخلف المكلف عن الدفع.

٤. إعفاء الشخص الطبيعي من المزارعين في المادة (٦) البند (١٤)، وفق معايير وتعليمات ولكنها لم تصدر بعد، وها هو عام ٢٠٠٦م قد انتهى وإجراءات جباية وتحصيل الضرائب يجب أن تتم.

٥. إن العقوبات التي نص عليها هذا القانون لم تكن رادعة فعلا من الناحية المادية أو المعنوية، فقد يكون المكلف متهربا بأكثر من هذا المبلغ بكثير، كما أن الـ ١٠٠٠$ لا تشكل له كثيرا، وبالتالي لن تردعه هذه العقوبة عن التهرب.

٦. عدم وجود نص واضح وصريح في القانون ينص على عدم إعطاء الزوج إعفاء إعالة على زوجته العاملة إلا انه لا يحصل عليه، علما بأن المعيل هو الزوج.

٧. بعد أن نصت المادة (٣٨) في البند (٢) على الغرامات الواقعة على المكلف المتخلف عن الدفع، جاء البند (٣)، وأعطى جانبا من اللين للمكلف المتهرب من خلال نصه: «للمدير أو من يفوضه خطيا أن يعفي المكلف من المبلغ الإضافي كله أو قسما منه إذا اقتنع بأن المكلف تأخر عن الدفع لأي سبب قهري. كما يجوز للمدير أو من يفوضه رد المبلغ الإضافي إذا كان مدفوعا في حالة توافر الأسباب المذكورة»[١٥]، وكذلك بالنسبة للعقوبات في المادة (٣٩) البند (ثالثا) الذي نص على: «يجوز للمدير أن يجري المصالحة عن أي فعل ارتكب خلافا لأحكام هذه المادة، ويجوز قبل صدور الحكم أن يوقف أي إجراءات متخذة، وأن يجري أية مصالحة بشأنها وفق الغرامات التي يحددها»[١٦]، وهنا قد يكون المكلف متهربا أو قاصدا لعدم الدفع أو التأخير عن تقديم الإقرار مثلا إلا أنه يلفق سبباً، وبالتالي يتخلص من الغرامة أو العقوبة عن طريق استغلال هذه النصوص اللينة.

٨. لم ينص القانون على وجود دائرة للتدقيق تتولى مهمات الفحص والتحقيق في مدى مطابقة قرارات التقدير للقانون الضريبي، الأمر الذي قد يجعل كثيرا من هذه القرارات تتم بطريقة جزافية ومخالفة للقانون، لأن المقدر يعلم بأنه ليس هناك جهة رقابية تتولى مهمة فحص هذه القرارات والتحقق من صحتها.

الفصـــل الخامس: (النتائج والتوصيات):

٥.١ تحليل البيانات والنتائج:

تشير نتائج التحليل الوصفي المدرجة في الجدول (١) وكذلك اختبار F المدرجة في الجدول (٢)، والتي استخدمت في اختبار الفرضيات الى ما يأتي:

- الفرضية الأولى، التي نصت على:

لا يوجد فرق بين وجهات نظر المبحوثين حول التهرب الضريبي فيما يتعلق بقطعية دلالة القانون. قُبلت الفرضية حيث أن a=٠,٠٥<Sig.٠,٣٣٢، مما يعني تشابه وجهات نظر المبحوثين، وذلك من خلال الفقرات بين (٤-١)، وكان أبرز أسبابها فشل القانون ١٧/٠٤م في تقديم الوعي الضريبي الكافي.

- الفرضية الثانية، التي نصت على:

لا يوجد فرق بين وجهات نظر كل من المبحوثين حول التهرب الضريبي، فيما يتعلق بالعبء الضريبي.قُبلت هذه الفرضية حيث أن a=٠,٠٥<Sig.٠,٧١٣، مما يعني تشابه وجهات نظر المبحوثين، وذلك من خلال الفقرات (٨-٥)، وكان أبرز أسبابها التهرب من ضريبة القيمة المضافة.

- الفرضية الثالثة، التي نصت على:

لا يوجد فرق بين وجهات نظر كل من المبحوثين حول التهرب الضريبي، فيما يتعلق بالعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. قُبلت هذه الفرضية حيث أن a=٠,٠٥<Sig.٠,٧٧٥، مما يعني تشابه وجهات نظر المبحوثين، وذلك من خلال الفقرات (١٤-٩)، وكان أبرز أسبابها انعدام الاستقرار السياسي.

- الفرضية الرابعة، التي نصت على:

لا يوجد فرق بين وجهات نظر كل من المبحوثين حول التهرب الضريبي، فيما يتعلق بالمسؤوليات المهنية على المحاسب القانوني. رُفضت هذه الفرضية حيث أن a=٠,٠٥>Sig.٠,٠٣١، مما يعني اختلاف وجهات نظر المبحوثين، وذلك من خلال الفقرات (١٧-١٥).

- الفرضية الخامسة، التي نصت على:

لا يوجد فرق بين وجهات نظر كل من المبحوثين حول التهرب الضريبي، فيما يتعلق بفعالية وكفاءة الإدارة في ضريبة الدخل. قُبلت هذه الفرضية حيث أن a=٠,٠٥<Sig.٠,٧٨٨، مما يعني تشابه وجهات نظر المبحوثين، وذلك من خلال الفقرات (٢١-١٨) وكان أبرز أسبابها قلة التنسيق بين مديرية الضريبة، وبين الدوائر الحكومية الأخرى.

الجدول (١)
الوسط الحسابي والانحراف المعياري
لمعرفة إجابات الأسئلة المقترحة في الاستبانة

	Mean	Std Deviation
غموض قانون ضريبة الدخل رقم ١٧ للعام ٢٠٠٤	٣,٤	١,١٤
إغفال القانون رقم ١٧ لبعض الثغرات	٣,٨٩	٨.
إعطاء صلاحيات واسعة للوزير وا دير	٣,٤٢	١,٢٣
فشل القانون ١٧ تقد الوعي الضري الكا	٤,١٣	٨٧.
فيض عدد الشرائح الضريبية	٣,٥٦	١,١
زيادة أسعار الضرائب على الشرائح	٣,٤٩	١,١٦
تعدد أنواع الضرائب ال يتعرض ا ا كلف وتشا ها	٣,٦	١,٠٧
التهرب من ضريبة القيمة ا ضافة	٣,٩٣	١,٢١
انعدام الاستقرار السياسي	٤,٦٧	٦.
سوء الأوضاع الاقتصادية ورغبة ا كلف بالتوف ا ادي	٤,٥٣	٥.
عدم وجود نظرة سلبية من ا جتمع للمتهرب من الضريبة	٤,٢	٩٤.
ضعف السلطة تطبيق العقوبات ال نص عليها القانون ١٧	٤,٥٦	٨٤.
سوء الإنفاق العام وعدم الشعور با دمات ا قدمة	٤,٦	٥٨.
انعدام جسور الثقة ب ا كلف ودوائر الضريبة	٤,٣٣	٨.
غياب مهنة تدقيق منظمة	٤,٠٠	٧٧.
إ ال الدورات التدريبية لزيادة الوعي الضري للمدقق	٤,٠٧	٩١.
دور ا دقق القائم على استغلال الثغرات القانون	٣,٩١	٧٩.
قلة عدد مأموري الضرائب مديرية الضريبة	٣,١١	١,١١
عدم كفاءة مأموري الضرائب	٣,٣٣	١,١٧
قلة التنسيق ب مديرية الضريبة والدوائر ا كومية الأخرى	٣,٩٨	٨٧.
انعدام أو قلة التنسيق ب كل من دوائر الضريبة	٣,٧٣	١,٠١

الجدول (٢)
تحليل ANOVA

		Sum of square	df	Mean square	F	Sig
قطعية دلالة القانون	Betweengroups	٨٦٩.	٤	٤٣٥.	١,١٣٢	٣٣٢.
	Within groups	١٦,١٢٥	٨٥	٣٨٤.		
	total	١٦,٩٩٤	٨٩			
العبء الضريـ	Between groups	٣٦١.	٤	١٨١.	٣٤٢.	٧١٣.
	Within groups	٢٢,٢	٨٥	٥٢٩.		
	total	٢٢,٥٦١	٨٩			
العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية	Between groups	١٣.	٤	٠٦٥.	٢٥٧.	٧٧٥.
	Within groups	١٠,٦٠٨	٨٥	٢٥٣.		
	total	١٠,٧٣٨	٨٩			
ا سؤوليات ا هنية على ا حاسب القانو	Between groups	٢,٢٥٣	٤	١,١٢٧	٣,٧٧٨	٠٣١.
	Within groups	١٢,٥٢٢	٨٥	٢٩٨.		
	total	١٤,٧٧٥	٨٩			
فعالية وكفاءة الادارة ضريبة الدخل	Between groups	٢١.	٤	١٠٥.	٢٤.	٧٨٨.
	Within groups	١٨,٤٠٩	٨٥	٤٣٨.		
	total	١٨,٦١٩	٨٩			

٢.٥ التوصيات:

١. العمل على إصدار التعليمات كاملة، التي من شأنها إيضاح بعض الأمور التي نص عليها القانون، وكذلك إجراء بعض التعديلات الضرورية على عدد من بنود القانون لحل المشاكلات التي واجهت موظفي دوائر الضريبة.
٢. الاستعانة بالخبرات والأكاديميين عند صياغة القانون وإجراء التعديلات.
٣. وضع نصوص قانونية واضحة وصريحة حتى لا يكون هناك إمكانية للتأويل والتفسير الخاطئ لهذه النصوص من قبل المكلف وموظفي الضريبة والمحاسبين.
٤. وضع نص قانوني يخضع الأرباح الرأسمالية المتحققة للضريبة، فعدم إخضاع هذه الإرباح يزيد من الفجوة بين طبقات المجتمع، وبخاصة أن المستثمرين في مجال الأصول هم من طبقة الموسرين، وهذا يخل بمبدأ العدالة الضريبية، والذي قد يقود إلى التهرب الضريبي.
٥. إخضاع الدخل الناجم عن الزراعة المروية والبيوت البلاستيكية والمشاتل شريطة أن لا تقل مساحة الأرض المستثمرة أو راس المال عن مقدار معين، بدلا من الإعفاء المطلق لهذه الدخول، لأن ذلك يشكل محاباة للزراعة على حساب الصناعة والتجارة والقطاعات الإنتاجية الأخرى.
٦. تبني نص قانوني يقضي بالأخذ بمبدأ السلفيات بحيث يدفع المكلف خلال السنة دفعات ضريبية على حساب الضريبة المستحقة عليه، وبذلك يلائم بين الدخل المتحقق والضريبة الناشئة عليه.
٧. احتواء القانون على نص يخضع قرارات التقدير إلى التدقيق من قبل مدير عام ضريبة الدخل، أو من يفوضه، وقد يكون ذلك من خلال النص على وجود دائرة للتدقيق تتولى مهمَّات الفحص، والتحقيق في مدى مطابقة قرارات التقدير للقانون الضريبي، مما يحد من ظاهرة التهرب الضريبي بسبب وجود هذه الجهة.
٨. عدم إطلاق الإعفاءات بالشكل التي هي عليه وضرورة تحديد عدد الأبناء المعالين والمعالين بشكل عام، وكذلك بالنسبة للطالب الجامعي، لا بدَّ من تحديد عدد السنوات الجامعية (الحد الأقصى) التي يمنح عليها إعفاء التعليم.
٩. نشر الوعي الضريبي بين المكلفين والمواطنين بشكل عام.
١٠. إعطاء الزوج إعفاء إعالة لزوجته العاملة، لأن هذا حق شرعي لها، وكذلك نصت عليها محاكم الاستئناف الشخصية الناظرة بهذه القضايا، وبخاصة عندما تكون المرآة تعمل بموافقة زوجها.

الهوامش:

1. قاسم، صلاح محمد توفيق: التهرب من ضريبة الدخل في فلسطين.(رسالة ماجستير منشورة). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين ٢٠٠٣م.
2. المرجع السابق.ص٩.
3. المرجع السابق.ص١١.
4. انظر المادة (١) من قانون ضريبة الدخل الفلسطيني ٠٤/١٧م.
5. أنظر المادة (١) من القانون الفلسطيني ١٧/ ٢٠٠٤م.
6. انظر المادة (٣٩) من القانون الفلسطيني ١٧/ ٢٠٠٤م.
7. عبد الغفور، حسام فايز: الوسائل التي تبناها قانون ضريبة الدخل الفلسطيني ١٧/ ٢٠٠٤م للحد من ظاهرة التهرب الضريبي.(بحث جامعي غير منشور). جامعة النجاح الوطنية.نابلس. فلسطين٢٠٠٥م.
8. المرجع السابق.ص٦.
9. انظر المادة (٣٩) من القانون الفلسطيني ١٧/ ٢٠٠٤م.بند أولا.
10. عبد الغفور، حسام فايز:مرجع سبق ذكره.ص٧.
11. المرجع السابق.ص٨٠،ص٨١،ص٨٢.
12. عبد الغفور، حسام فايز:مرجع سبق ذكره. ص١٣.
13. انظر المادة (٧) البند١ من قانون ضريبة الدخل الفلسطيني رقم (١٧) للعام ٢٠٠٤م.
14. ١.انظر المادة رقم (٣٨) البند رقم (٢) من قانون ضريبة الدخل الفلسطيني رقم ١٧ للعام ٢٠٠٤م.
15. انظر المادة (٣٨) البند (٣) من قانون ضريبة الدخل ٠٤/١٧م.
16. انظر المادة (٣٩) البند ثالثا من قانون ضريبة الدخل الفلسطيني ٠٤/١٧م.

المصــادر والمراجع:

١. جامعة القدس المفتوحة_ محاسبة ضريبة الدخل_ الطبعة الأولى _ عمان _ جامعة القدس المفتوحة _ رقم المقرر ٤٤٣٤ _ ١٩٩٨.

٢. دقة، عبد الرحمن قاسم إبراهيم: العدالة الضريبية في مشروع قانون ضريبة الدخل

٣. الفلسطيني. (رسالة ماجستير). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين ٢٠٠٣.

٤. عبد الغفور، حسام فايز: الوسائل التي تبناها قانون ضريبة الدخل الفلسطيني ٢٠٠٤/١٧م للحد من ظاهرة التهرب الضريبي. (بحث جامعي غير منشور). جامعة النجاح الوطنية.نابلس. فلسطين٢٠٠٥م.

٥. قاسم، صلاح محمد توفيق: التهرب من ضريبة الدخل في فلسطين.(رسالة ماجستير منشورة). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين ٢٠٠٣م.

٦. خشارمة، حسين، (ظاهرة التهرب الضريبي في المهن الحرة في الاردن اسبابها والعوامل التي تقلل منها) الدليل الالكتروني للقانون العربي، ١٩٩٨

٧. الخطيب، محمد، التهرب الضريبي، مجلة جامعة تشرين، ٢٠٠٠

٨. مجلة الوعي الضريبي، دائرة ضريبة الدخل والمبيعات، العدد الثامن، السنة الثالثة، ٢٠٠٥، ١.

٩. المهايني، محمد خالد– الخطيب، خالد–المالية العامة والتشريع الضريبي– الطبعة الأولى، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٠ (٤٧٩ ص).

القوانين:

١. قانون ضريبة الدخل الأردني رقم (٢٥) للعام ١٩٦٤م.

٢. قانون ضريبة الدخل الفلسطيني رقم (١٧) للعام ٢٠٠٤م.

٣. القانون الأساسي للسلطة الوطنية الفلسطينية.

ملحق رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

استبيان

السادة الأفاضل.....

تحية طيبة....

يرجى الإجابة عن الأسئلة أدناه التي تتعلق بدراسة أثر قانون ضريبة الدخل رقم(١٧) للعام ٢٠٠٤ على ظاهرة التهرب الضريبي والأسباب المؤدية له. علما بأن هذه الدراسة تستخدم لأغراض البحث العلمي فقط.

يرجى وضع إشارة (X) مقابل الإجابة التي تراها مناسبة

شاكرين لكم حسن تعاونكم

العوامل التالية تعمل على زيادة التهرب الضريبي

	السبب	أوافق بشدة	أوافق	ايد	أعارض	أعارض بشدة
١	غموض قانون ضريبة الدخل رقم ١٧ للعام ٢٠٠٤					
٢	إغفال القانون رقم ١٧ لبعض الثغرات					
٣	إعطاء صلاحيات واسعة للوزير وا دير					
٤	فشل القانون ١٧ تقد الوعي الضري الكا					
٥	فيض عدد الشرائح الضريبية					
٦	زيادة أسعار الضرائب على الشرائح					
٧	تعدد أنواع الضرائب الـ يتعرض ا ا كلف وتشا ها					
٨	التهرب من ضريبة القيمة ا ضافة					
٩	انعدام الاستقرار السياسي					
١٠	سوء الأوضاع الاقتصادية ورغبة ا كلف بالتوف ا ادي					
١١	عدم وجود نظرة سلبية من ا جتمع للمتهرب من الضريبة					
١٢	ضعف السلطة تطبيق العقوبات الـ نص عليها القانون ١٧					
١٣	سوء الإنفاق العام وعدم الشعور با دمات ا قدمة					
١٤	انعدام جسور الثقة بـ ا كلف ودوائر الضريبة					
١٥	غياب مهنة تدقيق منظمة					
١٦	إ ال الدورات التدريبية لزيادة الوعي الضري للمدفق					
١٧	دور ا دقق القائم على استغلال الثغرات القانون					
١٨	قلة عدد مأموري الضرائب مديرية الضريبة					
١٩	عدم كفاءة مأموري الضرائب					
٢٠	قلة التنسيق بـ مديرية الضريبة والدوائر ا كومية الأخرى					
٢١	انعدام أو قلة التنسيق بـ كل من دوائر الضريبة					

شاكرين لكم حسن تعاونكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ملحق رقم (٢)

ا جموع	موافق بشدة	موافق	ايد	معارض	معارض بشدة	
٩٠	١٤	٣٨	١٠	٢٦	٢	غموض قانون ضريبة الدخل رقم ١٧ للعام ٢٠٠٤
٩٠	١٥	٥٦	١٠	٨	١	إغفال القانون رقم ١٧ لبعض الثغرات
٩٠	٢٢	٢٤	١٨	٢٢	٤	إعطاء صلاحيات واسعة للوزير وا دير
٩٠	٣٣	٤٠	١٠	٦	١	فشل القانون ١٧ تفد الوعي الضرب الكا
٩٠	١٦	٤٠	١٦	١٤	٤	فيض عدد الشرائح الضريبية
٩٠	١٨	٣٤	١٦	١٨	٤	زيادة أسعار الضرائب على الشرائح
٩٠	١٩	٣٤	١٦	٢٠	١	تعدد أنواع الضرائب ال يتعرض ا ا كلف وتشا ها
٩٠	١٩	٤٦	٢٠	٤	١	دور ا دقق القائم على استغلال الثغرات الفانون
٩٠	١٠	٢٦	٢٢	٢٨	٤	قلة عدد مأموري الضرائب مديرية الضريبة
٩٠	١٦	٢٨	٢٠	٢٢	٤	عدم كفاءة مأموري الضرائب
٩٠	٢٠	٥٨	٤	٦	٢	قلة التنسيق ب مديرية الضريبة والدوائر ا كومية الأخرى
٩٠	١٤	٥٦	٦	١٠	٤	انعدام أو قلة التنسيق ب كل من دوائر الضريبة

ذاكرة المكان لدى المهجرين الفلسطينيين وأثـرها في ثقافة حق العودة

أ. جهاد سليمان سالم المصري*

* ا ساعد الأكاد ي والإداري نطقة رفح التعليمية، جامعة القدس ا فتوحة.

ملخص:

يتناول هذا البحث موضوع التأريخ لجزء من معاناة الشعب الفلسطيني على أثر نكبة عام ١٩٤٨م، وذلك بالاعتماد على ذاكرة المكان، فقد اعتمدت روايات ذات صلة أدلى بها شهود عيان استأنسوا بذاكرة المكان لاسترجاع مواقف وأحداث، واستحضار صور ومشاهد، وبعد مراجعة ودراسة مستفيضة لتفاصيل هذه الروايات، تبين أن المكان شكل عاملاً مهماً في بنية هذه الروايات، وفي صياغة أدبياتها، حيث إن مفردات المكان ومفاهيمه كشفت للرواة ما خبأه الزمن وما أبعده العمر، فالمكان بروحه وإحساسه استطاع أن ينفض غبار الزمن عن أحداث ومواقف ولت، وأن يزيح تراب الماضي عن مشاهد وصور أفلت، فعمل على إحيائها من جديد، ثم قدمها للإنسان بملامح مكانية معروفة يسهل عليه قراءتها وتفسيرها بعد غربة طويلة. ومن هنا فإن نجاح الباحث في الالتقاء بالراوي في فناء مكانه يعتبر نجاحاً في استدعاء أحداث واجترار صور ستكون مستعصية في ظروف عادية، ولذلك فإن الالتقاء بالرواة في أماكن مستهدفة أمر له أهميته في مجال البحث في التاريخ الشفوي، لأن المكان يعتبر عاملا ًمهماً في تحريض ذاكرة الراوي، وحثها على ربط الأحداث بأماكنها، ومن هنا فإن اهتمام الباحث بذاكرة المكان لدى الرواة، يعد من أهم تقنيات ومناهج البحث في مجال التاريخ الشفوي. كما أن ذاكرة المكان لها دور كبير ومهم في إعادة تركيب ملامح الوطن الضائع، وصناعته من جديد في مخيلة أبناء النكبة الذين حملوا صورة هذا الوطن بين أفئدتهم كي يسلموها إلى أبنائهم وأحفادهم، ليناضلوا من أجل إعادة الحياة إلى تلك الصورة المهجورة وشحنها بحلم حق العودة.

Abstract:

This research talks about the subject of chronicling part of the Palestinian people suffering, which resulted from the 1948 disaster. This occurred by reliance on place memory. The scholar adopted related narration given by the witnesses who resorted to the memory of place to retrieve situations, events and to recall photos and scenes. After scrutinizing and examining the details of these narrations, it was clear that place was an important factor in the formation of these narrations as well as their literature. The parts and connotation of place revealed for the narrators whatever hidden by time and kept away by age. Place, by its spirit and sense, was able to dust off events and situations that were of the past. It was also able to remove the sand of the past to reveal scenes and pictures which faded and revived them. Afterwards these pictures are to be introduced to humans with known place features easy to read and interpret after along alienation. The success of the researcher in meeting the narrator in his place is considered success in recalling events and ruminating pictures, which is difficult in normal circumstances. Therefore, meeting the narrators, integrated places, has its importance in the field of research and verbal history. This is because place is considered an important factor in stimulating the narrators memory and to push to link the events with places. To sum up, the researchers interest in the place memory of the narrators is considered one of the important methods and techniques of research in the field of verbal history. In the same context, the memory of place plays an important role in restructuring the feature of lost land and its reproduction in the reflection of catastrophe (Nakba) people who held the picture of land between their hearts in order to transfer it to their children and grand children so that they may struggle to return the land and its deserted image to the mind and charge it with right of return.

مقدمة:

الإنسان ليس وليد المكان فقط، بل هو وليد تاريخ مرتبط بالمكان، ولذلك فإن عوالم المكان ومفرداته هي التي شكلت البناء المكاني الذي يعتبر جزءاً أصيلاً من ثقافة الإنسان الفلسطيني وامتداداً طبيعياً لمظاهر شخصيته، وبهذا المعنى فإن المكان يتجاوز دلالته الجغرافية المحدودة ليصبح إحدى المحددات المركزية للهوية الفلسطينية، فهو كيان زاخر بالحياة، وهو عمق تاريخي تمتد جذوره إلى تراث الإنسان وقيمه وعاداته وتقاليده.

إن سلطة المكان امتدت لتطال جميع أوجه الحياة الفلسطينية ومظاهرها المختلفة، فمفردات المكان ومفاهيمه هي التي أصبحت تنظم قصائد الشعراء في المنافي والشتات، وتنسج الحكايات والأساطير بين الوديان والجبال، وتزف الأفراح وتبارك المناسبات، وهي التي تشيد أحلام البساطة والقناعة، وتلون رموز الكفاح والتضحية، وهي التي تستقبل الصباحات الباكرة وتودع المساءات الدافئة، وبهذا المعنى فإن المكان الفلسطيني أصبح ينطق ويسمع ويفكر، فتشكل ما يسمى في الفكر الفلسطيني بوعي المكان، حيث وصلت ثقافة المكان إلى جميع عتبات الحياة الفلسطينية، وتوغلت في أعماق تفاصيلها، فأصبحت مفرداتها تنبض على إيقاعات المكان وموسيقاه.

ولذلك فإن الإنسان الفلسطيني عندما فقد المكان أثر زلزال النكبة، أصيب باليتم المكاني، فأصبح هائماً على وجهه، يبحث في كل شيء عن مكانه الضائع، وعندما ازدحمت طريقه بقوافل المشردين واللاجئين، قام بتعميم ملامح مكانه وتقاسيمه على لوحات رسوماته، ودونها في دفاتر أشعاره، ونادى عليها بأصوات أغانيه ورصاصاته، ولهذا أصبح الخطاب اليومي لدى المهجرين الفلسطينيين خطاباً مكانياً، فعناوين صفحات يومياتهم أسماء قرى ووديان وجبال، ورسوماتها مواسم الحصاد وقطاف الزيتون، ومدادها رحيق بيارات البرتقال، وظلالها أشجار التين والرمان والخروب، وموسيقاها تغاريد طيور النورس.

لقد حمل الإنسان الفلسطيني المكان معه في حله وترحاله، فأصبح يمطر مع أمطاره، ويهب مع رياحه، ويأكل من مواسم حصاده، ويغرد مع طيوره، ويموج مع حقوله، ويثمر مع أشجاره، ويتصدع مع بيوته، فالصور المكانية لا تكاد تبرح خياله، بل ظل ينسج منها حكايات حب وانتماء ليودعها في رحم ثورة أبنائه وأحفاده، كي يعيدوا له شروق الشمس التي تركها وراء التلال، فظلت مختبئة بانتظار وقع أقدام فلاح يحرث أرضه، ودفء مشاعر فلاحة تشعل فرن طابون، لتخرج حينها من مخبئها، وتضيء الأمل في حياة أسرها الغروب طويلاً بتهمة الانتماء والأصالة.

ولذلك فإن ذاكرة المكان أصبحت عصب التأريخ للحياة الفلسطينية، فهي ذاكرة راقية تمتلئ برحيق الحب والانتماء، وتكتنز بذكريات التراث والتاريخ، وتحتضن صور الفداء والتضحية، وتخبئ مشاهد الأصالة والعراقة، وتحرس أحلام الطفولة والصبا، وتحنو على ظلال التحرير والعودة، ومن هنا فإن المكان يعدُّ مصدراً غنياً ومتنوعاً لتوثيق تاريخ الحياة الفلسطينية، ففيما يتعلق بالنكبة، فإن ذاكرة المكان رصدت مظاهر الانتماء والاستقرار والأمان والهدوء والبساطة التي كان الإنسان الفلسطيني ينعم بها قبل النكبة، وفي أثناء النكبة سجلت ذاكرة المكان صور المجازر والمذابح، ومشاهد اللجوء والتشرد، وبعد النكبة قويت ذاكرة المكان، إذ أصبحت مصدراً لتكريس حق الإنسان الفلسطيني في أرضه، فقد لعبت دور الحارس الأمين لذكريات أودعها الإنسان الفلسطيني في رحم أرضه، ورسمها على جدران بيوته الطينية، ونقشها على صخور جبال قريته، وهمس بها إلى أشجار بياراته.

ذاكرة المكان لدى الإنسان الفلسطيني قبل النكبة:

يشكل المكان لدى الإنسان الفلسطيني صرحاً لمفاهيم الأصالة والانتماء، فهو بيت الطفولة وبيارة البرتقال وشجر التين واللوز، وهو جداول المياه وخبز الطابون والمرعى ومواسم الحصاد، وهو الأسطورة والحكاية، وهو المواسم والأعياد والمناسبات. كما أن المكان لدى الإنسان الفلسطيني يشكل قاموساً لمعاني الاستقرار والسعادة، فهو الحياة الوادعة البسيطة، وهو القناعة والهدوء والأمان، وهو الأمل والطموح. ولعل قليلاً من التمعن في روايات عدد من المهجرين الفلسطينيين التي استرجعوا فيها ذكريات المكان قبل حدوث زلزال النكبة، يعتبر مؤشراً كافياً لرصد صورة واضحة المعالم عن حياة الرضا والاستقرار والهناء التي كان ينعم بها هؤلاء، فالحاج يوسف إبراهيم عبد الدين من قرية الدوايمة، ويسكن الآن في مخيم الجلزون عبر عن هذه الحياة بقوله: «الناس كانت تعيش من منتوجات البلد بقناعة وبساطة»(١). ويتحدث الحاج يوسف الشاعر من قيسارية قرب حيفا بكلمات تعتبر عناوين للقناعة والبساطة والهناء، فيقول: «كنا نعيش حياة بسيطة ككل الناس في ذلك الزمان، نأكل ما يكفينا الجوع، ونعمل طوال النهار في صيد الأسماك، ونلبس ما يقينا البرد والقيظ، ومع ذلك كنا نقول الحمد لله»(٢). وبنفس مشاعر الرضا والقناعة عبر عبد الغني دولة (مواليد١٩٤١م) من مدينة يافا عن حياة الفلسطينيين قبل النكبة، حيث قال: «قبل الرحيل كانت العيشة كويسة، البلاد مفتوحة على بعضها، نروح على حيفا وعلى اللد في العطلات، وعالبحر نروح، كنا عايشين جنب البحر عيشة رفاهية، إشي فوق التصور»(٣). وهذا ما أكدته حورية ملالحة من السامرية، حيث قالت: «كان أهل السامرية يتعاونون في الحياة والعمل، ويساعد القوي الضعيف، وكان الناس يشاركون

بعضهم في كل المناسبات الحلوة والمرة»(٤). ولعل رواية غوسطة دكور من قرية ترشيحا تعتبر من أجمل اللوحات الفنية التي تحتفظ بها فلاحة بسيطة لتذكّرها بابتسامات قريتها قبل النكبة، فتقول: «كانت النساوين تروح على الوعور، وكنت ألحق أمي وأنا صغيرة، هيه تحطب وأنا أجمع الحطب... كل شغلنا كان على الحطب، خبز، تسخين، مي، طبيخ، لا كان غاز ولا إشي، قبل ال٤٨ كنت من الصبح أقوم أطلع على كرم التين حتى أجيب سلة تين لأبوي، كان يوكل تين قبل ما يطلع على الشغل. بتذكر كان يفيقني ويقولي يالله يابا... بعرفني أنا نشيطة... ما تصير الساعة ستة إلا أنا جايبه تين... بعدين أبدأ أعجن وأخبز، كان عمري حوالي ١٥سنة»(٥).

يمثل الإنسان الفلسطيني حالة استثنائية في مسألة قوة ارتباطه بالمكان، ربما لأن هذا المكان كان على مر الفترات التاريخية عرضة للأطماع الاستعمارية ولمحاولات السيطرة عليه، ويبدو أن هذه الدوامة التي لم تنته، دفعت بالإنسان الفلسطيني للالتصاق بالمكان بشكل قوي وعنيف حتى أصبح شغله الشاغل، فتراه دائم الجلوس على شواطىء المكان يتأمل تقاسيمه حتى غدا فناناً يعكف على رسم لوحة تلون ملامح هذا المكان، وشاعراً يسهر على نظم قصيدة تداعب أطلال طفولة هذا المكان وبهائه، وقاصاً يجهد في نسج رواية تحكي قصص هذا المكان وخطوات كفاحه، وليس أدل على ذلك من رواية خالد منصور عضو المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني، وهو يصف جمال طبيعة بلدته أم الزينات، فيقول: «كان أبي يغالي في وصف بلدته أم الزينات حتى جعلها قطعة من الجنة والفردوس العظيم، إلا أنني وبعد أن كبرت وذهبت إلى هناك لزيارة أطلال البلدة برفقة أبي في العام ١٩٧١م، دهشت كثيراً من جمالها وطبيعتها الفتانة، وقلت في حينها: لقد كان أبي على حق، فأم الزينات هي الجنة بعينها، فيها الجبل الشامخ (جبل الكرمل) وما أدراك ما الكرمل...! وفيها الغابات والأحراش، وفيها الينابيع والآبار، وفيها السهل المنبسط الخالي حتى من الحصى، وفيها الوعر وكروم الزيتون... قرية كانت تربض كالقلعة على سفوح جبل الكرمل العظيم لتطل على البحر الأبيض المتوسط من جهة، وعلى سهل مرج ابن عامر من الجهة الأخرى، وتنبسط أراضيها كالكف في سهل الروحة الفسيح لتنتج الحنطة والبقوليات والذرة، إضافة إلى ما تنتجه أراضيها الجبلية من زيتون وكل ما تشتهيه الأنفس من أصناف الفواكه كالتين والرمان والعنب والصبر»(٦).وفي هذا السياق يتحدث عبد الرازق اليحيى القائد العام السابق لجيش التحرير الفلسطيني واصفاً افتتانه بطبيعة القرى الفلسطينية لدرجة أنه تحول إلى فنان عاشق لهذه الطبيعة، فيقول:«وفي تلك الفترة من إقامتي في الطنطورة، اشتد افتتاني بطبيعتها الأخاذة، وزاد تواتر جولاتي وسط هذه الطبيعة، ونمت عندي هواية الرسم التي ستلازمني لزمن طويل، وكنت كثيراً ما

أتجول في محيط القرية والقرى المجاورة أحمل حقيبة فيها بعض الملابس وأدوات الرسم لأرسم مناظر طبيعية، على هذا النحو، تعرفت بعين عاشق الطبيعة على قرى منطقة حيفا جميعها»(٧).

إن قوة ارتباط الإنسان الفلسطيني بأرضه وصلت إلى درجة أنسنة المكان، فكثيراً ما كان يخاطب موجوداته، ويحاور مفرداته، فيقيم معها علاقة روحية يصوغ خلالها مشاعر التقدير والاحترام لرموز المكان وتراثه وقيمه وعاداته، ولعل مشاعر الغبطة والفرح التي جاشت في صدر الفنان الفلسطيني سليم مخولي عندما احتضن المكان بمفرداته وعوالمه في أثناء زيارته لقريته كفر برعم، قد طغت عليها مشاعر الحزن والألم، وذلك حينما رأى ما حل بها من دمار شامل، فأصيب بنوبة ذهنية أوصلت خياله إلى مرحلة يتوق فيها إلى إحياء الموجودات المكانية لاستنطاقها كي يعرف منها الحقيقة، فيقول: «اتخذنا مكاناً للجلوس في ظلال الأشجار وباشرنا عملنا، كل يرسم حسب هواه بصمت وانفعال، رسمنا الكنيسة وما شاهدناه من حيطان وقناطر وأقواس وحجارة مبعثرة وغيرها، شعرنا بأنفاس أصحابها حولنا، وعيونهم تطل على لوحاتنا، حين عملنا كانوا معنا وكنا معهم، وكم وددنا أن نسأل أحدهم كيف تم هذا؟ وكيف تركتم بلدكم الجميلة الرائعة ؟(٨). فارتباط الإنسان بالمكان وإحساسه به شيء فطري، والإنسان لا يحتاج إلى مساحة فيزيقية يعيش فيها، ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره، وتتأصل فيها هويته، وهذا ما أشار إليه الكاتب والصحفي الفلسطيني فيصل حوراني المقيم حالياً في فينا عندما قال: «جبت عوالم الشرق والغرب، لم تبق جهة لم أزرها... خبرت المدهشات حتى لم يعد شيء يدهشني، فماذا بقي، لا شيء إلا أن يكون مما له صلة بحكاية حكاياتي كلها، وحكاية حكاياتي هذه تتخلص في حاجتي إلى مكان يخصني، مكان أشعر نحوه بالولاء(٩). ولذلك فإن تجذر المكان في نفوسنا يؤكد أن علاقتنا بالمكان تنطوي على جوانب شتى ومعقدة تجعل من معايشتنا له عملية تتجاوز قدرتنا الواعية لتتوغل في لاشعورنا، إذ يصطبغ الإنسان بمكانه ويعكس مزاج بيئته ومواصفاتها(١٠).

فالمكان لدى الإنسان الفلسطيني ليس مجرد بقعة جغرافية تحتضن الناس والأشياء، وإنما هو إطار يحوي منظومة القيم والأخلاق والأفكار والتقاليد والسلوكيات، ولذلك فإن البناء المكاني الفلسطيني يتشكل من موجودات ومكنونات تعدُّ جزءاً أصيلاً من مكونات شخصية الإنسان الفلسطيني وفكره، فالمكان عنده ليس مجرد حيز جغرافي فحسب، وإنما هو ثقافة بكل مفرداتها وخصائصها... إنه الأمان والاستقرار، العطاء والخير، الأصالة والتراث، الحلم والأمل، بل هو الوجود أو العدم.

لقد استعان الإنسان بالأسطورة والحكاية والقصيدة والأغنية لإعمار الفضاء الجغرافي بالمعاني والرموز والقيم بهدف تحويله إلى مكان قابل للسكن، وبهذا المعنى يكون الإنسان خالقاً للمكان الذي يسكنه، فينتقل المكان من كونه منطقة جغرافية إلى مكان إنساني واجتماعي، وذلك بعد تأثيثه بالمعنى وإعماره بالدلالة وشحنه بالرمز، فتتحول مفردات الجغرافيا إلى رموز وأيقونات، مما يخرج بالمكان من حقل الجغرافيا إلى حقل التاريخ والثقافة، فيصبح المكان عامراً بالمعنى ومؤهلاً لاحتضان الإنسان، فالإنسان لا يمكنه أن يعيش في خراب دلالي وفراغ رمزي (١١). والمكان الفلسطيني قبل النكبة كانت تحتشد به عوالم وحيوات حبلى بقيم ورموز وعادات وتقاليد، وهذه في مجملها تشكل مفردات تعدُّ جزءاً أصيلاً من كيان الإنسان الفلسطيني وثقافته، ولعل في رواية الحاجة فاطمة نجم (١٠٤ أعوام) وهي تسترجع إحدى يومياتها الريفية في مدينة أسدود قبل النكبة ما يفيد بذلك، حيث اهتمت بذكر أدق تفاصيل مفردات الحياة الريفية الفلسطينية في تلك المرحلة، وهي حياة بسيطة عنوانها الألفة والمحبة، يؤطرها مكان تفوح من روحه رائحة التراث وعبق التاريخ، فتقول: «عقب آذان العشاء، وبعد أن تنام صغيراتي أعجن الطحين وأغطيه للصباح من أجل إعداده لوجبة الإفطار، حيث كنت أقطن داخل المنزل مع زوجي وزوجته الأولى الحاجة آمنة وصغيراتي الخمس، وكنت أصحو على صوت جار لنا يدعى (العبد عيش) حينما يفتح باب داره ليذهب إلى الصلاة، ومن ثم إلى عمله في الحقل، أعد الخبز على الصاج بعد إشعال النار... وتصمت للحظة وكأن ذاكرتها تذكرها بأصوات ذاك الصباح، حيث أصوات الواويات تنبح في الصباح الباكر، وهي على شاكلة الذئب ذات لون أحمر، وتختفي مع شروق الشمس، وتضيف قائلة: ومن ثم أضع العلف للدواب في المذود الخاص للعلف، ومن ثم أنتقل إلى داخل المنزل لأوقظ زوجي من النوم، وأجلب معي إبريق المياه كي يتوضأ ويصلي الصبح حاضراً بصحبة الجيران في مسجد المدينة، وأنتقل في غيابه إلى الحاكورة أصطاد مجموعة من القنافذ لإعداد وجبة الإفطار، وأضعها في اللقان بعد عملية الذبح، وأقوم بطبخها على النار، ومن ثم أضعها في الإناء المخصص لها بعد أن أضع عليها الملح والزيت، وعندها يأتي زوجي يتناول ذلك الإفطار الشهي، ومن ثم يتوجه إلى عمله، فيحمل السكة والبذارة على كارة الدابة، ويذهب إلى الأرض لحرثها وبذرها، مشيرة إلى أنها كانت تعد الفطائر والبيض المسلوق ليأخذه إلى الحقل ليتناول وجبة الغذاء هناك برفقة شقيقه، وتضيف قائلة: وقد كنت في المنزل أهز التبن و أحلب الناقة وأعجن كي أخبز مرة ثانية، وأشعل النار داخل الطابون، فما أن يسخن وتزداد حرارته أبداً بالخبيز، مشيرة إلى أنها كانت تقوم كذلك بزراعة الأرض المجاورة للمنزل»(١٢).

كما أن الرواية التي أفاد بها فيصل حوراني تشكل لوحة تعبيرية لمقطع من طفولة الحياة القروية يظهر نشوة الصبية وهم يداعبون عوالم المكان الفلسطيني، فيقول:» وكنا نجتمع في ساحة القرية، ثم توزعنا الأمزجة وتأثيرات الظروف والرغبات المتفقة والمتباينة على فرق متعددة، وكان من هذه الفرق ما يتوجه إلى البساتين والبيارات المتطرفة ليتلذذ بالسطو على ثمارها، ومنها ما كان يؤثر التسريح في البراري والبحث عن الأعشاب والفطور والثمار البرية والزهور النادرة، أو ينطلق لمطاردة الحراذين والسحالي، أو متابعة الفراشات، أو مناكفة الحيات اللابدة في جحورها، أو البحث عن أعشاش الطيور وبيوضها»(١٣). ولعل المراجعة الدقيقة لتفاصيل هذه الروايات تكشف عن فضاء طافح بعوالم ومفردات المكان الفلسطيني، وعن مظاهر لبنية عقلية تقليدية محافظة تؤطر المكان بالأصالة والانتماء لتضمن له حماية ذاتية ضد كل ما يهدد وجوده.

فالمكان لدى الإنسان الفلسطيني يتجاوز موقعه الجغرافي ليتحول إلى قصيدة وأسطورة وبؤرة جمالية تفسر علاقة الإنسان بالمكان، فهو يهب مع رياح بلدته، ويمطر مع أمطارها، وينبع من عيونها، وتراه يواجه قساوة المكان وعنف الطبيعة برهافة المعنى ونشوة المشاعر، فالأديب الفلسطيني إحسان عباس وهو في الرابعة من عمره كان «يلذ له أن يقف على عتبة بيتهم في قرية عين غزال (قضاء حيفا) ليشهد هطول المطر الغزير وهو يملأ الجرن الحجري في فناء الدار، ثم يدخل إلى البيت ليستمتع بحكايات جدته عن الشاطر حسن والغول فيما تتراقص ألسنة النار من المنقل»(١٤). وفي إحدى مقاطع رحلة عمرها تصف الشاعرة فدوى طوقان وعورة جبال مدينتها وقساوة المكان فيها بأنها كانت مصدر كبير لسعادتها وفرحها، فتقول: «كان أخي (إبراهيم) يصطحبني إلى الجانب الغربي من سفح جبل عيبال، كان يأخذ مجلسه على واحدة من صخور الجبل الكلسية، ويسمح لي بالانطلاق بينما ينصرف هو إلى التأمل، أما أنا فكنت أمضي إلى الشعاب القريبة أقفز كالمعزى من صخرة إلى أخرى، وأتطلع حولي باحثة عن بقلة الشمور ذات الرائحة الزكية التي كنت أحب مذاق سيقانها الطويلة المستديرة الريانة، كما كنت ألملم باقة من زهر قرن الغزال وشقائق النعمان والبابونج، وبين حين وآخر كان إبراهيم يلتفت ويوصيني بألا أوغل بعيداً عنه»(١٥).

وكي لا تصدأ روح المكان، وتبقى مخيلته مصونة من عوادي الزمن، قام الإنسان الفلسطيني بإعمار فضائه بالأساطير والمرموزات، وقد امتزجت هذه الأساطير والمرموزات بمفردات المكان، وأصبحت جزءاً من مكوناته، فأغنية الروزانة الشهيرة أصلها قصة نسجتها روح المكان عند مدخل بيت التراث (١٦)، والروزانة هي فتحات شبابيك المشربية، هذه الفتحات السرية التي تمكن أهل البيت من مراقبة المارة بدخولهم وخروجهم من

السوق دون أن يتمكن أحد من مشاهدتهم، وهي مصممة بأشكال مختلفة كانت تستخدم للتهوية والضوء، ويروى أن شاباً أحب فتاة كان يراقبها عن طريق تلك الفتحات، وحين علم أبوها بالأمر رحل معها إلى حلب، فانكسر قلب الشاب وغنى تلك الأغنية لحبيبته التي رحلت عنه(١٧)، وقد أصبحت هذه القصة ضمن أدبيات المكان الفلسطيني، حيث نقشت هي وغيرها على جدران البيوت الطينية، وتربعت بين أحضان الجبال العاتية، واحتضنتها أشجار الخروب الباسقة، وتعطرت ببرتقال البيارات النضرة، فنمت وترعرعت حتى غدت أسطورة تداعب مخيلة ساكن المكان.

كان المكان الفلسطيني قبل النكبة يعج بالحركة ويزخر بمظاهر الحياة، فقد كان ألبوماً تحتشد فيه كل مرموزات الوطن وسحره، وينبض كل جزء فيه بتراث الإنسان وقيمه وعاداته، ولعل جغرافية المكان المرسومة بأساطير الحب، والملونة بحكايات الانتماء، قد جعلت من الإنسان الفلسطيني إنساناً مسكوناً بهاجس المكان، وهذا الأمر أخرجه من سكونه، ودفعه إلى الترحال والسفر في تفاصيل المكان لرصد تجليات المشهد المكاني بكل صورها ومظاهرها... صورة بيت الطفولة والصبا المأهول بذكريات العمر، وكما يقول باشلار: «فإن البيت الذي ولدنا فيه بيت مأهول، وقيم الألفة موزعة فيه... فالبيت الذي ولدنا فيه محفور بشكل مادي في داخلنا»(١٨). وصورة سفوح الجبال وهي تشهد المباهج الموسمية والأفراح الاجتماعية، ففي آخر لقاء صحفي لها تروي الشاعرة فدوى طوقان جزءاً من رحلة عمرها الصعبة، فتقول: «لم تكن خالتي تنجب أطفالاً، فكنت أقيم عندها أياماً متواصلة، ومن خلالها تعرفت على كثير من المباهج الموسمية والأفراح الاجتماعية كأيام النيروز، حيث كانت العائلات تخرج من الصباح الباكر إلى سفوح الجبال والسهول لتنعم بالصباحات الربيعية الندية، وقد حملوا معهم أواني الشاي والقهوة، ويبقون حتى تغرب الشمس»(١٩). وصورة الأرض وهي تموج فرحاً بإطلالة مواسم الحصاد، فتروي الحاجة فاطمة نجم (١٠٤ أعوام) من إسدود قائلةً: «ما أجمل طفولتي وبعض سنوات صباي التي عشتها بين الأرض والزرع والحصيدة مع والدي ووالدتي، ومع زوجي وأبنائي هناك في مدينتي إسدود الأبية العصية على الاندثار والتحول، الصامدة القوية التي تئن لفراق الأهل والأحبة الذين أرغموا على الرحيل وعيونهم وأفئدتهم وأرواحهم ما زالت هناك»(٢٠). وصورة الغدير الذي يتلصص إليه العرسان لرؤية عروس المستقبل، وهي برفقة صديقاتها تملأ الجرة بالماء، وفي ذلك تقول الحاجة فاطمة نجم وهي تستعيد ذكرياتها الجميلة في مدينة إسدود: «بعض العرسان كانوا يرون زوجة المستقبل عندما كانت تمر يومياً لملء الجرة بالماء من الغدير برفقة صديقاتها، مضيفةً: ولكن حذار أن يكلمها أو يتفوه بكلمة واحدة، أما هي فلا يحق لها النظر إليه مطلقاً»(٢١).وصورة فرن الطابون عندما كانت

الجارات والصديقات والقريبات يلتقين في فنائه خصوصاً في فصل الشتاء، ويقوم الطابون في هذه الحالة بالوظيفة نفسها التي يقوم بها» الديوان» بالنسبة للرجال، فهن يتسامرن ويتمازحن ويتبادلن الأخبار والأسرار والإشاعات، ويتناقشن في كل ما يهم المرأة في القرية (٢٢). وصور عديدة أخرى ارتبطت بمفردات الجغرافيا، ولكن أعيدت كتابتها على صفحات المكان بمشاعر الحب والسعادة، وبلغة الأصالة والتراث.

ذاكرة المكان لدى الإنسان الفلسطيني في أثناء النكبة:

يعدُّ موضوع الأرض من أهم محاور الأيديولوجية الصهيونية ومن أكثر طروحاتها كما يستدل عند مراجعة أدبيات الحركة الصهيونية التي زخرت بفيض من التحليلات والتصورات والمخططات التي تناولت هذا الموضوع وعالجته منذ بداية تشكلها كفكرة، وإلى ما بعد نجاحها في تجسيد المرحلة الأولى من مخططها الاستعماري / الإحلالي بإقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م(٢٣).

ولذلك ركز الصهاينة على استراتيجية تغييب المشهد المكاني الفلسطيني، وقد ظهر هذا الشيء في شهادات كثير من الرواة حين تحدثوا عن إقدام العصابات الصهيونية على إحراق البيوت وهدم المرافق العامة وقصف المعالم الأثرية وجرف الأشجار، وتحويل عدد كبير من الأبنية العربية إلى مرافق يهودية، وأحياناً كانت العصابات الصهيونية تصعد في سياستها التدميرية، فتقدم على مسح قرى عربية بأكملها عن الوجود، ولعل حالة الهذيان التي أصيب بها أستاذ التاريخ الفلسطيني الدكتور نمر سرحان عندما شاهد الدمار الذي حل بقريته السنديانة، قد صورت بوضوح فظاعة العدوان الصهيوني على المكان الفلسطيني، فقد تحدث أستاذ التاريخ الفلسطيني الدكتور مصطفى كبها عن هذا الموقف قائلاً: «في العاشر من حزيران ١٩٩٨م عدت وإياه (نمر سرحان) إلى القرية، أصيب بحالة من الهذيان قائلاً: إن السنديانة الآن هدمت، وحتى ذلك الوقت كانت واقفة شامخة في مخيلته بمبانيها وأزقتها»(٢٤). ومما يروى في هذا السياق أيضاً ما ذكره أبو رائد بركات عن مشاهد الدمار التي حلت بقريته يازور (يافا)، حيث يقول: «البلد كلها هلا تقريباً مدمرة، بس ضل منها المدرسة ومقام القطناني ومقام الإمام علي، والجامع عملينه كنيس»(٢٥). ومن قيسارية قرب عكا انطلقت صرخات الحاج يوسف الشاعر حسرةً وألماً عندما شاهد الدمار الذي حل ببلدته قيسارية على يد العصابات الصهيونية أثناء حرب عام ١٩٤٨م، فيقول: «قبل عشرة أعوام ذهبت مع أبنائي وأحفادي في رحلة عائلية، اختاروا أن تكون قيسارية موطنهم الأصلي، ويا ليتني لم أذهب ! فقد وجدتها مدينة غير التي عرفت، وغير التي نشأت فيها، تجولنا في الشوارع، لقد تغيرت معالمها، واستبدلت وجوه الناس فيها بوجوه غريبة، لا

تحمل سمرة بشر سكان الساحل... ثم أخذ يطرق بكفه على الكرسي الذي كان يجلس عليه حين أحضر لنا أحد أحفاده صورة لمطعم شهير يحمل لوحة الكترونية مشتعلة بالإنارات كتب عليها باللغة العبرية (تودا لئيل) وتعني شكراً للرب، يقول أبو عمر: لقد كان هذا المطعم بيتي، عشت فيه مع إخوتي وإخواني ووالدي، كنا نعيش حياة بسيطة ككل الناس في ذلك الزمان»(٢٦).

ومن قرية كفر برعم سالت دموع ريشة الفنان الفلسطيني سليم مخولي، وخضبت ألوانها لوحات عديدة رسمت مشاهد نكبة المكان الفلسطيني في أثناء حرب عام ١٩٤٨م، فيروي قائلاً: «لم نتوقع أن نجد ما وجدنا، وما اعترانا من أحاسيس ونحن نسير بين خرائب البيوت، للأطلال رهبتها، صمتها الصارخ !... أهي مقبرة حية ؟... أم معزوفة صامتة حزينة بين أحضان الطبيعة ؟! حيطان مهدمة، وقناطر وأقواس وأبواب وحجارة مبعثرة، وزوايا غرف ودرجات، أزقة ضيقة، وحشائش يابسة، وأشواك وأشجار... تؤلف كلها جوقة واحدة في صمت المكان، يقودها بنيان شامخ هو بنيان الكنيسة... لم يبق بيت على حاله، كل بيت تهدم، إلا بيت الله يحرس المكان ! مررنا بين الحجارة المبعثرة، وبقايا الحيطان، بين الحشائش والأشواك، تحت أشجار منتصبة شعثة الفروع، لم تجد من يقلمها... زرت مع زملائي الفنانين مرة أخرى قرية كفر برعم، تجولت بين خرائب البيوت، أصور أماكن لم أكن صورتها من قبل، فأرى عوالم جديدة فاتتني رؤيتها قبلاً، نسمات باردة خفيفة كانت تسير بي إلى رائحة الحرش المعهود الذي كنا زرناه سابقاً، حيث الملتقى قرب الكنيسة، صمت رهيب يلف المكان مع شمس الغروب، ويبدأ الليل ينشر عباءته القديمة الجديدة... وننظر حولنا لنرى أننا لسنا وحدنا في معبد الطبيعة هذا، فحولنا تنتصب أشباح واضحة هنا ومتلاشية الوضوح هناك، هي بقايا القناطر والحيطان بين الأشجار والخرائب، كأنها هياكل آدمية تحنو على المكان وتحرسه، وربما رأيناها تتحرك مع حلول الظلام... ويأتي صوت الطبيعة على طبيعته، وكأن الدنيا ما زالت على ما هي ولم يتغير شيء، صوت بنات آوى تعزف جوقتها في هذه الجهة، فتجيبها الجوقة الأخرى من جهة أخرى!... ويتدحرج الصوت مردداً الصيحات في الوديان... موسيقى الجبال والأحراش ما زالت كما كانت، ولم يتغير شيء سوى أن هذا المكان لم يعد كما كان»(٢٧).

ومن مكان لجوئهم في قرية الجش، هرع البراعمة إلى تلة تشرف على قريتهم كفر برعم ليشهدوا عملية قتل روح المكان الفلسطيني بيد جبروت العقلية الصهيونية، في محاولة منها لوأد الهوية الفلسطينية وطمس ملامحها، فيروي الأب يوسف سوسان عن ذلك اليوم المشؤوم قائلاً: «في ١٩٥٢/٠٩/١٦م كانت هناك طائرات تجوب سماء كفر برعم... قذفت قنابلها المحرقة والنار تلتهم الأعشاب... يرتفع الدخان كثيفاً... يتعالى صوت

المفرقعات، فتتداعى منازلنا وتصرخ أرواح أجدادنا.... وارباه... وابرعماه، يهرع أهالي كفر برعم المقيمون في الجش إلى تلة تشرف على قريتهم ليشهدوا الجريمة النكراء والفعلة البربرية، فيذرفون الدموع ويصعدون الزفرات»(٢٨).

وهذا ما حدث أيضاً لقرية إقرث، ففي ١٩٥١/١٢/٢٤م، ليلة الميلاد لدى الطائفة المسيحية الكاثوليكية– الطائفة التي ينتمي إليها أهالي القرية – فجر الصهاينة القرية بوساطة الألغام والمدفعيات، ثم قامت الطائرات بقصفها، وقد قامت جرافات الجيش بجرف أغلب معالم القرية باستثناء مبنى الكنيسة الذي بقي مهشماً متصدعاً نتيجة لذلك، وقد كان الهدف من ذلك قتل أمل مهجريها بالعودة (٢٩).

ركز الخطاب الصهيوني المتعلق بملكية الأرض على الادعاء الديني، بينما الفلسطينيون ركزوا في هذه المسألة على العلاقة الطبيعية والعضوية بالأرض، وقد انتبهت العقلية الصهيونية لذلك، ولهذا ركزت على تدمير المظاهر الطبيعية التي تربط الإنسان الفلسطيني بالمكان، حيث جهدت بوتيرة متسارعة خلال أحداث حرب عام ١٩٤٨م وما تلاها على تغييب المشاهد المكانية العالقة بالمخيلة الفلسطينية، أملاً في إحداث حالة من الانفصام بين الإنسان والمكان تؤدي في نهاية المطاف إلى شيوع ثقافة الاغتراب المكاني خاصة بين أبناء جيل ما بعد النكبة، وتنفيذاً لهذه السياسة لم تتوقف الآلة الصهيونية عن اجتثاث كل معلم عربي ينطق بلغة أصحابه، بهدف فصل المكان عن موجوداته، وإمعاناً في تكريس هذه السياسة الهادفة إلى هدم البناء المكاني في مخيلة الإنسان الفلسطيني، وإعدام كل ما يتعلق به من موجودات ورموز، قامت السلطات الإسرائيلية بملاحقة أي رمز مادي له علاقة بالمكان الفلسطيني وعملت على خفره، وفي هذا الشأن يروي مدير عام معهد إميل توما للدراسات الإسرائيلية والفلسطينية سلمان ناطور المولود في دالية الكرمل (قضاء حيفا) عام ١٩٤٩م قائلاً: «في منتصف ليلة من ليالي أيلول ١٩٧٧م حرقت كل سجائري، ولم يكن من عادتي أن أبقي سيجارة لقهوة الصباح، لكنني فعلتها في تلك الليلة، وبعد أن أقفلت الباب واسترخيت على سريري، وما كدت أغمض عيني حتى سمعت طرقاً شديداً على الباب، وهرجاً ووقع خطى أيقظ طفلي وزوجتي، فقاموا مذعورين وأنا معهم، ولما فتحت الباب وإذا بمجموعة من الرجال بلباس مدني وقد تجمعوا في المدخل، وقال أولهم: جئنا لنفتش البيت، وناولني ورقة لم أقرأها، ودخلوا بقوة وانتشروا في أركان البيت وفتشوا في المكتبة وفي الخزائن وفي الثلاجة، وتحت الفراش... كان على طاولتي مفتاح كبير لبوابة قديمة ورثته عن جدي، حين كنت أتأمل فيه وأقرأه، كان يعيدني إلى تلك الأيام وذلك الجيل، وإلى الحالة الفلسطينية التي تجمعني بهذا الجيل المعذب، ويبدو أن ضابط العملية بذكائه المخابراتي الخارق أدرك عمق العلاقة بيني وبين هذا المفتاح، فبدأ يحقق: من أين لك هذا

المفتاح؟ وأمرني أن آخذه إلى البوابة الكبيرة، ولما أقنعته أن مثل هذه البوابات كانت في زمن البيوت الحجرية الكبيرة التي هدمتها جرافاتهم، عندها سحبه بعصبية وقال: سيكون شهادة ضدك، وأمرني أن أصعد إلى السيارة، واختفى المفتاح»(٣٠).

ولكن رغم هذه السياسة الطافحة بالعداء والعدوان ضد المكان الفلسطيني، بقيت ذاكرة هذا المكان قوية لا تشيخ، ومتجذرة بعمق في اللاوعينا الذي يبلور بقوة أبعد ذكرياتنا(٣١)، فقد كان أبناء جيل النكبة يشتمون رائحة أماكن طفولتهم، ويتحسسون ملامح أماكن صباهم بمجرد أن تطأ أقدامهم أرض قراهم وبلداتهم التي هجروا منها قسراً أثناء حرب عام ١٩٤٨م. فيروي الحاج يوسف الشاعر عندما عاد لزيارة بلدته قيسارية قرب عكا قائلاً:» لقد وجدتها مدينة غير التي عرفت، وغير التي نشأت فيها، تجولنا في الشوارع، لقد تغيرت معالمها... كنت أشتم رائحة الطفولة والأصدقاء الذين فرقتهم النكبة في كل ركن في المدينة، هنا كنت أسهر مع سعيد وراجح، وهناك كنا نلهو ونتحدث عن المستقبل»(٣٢).

ويروي عيسى العزة المفوض العام للتوجيه السياسي والوطني في محافظة بيت لحم عندما زار قريته تل الصافي (قضاء الخليل) في تشرين الأول من عام ٢٠٠٤م قائلاً:» طلبت من أحدهم أن يأخذني إلى بيتي المهدم في قريتي حيث مسقط رأسي وطاوعني بعد إلحاح... وصلت بيتي وبرفقتي أحد أقربائي... أخذت أستعيد معالم البيت من جديد، وعرفته من نخلة تنتصب في ساحة الدار، ومطمورة مدفونة إلى جانبها... وبعض الحجارة المتناثرة هنا وهناك»(٣٣).

وفي هذا السياق يروي خالد منصور من قرية أم الزينات (قضاء حيفا) قائلاً: «دخلتها أول مرة بصحبة أبي الذي عرفني بكل معالمها، بآبار مياهها العذبة وعيون مائها، وأخذني إلى آثارها القديمة ليؤكد لي عراقتها وجذورها الضاربة في عمق التاريخ، فعرفني بمغر النواميس ومغارة المعلقة، وأصر على أن أطأ بقدمي معظم قطع الأراضي التي كان يحفظ أسماءها كما يحفظ أسماءنا نحن أبناءه... عرفني على مواقع البيادر الغرابا والبيادر الشراقا حيث كانت تقام الأعراس وليالي السمر والأفراح، وعرفني على موقع الجامع والمدرسة والمقبرتين القديمة والحديثة، وعرفني على مواقع المنازل، فقال لي: هذا موقع بيتنا القديم، وهذا موقع دار بشر، وهذه حارة المراح... ولم ينس دار أبو حنا النصراني الوحيد الذي كان يسكن في القرية، وكان يعمل اسكافياً وخياطاً وصاحب دكان... وكان أبي يحب أم الزينات ويعشق أرضها وسكانها حباً لم أر شبيهاً له طيلة حياتي، لدرجة أنه وفي أثناء سيره بين أطلالها، كان يتعرف على البيوت التي أزالها اليهود نهائياً من على الأرض... كان يتعرف عليها من أشجار الزيتون والتين والرمان والصبر التي ما زالت باقية حتى اليوم تنمو

وتعيش في مكانها صامدة رغم كل محاولات الصهاينة الغاصبين لطمس كل شيء عربي في البلدة... وعند كل بيت كان أبي يتوقف ليتذكر ويتنهد ويقول: هذا بيت فلان الذي كانت زوجته فلانة وأبناؤه فلان وفلان، وهم يعيشون الآن في البلد الفلاني»(٣٤).

ومما يروى في هذا الصدد أيضاً ما أفاد به فيصل حوراني عند عودته إلى أرض الوطن سنة ١٩٩٥م، حيث يقول: «وحين عودتي إلى أرض الوطن اجتذب السائق انتباهي إلى لوحة كتب عليها (المسمية)... أشار السائق إلى اللوحة، أما أنا فحضرني ما كان قائماً في ذلك المكان عند تقاطع الطريقين: محطة القطارات وحانوت ساريس البقال الذي كان يعد أشهى الفلافل، وعبثنا نحن تلاميذ المدرسة في هذا المكان الذي كنا نرتاده كل يوم... ومع أن السائق أطلق لسيارته العنان، فإن أوجاعي لم تخف، فذاكرتي تختزن أسماء المواقع التي توالت، وتطفح بذكرياتي فيها ومعلومات عنها وعمَّا حل بها على يد غاصبها»(٣٥).

كانت العقلية الصهيونية تعرف جيداً مدى ارتباط الإنسان الفلسطيني بأرضه، وتعي جوهر علاقته بالمكان، ولذلك لجأت إلى أشد الإجراءات فتكاً ضد الإنسان الفلسطيني لاقتلاعه من أرضه، وإجباره على ترك مكانه، فمنذ صدور قرار التقسيم، وحتى انتهاء حرب عام ١٩٤٨م، قامت العصابات الصهيونية بارتكاب الكثير من الجرائم والمجازر ضد المدنيين العرب العزل، بهدف بث الرعب بينهم، وترحيلهم عن أرضهم، وتدمير قراهم وبلداتهم.

إن المجازر الصهيونية رغم بشاعتها عملت على امتزاج الإنسان الفلسطيني بالمكان، فبدت رابطة الدم توثق علاقة الإنسان بالمكان في هذه البقعة الجغرافية، كذلك فإن عوالم المكان الفلسطيني حضرت عمليات القتل والذبح، فرصدت كثيراً من المشاهد لتبقى في الذاكرة شاهدة على أبوة الإنسان الفلسطيني لهذه الأرض وأمومته لهذا المكان... فهنا قرب المسجد قتلت طفلة بريئة، وهناك عند شاطئ البحر بقرت بطن امرأة حامل، وهنا على امتداد جدران البيوت الطينية أعدمت مجموعة من الشبان، وهناك بين حقول القمح تبعثرت أشلاء شيخ كهل، وهنا داخل هذا الكهف قضي على عائلة لاجئة، وهناك تحت الشجرة أعدم مقاتل جريح، وتتوافر شهادات عديدة تكشف أن ذاكرة المكان ساهمت بشكل فاعل في سرد قصص القتل والذبح التي تعرض لها أهالي القرى والبلدات الفلسطينية خلال أحداث حرب عام ١٩٤٨م.

ونذكر من هذه الشهادات على سبيل المثال لا الحصر رواية رزق عشماوي عن مذبحة الطنطورة حيث كان عمره آنذاك (١٣) عاماً، ويشير فيها إلى أن عدداً من شباب القرية قد أعدموا في باحة قريبة من مسجد القرية، فيقول:» على مسافة قريبة من مسجد القرية كانت ثمة باحة، بالقرب منها أوقفوا الشبان على امتداد جدران البيوت... كان ثمة طابور يضم

٢٥ شخصاً صفت خلفهم أيضاً فتيات، وقف في مقابلهم حوالي عشرة أو إثنى عشر جندياً، وعندئذ قام هؤلاء الجنود وبكل بساطة بإطلاق النار على الشبان الذين خروا قتلى في المكان... أما الفتيات فسمح لهن حسب أوامر الجنود بالذهاب، ليمضين في طريقهن»(٣٦). ويروي يوسف إبراهيم عبد الدين من قرية الدوايمة، ويسكن الآن في مخيم الجلزون بأنه قد أنجز الصهاينة فصلاً من فصول المجزرة التي حلت بقريته في مسجد الدراويش، فيقول: «في العاشرة والنصف من صباح يوم السبت ٢٩ تشرين الأول ١٩٤٨م مرت المصفحات بالقرب من مسجد الدراويش، وكان بداخله (٧٥) مسناً، فقاموا بقتلهم جميعاً بالمدافع الرشاشة»(٣٧).

وفي هذا السياق أيضاً فإن ذاكرة جامع دهمش ما زالت تنبض بألم المجزرة التي حلت في رحابه، فيروي أبو عمر اللداوي ابن الثامنة عشر عاماً آنذاك وهو من مدينة اللد، ويقيم الآن في مخيم عسكر بنابلس قائلاً: «اليهود فاتوا على جامع دهمش وقتلوا ثمانين شخصاً»(٣٨). ولا تزال البيادر في قرية الطنطورة تذكر ذاك الطفل الذي قضى صريعاً على يد العصابات الصهيونية، فقد روى يهودي عجوز كان قد اشترك في احتلال قرية الطنطورة الساحلية التي اقترف المحتلون فيها مذبحة بشعة، أن من بين الذين جمعهم الجنود على البيادر كان طفلاً قدمت له أمه قطعة خبز مدهونة بلبنة، ما أن هم بأكلها حتى صوب أحد الجنود الرصاصة نحو قطعة الخبز واخترقت الرصاصة قطعة الخبز، ودخلت في فمه وخرجت من مؤخرة رأسه»(٣٩). ولعل الكهوف المحيطة بقرية لوبيا ما زالت تذكر مشاهد اللجوء أثناء الهروب من قصف الطائرات والمدفعية، فتروي أم عارف العائدي (مواليد ١٩٣٤م) من قرية لوبيا حول ذلك قائلةً: «اشتد الحصار على بلدتنا من قبل اليهود الصهاينة المدعومين من جيش الإنجليز، وبعدها تم قصفنا بالطائرات ومن ثم احتمينا بالمغارات المحيطة بالبلدة، وقد أصيب العديد من أهلها أثناء القصف بالطائرات والمدفعية، وبعد انتهاء المعركة وسقوط عدد من الشهداء خرجنا»(٤٠).

وفي هذا السياق أيضاً فإن كثيراً من الروايات تشير إلى أن الإنسان الفلسطيني كان كثيراً ما يلجأ إلى البيارات للاحتماء بين أشجار البرتقال والزيتون والتين من القصف المدفعي وقصف الطائرات، فتروي أم عفيف (٨٣عاماً) من قرية سحماتا قائلةً: «إنه في يوم ٢٩ تشرين الأول ١٩٤٨م برمت الطيارة حوالي البلد... صارت الناس تركض وين الحواكير ووين الزيتون... تصاوب عمي يوسف أبو عواد... مات عمها لأمي...كان قاعد تحت التينه... لما شفنا هاي الشوفه خبينا أغراضنا وصارت الناس تركض وتتخبا بأرض الزيتون»(٤١).

لقد سجلت ذاكرة المكان الفلسطيني مشاهد النزوح والتشرد الجماعي، وصور الاقتلاع والتهجير القسري، فتكشفت مظاهر استلاب الروح من الجسد... فهؤلاء تركوا محاصيلهم قبل أن يبدأوا بجنيها، وأولئك هربوا قبل أن يكملوا قطاف ثمارهم، وهذا ترك موقده مشتعلاً ولم يجد متسعاً للشعور بدفئه، وذاك ترك بيته دون أن يغلقه على ذكريات عمره، وآخر ترك دوابه دون مأوى ولا طعام... لقد هجروا الصباحات الباكرة الندية دون أن يسمح لهم بالإطلالة من على شرفاتها، وفارقوا المساءات الدافئة العاطرة دون أن يسمح لهم بوداع عوالمها. «فلم يعرف العرب عن جهل أو تجاهل ماذا حدث للوطن الضائع، ماذا حدث لمئات القرى والمدن، ماذا حدث لتلك البيوت التي هجرت تحت القصف وترويع المذابح، وبها الصور على الحائط، والطعام لا يزال ساخناً في المطبخ، والفراش المبعثر، والزهور التي تركت دون أن تسقى، القطة أو الكلب الذي بقي دون صاحبه، ماذا حدث للمساحات الشاسعة من الأراضي المزروعة، للمحصول الذي نضج ولم يحصده صاحبه، لبساتين البرتقال، والزيتون الذي ينتظر القطاف، لآلاف الماشية والأغنام التي تركت هائمة دون ماء تشرب أو طعام تأكل، خرج الناس وفي قلوبهم نكبة النفس، وتركوا خلفهم نكبة المكان»(٤٢).

ولعل ما كتبه يوسف فايتز– مسئول الأراضي في الصندوق القومي اليهودي وأول رئيس للجنة الترانسفير– في مذكراته بعد أن أخذ يجول في القرى المهجورة التي طرد أهلها بالسلاح في جنح الظلام، يرسم لوحةً لا مثيل لها لنكبة المكان الفلسطيني، وقد جاءت هذه اللوحة مخضبةً بألوان من الحقد والكراهية، فيقول: «وتعرج الطريق بين الجبال

وبدا لي بهاء الجليل في أروع صورة،
في ابتسامته القرمزية،
لم أره من قبل مثل ذلك.
كان مفعماً بالحياة
قطعان الماشية تصعد الجبال
وتهبط الوديان، أجراسها تدق،
والرعاة خلفها،
يغنون ويصيحون كشخوص
من الماضي السحيق.
والآن ساد صمت رهيب على هذه الجبال، تنبعث
خيوطه من قرية خالية.
قرية خالية! ما أفظع هذا! حياة تجمدت،
تحولت إلى همسات في الريح،

إلى طابون انطفأت ناره،
إلى مرآه مكسورة،
إلى كومة من التين المجفف في الشمس،
إلى كلب نحيل يمشي وحيداً في الطرقات
الخالية...
وفجأة انبعث من داخلي شعور عميق الجذور،
الشعور بالنصر،
الشعور بالسيطرة،
الشعور بالانتقام.
لقد رأيت هذه البيوت الخالية خير مكان
لاستقبال إخوتي
اليهود الذين تشردوا من جيل إلى جيل»(٤٣).

فعندما أرغم الإنسان الفلسطيني على الهجرة والرحيل لم تهاجر معه أملاكه ومقتنياته، حيث بقيت وراءه تحرس المكان لحين عودته التي لن تطول حسب اعتقاده، حيث يظهر من روايات اللاجئين الفلسطينيين أن غالبيتهم قد أخذوا على حين غرة بحرب عام ١٩٤٨م رغم أنهم كانوا يتوقعونها، وعندما انفجرت الحرب حاول بعضهم التمسك ببعض الحاجيات الأكثر أهمية كالنقود ومستندات الأرض ومفتاح المنزل، ولكن معظمهم أغلقوا بيوتهم على ما فيها، وهاموا على وجوههم لا يلوون على شيء، ولا يعرفون حتى إلى أين يتجهون، فلم تكن لديهم فكرة عن المكان الذي سيذهبون إليه، ولكن كانت نيتهم تتجه نحو الهروب من ساحة القتال مع البقاء قريباً من قراهم ومدنهم بقدر المستطاع منتظرين فرصة مناسبة للعودة بعد انتهاء الحرب(٤٤). فتروي مريم سليمان مصلح (٦٥عاماً)، وهي تسترجع ما احتفظت به ذاكرتها حول الأجواء التي سادت عقب المجزرة التي شهدتها قريتها دير طريف قائلة:» خرجنا من قريتنا لا نحمل شيئاً سوى سطل من العجين وغطاء بسيط، وتركنا الحمام والدجاج وكل شيء وراءنا»(٤٥). وهذا ما حدث أيضاً مع سكان قرية ترشيحا، فتروي غوسطة دكور قائلةً:» إحنا هربنا بعد أول غارة على ترشيحا، لما قررنا نطلع كان عندي جهاز كبير، ومش عارفه شو بدي آخذ معي، بالآخر ما أخذنا إشي، أهم إشي نسلم بروحنا، أمي عملتلنا أكل، أخذت معها كيس لبنة، ومرطبان الجبنة حطته بكيس، وأخذت زعتر وخبز، وإحنا حملنا شراشف ومخدات»(٤٦).

وتصف جميلة مطاحن من زرعين التي كانت في السادسة عشرة من عمرها عندما غادرت القرية ليلة زفافها، فتقول: «طردونا والحنا بعده على أيدي، وخزانتي مليانة»(٤٧). ويقول جودت علي أبو سرية من الشيخ مونس، وقد كان عمره(٦) سنوات وقت الرحيل: «لم نأخذ معنا أي شيء عندما هاجرنا عام ١٩٤٨م، لم نحمل لا طناجر ولا حرامات ولا كاسات، كنا متأكدين إنّه رح نرجع بعد الحرب»(٤٨). وتتذكر أم عيسى أبو سرية من قرية الشيخ مونس (قضاء يافا) تلك الأيام العصيبة قائلة: «بكيناش عارفين أنه بدنا نطلع ومنرجعش، قلنا بنبقى جمعة زمان وبنرجع، محملناش الكواشين تاعة الطابو، دفناهم بالأرض لأنا راجعين بعد جمعة»(٤٩).

لقد رصدت ذاكرة المكان الفلسطيني صور الهروب والرحيل الجماعي لأهالي القرى والبلدات الفلسطينية، فمن هذا الوادي مروا هاربين، وعلى هذا الجبل تسلقوا خائفين، وإلى أطراف تلك البلدة لجأوا مذعورين، وفي تلك المغارة اختبئوا مرعوبين... وهناك العديد من الشهادات التي يشير فيها أصحابها إلى مواقف مروعة تمكنوا من مشاهدتها أثناء حالات الهروب والتشرد الجماعي، فيروي الأب يوسف سوسان واصفاً مشهد قوافل المشردين في قرية كفر برعم، فيقول: «ما زالت قوافل النازحين طوال تشرين الأول ١٩٤٨م في ذاكرة الصغار وكبار أبناء كفر برعم، مشاهد مؤلمة حزينة، أطفال نساء، وشيوخ وكهول، تقلهم سيارات سيرها الخوف، وقادها الفزع، وقوافل أخرى تسير خلف دواب كلفت نقل ما خف من متاع، صراخ أطفال فقدوا الأمن، أو عضهم الجوع، وربما لسعهم البرد، ونشيج أمهات يبكين سوء المصير... مشهد مروع وكلام له في النفوس وقع وأثر»(٥٠).

وفي هذا السياق أيضاً يروي أستاذ علم الاجتماع والأنثربولوجيا في جامعة بيرزيت الدكتور شريف كناعنة المولود في قرية عرابة البطوف بالجليل عام ١٩٣٦م قائلاً: «لقد كنت طفلاً في الثانية عشر في ذلك الحين، وما زلت أذكر كم كنت خائفاً عندما رأيت عشرات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال، والكلاب والحمير والخيول والأبقار، وفي بعض الأحيان عدد من الفراخ الصاخبة مربوطة من أرجلها ومحمولة على رأس امرأة أو على ظهر إحدى البهائم... كل هذا الحشد من البشر والحيوانات يهرول عبر قريتنا في حالة من الهلع والفوضى والارتباك... كان هؤلاء أهل القرى المحيطة بالناصرة وطبريا في طريق نزوحهم شمالاً نحو الحدود اللبنانية»(٥١). وأما عودة الرنتيسي مدير بيت الأيتام التابع للطائفة البروتستانتية في رام الله و المولود في مدينة اللد عام ١٩٣٧م فيستذكر من مشهد اللجوء موقفاً أليماً، حيث يقول:«... أطل علينا اليوم التالي بالمزيد من تجارب الرعب والخوف... فعلى طرف الطريق كان طفل صغير يرضع من ثدي أمه بنهم، كانت الأم ممددة على الأرض دون حياة... وعلى طول الطريق تناثرت أجساد أشخاص تعبوا من المسير... وآخرين ماتوا

من حر الصيف اللاهب... الكثير من النساء الحوامل فقدن أجنتهن خلال الرحلة، وأخريات فقدن أطفالهن بين أيديهن»(٥٢). وتصف نجية أسعد سليمان مشهداً آخراً من مشاهد الرحيل والهروب الجماعي في قرية سحماتا، فتقول: «الناس طلعت مثل المجنونة... إللي مركب أولاده على كتفه، وإللي على ظهره... شو بدها تحمل العالم لحتى تحمل... البيوت مليانة كانت... الناس صارت بالطريق ترمي أغراضها على الأرض»(٥٣).

لقد تحولت موجودات ومكونات المكان الفلسطيني أثناء أحداث النكبة عام ١٩٤٨م إلى مرموزات وأيقونات بفعل صمود الإنسان الفلسطيني، فتحولت باحاته إلى ساحات نضالية، وحقوله إلى مخابئ للثوار، وجباله إلى قلاع للفداء، وأنهاره إلى دماء للتضحية، وأشجاره إلى صروح للكرامة، فكل جزء وركن وزاوية في المكان الفلسطيني شهد صورة من صور التضحية والفداء، ومشهد من مشاهد التصاق الإنسان بأرضه وحماية المكان لأهله، فتقول رابعة حسين العسعس (٦٨عاماً) من بلدة لفتا (قضاء القدس) وسكان عمان حالياً:» كان الثوار من أبناء البلد يتصدون لمجموعات الهاغاناة المتسللة إلى أطراف القرية بين أشجار الصبار» (٥٤). وتقول رحمة داود عبد الرحمن (٧٢عاماً) من المزيرعة (قضاء اللد): «أن محمد صلاح قد جرح في المعركة ودخل ينزف وحيداً في حقل قمح قريب يكتم أنفاسه خوفاً من أن يكتشفوا وجوده»(٥٥). وفي هذا السياق أيضاً يروي الحاج نمر حسن العائدي (مواليد ١٩١٤م) من قرية لوبيا قائلاً: «حين هاجمنا اليهود أوقعنا بهم خسائر بشرية فادحة... وأذكر يومها كنت مع صديقي الحاج حسني نكمن عند كرم أبو لبدة... وكانت سنابل القمح تغطينا... وكنا قد حملنا شهداءنا من أرض المعركة ودفناهم في مغارة البلد»(٥٦).

ذاكرة المكان لدى الإنسان الفلسطيني بعد النكبة:

إن جرح النكبة كان أكثر إيلاماً لدى الإنسان الفلسطيني من أي حدث آخر، فقد أصبح يحمل معه المكان بمكنوناته وذكرياته أينما رحل وحيثما حل، بل أن تقاسيم المكان وموجوداته غدت الزاد اليومي للإنسان الفلسطيني، فتارة تراه ينظم من أنفاس المكان مرثية ليتباكى فيها على أيام الطفولة والصبا، وتارة يشيد من حجارته ملجأً ليأوي إليه كلما اشتدت عليه وطأة الحياة، وتارة ينسج من ذكرياته حكاية علها تشيع الدفء بين أبنائه وأحفاده، فالمكان في أعقاب النكبة أصبح يشكل روحاً للخلق والإبداع لدى الإنسان الفلسطيني، وخاصة لدى طبقة الأدباء، لدرجة أن المكان في كثير من الأحيان كان هو العامل المحرك لإيقاعات نصوصهم الأدبية، بل يشارك بقوة في توجيه الأحداث والشخصيات الروائية في أعمالهم، ومن هنا كانت أغلب إبداعاتهم تلح على إحضار المكان إلى رحابها، لدرجة أن رائحة المكان كانت تغطي مساحات واسعة من أعمالهم الروائية

والشعرية والفنية، ولعل هذا الاهتمام الواعي بالمكان من قبل الأدباء الفلسطينيين يعبر من جهة عن مدى ألمهم وحزنهم على فقدان الوطن وضياع ذكريات المكان، ومن جهة أخرى يظهر إصرارهم على العودة إليه مهما طال الزمان.

إن الكتابة في الوضع الفلسطيني تعدُّ امتداداً للذات، وهذه الذات تسعى دائماً إلى أن تجعل من نتاجها الأدبي والفني حارساً أميناً للمكان الفلسطيني المسلوب، ففي حوار مع الشاعر الفلسطيني إيهاب بسيسو المقيم في لندن يقول: «أكتب من أجل حبة القمح التي سرقت، ومن أجل الموجة التي أعتقلها القراصنة، علني في هذا أحافظ على تماسك الذاكرة أمام الريح»(٥٧). وهذا ما عبر عنه أيضاً الروائي الفلسطيني عدنان كنفاني المقيم حالياً في سوريا، فيقول: «لم يكن هاجسي إلى أي حد وفقت في محاولاتي للكتابة عن فلسطين، بل هي أواصر ما زالت تشدني إلى المكان، إلى وطن أنتمي إليه، إلى بيئة وتراث وأصالة، إلى جواز سفر، إلى ذاكرة ما زالت تنبض وتحرض فينا البحث عن الانتماء، إلى طفولة ضاعت في متاهات الشتات، إنها تلك الغربة التي تذبح الوطن على مرمى النظر، إنها فلسطين بكل هذه الطيوف... وطني الذي أنتمي إليه... فالمكان هاجسي في كل ما أكتب، ربما ذلك الطيف الذي مازال راسياً في قاع ذاكرتي يشدني دائماً إلى تكريس المكان»(٥٨). ومن هنا فإن ذاكرة المكان أصبحت جزءاً من ذاكرة الثقافة الفلسطينية، إذ يقول الشاعر الفلسطيني محمود درويش: «أي نص شعري غير محمول على تاريخ أو مكان يكون نصاً مداناً، لابد للنص الشعري أن يكون محمولاً على تاريخ أو مكان»(٥٩).

إن نكبة فقدان المكان أحدثت جرحاً غائراً لدى الإنسان الفلسطيني، وهذا الجرح توغل بعيداً في مملكة الشعراء والرواة والفنانين، فظهروا بأنهم أكثر الناس نفياً وغربة، كونهم يجهدون دائماً لتفريغ شحنات أحاسيسهم وانفعالاتهم على بياض الصفحات، سعياً منهم لتحقيق توازن نفسي من خلال تحويل العصاب الإيجابي لديهم إلى إبداع فني، ولذلك نجدهم أكثر الناس تعلقاً بالأمكنة ورموزها، فكثيراً ما ينشغلون في مسألة تفجير طاقة المكان الساكنة، أي إخراجها من عاديتها إلى شاعريتها، والتسامي بروحها حيث تكمن في نسيجها القيم الخالدة، وهم بهذا العمل يكونون من أكثر الناس تحريضاً للأماكن الساكنة، ابتغاء بعث الجدوى من الخواء، والضوء من القتامة، والنار من الجليد، والعنقاء من الرماد، ولعل هذا الفكر قد شكل عندهم نواظم مشتركة جمعت بين أفكارهم وصبغت معظم أعمالهم، إذ نجد أن المكان قد انزاح في أعمالهم من استخدامه المألوف في النصوص الإبداعية باعتباره مجرد جغرافية للمشاهد السردية يتحرك بين أشيائها الإنسان ضمن علاقة ساكنة وسلبية لا تعني شيئاً سوى وظيفتها، ونهضت علاقة أكثر عمقاً بين الإنسان والمكان، علاقة نفسية ووجودية وتاريخية، علاقة تؤسس للامركزية الإنسان، حيث لم يعد الإنسان هو سيد الأشياء، بل إن للأشياء فعلها الحيوي وإشاراتها النابضة بالمعنى، وبذلك

فإن المكان لم يعد يصوغه الكاتب، بل إن المكان بدوره أصبح يمارس صياغة شخصية الكاتب. ولعل تجربة الشاعر الفلسطيني محمود درويش التي تقوم أساساً على المكان فيها ما يشير إلى ذلك، فيقول: «موضوعي هو البحث عن المكان أو إعادة تركيب المكان الذي فكك، وإعادة تركيب التاريخ الذي فكك هو أيضاً، وإعادة الجغرافية أيضاً، هذا هو موضوعي، وهذا هو الحيز الذي يطغى على لغتي باعتباري فلسطينياً، أنا زمني مفكك، وتاريخي مفكك، وجغرافيتي مفككة، فأحاول أن أعيد بناءها من خلال اللغة»(٦٠).

الأدب هو ابن المكان، والمكان الفلسطيني مسلوب، ولذلك فإن أغلب النصوص الأدبية تحلقت حول المقاومة، على اعتبار أن الأدب يجب أن يكون مناضلاً، ومما لاشك فيه أن الشعر الفلسطيني تمتع بقدرة وطنية جعلت منه أداة من أدوات المقاومة لتحرير المكان المسلوب، ووسيلة من وسائل الحفاظ على الهوية والذاكرة الوطنية، حتى يمكن القول: إن بندقية المقاوم تقاطعت مع قصيدة الشاعر في كثير من الأحيان، فالشعر التحم بالمعاناة، فقد هبط إلى أزقة المخيمات، واتخذ موقعه خلف أكياس الرمل إلى جانب المقاتلين، ومشى في مقدمة الجنازات، وذرف الدموع على فراق الأحبة، وصرخ أيضاً في وجه الغزاة، ورجمهم بالكلمات الغاضبة، وحمل جرح المصابين ودماء الشهداء إلى فضاء الأوراق، ولذلك فإن الشعر الفلسطيني هو بوصلة الاتجاه نحو الوطن المحتل(٦١). فعندما أقامت الشاعرة فدوى طوقان أمسية شعرية في بيت جالا، أثارت ضجة وصلت إلى وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك موشيه ديان الذي حذر من تكرار هذه الأمسية لما تفعله من تهيج وإثارة، ثم وصف الشاعرة بقوله: تكفي قصيدة واحدة من قصائدها لخلق عشرة من رجال المقاومة(٦٢).

إن حالة استلاب المكان التي شعر بها الإنسان الفلسطيني، ومدى الحسرة التي أصابت الذات حين اقتلعت من جذورها، جعلت الإنسان الفلسطيني يعيش في غربة مكانية، ولذلك نجده ينزع دائماً إلى محاولة الإمساك بخيط يوهم بالمكان أو يوحي به طالما أن المكان المرجو خارج المتاح، لأن الإحساس بفقد المكان الأصل يدفع إلى محاولة الاستئثار بأقصى مكان يمكن أن تدركه المعرفة لتعويض هذا الفقد، ومن هنا فإن المكان قادر على التشكل في أي لحظة، استجابة لحالة النفي التي يتعرض لها المكان الأصل داخل الذهن الإبداعي، وبالتالي أصبح اللجوء إلى البديل (المكان المتخيل) هو وسيلة نضالية لجعل الحياة ممكنة والكتابة ذات جدوى(٦٣). ويتكشف الإحساس العالي بفقد المكان لدى الإنسان الفلسطيني عن شهوة شرسة للتملك، وهذه الشهوة تمثل شبكة من المرادات المكانية المؤلفة لوطن محتمل عبر عنها الشاعر الفلسطيني محمد القيسي بقوله: «أريد شوارع كثيرة، ومقاه بلا عدد... وأريد مدناً كافية لرغباتي، وبلاد تتشابك طرقاتها وأهواؤها... وأريد وجوهاً متناثرة في الشرفات والمكاتب، بحاراً كثيرة وأنهاراً أريد...»(٦٤).

إن غالبية أبناء الشعب الفلسطيني يعيشون في المنفى، وبالتالي فإن الذاكرة الوطنية لا تستطيع أن تحرر نفسها من ضغط ثقافة المنفى، إذ أصبح المنفى من مكونات الذاكرة الثقافية (٦٥)، والمنفيّ هو أكثر الناس تعلقاً بالأمكنة، وفي هذا المقام ليس هناك من لوحة أدبية يمكنها أن تعبر عن هذا الشيء أكثر مما كتبه فيصل حوراني في هذا الشأن، فيقول:» أمضيت عمري في الحنين إلى أم ووطن أقصيت عنهما، أدرك بالعقل أن الوطن هو مثل أي وطن، إلا أن الحنين الذي ألهبه الحرمان المتصل وغذاه، أنشأ في الروح وطناً هو الأعظم والأجمل بين الأوطان»(٦٦). فالإنسان الفلسطيني يحمل المكان في مخيلته بصفة دائمة كونه يعيش حالة من اليتم المكاني، وهذا الوضع يمثل حالة جمعية لجيل كامل عاش سني التشرد والضياع (٦٧). وهو ما عبر عنه فيصل حوراني بقوله: «نقلت وطني معي كلما تنقلت، لم أعش في الغربة دون رفيق، فقد ظل المتوطن في روحي هو رفيقي الدائم» (٦٨). ولعل ثقافة النفي والاغتراب هذه دفعت بطبقة الأدباء إلى قراءة المكان قراءة إبداعية بهدف العمل على إعادة تشييد البناء المكاني داخل النصوص الأدبية، فنجدهم يحرضون الموجودات المكانية على التحرك من سكونها، ويقومون بعملية إحياء للعلاقات المكانية من جديد، وكأنهم بذلك يعيدون نتاج المكان في مخيلتهم، وهكذا فإن الذات الفلسطينية المبدعة وجدت في المكان مصدراً خصباً للإلهام، ونظرت إليه على أنه بحيرة بركانية تقذف من بواطنها المعاني.

إن صور التشرد والاغتراب وعذابات المنفى واللجوء ولعنات الغياب عن المكان ظلت تلاحق الإنسان الفلسطيني في أماكن لجوئه، فلا ينسى صور المرافئ والمعابر، ولا عذابات الوحدة وبرودة الليل، حتى الكتابة في بلاد الشتات واللجوء أصبحت ذات طعم خاص، فقد أسست لعلاقة من نوع آخر مع المكان، حيث أصبح للغيمة معنى، وللموجة معنى آخر، وللطرق وللأشجار وللطيور والنوارس معان مجازية، يحاول الشاعر من خلالها إدخال الوطن إلى تلك التفاصيل المختلفة بشكل يجعل الكتابة حالة مستمرة من القلق والحلم والانتظار على حد سواء، بمعنى آخر كأنك تحاول أن تشق في جدار المنفى نافذة تطل منها على الوطن بمدنه وأشجاره وبحره وتلاله، وجرحه وعذابه أيضاً، كأنك تحاول معايشة اليومي بتفاصيله الدقيقة، لتلغي حالة الغياب، ولو بشكل مؤقت على الأوراق، فتترك لرغبتك العنان في أن تتجول على الشاطئ في غزة، وتتسلق التلال في رام الله، وتنام في القدس، وتستيقظ في الخليل، وتركض من القذائف، وتحمل الجرحى إلى سيارات الإسعاف، وتشرب كأساً مع المقاتلين خلف أكياس الرمل، أو فنجاناً من القهوة مع الجدات على الشرفات العتيقة، وهكذا تجد بأن الوطن يدخل بعفويته إلى عمق تفاصيل النص(٦٩).

إن حالة الاغتراب والنفي هذه وما نجم عنها من حالة استنفار للبحث عن مكان مسلوب، امتدت لتطال أعمال أهل الفن ورسوماتهم، فقد ركز الفنانون الفلسطينيون على تصوير المشهد المكاني في الريف الفلسطيني، حيث استخدموا ألوانا مناسبة لتشكيل ملامح هذا الريف، وإبراز مواطن الجمال في طبيعته، كذلك استخدموا مواد طبيعية من البيئة الفلسطينية كمؤشر على المكان وعلى ارتباطهم العميق به، كالصلصال والعشب والتراب، وذلك لتجسيد مشاهد قطف الزيتون وجني الحصاد، ولعل هذه الأعمال تهدف إلى خلق نوع من الفن يسعى إلى تعزيز خطاب المكان والانتماء إليه في ظل حالة الاغتراب والتشرد، فالفنان الفلسطيني ناصر صومي الذي يعيش في باريس استخدم قطعاً من برتقال يافا في تكوين لوحاته الفنية على اعتبار أن الأشياء لها قيمتها في وضعيتها الرمزية(٧٠).

أما الفنان التشكيلي الفلسطيني إبراهيم هزيمة المقيم حالياً في مدينة برلين والمولود في مدينة عكا عام ١٩٣٣م «فقد كانت مدينة عكا في قمرها وبحرها وبيوتها العامرة وناسها الطيبين هي ساحة فنه وميدانه التعبيري البصري والوجودي، فمدينة عكا كانت حاضرة بقوة في لوحاته التصويرية، لا تغادر ذاكرته الحافظة لتجليات وطن جميل مسكون بأنفاس الحياة الحرة الكريمة المفتوحة على قرص الشمس وملونات الأمل المعشبة بشخوص النسوة الحسان اللواتي يحملن خيرات الأرض والبلاد»(٧١). وهذه أيضاً كانت حال الفنان التشكيلي الفلسطيني إبراهيم غنام المقيم حالياً في بيروت والمولود في بلدة الياجور (قضاء حيفا) عام ١٩٣٠م، «حيث عشق الطبيعة الفلسطينية وتغنى بالأرض ومواسم الحقول والمناسبات الشعبية حتى لقبه الناقد الروسي ناتولي بغدانوف بلقب (مغني الأرض وفنان الضيعة الفلسطينية)، فقد جاءت لوحاته منحازة تماماً لذاكرة الأمكنة الفلسطينية، وناسها الطيبين، وطبيعتها الساحرة، ومواسم الخير والعطاء، والاحتفالات الشعبية التي لم تفارق مخيلته لحظة واحدة، فاللوحات الدافقة برائحة الأرض وعبق الليمون والريحان والزعتر سكنت ضلوعه وداعبت أحاسيسه وملكت عقله، ويوميات الحصاد الحافلة بجماليات الوطن وعمق الوجود ووهج الأرض أخذت مساحة واسعة من موهبته، فوثق بذلك تاريخ شعب وحفظ ذاكرة وطن من خلال خطوط وملونات جامعة لجماليات الأرض والإنسان الفلسطيني بطيبته وإنسانيته، فالأرض ميدانه الرئيسي وفتنة سرده البصري، لا تغادر ذاكرته وذكرياته عن وطن مستلب مفقود، وقرية فواحة ومعبأة بأنفاس الحنون والصبار والليمون، وكثيراً ما كان الفنان يرقص في حضرة هذه الطبيعة منتشياً على طريقته الخاصة، وذلك عبر الخط واللون وقماش الرسم وأدواته الفنية المتواضعة، بما يمتلك من موهبة فطرية وذاكرة بصرية تتسع لجماليات القرية والوطن وأبعاده الإنسانية والحضارية، حيث الأرض العامرة بمواسم الخير والقطاف والحصاد، المعشبة بسنابل القمح الذهبية التي تحاكي أشعة الشمس وحركة الفلاحات والفلاحين العامرة بالحيوية والنشاط والمسكونة بالألفة والمحبة»(٧٢).

كما أن حالة الاغتراب والنفي وما رافقها من ألم وحسرة على فقد الديار عملت بقوة على ظهور الأمكنة بشكل كثيف بين ثنايا صفحات الرواية الفلسطينية، ففي رواية (عكا والملوك) للروائي الفلسطيني أحمد رفيق عوض، يقول الراوي: «خرجت من القبو لأشاهد نابلس لأول مرة في حياتي، فدهشت لما فيها من أبنية فخمة وشوارع عريضة لامعة نظيفة، كانت المدينة تصعد من الوادي باتجاه الجبلين اللذين يحفان بها من الشمال إلى الجنوب، وهما جبلان عاليان جهمان جليلان يبتعدان عن بعضهما ويقتربان كأنهما يهمان بالعناق ثم يعدلان عن ذلك»(٧٣). وفي رواية (بلاد البحر) رصد أحمد رفيق عوض طبيعة علاقة الإنسان الفلسطيني مع أرضه وخيراتها، فيقول: «أبي الضخم صاحب الصوت العريض يتحول في لحظة إلى طفل كبير سريع الدمعة، سريع الاشتعال والانفعال، يفرح عندما يطعم شجرة لوز، ويسبح باسم **الله** عندما يرى شجرة زيتون مثمرة، وعندما يحرث الحقل بعد المطر، ويرى لون الأرض يتغير، وتخرج الديدان من قلب التراب، وتنشر رائحة ثقيلة في الجو»(٧٤)، وفي مقطع آخر يقول: «في فلسطين المحروسة، فإن الفلاحين يؤلفون قصصاً حول كل صخرة وكل مغارة وكل شجرة، وهم يسمون أشجارهم الكبيرة، ويسمون أراضيهم، ويسمون حيواناتهم وينابيعهم...الخ»(٧٥). كما أن المكان لدى الروائي الفلسطيني إميل حبيبي كان ممتداً ليستوعب كل أرض فلسطين: مدنها وقراها وعيونها وطرقها وجبالها وسهولها، وكل ما تحتوي تلك الأماكن من بشر وشجر وماء وقنن وخمائل وبيارات، حتى ليمكن اعتماداً على رواية (المتشائل) أكثر من غيرها أن نستخلص تقويماً جغرافياً وتاريخياً لفلسطين، ففي هذه الرواية يورد عدداً من أسماء القرى التي هدمها الاحتلال وشرد أهلها بكل وحشية وقسوة(٧٦).

وكما حضرت الأمكنة الفلسطينية في فناء الأدب والفن عموماً، حضرت كذلك في عالم السينما، فقد بدأت عملية إحياء ذاكرة المكان الفلسطيني بعد غفوة طويلة، حيث كانت البداية المتميزة في فيلم (معلول تحتفل بدمارها) للمخرج الفلسطيني ميشيل خليفي عام ١٩٨٥م، وفي هذا السياق ظهرت المدن الفلسطينية المحتلة حيفا وعكا ويافا والناصرة وصفد وطبريا والكثير من القرى الفلسطينية ما دمر منها وما بقي في كثير من الأفلام السينمائية مجسدة بذلك الحضور الفلسطيني في مكانه، والتأكيد على أزلية هذا الحضور، ومن هذه الأفلام (بلاد البحر والرمل) للمخرج الفلسطيني جورج خليفي عام ١٩٨٢، وفيلم (حكاية مدينة على الشاطئ) للمخرج الفلسطيني علي نصار عام ١٩٨٣م وفيلم (نداء الجذور) للمخرج الفلسطيني ناظم شريدي عام ١٩٨٥م، وربما كان فيلم (نهر البارد) للمخرج الفلسطيني قاسم حول عام ١٩٧١م أول محاولة من قبل السينما الفلسطينية لتسجيل ذاكرة المخيم(٧٧).

إن شعور الإنسان بحالة من اليتم المكاني جعلته يطفح بمشاعر التفجع على فقد الديار، فلم يجد سبيلاً لمؤانسة هذه المشاعر وتهدئتها سوى استذكار عوالم المكان الغائب، ولعل ما نظمه الشاعر الفلسطيني محمد القيسي في هذا السياق يعتبر أنقى صورة للمشاعر الملتهبة بجراح نكبة المكان الفلسطيني، فيقول مؤبناً هذا المكان: «أين صارت دارتنا... جارة الكروم... أين صارت تلك الحاكورة بنباتاتها وخضرواتها المنوعة، ودجاجاتها وحمامها الطيار الأليف... أين صارت الأعشاش التي كنت أراقبها وأرى أفراخها تكبر وتكبر حتى تملؤني الغصة والحنق، فلا أمسك منها واحداً، أفرح بها أمام الصبيان وأطيره... أين صار فطر كانون وحنون نيسان الأحمر»(٧٨).

ومن زاوية أخرى فإن حالة اليتم المكاني جعلت الإنسان الفلسطيني يستصرخ الذات والغير ويحملهما مسؤولية فقد المكان وضياعه، وقد رسم الفنان سليم مخولي علامات استفهام كثيرة لعلها تتمكن من استجواب الضحية فتبعث في جسدها روح العودة، ففي إحدى زياراته بصحبة بعض زملائه الفنانين لقريته كفر برعم يقول: «اتخذت مكاناً للجلوس في ظلال الأشجار وباشرنا عملنا، كل يرسم حسب هواه بصمت وانفعال، رسمنا الكنيسة وما شاهدناه من حيطان وقناطر وأقواس وحجارة مبعثرة وغيرها، شعرنا بأنفاس أصحابها حولنا، وعيونهم تطل على لوحاتنا، حين عملنا كانوا معنا وكنا معهم، وكم وددنا أن نسأل أحدهم كيف تم هذا ؟... كيف تركتم بلدكم الجميلة الرائعة الموقع، الطيبة الهواء بمائها وخصبها، كيف تركتم هذه الجنة ورحلتم»(٧٩). وتتكرر علامات الاستفهام هذه لدى عيسى العزة، فيقول:» يا الله من ترك هذه الجنان المعلقة ؟ من هان ؟ ومن دان ؟ ومن سمسر ؟ ومن باع ؟ ومن هو الذي ما زال يعرض ترابك يا فلسطين وعظامكم أيها الأجداد في سوق النخاسة... وفي المزاد العلني المكشوف والمفضوح ؟ حقي أن أكون هنا... أن أعود إلى هنا... أن أبقى هنا»(٨٠). وهذه أيضاً أم مصطفى القريني (٧٢عاماً) من حي الجبلية (يافا) وتسكن الآن في نابلس راحت هي الأخرى بعد إفاقتها من صدمة النكبة تبحث عن إجابة لعلامات الاستفهام تلك، فتقول: «الكل كان ينوح ويعيطوا ويقولوا شو إللي خلانا نطلع ! ليش طلعنا ودشرنا كل إشي»(٨١).

في كل مكان من عالمنا يعيش الإنسان في المكان، أما الفلسطيني فإن المكان يعيش فيه، ففي داخل الإنسان الفلسطيني تبقى دائماً روح الأمكنة شاهقة بذاكرة من سكنوها وعايشوها، فكل قطعة حجر، كل ساحل، كل بيت قديم، كل شارع، كل حارة... تبقى حيوات لها محبة وانتماء في قلب الإنسان الفلسطيني المصاب بيوتوبيا عشق المكان.

ولعل ما يجسد ذلك هي تلك المشاهد التي رصدت في أثناء عودة بعض المهجرين الفلسطينيين على سبيل الزيارة إلى بلداتهم وقراهم التي هجروا منها قسراً أثناء أحداث

النكبة، حيث تكشفت مشاعر حميمة ومتبادلة من الحنين والشوق بين الإنسان والمكان، وهذا شعور فلسطيني جمعي متجذر ومزمن، فعندما كان الإنسان الفلسطيني العائد يلتقي بفردوسه الأرضي، كان يحتضن المكان ويقبل موجوداته كلها، عسى أن يتلمس فيها أماكن طفولته وصباه، ويشم فيها رائحة أجداده وأسلافه، ويسمع منها حكاياته مع بيارات البرتقال وحقول القمح، ثم يركض بعدها مسرعاً عسى أن يصنع بقوة الزمن الضائع كله ذاكرة بصرية للمكان في محاولة لامتلاكه كله كي يلتهمه حتى الثمالة، وحينها تهاجمه المشاعر بوحشية الكائن المتحفز، مشاعر اللقاء الغامض بالناس، ومشاعر الفقد للأشياء.

وليس هناك من صورة أكثر تجسيداً لحالة الامتزاج بين المكان وصاحبه مما يرويه عيسى العزة عندما زار قريته تل الصافي (قضاء الخليل) في تشرين الأول من عام ٢٠٠٤م، فيقول: «كأن الأرض علمت بقدومي... أوكأنها في عيد أو كرنفال... الأرض تتنفس... الأرض تهمس... الأرض تتزين... الأرض تجرح... الأرض تقتل... الأرض تبوح... الأرض تحتفل... تستقبل، تشكو، تعاتبنا، تبكي وتنوح... أردت أن أبحث عن شيء... أردت أن أركض وأنا على أبواب السبعين... الأرض تأخذني... أحاول أن أطير... أفقد الاتجاه... أبحث عن حقل... عن كرم... عن شجرة رمان أو تين أو مشمش كنت أجلس تحت ظلالها وأنا ابن إثنى عشر عاماً»(٨٢).

وهكذا فإن الأماكن التي فقدناها تظل حية في داخلنا، وكما يقول باشلار: «فهي تلح علينا،لأنها تعاود الحياة، وكأنها تتوقع منا أن نمنحها تكملة لما ينقصها من حياة، فما أروع أن نعيش اليوم في بيوت الماضي، وأن تتخذ ذكرياتنا فجأة إمكانية حية للوجود! إننا نتأمل الماضي ونشعر بالندم، لأننا لم نعش بعمق كاف، ندم يملأ قلوبنا، يأتينا من الماضي ويبهظنا»(٨٣). وهناك مشاهد عديدة تفيض بها مشاعر العائدين إلى قراهم وبلداتهم بعد فراق طويل، فتروي جميلة حماد أن المرة الأولى التي رأت فيها والدها يبكي بحرقة حقيقية هي عندما زارت معه بلدهم الأصلي عنابة (قضاء الرملة)(٨٤). ويصف الشاعر الفلسطيني محمود درويش لحظة احتراقه بلهفة العودة، وكيف أنه حول المكان إلى قصيدة بقوله: «إن جنازة إميل حبيبي وفرت لي فرصة لأفرح بعودة قصيرة إلى الجليل، إذ حصلت على تصريح لمدة ثلاثة أيام للمشاركة في تأبين إميل حبيبي ولزيارة أمي، وهنالك احترقت بلهفة العودة، فمن هنا خرجت، وإلى هنا أعود، ورأيت كيف يستطيع المرء أن يولد من جديد، كان المكان قصيدتي... لم ينقصني شيء لأحقق موتي المشتهى في ذروة هذه الولادة، وأنا أحرم من اكتمال الدائرة، كنت أدرك أن انسلاخ الأسطورة عن الواقع ما زال في حاجة إلى مزيد من الماضي، وأن تحرر الواقع من الأسطورة ما زال بحاجة إلى المستقبل، أما الحاضر فلم يكن أكثر من زيارة يعود الزائر بعدها إلى توازنه الصعب، بين منفى لا بد منه، وبين وطن لا بد منه، فلا يعرف هذا العكس ذاك، ولا ذاك بنقيض هذا، ففي كل وطن منفى، وفي المنفى بيت من الشعر»(٨٥).

ويصف خالد منصور مشاعر والده عندما زار قريته أم الزينات (قضاء حيفا) قائلاً: «على الرغم من كبر سن والدي، فإنه لم يكن يتعب من التجول في البلدة، كان يقضي ساعات وساعات هائماً على وجهه في دروبها القديمة، وكأنه يبحث عن شيء ما كان قد نسيه عند خروجه الأخير من البلدة، وعندما كان يحين موعد العودة كان أبي يركب السيارة متثاقلاً، وكأنه يريد أن يقول لنا: اتركوني هنا في بلدتي، وعودوا أنتم إلى مخيمكم»(٨٦). وهكذا كما يقول باشلار: فإن «الذكريات البعيدة حينما تستدعى نضفي عليها قيمة ما، هالة من السعادة، وإذا احتجبت هذه الهالة، فإن الوقائع تمتنع عن الوجود»(٨٧).

إن احتفاء العائدين بعناق المكان هي لحظة فرح لا تكتمل أحياناً، إذ يفيق بعضهم على أنقاض حلم مجهض، جراء اصطدامهم بموجة مرعبة من التحولات المكانية، وحينها فإنهم يسقطون في هوة ليس فيها من مكان الطفولة شيء من طفولة المكان سوى أشباح الماضي وروائح عناصره الهالكة، فيتراءى أمامهم المكان الموروث كأنه تعرض لعملية جراحية تجميلية قبيحة، تسببت في سلب عذريته وأخفت سحره المعهود، وحينها لا يجدون من وسيلة لتوقظهم من صدمتهم سوى الهذيان عله يفتح لهم أبواب الماضي ليجلبوا منه وصف الوجوه الغائبة وصوت الحكايات المكتومة وصروح الأماكن الآفلة، وبذلك فإن العودة لا تكون مكتملة وحقيقية عند هؤلاء إلا حين يصلوا إلى تلك المساحة المكانية والزمنية التي غادروها ورحلوا عنها، وإلى ذلك تشير هالة سكاكيني ابنة المربي الفلسطيني خليل السكاكيني وهي تصف مشاعر الغربة المكانية التي طغت على فرحتها عند زيارة بيتها في منطقة القطمون بالقدس سنة ١٩٦٧م، فتقول: «بعد تسعة عشر عاماً من مغادرته، كانت مواجهة حزينة، إذ بدت رؤيته أشبه بلقاء شخص عزيز تركته في المرة الأخيرة شاباً يافعاً، مفعم بالصحة والنشاط، ثم وجدته فجأة كبيراً مريضاً، خالياً من الحيوية، وأكثر من ذلك فقد بدا مثل صديق قديم تلتقيه صدفة بعد طول غياب لتجده شخصية أخرى تختلف جذرياً عن تلك التي عهدتها»(٨٨). وعندما رأت الحاجة رضية حسين مرعي (٦٤عاماً) بقايا قريتها المنسي(حيفا) لم تجد فيها ما تحتضنه سوى حفنة تراب عسى أن تتلمس فيها أثر لخطوات طفولتها، فتقول: «زرت بلدنا قبل الانتفاضة الأولى، رحت مع ناس من بلدنا نزورها في موسم قطف الزيتون، ولقينا القرية في دمار كامل، وما بقي منها شيء سوى مداميك الحجر المدمرة، لقينا بلدنا مليانة بالمستعمرات وبيوت اليهود المتنقلة، قعدت أنا والنسوان إللي معنا نبكي وحملنا حفنات من تراب البلد وشمينا ريحتها، ريحة بلادنا وأراضينا، أخذنا حفنات التراب ورجعنا على مخيم جنين، ومن يومها بنشم تراب البلد كل ما حنينا للأرض»(٨٩).

على الرغم أن جيل ما بعد النكبة ولد بعيداً عن الوطن في بلاد اللجوء والشتات، فإنه ظل مرتبطاً بالأرض، ويعتقد بأن له صلة رحم وقرابة بالمكان وشخوصه، وظل أيضاً مصراً على حقه في العودة، فقد ورث هذه المفاهيم عن آبائه وأجداده، وعرف أهميتها وقيمتها من خلال أحاديثهم التي لا تنقطع، ولذلك فإن هذا الجيل يعيش بانتظار العودة إلى مكان لم يشاهده بعينه، ولكنه يعيش في قلبه، ويحتل المساحة الأوسع في مخيلته، فالمكان الخيالي الذي تشكل لدى جيل ما بعد النكبة من مادة غنية متنوعة المصادر يعتبر من أرقى الأمكنة وأكثرها جمالاً، لأنه تشكل عبر كيمياء الخيال، ولذلك نجده قد تجاوز المكان الجغرافي فتنة ودلالة. ولعل» قدرة اللاجئ الفلسطيني على استعادة واستحضار المكان المسلوب تخيلياً ومحاكاته واقعياً، جعله ينتصر على الحاضر القامع بالماضي الضائع، فإذا كانت صفته كلاجئ ليست سوى نتاج لاقتلاعه من المكان بكل ما اتصل بذلك من تدمير لعلاقاته الاجتماعية ودمغه بالضياع والتشرد، فقد عمل على محاصرة هذه النتائج والحد من تأثيرها عليه، وذلك باستعادة الأسماء والعلاقات الاجتماعية كما كانت تقريباً في فلسطين قبل النكبة، وهي ليست استعادة وهمية فقط، وإنما استعادة حقيقة بمقدار ما تستطيع غريزة البقاء أن تكون كذلك، فأعيد تنظيم الأحياء بحسب القرى الأصلية، وأعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية بصورة شبه مطابقة للصورة التي كانت قبل النكبة، وتم التمسك بالعادات والتقاليد التي فقدت موضوعياً الأساس المادي الذي أنتجها، وقد تمكن اللاجئ بهذه الصيغة الالتفافية الإفلات من الحصار الذي فرضه واقع اللجوء، فلم يسمح له باستيعابه والسيطرة عليه، وذلك بالبقاء على بعد نفسي عنه، فحافظ بذلك على هامش من الحرية مكنه من توريث أطفاله جغرافية الوطن والقرية والبيت في أدق تفاصيلها وتوهج قيمها، مجسداً بذلك أحد أهم أشكال المقاومة لعملية إزالة هذه الأماكن ومحوها من قبل السلطات الإسرائيلية، فالمكان الذي أصبح اسمه عبرياً أو أزيل بالجرافات بقي ينتقل من ذاكرة إلى ذاكرة باسمه ورسمه الأصليين محتفظاً بكل نبض الحياة فيه، نافياً بذلك عملية الانفصال والاتصال التي تمت رغماً عنه، ومنكراً ما طرأ من تحول على المكان، وبذلك لعب واقع اللجوء دوراً نقيضاً للدور المراد له أن يلعبه، فبدلاً من أن يقود إلى انسلاخ الإنسان عن وطنه، ويقتلع الأرض من وجدانه، فقد لعب دور المحفز للاستحضار والاستعادة الدائمة للوطن»(٩٠).

وفي هذا السياق يقول الحاج إبراهيم ربيع محمود عودة (١١٠أعوام) من المجدل: «لقد زرعت حب الوطن في نفوس أبنائي وأحفادي وأحفادهم، فلا يخلو يوم من ذكر الوطن المسلوب، مشيراً إلى أنه في كل ليلة هناك حديث عن الوطن، وابتسم وهو يهز رأسه قائلاً: أصبح أحفادي يسبقونني في الحديث عن المجدل، حيث أن الحديث يتكرر يومياً، فأنا لا أمل من الكلام عن مجدل عسقلان مسقط رأسي، وهم يتعطشون لكل معلومة ولكل همسة عن

الوطن... وقال: كثير من أحفادي يطالبون بزيارة المجدل ليلمسوا ترابها ويشتموا نسيمها ويغتسلوا في مائها ويأكلوا من خيراتها»(٩١). وتقول طفلة فلسطينية من الجيل الثالث تقيم في الأردن:» تحدثني جدتي عن فلسطين وهي مثل القاموس، فلديها حكايات كثيرة ترويها عن فلسطين، وهي تحدثنا دائماً عن فلسطين، أتمنى لو أمكنني زيارة فلسطين»(٩٢). ويقول طفل فلسطيني آخر يقيم في سوريا: «أنا فلسطيني حتى الجذور، وأنا لم أزر فلسطين أبداً، ولكنني أحببتها بفضل أمي وجدي وجدتي»(٩٣).

ولعل ما يذكر في هذا الصدد أيضاً تلك الكلمات التي وردت في رواية أم عارف العائدي (مواليد ١٩٣٤م) من لوبيا، فتقول: «ها نحن نورث ذاكرتنا لأبنائنا وأحفادنا في المخيمات، وما زلنا نعيش أمل العودة، وأنا إذا قالوا لي احزمي حقائبك لتعودي، فساعود وأعيش هناك في بلدتنا ووطننا فلسطين الذي لا ننساه حتى الممات، بلادنا بلاد الخيرات»(٩٤).

لم يصبح المكان لدى الإنسان الفلسطيني مجرد ذكرى، بل تحول بفعل المعاناة والمقاومة إلى مكان للمستقبل يجب البحث عن سبيل للعودة إليه، فعندما يتحدث الجيل الأول (٦١عاماً فما فوق) عن حق العودة، فإنه يتحدث عنه من منظور حسي ومادي، فأبناء هذا الجيل يتطلعون إلى ممارسة حق العودة بصورة حسية وفعلية من خلال العودة إلى أراضيهم وبيوتهم التي اضطروا إلى هجرها قسراً أثناء أحداث النكبة، فقد قام قسم من أبناء هذا الجيل منذ هجرتهم بمحاولات متكررة للرجوع إلى أراضيهم وبيوتهم السابقة، سواء كمتسللين أو بهدف الإقامة أو الزيارة، ويبدو أن السبب وراء ذلك هو محاولة هؤلاء إنقاذ ذكرياتهم الضائعة، وتأكيد ارتباطهم المادي والمعنوي بالأرض والبيت (٩٥)، وليس كما يدعي بعض المؤرخين اليهود أمثال بيني موريس من أن عودة هؤلاء كان دافعها الجوع فقط (٩٦). فبعد النزوح بفترة قصيرة حاول بعض المهجرين العودة إلى بيوتهم في قراهم الأصلية، والقيام بزراعة بعض المحاصيل في أراضيهم، فأطلق الإسرائيليون عليهم مصطلح المتسللين (٩٧). ومما يذكر من روايات لشهود عيان في هذا الصدد، رواية يوسف إبراهيم عبد الدين حيث تحدث عن مغامرة أهل قرية الدوايمة عندما عادوا لقريتهم، فيقول: « لقد غامروا وعادوا للقرية... من ينجو فهو ينجو بإعجوبة... البعض قتل بلغم، والبعض تكهرب على الأسلاك التي أحاطت بالقرية، والبعض ألقي القبض عليه وقتل»(٩٨). وفي هذا الصدد تروي سعاد حداد (مواليد ١٩٣١م) من قرية ترشيحا قائلة: «في إلي أخ اسمه صبحي وكان مثل النمر، كان عمره (١٠سنوات)، قال لأمي بدي أروح ع ترشيحا أشوف البيت، قالتله أمي إسَّا بقتلوك اليهود، ما رد عليها وراح على البيت، وشاف ستي، ولما رجع على البقيعة قال لأمي ارجعوا ع ترشيحا، أخوي صبحي قال لأمي بتقولك ستي ناس كثير رجعوا وقاعدين بالكنيسة، بعد شي شهر رجعنا تهريب، تسللنا بالعتمة، لأنه بالليل ما كان يكون يهود... كل البلد تسللت بهاي الطريقة، واحد يقول للثاني... وهيك رجع الناس»(٩٩).

إن ما يظهر تمسك الجيل الأول بحق العودة هو رفض أبناء هذا الجيل لكافة الحلول المقترحة الرامية إلى حل قضيتهم بعيداً عن حق العودة، فقد رفض هؤلاء مجرد الحديث عن التوطين أو التعويض، بل إن عدداً كبيراً منهم – كما أشار الدكتور عادل يحيى في كتابه (اللاجئون الفلسطينيون ١٩٤٨م –١٩٩٨م)– هدد بوقف اللقاء مع الباحث إذا أصر على الخوض في هذا الموضوع(١٠٠)، ولعل ما ورد في حديث الحاج رجا موعد (مواليد ١٩١٢م) من صفورية ما يؤكد هذه الحقيقة، فيقول: «الآن نحن على شوق وحنين للعودة إلى ديارنا... حتى هذه اللحظة نحن مستعدون للعودة... وحول ما أشيع قبل سنوات من موضوع التعويض، فإذا طرح مجدداً، فأنا لا أقبل ولا الشعب الفلسطيني في الشتات يقبل ذلك، لأن هذا يعتبر بمثابة صك اعتراف ببيع الوطن، فنحن نريد العودة الحقيقية لديارنا... أنا أرفض التعويض، فالفلسطيني معني بعودته حتى ولو بعد أجيال، فهذه حقوقنا التاريخية التي لا نفرط بها مهما تحولت وتغيرت الأزمنة، نحن نرفض أي بديل عن الوطن، وخيارنا الوحيد هو العودة... إنني من خلال وجودي هنا في اللجوء لا أنام ليلة إلا وأتذكر أرضنا فلسطين، ولا أغفو إلا وأفكر بمسقط رأسي صفورية التي لم تذهب من ذاكرتي... فلسطين ستبقى حلمنا الأبدي»(١٠١).

وفي هذا السياق أيضاً يقول جودت علي أبو سرية من قرية الشيخ مونس ويقيم الآن في مخيم عسكر: «إحنا لنا حق بنطالب فيه، عمر ما حق ضاع، إسرائيل زورت التاريخ، وادعت أنه إلها حق هون، أنا إذا ما أخدت حقي اليوم، راح أحكي قصتنا بالتفاصيل لأولادي ولأولادهم، تيجي كل العالم وتعطيني كل ملايين الدولارات إللي بالعالم ما رح أخدهم، أنا بدي حقي، حقي أرض في قرية الشيخ مونس، وإن ما أخدت حقي اليوم، رح بيجي اليوم إللي بناخد فيه حقنا، بدها صبر ورح ناخد حقنا»(١٠٢).

ولعل ما يشير إلى ترسخ فكرة العودة بين أفراد الجيل الأول تلك الرواية التي أوردها عودة الرنتيسي ووصف فيها والده حينما أراد إصلاح بيته عندما رأى فيه بعض الخراب في أثناء زيارته لمدينة اللد اعتقاداً منه بأن هذا البيت سيبقى إلى الأبد ملكاً له، وأنه سيعود إليه في يوم من الأيام، فيقول: أذكر أن حياة والدي كان منفعلاً جداً، لم يعرف أين هو؟ قال: أين نحن؟ قلت له: في بيتنا، لقد وجدنا ثلاث عائلات يهودية تسكن بيتنا، وقد قامت هذه العائلات بتقسيم البيت من الداخل، ولاحظنا بأنهم قد أهملوا البيت من الخارج لدرجة أن هذا الأمر قد حز في نفسي والدي، وبلا شعور أراد أن يتناول شيئاً من الأسمنت كي يقوم بعملية إصلاح بيته المهمل (١٠٣). ومما يذكر أيضاً في هذا الصدد ما رواه خالد منصور من قرية أم الزينات (حيفا) عن والده، حيث قال: «لقد مات أبي رحمه الله في العام ١٩٨٦م وهو لم تفارق لسانه سيرة أم الزينات وأهل أم الزينات، وقد أوصانا أن ننقل رفاته بالإضافة إلى رفات صديق آخر عزيز عليه (داوود الخالد) إلى أم الزينات، وذلك عندما نعود إليها ونحررها من دنس الغاصبين»(١٠٤).

خاتمة

أصبح للمكان الفلسطيني بعد النكبة خصوصية معينة، حيث أصبح يشكل مصدراً رئيساً للحفاظ على الهوية الفلسطينية في ظل حالة التشتت واللجوء التي يعيشها أبناء الشعب الفلسطيني، فذاكرة المكان ظلت شاهقة رغم كل محاولات الهدم والتدمير، وعامرة بشهادات وصور توثق العلاقة بين الإنسان الفلسطيني وأرضه، وتصون الجغرافية الفلسطينية من محاولات تشويه معالمها وطمس ملامحها.

ولذلك ينبغي على الباحثين والمهتمين بمجال التاريخ الشفوي الفلسطيني أن يوجهوا معظم جهودهم نحو ذاكرة المكان، وذلك من خلال استغلال فرص زيارة وعودة بعض المهجرين الفلسطينيين إلى قراهم وبلداتهم التي هجروا منها قسراً في أعقاب حرب عام١٩٤٨ م، والقيام بإجراء مقابلات شخصية معهم، لأنهم بذلك يصرعون الزمن قبل أن يصرع أولئك الرواة، وينبغي أن تجرى معهم هذه المقابلات بين أحضان طبيعة المكان وعمرانه، لأن المكان بسحره سيفيض عليهم بمشاعر تنظم حديث الأمس فيصبح أكثر قوة وعطاء، وسيمنحهم مهارة تلون صور الماضي فتصبح أكثر وضوحاً وبهاءاً، وبهذا يكون هؤلاء الباحثون قد وظفوا عامل المكان ليؤدي دوراً مهماً في تنشيط ذاكرة أولئك الرواة، فتجدهم حينها يسترجعون مواقف وأحداثاً، ويستجلبون صوراً ومشاهد ما كانت مخيلتهم ستنجح في استحضارها لولا توافر عامل المكان، الذي يعتبر بحق عنصراً مهماً ومحركاً فاعلاً في عملية إعادة بناء الماضي بتفصيلاته الدقيقة، وإعادة تلوين صوره الباهتة لتعود إلى هيئتها الطبيعية كما كانت وقت وقوعها، فتنبعث حينها مظاهر الحياة من جديد في عوالم المكان ومفرداته لتنطق وتتحدث إلى أناس ألفت وجوههم، وعشقت مشاعرهم، وتشربت قيمهم.

كذلك ينبغي على هؤلاء الباحثين أن يصعدوا ثقافة المواجهة لدى المكان، وذلك من خلال قيامهم برصد المفردات والمشاهد والصور المكانية التي يفيد بها هؤلاء الرواة، ويعتمدونها في تقرير مشروع وطني لتدوين جغرافية القرى والبلدات الفلسطينية المدمرة والمهجرة، للحفاظ عليها من اعتداءات الجغرافيا الإسرائيلية، ولتكون وثائق إثبات لأصالة المكان وحق الإنسان.

هوامش البحث

١. عيسى قراقع: في ذلك الكهف، صحيفة حق العودة، العدد ١٠ – ١١، عدد خاص بمناسبة مرور سبعة وخمسون عاماً على النكبة، تصدر عن بديل «المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين «، بيت لحم، أيار ٢٠٠٥م، ص٣٢.

٢. خليل مبروك: شاهد على وجع النكبة ومعاناة اللاجئين في وطن اللاأرض ومعسكرات الاغتراب، صحيفة القدس، القدس، العدد ١٢٣٤٨، الاثنين ٠٥/٠١/ ٢٠٠٤م، ص٢٤.

٣. علاء الدين ضهير(إعداد): شهود النكبة... روايات شفوية للشهود العيان على حرب عام ١٩٤٨م، وحدة الإعلام(زاجل)، دائرة العلاقات العامة، جامعة النجاح بنابلس، ٢٠٠٦م، ص٢٢.

٤. عبد الفتاح القلقيلي: الأرض في ذاكرة الفلسطينيين، مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل)، رام الله، ٢٠٠٤م، ص ٩٩.

٥. رنين جريس: حكاية عروس الجليل: ترشيحا، صحيفة حق العودة، العدد ٢٠، تصدر عن بديل " المركز الفلسطيني لحقوق المواطنة واللاجئين"، بيت لحم، كانون أول ٢٠٠٦م، ص٢٠.

٦. خالد منصور: سلام عليك يا أم الزينات، صحيفة حق العودة، العدد ١٠–١١، تصدر عن بديل " المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين " بيت لحم، أيار ٢٠٠٥م، ص٢٤.

٧. عبد الرازق اليحيى: عبد الرازق اليحيى بين العسكرية والسياسة (ذكريات)، مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني " شمل "، رام الله، مؤسسة الدراسات المقدسية، القدس، ٢٠٠٦م، ص٢٣.

٨. سليم مخولي: ذاكرة مكان... كفر برعم.على موقع الانترنت:
http://www.ibdaa3.com/saleem%201.htm

٩. فيصل حوراني: الحنين... حكاية عودة، مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني " شمل "، رام الله، مؤسسة الدراسات المقدسية، القدس، ٢٠٠٦م، ص٧.

١٠. حافظ محمد جمال الدين المغربي: شعرية المكان والزمان. على موقع الانترنت:
http://www.althakerah.net/sub.php?idauther=&loc=&mid=2759&level=3&locat=&head

١١. مالك الريماوي: الحكاية... جغرافية المعنى وترحال الخيال، قراءة في كتاب حكايات عتيقة، صحيفة الأيام، رام الله، العدد ٣٤١١، الثلاثاء ١٩/٠٧/ ٢٠٠٥م، ص٢٩. وكتاب حكايات عتيقة من تأليف أرمينيو المندروس، ترجمة أحمد يعقوب، منشورات مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، رام الله.

١٢. سمر شاهين (تحقيق): صحيفة القدس تتجول في ذاكرة لاجئة معمرة من إسدود، صحيفة القدس، القدس، العدد ١٢٢٣٧، الأحد ٠٩/١٤/ ٢٠٠٣م، ص١٨.
١٣. فيصل حوراني: دروب المنفى... الوطن في الذاكرة، مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني "شمل"، رام الله، مؤسسة الدراسات المقدسية، القدس، ٢٠٠٤م، ص١١٠.
١٤. (١٤) يحيى القيسي: الثقافة العربية تخسر بموت إحسان عباس ناقداً ومحققاً ومترجماً وأكاديمياً من طراز رفيع، صحيفة الحياة الجديدة، رام الله، الخميس ٢٠٠٣/٠٨/٠٧م، ص ١٠.
١٥. صحيفة القدس الفلسطينية، العدد ١٢٣٢٦، الأحد ٢٠٠٣/١٢/١٤م، ص ١٤.
١٦. بيت التراث: هو متحف نصراوي للتراث الفلسطيني، أسسه خالد عوض في بيت قديم بالناصرة، والبيت في الأصل يعود لطنوس قعوار، ويقع في سوق الناصرة، وطنوس قعوار أول رئيس بلدية للناصرة إبان الحكم العثماني، إذ تولى المنصب لمدة عشر سنوات، ولكن تاريخ هذا البيت أبعد بكثير، إذ يقدر عمره بحوالي ٢٥٠ سنة، وهو مقسوم إلى قسمين، الزملك وهو قسم الرجال وفيه تمت إقامة بيت التراث، وبقي الحرملك (قسم النساء) بيتاً مؤجراً.
هبه فيصل زعبي: متحف نصراوي للتراث الفلسطيني، صحيفة المشهد الإسرائيلي، تصدر عن مدار "المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية"، رام الله، العدد ١٣١، الثلاثاء ٢٠٠٦/٠٤/١٨م، ص٧.
١٧. المرجع والصفحة نفسهما.
١٨. غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٤، ١٩٩٦م، ص٤٣.
١٩. بشار دراغمة (حوار): فدوى طوقان في آخر لقاء صحفي تروي رحلة العمر الصعبة، صحيفة الحياة الجديدة، رام الله، العدد ٢٩٢٨، الأحد ٢٠٠٣/١٢/١٤م، ص٧.
٢٠. شاهين: صحيفة القدس تتجول في ذاكرة لاجئة معمرة من اسدود، مرجع سابق، ص١٨.
٢١. المرجع والصفحة نفسهما.
٢٢. عباس نمر: الطابون في التراث الشعبي الفلسطيني، صحيفة القدس، القدس، الإثنين ١٩٩٦/٠٧/٠١م، ص١٥.
٢٣. محمد توفيق الصواف: صورة الأرض في الأيديولوجيا الصهيونية، مجلة صامد، العدد١١٣، عدد خاص بمناسبة مرور خمسون عاماً على نكبة فلسطين، مؤسسة صامد، بيروت، تموز – آب – أيلول ١٩٩٨م، ص ١٥٣.
٢٤. مصطفى كبها: جولة في سنديانة الروح.على موقع الانترنت:
http://www.arabs48.com/display.x?cid=1&sid=23&id=35170

٢٥. ضهير: مرجع سابق، ص٦٠.
٢٦. مبروك: مرجع سابق، ص٢٤.
٢٧. (٢٧) كانت حصيلة رحلة الفنان سليم مخولي إلى قريته كفر برعم رسم ثلاثين لوحة، عرضها في كفر ياسيف تحت عنوان" ذاكرة مكان".
مخولي: مرجع سابق، نفس الصفحة الالكترونية.
٢٨. مخولي: المرجع والصفحة نفسهما.
٢٩. صحيفة حق العودة تحاور الدكتور ابراهيم رزق عطا الله حول كتابه الجديد: إقرث... قضية شعب وحق وأمل، صحيفة حق العودة، العدد ٢٠، تصدر عن بديل "المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين"، بيت لحم، كانون أول ٢٠٠٦م، ص ١٩.
٣٠. سلمان ناطور: مفاتيح أبو سلمى وزنزانة تداعيات ما بعد النكبة، صحيفة حق العودة، العدد ١٠-١١، تصدر عن بديل " المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين" بيت لحم، أيار ٢٠٠٥، ص٢٧.
٣١. باشلار: مرجع سابق، ص٤٤.
٣٢. مبروك: مرجع سابق، ص ٢٤.
٣٣. عيسى العزة: أبعد من ذاكرة، صحيفة حق العودة، العدد ١٠- ١١، تصدر عن بديل "المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين"، بيت لحم، أيار ٢٠٠٥ م، ص٢٥.
٣٤. خالد منصور: مرجع سابق، ص٢٤.
٣٥. حوراني: الحنين، مرجع سابق، ص٥٤.
٣٦. أمير غيلات: الطنطورة ٤٨... تفاصيل ليلة المجزرة، صحيفة الأيام، رام الله، العدد ١٤٦٩، السبت، ٢٢/٠١/٢٠٠٠م، ص ٢٨.
٣٧. قراقع: مرجع سابق، ص ٣٢.
٣٨. ضهير: مرجع سابق، ص٧٥.
٣٩. واكيم واكيم: المهجرون اللاجئون في وطنهم منذ النكبة ١٩٤٨م، مجلة صامد، العدد ١١٣، مؤسسة صامد، بيروت، تموز- آب - أيلول ١٩٩٨م، ص ١٩٩.
٤٠. علي العائدي: ذاكرة النكبة وشهادات أصحابها، مجلة صامد، العدد ١١٤، مؤسسة صامد، بيروت، تشرين الأول - تشرين الثاني - كانون الأول ١٩٩٨م، ص٢٢٧.
٤١. رنين جريس: قرية سحماتا.... حكايات التهجير وحنين العودة، صحيفة حق العودة، العدد ١٩، تصدر عن بديل " المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين " بيت لحم، أيلول ٢٠٠٦م، ص ١٦.
٤٢. سلمان أبو ستة: حق العودة مقدس وقانوني وممكن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٥١-١٥٢.

٤٣. المرجع نفسه، ص ١٦٠–١٦١.
٤٤. عادل يحيى: اللاجئون الفلسطينيون (تاريخ شفوي)، المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي، رام الله، ١٩٩٨م، ص ٥٢–٥٣.
٤٥. عبد السلام الريماوي: شيوخ يتذكرون نكبة الشعب الفلسطيني، صحيفة صوت النساء، رام الله، العدد ١٢٠، الخميس ١٧/٠٥/ ٢٠٠١م، ص٧.
٤٦. رنين جريس: حكاية عروس الجليل، مرجع سابق، ص٢١.
٤٧. القلقيلي: مرجع سابق، ص١١٢.
٤٨. ضهير: مرجع سابق، ص ٨٨.
٤٩. المرجع نفسه، ص١٦.
٥٠. مخولي: مرجع سابق، نفس الصفحة الالكترونية.
٥١. شريف كناعنة: لقد كنت حاضراً، صحيفة حق العودة، العدد ١٠–١١، تصدر عن بديل " المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين "، بيت لحم، أيار ٢٠٠٥م، ص٢٨.
٥٢. سمر قطب (ترجمة): ذاكرة الدم... ذاكرة الحجر (خمس شهادات فلسطينية)، مجلة صامد، العدد ١١٣، مؤسسة صامد، بيروت، تموز – آب – أيلول – ١٩٩٨م، ص٣٠٢.
٥٣. جريس: قرية سحماتا، مرجع سابق، ص١٧.
٥٤. فاروق وادي: ذاكرة الخمسين... نصف قرن على الرحيل، مجلة صامد، العدد ١١٤، مؤسسة صامد، بيروت، تشرين الأول – تشرين الثاني – كانون الأول ١٩٩٨م، ص٢١١.
٥٥. المرجع نفسه، ص ٢٠٧.
٥٦. العائدي: مرجع سابق، ص ٢٣٠.
٥٧. حوار تلفزيون المستقبل اللبناني مع الشاعر الفلسطيني إيهاب بسيسو المقيم في لندن. على موقع الانترنت:
http://www.almustaqbal.com/storiesaspx?categoryID=8&issueID=1050
٥٨. سعيد أبو معلا (حوار): الأديب عدنان كنفاني... مسكون المكان وساكنه، صحيفة الأيام، رام الله، العدد ٣٧١٥، الثلاثاء ٢٣/ ٠٥/ ٢٠٠٦م، ص ٢٨.
٥٩. سميرة عوض (حوار) محمود درويش في حواره مع الرأي: الشعر يقاوم كل ما يعيق تطور حرية الإنسان والإبداع. على موقع الانترنت:
http://www.ninfo.gov.ps/culture/Arabic/31-07-04htm
٦٠. المرجع والصفحة نفسهما.
٦١. حوار مع الشاعر الفلسطيني إيهاب بسيسو، نفس الصفحة الالكترونية.
٦٢. عمر شبانة: فدوى طوقان... من القهر والحرمان تنتج الشعر والمقاومة، صحيفة الحياة الجديدة، رام الله، العدد ٢٩٣٢، الخميس ١٨/١٢/٢٠٠٣م، ص١١.

٦٣. محمد صابر عبيد: تمظهرات الشكل السيرذاتي... قراءة في تجربة محمد القيسي السيرذاتي. على موقع الانترنت:
http://www.awu-dam.org/book/05/study05/179-M-A/book05-sd003.htm
٦٤. المرجع والصفحة نفسهما.
٦٥. عوض: مرجع سابق، نفس الصفحة الالكترونية.
٦٦. حوراني: الحنين، مرجع سابق، ص١٠٦.
٦٧. مؤثرات المكان في قصص سميرة عزام... مجموعة الساعة والإنسان نموذجاً. على موقع الانترنت: http://www.haifalana.net/articalphp?idarticale=30
٦٨. حوراني: الحنين، مرجع سابق، ص٨.
٦٩. حوار مع الشاعر الفلسطيني إيهاب بسيسو، نفس الصفحة الالكترونية.
٧٠. تينا شرويل: سلطة المكان وعرض المشهد في أعمال الفنانين الفلسطينيين، نشرة الفن والحرب، تغطية خاصة للمؤتمر الثالث لمعهد غوتة، رام الله، ٢٠٠٤/١٢/٢٣م، ص٤.
٧١. عبد الله أبو راشد: بانوراما الفن التشكيلي الفلسطيني (٣). على موقع الانترنت:
http://www.thaqafa.org/Main/default.aspx?xyz
٧٢. عبد الله أبو راشد: بانوراما الفن التشكيلي الفلسطيني (١). على موقع الانترنت:
http://www.thaqafa.org/Main/default.aspx?xyz
٧٣. عمر شبانة: ملامح من صورة الأرض في الأدب الفلسطيني. على موقع الانترنت:
http://www.thaqafa.org/Main/default.aspx?xyz
٧٤. المرجع والصفحة نفسهما.
٧٥. المرجع والصفحة نفسهما.
٧٦. ناهض زقوت: انعكاس الارهاب الصهيوني على الرواية الفلسطينية، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، رام الله، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢٧.
٧٧. بشار إبراهيم: عن الذاكرة الشفهية ومسائل الهوية الوطنية في السينما الفلسطينية. على موقع الانترنت:
http://www.haifalana.net/article.php?id_article=72
٧٨. عبيد: مرجع سابق، نفس الصفحة الالكترونية.
٧٩. مخولي: مرجع سابق، نفس الصفحة الالكترونية.
٨٠. العزة: مرجع سابق، ص ٢٥.
٨١. ضهير: مرجع سابق، ص ٥٧.
٨٢. العزة: مرجع سابق، ص٢٥.
٨٣. باشلار: مرجع سابق، ص٧٤.

٨٤. يحيى: مرجع سابق، ص ٧٠.
٨٥. محمود درويش: المنفى المتدرج، صحيفة حق العودة، تصدر عن بديل "المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين"، بيت لحم، كانون الثاني ٢٠٠٤م، ص٢٠.
٨٦. خالد منصور: مرجع سابق، ص٢٤.
٨٧. باشلار: مرجع سابق، ص٧٦.
٨٨. قطب: مرجع سابق، ص ٢٩٥.
٨٩. ضهير: مرجع سابق، ص٥٥.
٩٠. عابد الزريعي: اللاجئون في الأدب الشعبي الفلسطيني. على موقع الانترنت: http://www.alwatanvoice.com/arabic/news.php?go=show&id=21587
٩١. سمر شاكر شاهين (تحقيق): معمر من المجدل يستعيد ذكريات مدينته، صحيفة القدس، القدس، العدد ١٢٣٤٨، الاثنين ٠٥/٠١/٢٠٠٤م، ص ٢٤.
٩٢. نارمين أسعد عيسى: الذاكرة لدى الطفل الفلسطيني، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي: التاريخ الشفوي... الواقع والطموح، مركز التاريخ الشفوي، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٥– ١٦/٠٥/٢٠٠٦م، ج٢، ص٨٠٠.
٩٣. المرجع والصفحة نفسهما.
٩٤. العائدي: مرجع سابق، ص ٢٢٨.
٩٥. سائد أبو فرحة (حوار): الدكتور عادل يحيى: آلية التعامل مع قضية العودة تختلف من جيل لآخر، صحيفة شمل " مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني"، رام الله، الأربعاء ٣١/٠٣/٢٠٠٤م، ص٧.
٩٦. يحيى: مرجع سابق، ص٦٦.
٩٧. كناعنة: مرجع سابق، ص٣٢.
٩٨. قراقع: مرجع سابق، ص ٣٢.
٩٩. جريس: حكاية عروس الجليل، مرجع سابق، ص ٢١.
١٠٠. أبو فرحة: مرجع سابق، ص٧.
١٠١. العائدي: مرجع سابق، ص ٢٢١– ٢٢٢.
١٠٢. ضهير: مرجع سابق، ص٨٨.
١٠٣. يحيى: مرجع سابق، ص٧١.
١٠٤. خالد منصور: مرجع سابق، ص٢٤.

المصادر و المراجع:

١. أمير غيلات: الطنطورة ٤٨... تفاصيل ليلة المجزرة، صحيفة الأيام، رام الله، العدد ١٤٦٩، السبت، ٢٢/٠١/٢٠٠٠م.

٢. بشار إبراهيم: عن الذاكرة الشفهية ومسائل الهوية الوطنية في السينما الفلسطينية، على موقع الانترنت:
http://www.haifalana.net/article.php?id_article=72

٣. بشار دراغمة (حوار): فدوى طوقان في آخر لقاء صحفي تروي رحلة العمر الصعبة، صحيفة الحياة الجديدة، رام الله، العدد ٢٩٢٨، الأحد١٤/١٢/٢٠٠٣م.

٤. تينا شرويل: سلطة المكان وعرض المشهد في أعمال الفنانين الفلسطينيين، نشرة الفن والحرب، تغطية خاصة للمؤتمر الثالث لمعهد غوتة، رام الله، ٢٣/١٢/٢٠٠٤م.

٥. حافظ محمد جمال الدين المغربي: شعرية المكان والزمان،على موقع الانترنت:
http://www.althakerah.net/sub.php?idauther=&loc=&mid=2759&level=3&locat=&head

٦. خالد منصور: سلام عليك يا أم الزينات، صحيفة حق العودة، العدد ١٠-١١، تصدر عن بديل (المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين)، بيت لحم، أيار ٢٠٠٥م.

٧. خليل مبروك: شاهد على وجع النكبة ومعاناة اللاجئين في وطن اللاأرض ومعسكرات الاغتراب، صحيفة القدس، القدس، العدد ١٢٣٤٨، الاثنين ٠٥/٠١/ ٢٠٠٤م.

٨. رنين جريس: حكاية عروس الجليل: ترشيحا، صحيفة حق العودة، العدد ٢٠، تصدر عن بديل (المركز الفلسطيني لحقوق المواطنة واللاجئين)، بيت لحم، كانون أول ٢٠٠٦م.

٩. رنين جريس: قرية سحماتا.... حكايات التهجير وحنين العودة، صحيفة حق العودة، العدد ١٩، تصدر عن بديل (المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين)، بيت لحم، أيلول ٢٠٠٦م.

١٠. سائد أبو فرحة (حوار): الدكتور عادل يحيى: آلية التعامل مع قضية العودة تختلف من جيل لآخر، صحيفة شمل (مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني)، رام الله، الأربعاء ٣١/٠٣/٢٠٠٤م.

١١. سعيد أبو معلا (حوار): الأديب عدنان كنفاني... مسكون المكان وساكنه، صحيفة الأيام، رام الله، العدد ٣٧١٥، الثلاثاء ٢٣/ ٠٥/ ٢٠٠٦م.

١٢. سلمان أبو ستة: حق العودة مقدس وقانوني وممكن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٣. سلمان ناطور: مفاتيح أبو سلمى وزنزانة تداعيات ما بعد النكبة، صحيفة حق العودة، العدد ١٠-١١، تصدر عن بديل (المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين)، بيت لحم، أيار٢٠٠٥م

١٤. سليم مخولي: ذاكرة مكان... كفر برعم،على موقع الانترنت:
http://www.ibdaa3.com/saleem%201.htm

١٥. سمر شاكر شاهين (تحقيق): معمر من المجدل يستعيد ذكريات مدينته، صحيفة القدس، القدس، العدد ١٢٣٤٨، الاثنين ٠٥/٠١/٢٠٠٤م.

١٦. سمر شاهين (تحقيق): صحيفة القدس تتجول في ذاكرة لاجئة معمرة من إسدود، صحيفة القدس، القدس، العدد ١٢٢٣٧، الأحد ١٤/٠٩/ ٢٠٠٣م.

١٧. سمر قطب (ترجمة): ذاكرة الدم... ذاكرة الحجر (خمس شهادات فلسطينية)، مجلة صامد، العدد ١١٣، مؤسسة صامد، بيروت، تموز - آب - أيلول - ١٩٩٨م.

١٨. سميرة عوض (حوار): محمود درويش في حواره مع الرأي: الشعر يقاوم كل ما يعيق تطور حرية الإنسان والإبداع، على موقع الانترنت:
http://www.ninfo.gov.ps/culture/Arabic/31-07-04htm

١٩. شريف كناعنة: لقد كنت حاضراً، صحيفة حق العودة، العدد ١٠-١١، تصدر عن بديل (المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين)، بيت لحم، أيار ٢٠٠٥م.

٢٠. عابد الزريعي: اللاجئون في الأدب الشعبي الفلسطيني،على موقع الانترنت:
http://www.alwatanvoice.com/arabic/news.php?go=show&id=21587

٢١. عادل يحيى: اللاجئون الفلسطينيون (تاريخ شفوي)، المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي، رام الله، ١٩٩٨م.

٢٢. عباس نمر: الطابون في التراث الشعبي الفلسطيني، صحيفة القدس، القدس، الاثنين ٠١/٠٧/١٩٩٦م.

٢٣. عبد الرازق اليحيى: عبد الرازق اليحيى بين العسكرية والسياسة (ذكريات)، مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل)، رام الله، مؤسسة الدراسات المقدسية، القدس، ٢٠٠٦م.

٢٤. عبد السلام الريماوي: شيوخ يتذكرون نكبة الشعب الفلسطيني، صحيفة صوت النساء، رام الله، العدد ١٢٠، الخميس ١٧/٠٥/ ٢٠٠١م.

٢٥. عبد الفتاح القلقيلي: الأرض في ذاكرة الفلسطينيين، مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل)، رام الله، ٢٠٠٤م.

٢٦. عبد الله أبو راشد: بانوراما الفن التشكيلي الفلسطيني (١)، على موقع الانترنت: http://www.thaqafa.org/Main/default.aspx?xyz

٢٧. عبد الله أبو راشد: بانوراما الفن التشكيلي الفلسطيني (٣)، على موقع الانترنت:
http://www.thaqafa.org/Main/default.aspx?xyz

٢٨. علاء الدين ضهير(إعداد): شهود النكبة... روايات شفوية للشهود العيان على حرب عام ١٩٤٨م، وحدة الإعلام (زاجل)، دائرة العلاقات العامة، جامعة النجاح بنابلس، ٢٠٠٦م.

٢٩. علي العائدي: ذاكرة النكبة وشهادات أصحابها، مجلة صامد، العدد ١١٤، مؤسسة صامد، بيروت، تشرين الأول – تشرين الثاني – كانون الأول ١٩٩٨م.

٣٠. عمر شبانة: فدوى طوقان... من القهر والحرمان تنتج الشعر والمقاومة، صحيفة الحياة الجديدة، رام الله، العدد ٢٩٣٢، الخميس ٢٠٠٣/١٢/١٨م.

٣١. عمر شبانة: ملامح من صورة الأرض في الأدب الفلسطيني، على موقع الانترنت:
http://www.thaqafa.org/Main/default.aspx?xyz

٣٢. عيسى العزة: أبعد من ذاكرة، صحيفة حق العودة، العدد ١٠– ١١، تصدر عن بديل (المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين)، بيت لحم، أيار ٢٠٠٥ م.

٣٣. عيسى قراقع: في ذلك الكهف، صحيفة حق العودة، العدد ١٠ – ١١، عدد خاص بمناسبة مرور سبعة وخمسون عاماً على النكبة، تصدر عن بديل (المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين)، بيت لحم، أيار ٢٠٠٥م.

٣٤. غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٤، ١٩٩٦م.

٣٥. فاروق وادي: ذاكرة الخمسين... نصف قرن على الرحيل، مجلة صامد، العدد ١١٤، مؤسسة صامد، بيروت، تشرين الأول – تشرين الثاني – كانون الأول ١٩٩٨م.

٣٦. فيصل حوراني: الحنين... حكاية عودة، مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل)، رام الله، مؤسسة الدراسات المقدسية، القدس، ٢٠٠٦م.

٣٧. فيصل حوراني: دروب المنفى... الوطن في الذاكرة، مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل)، رام الله، مؤسسة الدراسات المقدسية، القدس، ٢٠٠٤م

٣٨. مالك الريماوي: الحكاية... جغرافية المعنى وترحال الخيال، قراءة في كتاب حكايات عتيقة، صحيفة الأيام، رام الله، العدد ٣٤١١، الثلاثاء ٠٧/١٩/ ٢٠٠٥م. وكتاب حكايات عتيقة من تأليف أرمينيو المندروس، ترجمة أحمد يعقوب، منشورات مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، رام الله.

٣٩. محمد توفيق الصواف: صورة الأرض في الأيديولوجيا الصهيونية، مجلة صامد، العدد١١٣، عدد خاص بمناسبة مرور خمسون عاماً على نكبة فلسطين، مؤسسة صامد، بيروت، تموز – آب – أيلول ١٩٩٨م.

٤٠. محمد صابر عبيد: تمظهرات الشكل السيرذاتي... قراءة في تجربة محمد القيسي السيرذاتي، على موقع الانترنت:
http://www.awu-dam.org/book/05/study05/179-M-A/book05-sd003.htm
٤١. محمود درويش: المنفى المتدرج، صحيفة حق العودة، تصدر عن بديل (المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين)، بيت لحم، كانون الثاني ٢٠٠٤م.
٤٢. مصطفى كبها: جولة في سنديانة الروح،على موقع الانترنت:
http://www.arabs48.com/display.x?cid=1&sid=23&id=35170
٤٣. نارمين أسعد عيسى: الذاكرة لدى الطفل الفلسطيني، كتاب أبحاث المؤتمر العلمي: التاريخ الشفوي... الواقع والطموح، ج٢، مركز التاريخ الشفوي، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٦م.
٤٤. ناهض زقوت: انعكاس الارهاب الصهيوني على الرواية الفلسطينية، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، رام الله، ط١، ٢٠٠٢م.
٤٥. هبه فيصل زعبي: متحف نصراوي للتراث الفلسطيني، صحيفة المشهد الإسرائيلي، تصدر عن مدار)المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(، رام الله، العدد ١٣١، الثلاثاء ٢٠٠٦/٠٤/١٨م.
٤٦. واكيم واكيم: المهجرون اللاجئون في وطنهم منذ النكبة ١٩٤٨م، مجلة صامد، العدد ١١٣، مؤسسة صامد، بيروت، تموز– آب – أيلول ١٩٩٨م.
٤٧. يحيى القيسي: الثقافة العربية تخسر بموت إحسان عباس ناقداً ومحققاً ومترجماً وأكاديمياً من طراز رفيع، صحيفة الحياة الجديدة، رام الله، الخميس ٢٠٠٣/٠٨/٠٧م.
٤٨. صحيفة القدس الفلسطينية، العدد ١٢٣٢٦، الأحد ٢٠٠٣/١٢/١٤م.
٤٩. حوار تلفزيون المستقبل اللبناني مع الشاعر الفلسطيني إيهاب بسيسو المقيم في لندن،على موقع الانترنت:
http://www.almustaqbal.com/storiesaspx?categoryID=8&issueID=1050
٥٠. صحيفة حق العودة تحاور الدكتور إبراهيم رزق عطا الله حول كتابه الجديد: إقرث... قضية شعب وحق وأمل، صحيفة حق العودة، العدد ٢٠، تصدر عن بديل (المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين)، بيت لحم، كانون أول ٢٠٠٦م.
٥١. مؤثرات المكان في قصص سميرة عزام... مجموعة الساعة والإنسان نموذجاً، على موقع الانترنت:
http://www.haifalana.net/articalphp?idarticale=30

الانتهاكات الصهيونية والصمود الفلسطيني
قراءة في الذاكرة الفلسطينية

أ.د. صلاح حسن عاوور*

---

* أستاذ التاريخ الإسلامي، منطقة رفح التعليمية، جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

التاريخ الشفوي له دور مهم، على أن يكون وفق المنهج العلمي المعتمد، بعد هزيمة ١٩٤٨م هُجّر الشعب الفلسطيني وضاعت الأرض والهوية، وما وُثق في هذا البحث هو من شهود عيان ثقة حضروا المذابح الصهيونية التي أدت إلى الهجرة، أما اليهود الذين غادروا البلاد العربية فكانوا إما بمحض إرادتهم أو بتخطيط من عصاباتهم الصهيونية.

لقد اتخذت الأمم المتحدة قرارات عدة لإعادة اللاجئين وتعويضهم، وفي مقدمتها القرار ١٩٤، ولكن إسرائيل ضربت بها عرض الحائط.

ومن هنا كان موقف اللاجئين الفلسطينيين في التشبث بحقهم في العودة إلى بلادهم ورفض التوطين.

Abstract:

Oral history has an important role provided that it is in accordance with the scientific method approved. After the defeat of 1948, the Palestinian people have been emigrated and so the land and identity have been lost. This was documented by confident eye-witnesses who witnessed the Zionist massacres that led to the emigration.

As for the Jews who left Arab countries, they came either by their own will or being planned by Zionist gangs.

The United Nations Organization adopted several resolutions for the return of refugees and compensation for them, particularly Resolution "194", but Israel struck by the way side.

Hence, the attitude of the Palestinian refugees was to cling with their right to return to their home country and to refuse resettlement.

تمهيد:

التاريخ يسطره المنتصر؛ لأن الهزيمة مؤلمة، ولا يريد أحد أن يثير المواجع والآلام ولا أن ينسب لنفسه الفشل والخذلان، لكن هذا الفشل يبقى سائداً ما لم نستق منه العبر ونتعلم منه الدروس.

ولم يدرك العرب – إلا في أضيق نطاق – أن من لا سجل له لا تاريخ له، ولذلك لم يلتفتوا – حيث خانهم التدبير في تسجيل التاريخ العسكري والسياسي – إلى تسجيل التاريخ الشفهي لمئات الآلاف من الشهود اللاجئين الفلسطينيين، وهم المصدر الأول الحي الصادق العفوي لتسجيل هذه الأحداث المأساوية، فتوثيق الشهادات تسجيل للتاريخ وحفظ للحقوق، وإدانة للمجرمين.

والتاريخ سِجلٌ للمسيرة البشرية يكشف أحوالها، ويدون أشكالها، ويبحث دقائقها، ومن شاهد الحدث، أو شارك فيه، أو عانى مأساته، أقدر وأصدق شاهد يخبرنا عنه، وبخاصة أن التاريخ الفلسطيني كتب دون الالتفات لمن كانوا الضحية، والتاريخ الشفوي صوت هذا الشعب الذي يتحتم علينا أن نسمعه حينما نريد كتابة التاريخ الفلسطيني.

والتاريخ الشفوي له أركانه ومنهجيته ومهمته، مثلما له خصائصه ووظائفه وثماره، ومهمته ليست سهلة، حيث إنها تركز على الجوانب الحيوية الإبداعية الانضباطية للتاريخ الشفوي.

مصادر البحث في التاريخ الفلسطيني الدامي:

الأول: روايات اللاجئين الفلسطينيين التي سجلت في أزمان مختلفة بصيغ متباينة تناسب زمن الفجيعة.

الثاني: أبحاث المؤرخين الإسرائيليين الجدد مثل: بيني موريس، وتوم سيغف، وسمحة فلابان.

والثالث: تقارير مراقبي الهدنة الذين شاهدوا بعض هذه الفظائع، وحققوا فيها، واستدعوا الشهود، وزاروا المواقع.

دوافع تسجيل التاريخ الفلسطيني:

«ما إن وضعت حرب عام ١٩٤٨م أوزارها حتى بدأت المحاولات المتكررة لتغييب الشعب الفلسطيني وطمس قضيته الوطنية، والتنكر لحقوقه المشروعة، وقد تم التركيز في هذه المرحلة على محاولة تصفية الجانب الأكثر بروزاً من القضية الفلسطينية والمتمثل في قضية اللاجئين الفلسطينيين، الأمر الذي كان يعتبر أساساً لتصفية القضية الفلسطينية بمجملها»(١).

إن أهم ما يميز الإنسان عن الحيوان هو تذكره وإحساسه بما جرى له، فالإنسان هو إنسان لأنه يتذكر، إذ لا يوجد إنسان بلا تاريخ، ولا تاريخ بلا إنسان. وتاريخية الإنسان لا تقتصر على تذكره للماضي وتسجيله له، وإنما هو كائن حي فاعل يتأثر بالواقع ويؤثر فيه، فهو الذي يصنع التاريخ.

أهمية التاريخ الشفوي:

التاريخ الشفوي له دور مهم في كتابة التاريخ الفلسطيني المعاصر، والشعب الفلسطيني عبر تاريخه الطويل خسر الشيء الكثير، إلا أن الخطر الأكبر يكمن في أن يخسر الفلسطيني تاريخه وذكرياته وخبراته وانتماءه وحقوقه، فينسى أبناؤه تدريجياً، كثيراً مما حدث، ويتقبلوا أيضاً تشويه التاريخ وتزييف الحقائق، وقلب الأمر رأساً على عقب، فيصبح الغاصب على حق، ويُطلب من الضحية الاعتذار.

وعلى الرغم من الدور المركزي للتاريخ الشفوي في كتابة تاريخنا المعاصر، فيجب أن يكون وفق المنهج العلمي المعتمد، وألا يصبح مجرد حكايات لا مكان لها في التاريخ.

واقع الشعب الفلسطيني بعد نكبة ١٩٤٨م:

بعد هزيمة العرب في حرب صورية عام ١٩٤٨م دخل الشعب الفلسطيني عصراً إطاره النكبة، وفحواه اغتصاب الأرض والهوية، والاقتلاع والتهجير إلى المنافي والشتات، ومنظومة المآسي الأخرى التي راهن كثيرون على أنها الضربة القاضية له، وأنها على أقل تقدير قد أخرجته خارج حدود زمانه ومكانه وأفقدته هويته الوطنية والثقافية.

«لا يكفي لكي تحصل على حقك أن تكون صاحب الحق –في عالم لا يعرف الحق– بغير القوة، فلم تعرف البشرية صوراً من صور الإجرام كما عرفتها ممثلة في إجرام اليهود، وأقبح صورة من صور هذا الإجرام الصهيوني هي محاولتهم صبغ إجرامهم بالصبغة الشرعية وتزييف أحداث التاريخ»(٢).

«إن نضال الفلسطينيين هو كفاح لشعب حرم من الحرية والاستقلال والوطن، إنه كفاح شعب يسعى لحقه في العودة لوطنه وتقرير مصيره مثل سائر شعوب الأرض، إنه يحلم بوطن حر مستقل كامل السيادة يعيش فيه بحرية وكرامة دون تمييز أو اضطهاد، وطن يسوده القانون وتمارس فيه المواطنة»(٣).

«فعبر مئات السنين لم تتح للفلسطينيين فرصة واحدة لحكم أنفسهم وتقرير مستقبلهم وتخطيط حياتهم والعيش بفخر واعتزاز وحرية في وطنهم. لقد تساموا على عذاباتهم وتجاوزوا الشعور بأنهم الضحية وأبعدوا عن التعليم والنهوض المتواصل، وصار الإنجاز العلمي والمهني والنضالي هدفاً لكل واحد منهم يشعر من خلاله أنه يحقق ليس فقط ذاته بل كل ما تعنيه كلمة فلسطين»(٤).

حقيقة الصراع العربي الصهيوني:

كان الصراع العربي الصهيوني – منذ بدايته – صراعاً على الأرض والسكان، وما زال الهدف الأساس للحركة الصهيونية أولاً والصهيونية لاحقاً الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من أرض فلسطين، واستعمارها بأكبر عدد ممكن من المستوطنين اليهود القادمين عبر موجات متلاحقة من المهاجرين، بل إن المقياس الأهم لرصد مدى نجاح الصهيونية في مشروعها الاستعماري في فلسطين يتلخص في نسبة الأراضي التي استولت عليها منذ بداية نشاطها، ومدى قدرتها على اجتذاب المهاجرين اليهود، ونجاحها في استيعابهم وتوطينهم في فلسطين. وعلى هذا الأساس فإن العامل الجغرافي – الأرض – يبقى له الكلمة الأخيرة في الصراع الذي تخوضه الصهيونية في فلسطين مسلحة بالعاملين الآخرين: السكان والمال(٥).

إن قضية اللاجئين الفلسطينيين من القضايا الجوهرية في الصراع الفلسطيني الصهيوني، وهي من أدق قضايا الشرق الأوسط وأعقدها بعامة، والشعب الفلسطيني الذي شتته الاحتلال الصهيوني بخاصة، فهي تستحوذ على أذهان كل قطاعات الشعب الفلسطيني وفئاته وتقض مضجع اللاجئ الفلسطيني، كما تثير خوف الصهيوني فهي قضية محورية ومعقدة.

قراءة في قرار الأمم المتحدة ١٩٤:

إن التخلي أو التلاعب والتحايل على قضية اللاجئين وحق عودتهم إلى ديارهم هو ضياع للهوية الحضارية، وإنهاء للجذور والأصول وتكريس للاحتلال الغاصب، وإعطاء وجوده شرعية على أرض فلسطين التي احتلها بالقوة المسلحة وبالقهر.

إن قرارات الشرعية الدولية، وفي مقدمتها قرار رقم ١٩٤ أكدت على حق الفلسطينيين الثابت في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا منها، وإعادتهم إليها على اعتبار أن فلسطين هي وطن الشعب الفلسطيني وملكه ومحل سيادته، وأن من حق الشعب الفلسطيني استعادة حقوقه بكل الوسائل وفق ميثاق الأمم المتحدة.

إن القرار ١٩٤ مكون من ثلاث شعب أولها: حق العودة وهو عودة كل لاجئ إلى بيته وأرضه التي طرد منها، وثانيها: إلى أن تتحقق عودة اللاجئين، فإن على الأمم المتحدة أن تتكفل بمعيشة اللاجئين، ولهذا أنشأت الأونروا، وثالثها: إنشاء هيئة التوفيق الدولية لتطبيق هذا القرار ووضع الآلية الكاملة للعودة في أول فرصة عملية ممكنة.

وقد تحقق ذلك بتوقيع آخر اتفاقية مع سوريا في ٢٠ / ٧ / ١٩٤٩م، إذ بعد هذا التاريخ لم يعد هناك مبرر لمنع عودة اللاجئين، وعليه فمنع إسرائيل للاجئين من العودة

مخالف للقانون والقرارات الدولية، وبالتالي يقع عليها حق التعويض عن كل ما جرى للفلسطينيين منذ ذلك التاريخ حتى اليوم.

في عام ١٩٩٨م أصدرت هيئة الأمم المتحدة قراراً جديداً يؤكد ما سبق من القرارات ويقول: إن اللاجئين الفلسطينيين لهم الحق في استعادة دخلهم عن أملاكهم طوال مدة الخمسين عاماً السابقة. وبهذا يتضح أن التعويض ليس بديلاً عن أرضنا، ولن نبيع أرضنا وحقنا في التعويض عن الخسائر والأضرار والمعاناة واجب قانوني وأخلاقي على من تسبب بها(٦).

مشاهد من وسائل الصهاينة في تهجير الفلسطينيين:

إن دولة اليهود لم تقم إلا على القتل وسفك الدماء، وتشريد الآمنين العُزل وترويعهم، هذه هي الوسيلة الأساسية المباشرة في إجبار الفلسطينيين على ترك بيوتهم، فاليهود مصدر الانحلال والشقاء والإرهاب في العالم.

وإذا ما أردنا أن نتحدث عن مشاهد وأحداث إجرامية للصهاينة، فإن أول ما يتبادر للذهن مذبحة «دير ياسين» التي كان لها أثر في تشريد عدد كبير من أهالي فلسطين، فهي تمثل قمة الإجرام والعربدة الصهيونية، حيث دخل الصهاينة فجر يوم ١٩٤٨/٤/٩م القرية والناس نيام في راحة واطمئنان.

«قامت طائرات العدو الصهيوني بقصف القرية بالعديد من القنابل، ثم تقدم الجيش من جميع الجهات تحميه خمس عشرة دبابة بينما المسلحون الفلسطينيون في القرية لا يزيد عددهم على خمسة وثمانين مجاهداً يحملون بنادق قديمة، ومع الفرق الواضح في ميزان القوى استمرت المعركة حتى الساعة الثانية والنصف ظهراً، وصمد أبناء القرية ونساؤها اللواتي وقفن من وراء المجاهدين.

ولم تهدأ المعركة إلا بعد انتهاء الذخيرة من أيدي المجاهدين، بعدها دخل المجرمون كل بيت وشارع واستحلوا القتل والتمثيل، ولم يفرقوا بين شيخ وطفل وعجوز.

لقد مثّلوا بالقتلى وأرغموا الأسرى على أن يدوسوا على جثثهم، وسلبوا حُلي النساء وجردوهن من الحجاب، واغتصبوا بعضهن. تقول إحدى النساء اللواتي نجون من الموت: رأيت يهودياً يطلق الرصاص على عنق زوجة أخي (خالدية) التي كانت موشكة على الوضع ثم شق بطنها بسكين، ولما حاولت إحدى النساء إخراج الطفل من أحشاء الحامل الميتة قتلوها أيضاً واسمها (عائشة رضوان). وشاهدة أخرى على الحدث تقول: يهودي شق جسم جارتها (جميلة حبش) من الرأس إلى القدم، ثم قتل بالطريقة ذاتها على عتبة المنزل جاراً آخر للأسرة يُدعى (فتحي)(٧).

هكذا يعتقد اليهود حسب تعليمات تلمودهم وأسفارهم التي تعتبر قتل العربي من الواجب الديني، يقول تلمودهم: «فكل خير يصنعه يهودي مع أممي هو خطيئة عظمى، وكل شر يفعله معه هو قربان لله يثيبه عليه» أما التوراة فتقول: «أهلكوا جميع من في المدينة من رجل وامرأة وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف، وأحرقوا المدينة بمن فيها بالنار»(٨).

وهكذا نجحت العصابات الصهيونية في فرض سياستها الإرهابية التي أدت إلى طرد حوالي مليون فلسطيني من قرابة اثنتي عشرة مدينة وخمسمائة وعشرين قرية في عام ١٩٤٨م.

يقول الحاج ذياب العاوور: «احنا طلعنا من عاقر على أمل العودة إلى بيوتنا بعد توقف القتال، وفي تقديري كان أسبوعاً أو أسبوعين، طلعنا بعدما رأيت بأم عيني آثار العدوان الوحشي من مئات القتلى من المدنيين العزل الذين لا حول لهم ولا قوة، وأنا عشت هذه المأساة – القتل والعذاب والتشريد والألم – اتمثلها في لوحة حية رسمها اليهود بالحديد والنار على لحمي ودمي.

إنني عشت المأساة وأعيشها لا كشاهد عليها، وإنما كضحية ووقود لها، وأرى كيف أن الدول الكافرة –الإنجليز وأمريكا وفرنسا– تنفذ فصلاً من جريمتها ضد شعبي الفلسطيني على يد آلة شيطانية من آلاتها الإجرامية المجرمة وهي إسرائيل التي تمثل ذراعاً من أذرعها.

آه ما أشد مرارة الحياة التي عشناها والتي نعيشها بعيداً عن بلدنا وأرضنا التي لا يُمكن أن نقبل إلاّ بالعودة إليها، والله لو وضعوا لي مليون دينار عن كل يوم عشته خارج بلدي كتعويض عنها لا ولن أتنازل عنها، أنا رجل كبير في السن ويمكن أن أموت بكرة، ولكن هذا ما زرعته في أولادي وأحفادي فالوطن لا يُقدر بثمن»(٩).

خرج الناس وفي قلوبهم نكبة النفس، وتركوا خلفهم نكبة المكان حياةً ومجتمعاً وتاريخاً انتزعت منه الجغرافيا وبقيت في مكان آخر. يقول كاتب إسرائيلي اسمه داني روبنشتاين في كتابه (الناس الذين ليس لهم مكان): أعجب لهؤلاء الفلسطينيين فشعوب العالم كلها تعيش في مكان، أما هم – الفلسطينيين – فإن المكان يعيش فيهم».

لقد وقع على كاهل الفلسطينيين الدفاع عن بلادهم بإمكانيات ضعيفة جداً بالتعاون مع المتطوعين العرب، أما الجيوش العربية فقد كانت مُبرمجة وفق ما ترى بريطانيا.

مازالت الروح الفلسطينية فكرة وثقافة وانتماء وحنيناً إلى تراب الوطن الذي ظلت رائحته تعبق فضاء الذاكرة الفلسطينية، وتحمل إضاءات الأمل في حلكة ليالي الاغتراب والشتات واضحة للعيان.

إن مأساة التهجير والإجبار على ترك البيت والأرض والوطن، وتوثيقها من معاصريها وبرمجتها، وترجمة أحداثها كفيلة بأن تنقل الشعب الفلسطيني من التباكي والأحزان والضعف إلى دور البناء والانطلاق ومواجهة الذات والآخرين بصورة حضارية تمكنهم من إيجاد أرضية صلبة يقف عليها الفلسطينيون، مما يزيدهم تمسكاً بحقهم الشرعي والقانوني في العودة ولا شيء غير العودة.

واجب المجتمع الدولي نحو المأساة الفلسطينية:

إن المأساة الفلسطينية المتواصلة التي بدأت بوعد بلفور ثم قرار التقسيم ثم النكبة عام ١٩٤٨م وتشريد الشعب الفلسطيني من أرضه تفرض على المجتمع الدولي مسؤولية تاريخية سياسية وأخلاقية، كما تفرض على بريطانيا تحديداً مسؤولية خاصة بعد أن كانت فلسطين وديعة لديها فأسهمت إسهاماً مباشراً في نكبة الشعب الفلسطيني وتشريده وتشتيته، كما تتحمل الولايات المتحدة الأمريكية حليف دولة إسرائيل ومصدر تمويلها وتسليحها، وحامية عدوانها في المحافل الدولية مسؤولية كبيرة أيضاً.

نجاح إسرائيل في السيطرة على الأرض الفلسطينية وفشلها في السيطرة على إرادة شعبها:

نجحت الصهيونية في الاستيلاء على الأرض حتى الآن، وفصلت أهلها عنها وشتتهم في أنحاء الأرض فيما يمكن وصفه بالإبادة الجغرافية، لكنها لم تنجح في القضاء على الشعب الفلسطيني الذي بقي حياً ومتماسكاً إلى حد كبير، ولم يندثر كما اندثرت أمم قبله في كوارث أقل جسامة.

شهادة حية يُسجلها المهجرون على الإجرام الصهيوني الغاشم:

«في منتصف شهر أكتوبر عام ١٩٤٨م قصفت الطائرات الإسرائيلية قرية الجورة والمجدل وبربرة وغزة، وانتصرت على القوات المصرية في الجبهة الجنوبية. هذا العمل العسكري الإسرائيلي أدخل اليأس في نفوس الأهالي، فلم تكن تهدأ قرية من القصف الجوي حتى يبدأ قصف المدافع لها من المستعمرات، ولم يكن هناك رد حاسم من قوات الجيوش العربية، مما أثر سلباً في نفوس سكان القرى التي لم تكن فيها أية ملاجئ للحماية من الغارات أو القصف، وبدأت القرى والمدن تسقط في يد الصهاينة واحدة تلو الأخرى[١٠]. وفي شهادة حيّة للأستاذ عايش يونس تحدث عن دفاع أهل قريته بربرة، فقال: «قامت في القرية معركة في ١٩٤٨/٣/٢٤م، وقد كمن المجاهدون لقافلة يهودية جاءت من الشمال متجهة إلى الجنوب، ووضعوا الألغام في طريقها، ولما مرت انفجر لغم تحت سيارة محملة بالبنزين فاشتعلت فيها النار، وبدأ الثوار في إطلاق النار عليها ورد اليهود وأخيراً فرَّ اليهود تاركين وراءهم عدداً من القتلى – يقال إنهم ثلاثة – وبعض الأسلحة واستشهد واحد من الثوار وجرح ثلاثة.

وفي اليوم التالي أرادت قافلة أخرى العبور فانفجرت الألغام تحت إحدى سياراتها وانقلبت، وتوقفت القافلة، وبدأ تبادل إطلاق النار مع الثوار وجاءت نجدات لبربرة من هربيا والجية وبيت جرجا فانسحب الصهاينة حاملين معهم قتلاهم وجرحاهم، وكانت خسائر الثوار جريحا واحداً لأنهم كانوا متحصنين واليهود مكشوفين»[١١].

لم يكن فلاح ولا بدوي ولا مدني فلسطيني يفكر أو يخطر بباله يوماً بأنه سيترك أرضه ومسقط رأسه وموطن ذكرياته، ولكن تجمعت الأسباب ومنها: مجازر اليهود الرهيبة التي ارتكبوها في بعض القرى الفلسطينية، والتي بثت روح الفزع والخوف في نفوس الناس الآمنين، وبخاصة مع استمرار القصف الجوي والمدفعي على القرى والمدن الفلسطينية، هذه القرى والمدن لم تكن مجهزة لحالة حرب، فلم يكن بها ملاجئ أو خنادق لحماية سكانها. «إن ٨٩٪ من القرى قد طرد أهلها بسبب عدوان اسرائيلي صهيوني مباشر عليها وليس بسبب ما تدعيه إسرائيل – في الغرب – أن الحكومات العربية طلبت منهم الخروج من ديارهم، ١٠٪ من القرى هُجِّر أهلها بسبب الحرب النفسية اليهودية بالوعيد والتهديد، و١٪ من القرى تركها أهلها بقرار من المختار الذي قدر ما ينجم عن دخول اليهود قريته.

هذا الخروج من الديار كان دموياً للغاية تخللته مذابح رهيبة، بلغ عدد المسجل منها –من أهلها– ٣٥ مذبحة، أشهرها دير ياسين، وأكبرها الدوايمة حيث قتل الصهاينة ٥٠٠ شخص من أهلها، وبعض القرى تعرضت للمذبحة مرتين مثل قرية سعسع، وبعضها حرق أهلها أحياء مثل قرية الطيرة / حيفا.

كانت هذه المذابح ذات غرض واضح وهو طرد الأهالي، إذ كانت القوات الصهيونية تحيط بالقرية من ثلاث جهات وتترك الرابعة مفتوحة، ثم تقتل الأهالي وتحرقهم، وتترك فئة قليلة منهم لتخرج مذعورة، وتنشر القصة المرعبة في القرى المجاورة... لقد ارتكب الصهاينة ٢٥ مجزرة في الجليل إلا أن أغلبية الأهالي رفضوا مغادرة مساكنهم، ساد الوطن العربي صمت مطبق، ولم يعترف العرب بوجود هذه الكارثة إعلامياً إلا بعد خمسة شهور، خوفاً من إثارة مشاعر الشعب العربي وغضبه، وبيان أبعاد الهزيمة»[١٢].

دور المرأة الفلسطينية في الدفاع عن وطنها وشهادتها على جرائم العدو:

لتكتمل الصورة عن ذكريات الموطن وعشق الحياة فيه كانت اللقاءات مع مختلف الأعمار، فمن الجيل الذي شهد حالة اللجوء وعاصرها وعايشها يوماً بيوم، وكان حينها في ريعان الشباب ومقتبل العمر وعنفوان الحياة حاملاً في جيبه مفتاح بيته، إلى الجيل الذي ولد مع بداية الاحتلال، وتفتحت عيناه على واقع الضَّم والمصادرة والاحتلال والبعد عن البيت والوطن.

وكلا الجيلين يحمل في ذاكرته التحسبات والتساؤلات، وفي عينه علامات القلق على المستقبل الغامض المجهول وفي قلبه الخوف على أكثر المسائل الوطنية قدسية وحساسية.

نلتقط في هذا البحث ومن خلال المقابلات التي أجريت الملامح الأساسية لما شهدته فلسطين وشعب فلسطين الذي سُلب حقه في العيش على أرضه بسلام فضلاً عن معاناته قبيل التهجير وبعده.

«فمنذ أن تعرض شعبنا الفلسطيني للهجمة الصهيونية كان دور المرأة الفلسطينية البطولي جنباً إلى جنب مع الرجل في كل موقع وزمان، فقد قامت بدورها بعزيمة وإصرار، وأبدعت في الأداء والعطاء لفلسطين القضية، فلسطين الأرض والإنسان.

أبدعت المرأة الفلسطينية في العطاء لفلسطين الأرض عندما بللت حبات عرقها التراب الطاهر وهي تفلح الأرض مع الرجل، وفي كثير من الأحيان لوحدها عندما كان يتعرض زوجها أو ابنها للاستشهاد حيث لم تدع الأرض تبور أو تجف تربتها، كما أنها أبدعت في عطائها لفلسطين الإنسان عندما كان زوجها لا يجد المال الكافي ليحقق حلمه في شراء البندقية للدفاع عن أرضه وعرضه، فسرعان ما قدمت له صيغتها وحليها للحصول على البندقية، وذهبت في نضالها إلى أبعد من ذلك حينما كانت تحمل البندقية وتواجه عمليات الاستيلاء على الأرض وتخريبها»(١٣).

هذا بالإضافة إلى أنها ناضلت كأم تربي أطفالها على التحدي والنضال والدفاع عن الحق والوطن، إن أمهاتنا وجداتنا وضمن خصوصية أوضاعهن الاجتماعية والمعيشية كن متمردات، هضمن الحياة وغامرن بها طوعاً وكرهاً، وتعاملن مع ظروفهن بموضوعية لها سماتها المميزة، فكانت حكمة البداهة، فحينما سأل مراسل مجلة المستقبل اللبنانية إحدى النساء الفلسطينيات المسنات أثر تدمير مخيم شاتيلا: (ما اسمك؟ قالت: وماذا يهمك في اسمي... نحن لم تعد تهمنا أسماؤنا... وإن شئت فأسماؤنا هي صبرا، شاتيلا، برج البراجنة...»(١٤) أيُّ عمق، وأي اختزال للمأساة هذا الذي تحرك على لسان إحدى أمهاتنا الفلسطينيات؟!

«ناضلت المرأة الفلسطينية، وحافظت على المكاسب التي حققتها النساء، فهي من أوائل النساء اللواتي شكلن جمعيات نسائية على الصعيد العربي، وكان لها نشاط بارز ضد الاستعمار البريطاني، ففي عام ١٩٢٩م كان للمرأة الفلسطينية نشاط سياسي بارز في كتابة المذكرات، وإعداد العرائض، ونشر الإعلانات الاحتجاجية في الصحف التي حملت توقيعاتهن، وفي تنظيم المظاهرات.

وفي عام ١٩٣٥م ساهمت المرأة الفلسطينية في القتال، وفي جمع السلاح ونقله إلى الثوار، كما قامت بجباية التبرعات وتوزيعها على عائلات المجاهدين، وسعت إلى توفير المؤن والماء والملابس للثوار من مختلف المناطق»(١٥).

ومنذ أن تبلورت الحركة النسائية الفلسطينية، وبالذات بعد انعقاد المؤتمر النسائي العربي الأول في مدينة القدس عام ١٩٢٩م والمرأة الفلسطينية تسعى – إلى جانب نضالها على الجبهة الداخلية – للعمل على الجبهة الخارجية على الصعيد العربي خاصة، والعالمي عامة، «فعملت على إقامة شبكة علاقات جيدة اتسعت وتجذرت وأظهرت شخصية المرأة الفلسطينية وطابعها النضالي، وقامت بدور سفيرة لقضيتها ولمعاناة شعبها... فاكتسبت بصلابتها ومنطقيتها دعم أغلب نساء المعمورة وتأييدهن لحق شعبها في العودة لأرضه ووطنه فلسطين»(١٦).

ناضلت عائلات اللاجئين الفلسطينيين طوال السنين بكل عزيمة وتصميم للحفاظ على التقاليد والهوية، وتأمين الحياة، وتوفير مستقبل أفضل لأطفالها أمام الصعاب الكبيرة التي لم تعرف لها مأوىً إلاّ مخيم اللاجئين. تحدثت الحاجة أم نافذ المدهون قائلة: «كان الجيش المصري في المجدل حينما ضربت طائرات اليهود الجيش والسكان وساد البلد الخوف والفزع والرعب، فقد تقطعت أرجل وأيدٍ وتبعثرت أشلاء الجثث، ودمرت البيوت، فخرج المصريون، وشعرنا أننا في وضع لا نستطيعٌ تحمله، فالطائرات اليهودية لم تتوقف عن رمي القيازين «قنابل كبيرة الحجم» على الناس والبيوت، مما اضطرنا للخروج وراء المصريين نريد الأمن والحماية، ولم نكن نحسب أن المدة طويلة، يعني أسبوعين، أو شهر على الأكثر ونعود لبيوتنا بعد أن تهدأ الحرب، وبعد أن سكَّرنا – أقفلنا – خزاناتنا وبيوتنا وأخذنا المفاتيح، إطلِعْنا من البلد مشي على رجلينا، حملنا معانا غيارات بسيطة، وكثير من نسوان البلد نسيوا من الخوف ذهبهم ومصاريهم – فلوسهم – وبعضهن نسين أولادهن ولكن رجعن وأخذنهم. كان كأنه يوم القيامة قاسٍ وصعب ومؤلم، كنت تشوف الناس ماشية طوابير، تعاني الجوع والعطش، وكنا نصبِّر الصغارٌ ونتقاسم الخبزة، وأخيراً وصلنا إلى بيت حانون وبيت لاهيا ثم ظلينا نمشي إلى جباليا، وقعدنا فيها إلى اليوم.

والله العظيم لا يمكن أن أنسى ما عمله اليهود فينا فالهجرة حولتنا من ناس عايشين مطمئنين في حياتنا ورزقنا إلى ناس بستنوا المؤن والله العظيم هذا ذل»(١٧).

وتحدثت السيدة أم محمد عن بلدها يافا وأمنيتها المستقبلية فقالت: «نحن لا نعيش في وطننا كما تعيش شعوب العالم، فهذه البلاد ليست بلادنا فبلادنا، فلسطين واسعة وجميلة، فلسطين العزيزة التي تآمرت عليها كل قوى الشر في العالم، والصهيونية اللعينة، وبقوة السلاح والغدر والوحشية والهمجية رحَّلونا عن يافا الجميلة واضطررنا أن نعيش في هذا المخيم. نفسي أرجع إلى يافا وأعيش فيها ما بقي لي من العمر، وأنا ما بدي تعويض، ولا غيره، أنا بدي أعيش في يافا واتطلع إلى بحرها الجميل، وأتنفس هواها العليل، عندي هذا بكل الدنيا»(١٨).

حرق أهل الطيرة أحياء:

«إن الكشف عن جرائم الصهاينة التي لم ينج منها لاجئ واحد عام ١٩٤٨م تبرزها التقارير الداخلية لمراقبي الهدنة التابعين للأمم المتحدة عام ١٩٤٨م حيث ذكروا بالاسم والتاريخ قصص المذابح التي اقترفتها إسرائيل، وحكاها الناجون منها، ولم يصدقهم العرب ولا الغرب الذين لم يستمعوا لهم وبقيت ذكرياتهم الدامية في صدورهم، أو نقلوها لأولادهم، أو سجلت في كتب عربية محدودة الانتشار»(١٩).

إن جرائم الحرب التي اقترفتها إسرائيل عام ١٩٤٨م عديدة من بينها المذابح التي وصل عدد الموثق منها إلى ٣٩ والرقم الحقيقي يزيد على المائة، ولكن لم يُنشر خبرها خارج نطاق القرية أو المجتمع الفلسطيني والسبب هو ضعف القدرة العربية على التوثيق والإعلام. ولكن الاهتمام بدأ يتزايد بسبب فتح الملفات الإسرائيلية وملفات الصليب الأحمر للباحثين، وظهرت كتب لمؤرخين إسرائيليين ولغيرهم تكشف زيف الرواية الصهيونية لحرب فلسطين، كما أن هناك شهود عيان – غير أهل فلسطين – هم مراقبو الهدنة الذين أرسلوا تقاريرهم الميدانية إلى الكونت برنادوت وخلفه الدكتور بنش.

يكشف ملف من أرشيف الأمم المتحدة عن واحدة من أفظع جرائم الحرب الإسرائيلية وهي حرق جماعة من أهل الطيرة – حيفا – أحياء. تقع قرية الطيرة على بعد ٧ كم جنوب حيفا عدد سكانها عام ١٩٤٨م ٦٠٠٠ نسمة، بعد سقوط حيفا صمدت القرية للحصار لمدة شهرين، وأخيراً سقطت في ١٦/٧/١٩٤٨م بعد هجوم من البر والبحر عليها ودخلتها قوات اللواء الكسندروني وذلك قبل يومين من إعلان الهدنة الثانية.

في يوم ١٦ تموز دخل اليهود القرية بعد أن سقط ١٣ شهيداً منها، فانسحب المقاتلون الشباب إلى خارج القرية وبقي كبار السن الذين استسلموا للجيش اليهودي، اعتقل اليهود حوالي ٣٠ شخصاً من متوسطي العمر واقتادوهم إلى معتقل في عكا، ثم نقلوا حوالي ثلاثمائة شخص في عشرين حافلة إلى منطقة اللجون وكانت ترافق كل حافلة مجموعة من الحراس اليهود يحملون مدافع رشاشة، حيث أنزلوهم وطردوهم في اتجاه المنطقة العربية وأطلقوا خلفهم زخات من الرصاص.

وفي يوم ٢٥ / ٧ / ١٩٤٨م (١٩ رمضان) عاد اليهود إلى القرية فنقلوا ما تبقى من الأهالي، وهم من ٦٠ إلى ٨٠ شخصاً في حافلات يهودية تحت الحراسة، ولما وصلوا إلى منطقة شرق اللجون حوالي الساعة الثامنة مساءً. وقفت الحافلات على طريق العفولة، وأمر اليهود الأهالي بأن ينزلوا من الحافلات ويحمل كل منهم صرته، وأجلسوهم في دائرة تبعد حوالي ٢٠٠ متر عن الطريق العام في حقل قمح محصود.

اشتد العطش بالأهالي بعد يوم طويل من السفر في رمضان، فطلبوا ماء ليشربوا، فجاء اليهود بغالونات من البنزين، وصبوه على الأهالي الجالسين على صُررهم، وعلى الحصاد الجاف حولهم وأشعلوا فيهم النيران، وتركوهم يحترقون، وأطلقوا النار على من حاول الهرب منهم.

أصاب الأهالي الذعر والنار تأكلهم، ولم يعرفوا أين يتجهون في الظلام ومعظمهم عاجز عن الحركة لكبر السن والمرض، ومنهم عاجز عن الرؤية فصاروا يصرخون ويستغيثون. نجا البعض وأخبر بما جرى، ولكن ليس من المعلوم كم نجا من المحرقة. وقد تمكن مراقبو الأمم المتحدة من تسجيل شهادة عشرة أشخاص من أصل ١٥ يعتقد أنهم نجوا، وكانت آثار الحروق واضحة عليهم. أما الأحياء الذين أحرقوا فيصل عددهم إلى خمسة وخمسين شخصاً، واستقر رأي المراقبين على قائمة فيها ٢٨ اسماً(٢٠).

قال الشاهد يوسف عبد الفتاح سلوم: «إنه هرب من النار وأطلق عليه اليهود الرصاص فأصيب في فخذه، وظل يمشي لمدة ساعة ونصف في الظلام إلى أن نام تحت شجرة زيتون شمال قرية رمانة».

وذكر الشاهد الحاج حسن سلوم الوقائع نفسها وقال: «إنه هرب في اتجاه قرية زلفة وأمضى الليلة هناك «وأفادت الشاهدة رحمة إبراهيم الحاج لمراقبي الهدنة بالآتي: «عندما وصلنا شرقي اللجون قال اليهود انزلوا من الباصات، وكل واحد يجلس على صرة ملابسه على شكل دائرة، كنا في غاية العطش وطلبنا الماء، قال اليهود بالعربية انتظروا، وذهبوا في اتجاه الباصات وعاد كل واحد منهم يحمل تنكة وبدأوا يصبون محتوياتها على الناس والصرر، ثم أشعلوا النار فيهم وذهبوا. كنت أصغر وأقوى من البقية فلما شممت أن السائل بنزين، وليس ماء هربت من الجهة البعيدة عن النار، وجريت واختبأت تحت صخرة إلى الصباح، وكنت أرى النار مشتعلة والناس يصرخون ويستغيثون.

وفي الصباح ذهبت إلى مكان المحرقة، وعندما وقع بصري على عدة جثث متفحمة استبد بي الرعب، وجريت إلى أن وصلت إلى قرية زلفة حيث وقعت على الأرض من الخوف والتعب والإعياء فجاء أهل القرية وأخذوني إلى جنين»[٢١].

وتوالت شهادات الشهود تروي القصة، وتكرر سرد أسماء الضحايا وطريقة حرقهم على رغم اختلاف الشهود والمحققين ومكان التحقيق ووصلت لجنة التحقيق في تقريرها الأولي المؤرخ في ١٢ / ٩ / ١٩٤٨م إلى قناعة بأن الشهود أدلوا بالحقيقة، وأن هذا العمل – حرق الأهالي – عمل شبه حربي مخالف للهدنة. وسجل هذا الملف باسم حرق ٢٨ من العرب الأحياء[٢٢].

أما رد الخارجية الإسرائيلية على الاتهام في هذه الجريمة البشعة فكان متناقضاً فقد كتب والتر إيتان – مدير الخارجية الإسرائيلية إلى د. مون في ٨ / ٩ / ١٩٤٨م «إن هذا الاتهام مقزز ولا يمكن تصديقه، وليس له أساس من الصحة، واختراع من وحي الخيال الشرقي... ولكي تثبت صحة هذا الادعاء الخرافي، فإنه يجب إعادة المحروقين أحياء!!»[٢٣].

وكتب أن الأهالي ربما خلطوا بين الجثث المتفحمة شرق اللجون، وأخرى في عين غزال، فالقوات الإسرائيلية قامت في ٢٥ / ٧ / ١٩٤٨م، بعملية تمشيط أمنية فوجدت قرب عين غزال ٣٠ جثة متعفنة، وقرر القائد إحراقها خشية على قواته من الوباء، ولأنه لا يوجد خشب كاف، كان الحرق غير كامل، لذلك أمر القائد بعض الأسرى في اليوم التالي بدفن الجثث، وأدى انتشار هذا الخبر إلى الانطباع الخاطئ بأننا حرقنا الأهالي وهم أحياء[٢٤].

إن إشارة والتر إيتان إلى جريمة ثانية قرب عين غزال ذات مغزى، لأن الكونت برنادوت أبلغ مجلس الأمن عن هذه الجريمة الأخيرة في ٣٠ / ٧ / ١٩٤٨م ولهذا أراد والتر إيتان أن يخفي جريمتين في جريمة واحدة.

تدعي إسرائيل أن اللاجئين خرجوا طوعاً أو بناءً على أوامر عربية، لقد تم دحض هذه الخرافات بشكل قاطع. وبعد أن أكدت الدراسات المستندة على ملفات إسرائيلية – والتي قام بها مؤرخون إسرائيليون – كذب هذا الادعاء تراجعت إسرائيل وأصبحت تدعي أن خروج اللاجئين هو حادث عرضي ناتج عن الحرب، وليس ناتجاً عن تخطيط.

إن شهادة خمسمائة وخمسين ألف لاجئ من الذين طردوا من ديارهم عام ١٩٤٨م والباقين اليوم على قيد الحياة تؤكد عكس ذلك، وشهاداتهم هذه أصبحت مشفوعة بالوثائق الإسرائيلية التي أصبحت متاحة للباحثين.

يُعد ما فعله الصهاينة بأهل فلسطين من قتل وحرق وإبادة بغرض تشريدهم من أرضهم ووطنهم وزادوا على ذلك بأن قاموا بعقد اتفاقيات مع كثير من حكام العرب مثل: نوري السعيد في العراق، وإمام اليمن أحمد حميد الدين وغيرهم، لترحيل اليهود من بلادهم إلى فلسطين، واستخدموا الوسائل والطرق الخبيثة لإجبار من لا يريد الهجرة إلى فلسطين وقهره وإجباره على ذلك.

هجرة اليهود إلى فلسطين:

حرص الصهاينة على ازدياد عدد اليهود في فلسطين، وقد استخدموا شتى الطرق والوسائل لتحقيق هذا الهدف، وكمثال ينطبق على معظم اليهود الذين هاجروا من البلاد العربية إلى فلسطين، نتحدث عن يهود العراق، فقد كشفت صحيفة إسرائيلية النقاب عن فضيحة بغداد حيث اتهمت دافيد بن جريون بأنه أرسل عصابة من أفراد الهاجاناه في عام ١٩٥٠م و ١٩٥١م إلى العراق للقيام بأعمال التخريب ضد يهود العراق وإلصاقها بالعرب لحملهم على الهجرة إلى فلسطين. وقد أكد مردخاي بن فرات زعيم الفرقة التي ذهبت إلى بغداد للإشراف على تنفيذ هذا المخطط صحة جميع المعلومات التي نشرتها الصحيفة عن هذه الفضيحة.

وقد نشرت الصحيفة نفسها شكوى لأحد اليهود العراقيين قدمها إلى المحاكم الإسرائيلية ضد دافيد بن جريون شخصياً يطالبه براتب تقاعدي لإصابته بالعجز الجزئي نتيجة أعمال كلفه بها، وتتلخص هذه الأعمال بالقاء قنابل على متاجر اليهود ومحلاتهم وكنسهم في العراق بهدف حمل اليهود على الهجرة إلى إسرائيل وإقناعهم باستحالة حياتهم وعيشهم في العراق[٢٥].

وقد نشرت الصحيفة نفسها اعتباراً من ٢٠ / ٤ / ١٩٦٦م ولمدة ثلاثة شهور مسلسلاً عن الفضائح الصهيونية وعلاقتها بالإرهاب الذي وقع على اليهود لحملهم على الهجرة، ونسب عمليات الإرهاب للعرب أو لغيرهم من الشعوب التي يعيش اليهود في بلداتهم. «فهجرة اليهود إلى فلسطين إنما كانت بفعل الحركة الصهيونية وتخطيط قادتها ودهائهم، حيث شكل الصهاينة لجنة سرية يترأسها شلومو هاليل – وزير شرطة سابق – عقدت اتفاقية مع نوري السعيد في بداية الخمسينيات تعهد بموجبها بتهجير يهود العراق وإيصالهم إلى فلسطين مقابل مبلغ كبير من المال، ونجح في إخراج ما يقرب من ١٢٠ ألف يهودي من العراق بعد أن كانوا قد امتنعوا عن الهجرة إلى فلسطين»[٢٦].

يقول إسحق بار موشيه اليهودي العراقي «لقد كان لحكومة نوري السعيد الرجعية، وللاستعمار البريطاني، وللمنظمة السرية الصهيونية اليد الطولى في تهجيرنا من العراق مع أننا لم نضطهد بسبب ارتباطنا بإسرائيل، وإنما ارتبطنا بإسرائيل بسبب اضطهادنا في العراق»[٢٧].

وقد عقدت الحركة الصهيونية اتفاقاً مع إمام اليمن أحمد حميد الدين لترحيل يهود اليمن إلى فلسطين، وقد تم فعلاً ترحيل ما يزيد على خمسين ألفاً من اليهود إلى فلسطين في عملية سماها اليهود «بساط الريح « حيث تم تهجيرهم على شكل عملية تهجير جماعية، وذلك بناء على اتفاق قبض بموجبه الإمام أحمد مبالغ مالية طائلة.

أما يوسف عبادة وأبناؤه – شموئيل وعزوري وإبراهيم وابنته زوئافه (أم يعقوب) المهاجرون من العراق–، فكان من سكان الرمادي في العراق والآن يسكن في تل أبيب، وكان تاجر مواد غذائية في العراق، وكان ميسور الحال يعيش عيشة راضية ملؤها المحبة والود لجيرانه وأصدقائه. في أول الأمر لم يأبه يوسف بالدعاية الصهيونية التي تدعو اليهود للهجرة إلى فلسطين أرض الحليب والعسل والتي يثمر فيها الشجر خمس مرات في السنة – شجرة الجميز – إلى أن جاء اليوم الذي شعر أنه يحمل ذنب كل شخص قتل على يد الصهاينة الذين كانوا يقومون بتفجير المقاهي التي يجلس فيها اليهود، ففي أحد الأيام كان يتعبد في الكنيس ففوجئ بالقنابل تنهال على الكنيس ونجا منها بعد إصابته.

كان الصهاينة يدَّعون أن العرب هم الذين يقومون بذلك، وأنهم غير مرحب بهم إلا في فلسطين، ازدادت المضايقات عليهم من قبل الصهاينة مما دفعه إلى التفكير في الهجرة إلى فلسطين، فقام بكتابة توكيل إلى صديق عراقي يثق به لتصفية تجارته واسمه إبراهيم وغادر العراق إلى تركيا في ١٩٦٣/١/١م تحت جنح الظلام، وحينما وصل إلى تركيا نقله الصهاينة إلى فلسطين وهو في الطائرة جاء المضيف ورشهم بالديدي تي وكأنهم وباء وقال: إنه لن ينسى هذا الموقف مدى الحياة لأنه شعر أنه خُدع.

قام شموئيل الابن الأكبر بالشراكة مع شخص اسمه إيلي وهو عراقي الأصل، وكان يسمى في العراق صباحاً فأقاما مصنعاً للنسيج وتطور هذا المصنع من ٦ ماكينات إلى أكثر من ٥٠ ماكينة وقام بفتح متجر للأقمشة في شارع هاكشون رقم ٣ يبيع فيه أخوه إبراهيم، ومتجر لبيع الشراشف في شارع يافا – تل أبيب – رقم ٣٤ يبيع فيه أخوه عوزي.

أصبح شموئيل من أغنياء تل أبيب وتزوج من فتاة مغربية اسمها راحيل أنجبت له ابنة سماها مولي بعد ١٤ سنة فأقام حفلاً كبيراً في معرض الحدائق حضره أربعة من أعضاء الكنيست – في ذلك الوقت – منهم وايزمن الذي أصبح رئيساً للدولة العبرية، واليعيزر بن اليمين.

وعن حنين شموئيل للعراق قال: يا ويلاه العراق هو بلدي أعشقه وأحبه ولولا الدعاية الصهيونية اللعينة ما تركته، والله الآن لو خيرت بين إسرائيل والعراق لفضلت العودة إلى العراق إلى الرمادي إلى الحلة إلى بغداد، وبدون فلوس أنا مش عايز فلوس أنا بدي المحبة فالخير كله والمحبة في العراق.

وأنا أُحمّل ما جرى لنا للصهاينة الذين يسعون دائماً لتخريب علاقاتنا بإخواننا العرب(٢٨).

الموقف الإسرائيلي من قضية اللاجئين:

إن القراءة الأولى للتفكير الإسرائيلي الرسمي حول مشكلة اللاجئين وأسباب تهجيرهم من ديارهم والخيارات الممكنة للحل من الجانب الإسرائيلي يظهر فيما كتبه شلومو غازيت في ورقته الصادرة عن مركز يافي للدراسات الاستراتيجية التابعة لجامعة تل أبيب.

«تبدأ الورقة بتمييع مشكلة اللاجئين واستصغارها حيث يقول: إنه في خلال حرب الاستقلال الإسرائيلية اضطر مئات الآلاف العرب إلى ترك ديارهم والبحث عن ملجأ في مناطق عربية«(٢٩). ويحذر غازيت من الاعتراف بالمسؤولية التاريخية عن هذه المشكلة، ويقدم نصائح وتوجيهات للمفاوض الإسرائيلي حين بحث هذه القضية.

ونعرض شهادتين صهيونيتين موثقتين عن كيفية نزوح السكان العرب وطردهم عام ١٩٤٨م.

أولاً: تقرير الاستخبارات العسكرية التابعة للهاجاناه الذي يعترف بأن ٧٠٪ من اللاجئين كانوا قد هجروا من منازلهم مع أول موجة بسبب الفظائع والأعمال التي قام بها جنود الهاجاناه والأرغون وشتيرن، وقد شملت الموجة الأولى من التهجير ٤٠٠،٠٠٠ أربعمائة ألف فلسطيني، والثانية ٣٠٠،٠٠٠ ثلاثمائة ألف فلسطيني، وتم بهذا إخلاء وتدمير مئات القرى والمدن الفلسطينية التي يقدر عددها بـ ٣٩٦ مدينة وقرية. (٣٠).

ثانياً: مذكرات رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين حيث يقول: « إنه بعد احتلال مدينتي اللد والرملة في يوليو ١٩٤٨م قام بترحيل نصف مليون فلسطيني من البلاد تنفيذاً لأوامر تلقاها من دافيد بن جريون مباشرة»(٣١).

هذا وقد شكلت خطة د (دالت) التي نفذها الصهاينة في حرب عام ١٩٤٨م عاملاً مركزياً في عملية الترحيل فتوسيع رقعة الدولة والخروج عن حدود التقسيم التي نص عليها قرار الأمم المتحدة، وطرد الفلسطينيين من بين الأهداف الرئيسة لتلك الخطة، أعد هذه الخطة ايجال يادين ضابط الأركان الصهيوني عام ١٩٤٤م وأفصح عن تفصيلاتها وأهدافها، وفي مقدمتها ترحيل أكبر عدد من الفلسطينيين، فكانت المجازر والفظائع المتعمدة وأجواء الخوف والإرهاب المنظم، وسلب الأهالي كل ما يملكونه، واقتياد الشباب والنساء والشيوخ والأطفال إلى الحدود، وإطلاق الرصاص على مجموعات سكانية جزءاً لا يتجزأ من مخطط الترحيل الجماعي.

رفض التوطين والتمسك بحق العودة للبيت والوطن:

إن حالة اللاجئين الفلسطينيين بعناصرها الموضوعية ومخزونها النضالي تبين استحالة مخططات التوطين، فمسألة العودة هي محور للنضال الوطني الفلسطيني وهي عصية على الضبط خلف جدران التوطين.

«إن المؤتمر الجماهيري الأول للاجئين في مخيمات الضفة الغربية الذي انعقد في مخيم الفارعة ١٩٩٥/١٢/٨م يؤشر إلى المزاج السياسي الشائع، والاستعداد الكفاحي القائم وسط اللاجئين في الضفة الغربية وقطاع غزة بالقرارات والتوجهات التي صدرت عنه: وحدة الشعب الفلسطيني السياسية والوطنية والتاريخية غير القابلة للتجزئة. قضية اللاجئين قضية الشعب الفلسطيني الوطنية المركزية شأنها شأن القدس والحدود والهوية والوطنية. قرارات الشرعية الدولية هي الأساس لحل قضية اللاجئين وعلى رأسها القراران ١٨١، ١٩٤ الصادران عن الأمم المتحدة. قضية اللاجئين قضية سياسية وليست اقتصادية لتحسين شروط العيش لديهم. رفض مشاريع التوطين وأية اتفاقيات بهذا الخصوص، أو برامج من شأنها توطين اللاجئين، سواءً كان ذلك في الوطن المحتل أو خارجه.

رفض محاولات نقل اللاجئين من مخيمات الأردن، والمحاولات الجارية لتوطين لاجئي مخيمات لبنان. ورفض مسألة التعويضات مقابل حق العودة.

رفض مشاريع تصفية الأونروا وإنهاء خدماتها أو تحويل صلاحياتها لهيئات أو جهات محلية أو دولية أخرى، والحفاظ على الوكالة لحين وصولها إلى حل عادل ودائم لقضية اللاجئين وفق قرارات الأمم المتحدة.

دعوة اللاجئين في غزة ولبنان وسوريا والأردن لعقد مؤتمرات مماثلة، وأخذ قضيتهم بأيديهم وإيجاد آلية لتنسيق مواقف اللاجئين والاتصال فيما بينهم في كافة أماكن تجمعاتهم»[٣٢].

الوقوف في وجه مشروع الحل الإسرائيلي القائم على تصفية ملف اللاجئين في الشتات على قاعدة التوطين. «إن التوطين لا يناقض فقط المصلحة الفلسطينية وإنما يتعاكس أيضاً مع مصلحة البلد المضيف، إن مشروع التوطين هو مشروع فتنة داخلية قد تؤدي إلى شلال دم في المستقبل بين الفلسطينيين والشعوب العربية. ومن هنا فإن المصلحة الأكيدة هي في النضال المشترك ضد التوطين، وفي سبيل حق العودة»[٣٣].

وقد آن الأوان لأن تنتهي حالة اليأس والإحباط ويبدأ السعي الحثيث إلى العمل، لذلك يجدر باللاجئين الفلسطينيين المبادرة إلى المحافظة على حقوقهم وتوثيقها وتنظيم صفوفهم للمطالبة بهذه الحقوق من خلال هيئة أرض فلسطين التي دعا الدكتور سلمان أبو ستة لإنشائها على أن تقوم بالآتي:

تمثيل الحقوق المادية وما يتبعها للاجئين والمطالبة بحقهم، وتتكون من الشعب الفلسطيني في كل مكان بما في ذلك الفلسطينيون في إسرائيل.

توثيق الأملاك الفلسطينية العامة والخاصة، والمطالبة بها والعمل على استرجاعها والحفاظ عليها وحمايتها وصيانتها وتطويرها، ومنع بيعها لأي جهة غير فلسطينية موثوق بها.

تقوم الهيئة بدور الحارس على حقوق الشعب الفلسطيني المادية، وتبقى كل الأملاك تحت حراستها، إلى أن تحدد ملكية الأفراد الفلسطينيين وتسلم إليهم.

تطالب الهيئة بتعويضات عن استغلال الأراضي والممتلكات والخسارة المادية والفردية والعامة وجرائم الحرب، وعن المعاناة النفسية للشتات، أسوة بالتعويضات عن أعمال ألمانيا النازية، والتعويضات السويسرية لليهود، ولا تشمل التعويضات ثمن الأراضي والمباني فالوطن لا يباع[٣٤].

والتعويض يعود إلى اللاجئ نفسه كحق فردي، وليس لأي سلطة أو حكومة حق استلامه بالنيابة عنه، وأي اتفاقية سياسية أو معاهدة لا تُسقط حقوق الأفراد في أملاكهم الخاصة أو الأملاك العامة فلدولة فلسطين – إذا قامت – الحق في التصرف بالأملاك العامة داخل مناطق سيادتها لغرض الصالح العام. ويشترك في هذه الهيئة ممثلون عن أهالي المدن والقرى الفلسطينية التي هُجّر أهلها منها عام ١٩٤٨م وتبقى قائمة إلى أن تنتهي أغراضها.

فعلى أرض الرسالات السماوية ولد الشعب العربي الفلسطيني، نما وتطور وأبدع وجوده الإنساني والوطني عبر علاقة عضوية لا انفصام لها ولا انقطاع بين الشعب والأرض والتاريخ، وبالثبات الملحمي في المكان والزمان صاغ شعب فلسطين هويته الوطنية، وارتقى بصموده في الدفاع عنها إلى مستوى المعجزة.

وعلى الرغم مما أثاره سحر هذه الأرض القديمة وموقعها الحيوي على حدود التشابك بين القوى والحضارات من مطامح ومطامع وغزوات كانت تؤدي إلى حرمان شعبها من إمكانية استقلاله السياسي إلا أن ديمومة التصاق الشعب بالأرض المباركة هي التي منحت الأرض هويتها، فأصل الشعب العربي الفلسطيني عبر التاريخ في تطوير ذاته في التوحد الكلي بين الأرض والإنسان، وعلى خطى الأنبياء المتواصلة على هذه الأرض المباركة.

ومن جيل إلى جيل لم يتوقف الشعب العربي الفلسطيني عن الدفاع الباسل عن أرضه ووطنه وانفتح الجرح الفلسطيني الكبير على مفارقة جارحة كاذبة، فالشعب الذي حُرم من الاستقلال، وتعرض وطنه لاحتلال من نوع جديد، قد تعرض لمحاولة تعميم الأكذوبة القائلة إن فلسطين هي أرض بلا شعب.

وبالرغم من هذا التزييف التاريخي الذي لحق بالشعب العربي الفلسطيني بتشريده عن دياره بقوة الإرهاب المنظم، وإخضاع الباقين في قراهم وأرضهم للاحتلال والاضطهاد، ولعمليات تدمير معالم حياتهم الوطنية، فهو انتهاك صارخ لمبادئ الشرعية الدولية وميثاق الأمم المتحدة وقراراتها التي تعترف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني بما فيها حق العودة، وحق تقرير المصير، والاستقلال والسيادة على أرضه(٣٥).

وفي قلب الوطن وعلى سياجه في المنافي القريبة والبعيدة، لم يفقد الشعب العربي الفلسطيني إيمانه الراسخ بحقه في العودة، ولم يتمكن الاحتلال بالمجازر والتشريد من طرد الفلسطيني من وعيه ومن ذاته، فتابع بلورة شخصيته الوطنية من خلال التراكم النضالي المتنامي.

"إن الصمود الأسطوري في المخيمات داخل الوطن وخارجه رفع الإدراك الإنساني بالحقيقة الفلسطينية، وبالحقوق الوطنية الفلسطينية إلى مستوى أعلى من الاستيعاب والنضج، وأُسدل ستار الختام على مرحلة كاملة من التزييف ومن خمول الضمير، وحاصرت العقلية الإسرائيلية الرسمية التي أدمنت الاحتكام إلى الخرافة والإرهاب في نفيها الوجود الفلسطيني"(٣٦).

إن العودة حق لكل لاجئ ولا يسقط هذا الحق بالتقادم. يقول المشككون: إن القرى الفلسطينية دمرت، والحدود ضاعت، والمعالم تغيرت، ومن الصعب معرفة الحدود والأماكن، وواضح أن القائلين بذلك يجهلون حال فلسطين، فلا يوجد بلد في المشرق العربي موثق مثل فلسطين.

لقد عملت لها خرائط منذ حملة نابليون بونابرت في ١٧٩٩م، وعلى يد صندوق اكتشاف فلسطين (١٨٧١ – ١٨٧٨م) الذي سجل ١٥,٠٠٠ خمسة عشر ألف قرية ومكان على الخرائط، وأثناء الانتداب البريطاني (١٩٢٠-١٩٤٨م) أعدت خرائط مفصلة لكل فلسطين تحتوي على ١٠٠,٠٠٠ اسم، وقد استعملت إسرائيل هذه الخرائط وطورتها، وعندما استولت على الأرض الفلسطينية وزعتها بالإيجار على المستعمرات، واحتفظت بسجل كامل لكل قطعة أرض ومصدرها وصاحبها الأصلي ومستأجرها الحالي.

كما قامت بريطانيا في الفترة (١٩٤٥-١٩٤٦م) بتصوير جوي كامل لكل فلسطين مازال موجوداً، كما أن مقارنة صور الأقمار بالخرائط الفلسطينية كفيل بتحديد كل قطعة أرض مهما صغرت، وتحتفظ الأمم المتحدة في ملفات لجنة التوثيق في فلسطين بسجلات الأراضي للفلسطينيين الأفراد الذين تم تسجيلهم في عهد الانتداب (٣٧).

إن التشكيك في إمكانية العودة من ناحية عملية لا أساس له، إذ يمكن عودة اللاجئين إلى ديارهم نفسها دون أدنى تأثير على السكان اليهود في إسرائيل، ودون فقدانهم لجزء مهم من أعمالهم أو اقتصادهم بل على العكس ؛ فإن عودة اللاجئين ستثري الجانب الزراعي من الاقتصاد.

كما أن كمية المياه المطلوب توفيرها لمعيشة كل السكان حتى في حالة عودة جميع اللاجئين، وبقاء المهاجرين اليهود في إسرائيل يمكن الحصول عليها من خلال اتفاقيات عربية إقليمية بعد عودة اللاجئين وليس بدون ذلك.

"إن الاحتلال الإسرائيلي بتأطيره البحث في قضية اللاجئين ومماطلاته يهدف إلى تجاوز القرارات الدولية، وأن لا تكون الشرعية الدولية هي أرضية أي اتفاق مع الجانب الفلسطيني، ومن هنا تبرز خطورة المفاوضات مع الجانب الإسرائيلي التي لا تستند إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة والتمسك بها.

إن الحلم الفلسطيني المفعم بالحنين إلى العودة للوطن قابل للتحقيق عملياً ثم إنه يُمثل مصداقية لقضية مقدسة وعالمية ؛ فمخاطبة وجدان اللاجئ وتنشيط ذاكرته، واستنهاضه باتجاه حقوقه الشرعية على الرغم من ضبابية المرحلة واختلاط الأوراق وتراجع القيم في مرحلة البحث عن الذات والمنصب.

"إن قضية عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم سوف تكون – في المفاوضات المقبلة – في خطر حقيقي وليست مضمونة النتائج، خاصة أن أبجديات علم التفاوض عبر التاريخ كانت تُحسم لصالح الطرف الذي يمتلك المقومات والميزات الأفضل أي للطرف الذي يعمل ميزان القوى لصالحه»(٣٨).

إن الحديث باسم اللاجئين مهمة صعبة تحتاج إلى آلية منظمة من الكفاءات والقدرات كما أنها تحتاج إلى ظرف موضوعي ناضج لم يكتمل بعد، والأهم أنها تحتاج إلى الصدق والموضوعية والإخلاص في هذا الجو السياسي المشحون بالعواطف والنعرات ونزعة الاستئثار بالمنصب والرتبة، وقبض ثمن المواقف الوطنية.

«إن القرارات الأولى لعملية التفاوض لا تُشير بأن هذه القضية يُمكن أن تُحل حلاً عادلاً يحفظ للاجئين حقهم التاريخي في العودة إلى وطنهم وفق قرارات الشرعية الدولية وعلى رأسها القرار ١٩٤»(٣٩).

ولا يجوز أن يضيع صوت اللاجئ الفلسطيني في زحام المزايدات الرخيصة والشعارات المؤججة في ظل الارتداد الاجتماعي نحو تكريس القيم العائلية والمفاهيم العشائرية والقبلية والتنظيمية، فقضية اللاجئين مهددة بالبدائل المادية عن الوطن، التوطين أو التعويض أو تحسين شروط عيش المخيمات، كما أن قرارات الشرعية الدولية مهددة بالشطب والتجاهل وربما الإلغاء.

طرق تحقيق حق العودة:

نحن نعتقد أن إسرائيل ستقاوم عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وستستخدم كل الطرق لإلغاء هذا الحق أو تمييعه معتمدة في ذلك على القوة والجبروت، ومساعدة دول غربية وشرقية.

لكن أكبر قوة لدى الشعب الفلسطيني لاسترجاع حقوقه هي إصراره على العودة، ذلك الإصرار الذي توارثه الأبناء عن الآباء، ليس عاطفة فقط بل علماً ومعرفة وتنظيماً، هذا الإصرار هو الثروة الحقيقية، وهو الطاقة التي لا تنضب على طريق العودة.

ليس للفلسطينيين طريق للعودة إلى ديارهم إلاّ من خلال التنظيم وترميم مؤسساتهم وتسليحها بعناصر ذات كفاءة ومهنية، فالآن عصر العقل والتخطيط والتدبير والتنفيذ.

وأول ما يلزم إنشاء وحدات للدراسات الإستراتيجية مثل:

وحدة دراسات قانونية وتشمل: التشريعات والقرارات الدولية والسوابق المشابهة.

وحدة دراسات الجغرافيا التاريخية وتشمل: تحديد المساحات والممتلكات والموجودات وأسماء المالكين، ورصد التغيرات الحادثة، وتحضير الخرائط والصور الجوية والفضائية.

وحدة الدراسات العمرانية والاقتصادية وتشمل: وثائق المطالبات، وتقويم التعويض لكل بند، والدراسات الاقتصادية اللازمة للاستيعاب والتطوير، والمخططات الهيكلية لإعادة بناء القرى المهدمة، وترميم المدن الفلسطينية الموجودة.

وكل ذلك يتطلب تكوين هيئة أرض فلسطين للمطالبة بحقوق اللاجئين في العودة والتعويض، والأوضاع القانونية لا تمثل أي تعقيد من حيث المبدأ، ذلك لأن الأراضي الفلسطينية مُسجلة باسم الحارس على أملاك الغائبين، والتي حولت إلى هيئة التطوير والأملاك والتي تستغلها دولة إسرائيل والتي يملكها الصندوق القومي اليهودي، وتُدار كلها بواسطة مؤسسة واحدة هي دائرة الأراضي في إسرائيل، ولديها خرائط ووثائق بالملكية الأصلية لكل قطعة أرض.

وبموجب ذلك فهي تؤجّر الأرض الفلسطينية للمستعمرات بعقود مدتها ٤٩ سنة، ولذلك فإنه لا توجد –إلاّ في أضيق نطاق– حالات نزاع بين أفراد يهود وأفراد فلسطينيين حول الملكية لأن اليهود مستأجرون وليسوا مالكين. لهذا فإنه من ناحية قانونية وعملية، يكفي تحويل الحيازة من حارس أملاك الغائبين إلى هيئة أرض فلسطين بتشريع أو اتفاق واحد. ويحق للعائدين الفلسطينيين إلى ديارهم في إسرائيل التمتع بجميع الحقوق المدنية والدينية والسياسية كما هو موثّق في الفصل الثالث من قرار التقسيم رقم " ٨ ".

إن مأساة الشعب الفلسطيني وتهجيره من أرضه يجب توثيقها وترجمة أحداثها من أفواه من عاصرها واكتوى بنارها وأخذ العظة والعبرة منها لإنارة الطريق نحو التمسك بحقوقنا وأولها حق العودة، وهذا يدفعنا إلى طور الاقتراحات التي نعتقد أنها كفيلة بجعل الشعب الفلسطيني يخوض معركة الصحوة، ويقود النكبة التي حلّت به لا أن تقوده هي وتستنزف قواه الذاتية.

- إيمان الشعب الفلسطيني بنفسه والثقة بقدرته على تحقيق أهدافه واسترجاع حقوقه في العودة إلى وطنه، فوجوده لم يعد مجرد وجود كمي، بل هو وجود حي مقاوم وواعٍ.
- الاعتماد على الذات وتنظيم النفس، أي تنظيم الطاقات والإمكانيات بتعزيز التنظيم الشعبي والمدني والمؤسساتي والثقافي، والتغلب على الشرذمة والانقسامات الداخلية (٤٠).
- الوجدان يجب أن يستمر مملوءاً ومعبأً بفلسطين الوطن.
- كتابة تاريخ فلسطيني يروي كل حقائق النكبة وأحداثها، ودور كل الأطراف التي وقفت خلفها، وهنا ينبغي التطرق إلى قضايا كثيرة تم التعتيم عليها، وذلك بمنهج يعتمد الموضوعية والعقلانية والجرأة.
- إيجاد متحف للنكبة الفلسطينية يشتمل على خرائط فلسطين بقراها وبلداتها المدمرة، وأسماء معاركها ومذابحها وشهدائها والتواريخ ذات العلاقة، إضافة إلى كل الوثائق الخاصة بها مقروءة كانت أم مسموعة أم مرئية بما فيها صور "كواشين" ملكية الأراضي والعقارات، ونماذج للمفاتيح التي احتفظ أصحابها بها.

- العمل على إدخال "مادة النكبة" إلى المنهاج التعليمي لتشكل قاعدة تعليمية للأجيال.
- إصدار سجل وطني تدون به أسماء الشهداء الفلسطينيين أو كل شهيد ضحى بروحه في سبيل فلسطين، وبطبيعة الحال تُرفق التواريخ أو الصور إن وجدت.
- إن الجداريات وسيلة حضارية أخرى يمكن أن تتبعها المدن والقرى وكل التجمعات السكانية الأخرى لتخليد شهدائها.
- إنشاء مركز بحوث ودراسات خاص بالنكبة يعمل على تشجيع الباحثين والدارسين لإنتاج أبحاث في هذا المجال سواء في الموضوعات التي تخص الوطن من الداخل أو الشتات.
- إن الزحف الثقافي بكل أشكاله إلى العالم يقتضي أن نوجه أدبنا –الشعر والنثر– وكافة الفنون الفلسطينية إلى هذه النكبة، وإضاءة كل فضاءاتها، ولا ينبغي الاكتفاء بها محلياً وعربياً، فالترجمة إلى لغات العالم الحية الأخرى تعني الوصول إلى ضمائر الآخرين وأحاسيسهم وعواطفهم بكل يسر وسهولة، وهنا يجدر التذكير بأن جهل الآخرين بالقضية، والنكبة التي حلت بشعبنا جر الوبال على هذا الشعب، وحال دون التعاطف معه [٤١].
- استغلال كل قوة قانونية أو إعلامية أو تنويرية لكي ندافع عن حقنا في العودة إلى بيتنا وأرضنا، ويجب ألاّ نهمل واجب التعبئة الشعبية فيكون لدينا جماعات تدعو إلى حق العودة فهذا حق أساسي، ونحن هنا لا نتكلم عن سياسة فنحن بكل بساطة نريد العودة إلى بيتنا وهذا حق أساسي، وهو أعلى من أي حق سياسي، فيجب عمل تجمعات لحق العودة في كل تجمع فلسطيني تتواصل معاً وتتبادل الأخبار وتعمل على تكوين كتل متراصة للوقوف أمام التوطين والعمل على العودة إلى الوطن.
- التمسك المبدئي بحق العودة كحق مقدس وإبعاد شبح التوطين عن اللاجئين في الداخل والخارج، فحق اللاجئين الفردي والجماعي بالعودة إلى ديارهم والعيش في وطنهم هو حق طبيعي وأساس من حقوق الإنسان، ويستمد مشروعيته من حقهم التاريخي في وطنهم لا يغيره أي حدث سياسي طارئ ولا يسقطه أي تقادم، وتكفله مبادئ القانون الدولي والاتفاقات والمعاهدات الدولية، بالإضافة إلى قرارات هيئة الأمم المتحدة ذات العلاقة وفي مقدمتها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٩٤ – د.٣) الصادر بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١م. وكذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨م والذي جاء في المادة ١٣ منه: "إن لكل إنسان الحق في العودة إلى بلاده"، كما أكدت ذلك اتفاقية جنيف الرابعة[٤٢].

إن كل هذا وذاك يُشكل أساساً حضارياً علمياً له دلالته ومغزاه وتأثيره الشمولي، وأبسطه توثيق النكبة وإخراجها من طور الذاكرة الشفوية المعرضة للنسيان، حينما تقدمت إسرائيل في ١٩٤٨/١١/٢٩م بطلب لهيئة الأمم المتحدة لقبولها عضواً في الأمم المتحدة قامت الأمم المتحدة بإصدار قرارها رقم ١٩٤ الذي يُطالب إسرائيل بالسماح بعودة الفلسطينيين إلى وطنهم وتعويضهم عما فقدوه، وبداية رفضت إسرائيل تنفيذ هذا القرار فامتنعت الأمم المتحدة بدورها عن قبول إسرائيل في عضويتها وذلك بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١٧م.

وفي ٢٤ شباط عام ١٩٤٩م تقدمت إسرائيل مجدداً إلى هيئة الأمم المتحدة بطلب الالتحاق بها، عندئذ طلبت الجمعية العامة من إسرائيل قبول القرارات الدولية بشأن عودة اللاجئين والقدس، وطلبت من مندوب إسرائيل الحضور وشرح استعداد إسرائيل لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن مدينة القدس ووضعها القانوني، وكذلك بالنسبة لموضوع اللاجئين، وقد أعلن المندوب الإسرائيلي استعداد إسرائيل لتنفيذ القرارات الدولية المطلوبة منها والإقرار بها خاصة «قرار ١٨١ بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩م وقرار ١٩٤ بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١م» حال اعتبار إسرائيل عضواً رسمياً في هيئة الأمم المتحدة، وفي ضوء ذلك قررت الجمعية العامة قبول إسرائيل في عضوية الأمم المتحدة [٤٣].

لذا يجب على الشعب الفلسطيني أن يبقى متمسكاً بحق العودة متماسكاً صامداً مكافحاً مدافعاً عن حقوقه حتى يعود إلى أرض الوطن، ولن يكون السلام حقيقياً إلاّ بالعودة إلى الوطن، لا شك عندي في ذلك.

ويبقى أن يُسجّل التاريخ كم من التضحيات ينبغي بذلها حتى يتحقق حق العودة ويعود اللاجئون إلى بيوتهم وأرضهم ؟

هوامش البحث:

١. أبو عمرو، د. زياد: أصول الحركات السياسية في قطاع غزة، عكا، دار الأسوار سنة ١٩٨٧م – ص ١٥.
٢. مسعود، د. جمال، ود. وفاء جمعة: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ – ذرية إبراهيم عليه السلام، وبيت المقدس –، الرياض، دار طيبة سنة ١٩٨٦ م، ص٧.
٣. البرغوثي، د. مصطفى: القضية الفلسطينية، المبادرة الوطنية الفلسطينية، القدس، عام ٢٠٠٣م، ص ١٠
٤. المرجع السابق: ص ١٨
٥. البسطامي، مها: الصراع على الأرض والسكان في فلسطين، مجلة شؤون فلسطينية، عدد ٣٠٤ آذار (مارس) ١٩٩٠م، ص ١١٤.
٦. أبو ستة، د. سلمان: حق العودة مقدس وقانوني وممكن، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عام ٢٠٠١م، ص ٢٠٣
٧. بحر، د. أحمد: نكبة النكبة، بحث ألقي في ندوة في الجامعة الإسلامية بمناسبة مرور خمسين عاماً على النكبة ١٩٩٨/٥/١٥م. وانظر: دير ياسين: وليد الخالدي، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٩٨م ص٩٨.
٨. التوراة: سفر يوشع، الإصحاح الثامن.
٩. الراوي: الحاج ذياب محمد العاوور ٩٠ سنة، فدائي من الكتيبة ١٤١ التي أنشأها مصطفى حافظ، أمضى في سجون الاحتلال ١٨ عاماً، تاريخ اللقاء ٢٠٠٧/٣/٢٠م، مكان اللقاء: بيت الراوي في مدينة غزة.
١٠. الخالدي، وليد: كي لا ننسى، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عام ١٩٨٨م، ص ٥١١.
١١. الراوي: الأستاذ عايش يونس ٧٣ عاماً، مدرس متقاعد وخطيب مسجد ورجل إصلاح، تاريخ اللقاء: ١/١/ ٢٠٠٧ م، مكان اللقاء: ديوانه في مخيم بربرة برفح.
١٢. أبو ستة: حق العودة، (مرجع سابق)، ص ١٢٤
١٣. أبو سمرة، أكرم: المرأة الفلسطينية – درس في الانتفاضة –، مطبعة تونس قرطاج – الشرقية – تونس عام ١٩٨٩ م، ص ١٢.
١٤. أبو سمرة، المرجع السابق: ص ٢٠
١٥. صحيفة الراية الناصرية: عدد ٥٨ بتاريخ ١٩٨٨/٩/٣٠م.
١٦. أبو سمرة، المرأة الفلسطينية: (مرجع سابق)، ص ٤٥
١٧. الراوية: الحاجة فاطمة المدهون (أم نافز) ٧٨ سنة، تاريخ اللقاء: ٢٠٠٦/١٢/١٥م، مكان اللقاء: منزل الراوية في مخيم جباليا.

١٨. الراوية: السيدة أسماء محمد (أم محمد) ٧٦ سنة، مديرة مدرسة متقاعدة، تاريخ اللقاء: ٢/٢/٢٠٠٧م، مكان اللقاء: منزل الراوية في مخيم الشاطئ بغزة.
١٩. أبو ستة، حق العودة: (مرجع سابق)، ص ١٣–١٤.
.Alleged burning of 28 Arabs alive. F.N.DAG.–13/3.3.1.10
٢٠. انظر المرجع السابق.
٢١. انظر المرجع السابق.
٢٢. أبو ستة، حق العودة: (مرجع سابق)، ص ١٣٢.
٢٣. أبو ستة، المرجع السابق: ص ١٣٢ – ١٣٣.
٢٤. صحيفة هعولام هزيه (هذا العالم) ١٥/٥/١٩٦٦م.
٢٥. أليستور، يوفال، وإلياهو ساليبيز: من يحكم إسرائيل، ص ١٠٨.
٢٦. بار موشيه، إسحق: الخروج من العراق، ص ٥٠.
٢٧. الراوي: يوسف عبادة (يهودي عراقي) ٨٠ سنة، تاريخ اللقاء ١٨/٦/٢٠٠٥م، مكان اللقاء: فندق شيرتون بالقاهرة.
٢٨. مجلة الدراسات الفلسطينية: بيروت، العدد ٢٢.
٢٩. تقرير الاستخبارات العسكرية (خدمات إعلامية) التابع للهجاناه، ٣٠ يونيو ١٩٤٨م.
٣٠. رابين، إسحق: بطاقة خدمة، مكتبة تل أبيب عام ١٩٧٩م، ج ١ ص ٨٠.
٣١. رباح، رمزي: اللاجئون والنازحون ومفاوضات الوضع الدائم، بيروت، دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٩٦م، ص ٢٣–٢٤.
٣٢. رباح، المرجع السابق: ص ٤٥
٣٣. أبو ستة، حق العودة: (مرجع سابق)، ص ٦٠.
٣٤. إعلان الاستقلال: دورة المجلس الوطني غير العادية – الجزائر ١٢– ١٥ تشرين ثاني عام ١٩٨٨م.
٣٥. المرجع السابق.
٣٦. أبو ستة، حق العودة: (مرجع سابق)، ص ٢٩.
٣٧. عبد ربه، صلاح: اللاجئون، القدس، مركز المعلومات البديلة، عام ١٩٩٦م، ص ٢٨.
٣٨. عبد ربه، المرجع السابق: ص ٣٠.
٣٩. البرغوثي، القضية الفلسطينية: (مرجع سابق)، ص ١٩.
٤٠. زغلول، لطفي: الخروج من جلد النكبة، جريدة القدس ٢٩/٥/١٩٩٨ م.
٤١. عبد ربه، اللاجئون: (مرجع سابق)، ص ٨٤.
٤٢. عيسى، د. حنا: الأسس القانونية لقيام الدولة الفلسطينية، جريدة القدس ١٤/١٠/١٩٩٥م.

المصادر والمراجع:

١. أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ – ذرية ابراهيم عليه السلام، وبيت المقدس –: د. جمال مسعود، د. وفاء جمعة، دار طيبة الرياض، سنة ١٩٨٦م.

٢. أصول الحركات السياسية في قطاع غزة: د.زياد أبو عمرو، دار الأسوار عكا، سنة ١٩٨٧م.

٣. الأسس القانونية لقيام الدولة الفلسطينية: د. حنا عيسى، جريدة القدس ١٩٩٥/١٠/١٤م.

٤. التوراة: سفر يوشع، الإصحاح الثامن.

٥. الخروج من جلد النكبة: لطفي زغلول، جريدة القدس ١٩٩٨/٥/٢٩م

٦. الراوية: الحاجة فاطمة المدهون (أم نافز) ٧٨ سنة، تاريخ اللقاء ٢٠٠٦/١٢/١٥م مكان اللقاء منزل الراوية في مخيم جباليا.

٧. الراوي: الحاج ذيب الشريف ٧٥سنة، تاريخ اللقاء ٢٠٠٧/٣/١م، مكان اللقاء بيت الرواي في مخيم رفح.

٨. الراوية: السيدة أسماء محمد (أم محمد) ٧٦سنة، مديرة مدرسة متقاعدة، تاريخ اللقاء ٢٠٠٧/٢/٢ م، مكان اللقاء منزل الراوية في مخيم الشاطئ بغزة.

٩. الراوي:يوسف عبادة (يهودي عراقي) ٨٠ سنة، تاريخ اللقاء ٢٠٠٥/٦/١٨م، مكان اللقاء فندق شيراتون بالقاهرة.

١٠. الراوي: الحاج ذياب محمد العاوور، ٩٠ سنة، فدائي من الكتيبة ١٤١ التي أنشأها مصطفى حافظ أمضى في سجون الاحتلال ١٨ عاماً، تاريخ اللقاء ٢٠٠٧/٣/٢٠م، مكان اللقاء بيت الرواي النصر، مدينة غزة.

١١. الرواي: ا.عايش يونس، ٧٣ عاماً، مدرس متقاعد،و خطيب مسجد، ورجل إصلاح، تاريخ اللقاء: ٢٠٠٧/١/١م، مكان اللقاء ديوانه في مخيم بربرة برفح.

١٢. .الصراع على الأرض والسكان في فلسطين: مها البسطامي، مجلة شؤون فلسطينية، عدد ٣٠٤ آذار (مارس)، سنة ١٩٩٠م.

١٣. القضية الفلسطينية: د. مصطفى البرغوثي، المبادرة الوطنية الفلسطينية، القدس، سنة٢٠٠٣م

١٤. اللاجئون: صلاح عبد ربه، مركز المعلومات البديلة، القدس سنة ١٩٩٦م

١٥. صحيفة هاعولام هزيه (هذا العالم): ١٥/٥/ ١٩٦٦م

١٦. اللاجئون والنازحون ومفاوضات الوضع الدائم: رمزي رباح، دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت سنة ١٩٩٦م.

١٧. المرأة الفلسطينية – درس في الانتفاضة –: أكرم أبو سمرة، مطبعة تونس قرطاج – – الشرقية – تونس،سنة ١٩٨٩م.

١٨. إعلان الاستقلال: دورة المجلس الوطني غير العادية، الجزائر ١٢– ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٨٨م.

١٩. .بطاقة خدمة: اسحاق رابين، مكتبة تل أبيب ج١، سنة ١٩٧٩م.

٢٠. .تقرير الاستخبارات العسكرية (خدمات إعلامية) التابع للهجاناه ٣٠/ ١٩٤٨/٦م

٢١. حق العودة مقدس وقانوني وممكن: د. سلمان أبو ستة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،سنة ٢٠٠١م.

٢٢. دير ياسين: وليد الخالدي، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية، سنة ١٩٩٨م.

٢٣. صحيفة الراية الناصرية عدد ٥٨ بتاريخ ١٩٨٨/٩/٣٠م

٢٤. كي لا ننسى: وليد الخالدي مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، سنة ١٩٨٨م.

٢٥. مجلة الدراسات الفلسطينية بيروت، العدد ٢٢

٢٦. نكبة النكبة: د.أحمد بحر، بحث ألقي في ندوة في الجامعة الإسلامية بغزة بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على النكبة.

هل يجوز تحويل البنوك الربوية إلى إسلامية على طريقة غسيل الأموال؟

د. محمود عبد الكريم إرشيد*

* أستاذ مساعد، منطقة جن   التعليمية، جامعة القدس ا فتوحة.

ملخص:

تتناول هذه الدراسة محاولات أسلمة المصارف المنشأة بأموال ربوية، أو النوافذ الإسلامية المنشأة في تآخٍ مع الربوية؛ أو غسيل الأموال بطريقةٍ إسلامية، وذلك من حيث شرعية إنشاء مؤسسات إسلامية مثل: البنوك التي سيركز عليها البحث، وشركات التأمين وغيرها بمكاسب خبيثة، مع انعدام المعيار الشرعي لتدوير أموالهم في عجلة الصيرفة الحلال؛ عن طريق غسلها إسلامياً، وانحراف هذه المصارف عن الأهداف التي أنشئت من أجلها الصيرفة الإسلامية.

ويهدف هذا البحث إلى معرفة شرعية الإنشاء، وأثر المال الحرام على الأرباح المتأتية بعد الإنشاء بالاستثمار بالطرق الشرعية، وتوصلت الدراسة إلى مخالفة هذا النموذج من المؤسسات المالية للقيم الدينية، وانحرافها عن التطبيق الصحيح للمعاملات المالية الإسلامية، والأهداف الحقيقية للصيرفة الإسلامية، وبحثها الدؤوب عن الحيل للتقرب من ثدي أمها؛ نظراً لتمرس القوى البشرية فيها بالعمل الربوي، وانحراف فهمهم للفرق في التطبيق بين الصيرفة الإسلامية والنموذج الربوي، مما جعل هذه الحيل أصولاً وأهدافاً مقلوبة للعمل المصرفي الإسلامي. وهو ما سعت الدراسة لإثباته بالضوابط الشرعية للاستثمار الحلال، والأدلة الفقهية لجزئيات التطبيق، بالإضافة إلى التوبة عن الكسب الحرام، وما يتأتى منه، أو بالحيل.

Abstract:

This study deals with the attempts to Islamize Banks constructed by usury money or through Islamic escape windows depending on usury brotherhood, or money laundering in an Islamic method. It discusses constructing Islamic establishments with virulent profits, added to the absence of the Islamic standard for circulating their money through the legitimate exchange rates, my laundering them in an Islamic method.

The study deals also with these banks' deviation from the real purposes of the Islamic Banking. It tries to define the constructing legitimacy, the impact of the ill-gotten money on the gained profits by investing through legitimate methods.

The study concluded the opposition of these banks to the religious values, and the deviation of these banks from the proper implementation of the Islamic capital deals. In addition to the impact of the ill-gotten money on the profits of the investments through legitimate methods.

The study came to the result that these banks have deviated from the real purposes of Islamic exchange procedure, and values,, and that it is earnestly seeking to be close to its real mother, the evil banks, as a result of its Human staff relation with the usury activity and their misunderstanding of the implementation between the Islamic exchange and the usury system, and changing these tricks into origins and purposes for the Islamic Banking System.

This topic is the issue that the study tries to prove through legal criterions of the legitimate profits, and the jurisprudence indicatives of the implementation factors, in addition to the clean laundering of the money by Islamic methods free of tricks and misdeeds.

مقدمة:

المكاسب الخبيثة هي: كل كسب نتج عن معاملة مالية محرمة، وباستعراض النصوص القرآنية ونصوص السنة المشرفة يمكن أن نقسمها إلى قسمين هما[١]:

كل كسب نتج عن بيع عين محرمة، وهي: ما أخذ من غير مقابلة جهد أو مشاركة؛ كالقمار، واليانصيب، أو أخذ عوضاً لعين محرمة؛ كالخمر، والخنزير، والمخدرات، والأصنام، والتماثيل، والكلاب (التي ليست للصيد والحراسة)، والأواني والتحف المحرمة ونحوها، أو أخذ بغير وجه حق (بالظلم)؛ كالربا، والغصب، والرشوة، والسرقة، والغلول من المال العام، والاحتكار، والغش، وتطفيف الكيل والميزان، وبخس الناس أشياءهم، ونحوها.

كل كسب نتج عن بيع منفعة محرمة؛ نحو مهر البغيّ، وكسب الزانية، والراقصة، وعارضة الأزياء، والمنجم، والكاهن، والعاملين في الملاهي، وبيوت الخنا، ونحوها، وهنا نركز الحديث على المؤسسات التي تنشأ بأموال خبيثة، وبخاصة المصارف الإسلامية[٢] التي أنشأها المرابون؛ أو النوافذ التي تتحول من الاستثمار الربوي المحرم إلى الصيرفة الإسلامية، أو شركات التأمين الإسلامية التي أنشأتها شركات التأمين التجاري ونحوها.

وتركَّز الحديث على الصيرفة الإسلامية؛ لأنها أكثر الشركات تأثراً بتدوير هذه المكاسب. لقد نصت الفتاوى الصادرة عن لجنة العلماء في المؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي المنعقد بالكويت ٦ ـ ٨ جمادي الآخر١٤٠٣هـ (٢١ ـ ٢٣ مارس ـ آذار ١٩٨٣م)، في البند الثاني (بتوجيه أموالهم أولاً إلى المصارف الإسلامية...وإلى أن يتم ذلك تكون الفائدة التي يحصلون عليها كسباً خبيثاً، وعليهم استيفاؤها والتخلص منها بصرفها في مصالح المسلمين العامة..) والواقع الماثل أن هؤلاء لا يتخلصون من الربا بصرفه كما نصت مقررات المؤتمرات العلمية؛ بل يقومون بإعادة تدويرها بالاستثمار في الشركات المالية الإسلامية، وعند مراجعة أهداف المصارف الإسلامية الرائدة ومقاصدها عند إنشائها، نجد أنها هدفت إلى: إحداث التنمية الشاملة للمجتمعات الإسلامية، وإحلال نظام المشاركة في الربح والخسارة مكان التمويل الربوي الذي لا يتحمل المخاطر التجارية وقاعدة الغنم بالغرم، وغيرها؛ والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل المصارف المنشأة بمكاسب خبيثة حافظت على الأهداف ذاتها؟.

لقد ظهرت مصارف إسلامية وأنشئت بمكاسب خبيثة؛ أو تحولت من الخبيث إلى الطيب، أو فتحت نوافذ إسلامية بجانب الخبيث أو معه، ورفعت هذه المصارف والنوافذ الأهداف ذاتها التي ترفعها المصارف الإسلامية الرائدة شعاراً لها، وَوُضِع لها معيار

شرعي للتحول[٣] مع معارضة إنشائها للأصول القيمية الشرعية للتوبة من الكسب الخبيث، وفتاوى وقرارات المؤتمرات الفقهية. إن غايات المرابين أضحت مكشوفة؛ إنهم يغسلون الأموال الخبيثة بطريقة إسلامية فهم أمهر من (آل كابون زعيم المافيا)[٤] في ولاية شيكاغو منشأ غسيل الأموال، فهم يبحثون عن ودائع هربت أو ربح أكثر، حققته المصارف الإسلامية؛ بالإضافة إلى هروب الملتزمين بدينهم من لعنة الربا التي تطارد آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه.

أهداف الدراسة:

دراسة إنشاء شركات إسلامية بمكاسب خبيثة هو الهدف، والحاجة تدعو إلى دراسة فقهية واقتصادية معاً، وهدفنا هو الوصول إلى حكم الإنشاء، سواءً أكان الإنشاء بمكاسب ربوية ابتداءً، أم بتحويل المصرف الربوي إلى الصيرفة الإسلامية، تطبيقاً للمعيار السادس من المعايير الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية، أم بفتح النوافذ بجانب الصيرفة الربوية، أو التحول بالتدريج إلى الصيرفة الإسلامية، أم بالقيام بالحج أو بالعمرة أم بإطعام الفقراء أو بإنشاء المساجد والمدارس الدينية، من عوائد استثمار الأموال المكتسبة بالربا أو بالمخدرات أو من المكاسب الخبيثة الأخرى، وبهذا فالدراسة تهدف للوصول إلى الحكم الشرعي في الأحوال السالفة الذكر.

أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها مما يأتي:

١. تعد القيم الدينية، وبخاصة قيمة الحلال والحرام، قيمة مهيمنة على عقل كل مؤمن وقلبه، ولذلك يخاف المؤمن من أكل الربا نظراً للتحذير الشديد منه في النصوص القرآنية والسنية[٥]، أو اكتساب أو استثمار المال بطرق ممنوعة شرعاً، فضلاً عما أسميناه ب "غسيل الأموال الإسلامي[٦]".
٢. مخالفة المصارف الإسلامية المنشأة بأموال ربوية للأهداف التي ترفعها الصيرفة الإسلامية الرشيدة، وتجاهلهم القيم الدينية، واعتبارهم الصيرفة الإسلامية مجرد رفع شعار الالتزام بأحكام الشريعة الغراء.
٣. عدم توافر معيار القبول لدى الجمهور لهذه المصارف، وهو أهم معيار لنجاح الصيرفة الإسلامية، فضلاً عن فقدان كثير من المعايير الدقيقة لدى بعض الهيئات الشرعية التي تشرف على هذه المصارف، نحو معيار المشروعية الحقيقية، والكفاءة (كلفة المعاملات)، معيار الأجر على الفتوى، والاستقلالية، والمصداقية، والتميز عن المؤسسات الأخرى التقليدية.

٤. المحاولات الحثيثة لإيجاد بدائل لمعاملات محرمة، لإعادة استقطاب ودائع الهاربين بدينهم من جحيم الربا، وإعادة تدويرها بأي طريقة دون مراعاة فكرة الحلال والحرام في سوق النقد بهدف جني الأرباح.

٥. ولّد انحراف التطبيق الشرعي لدى موظفيها الذين استمرأوا التطبيق الربوي، إضافة إلى ضعف بعض هيئات الرقابة الشرعية التي لا تنظر في التطبيق وتكتفي بالفتيا إلى عدم قبولها من الجمهور، كل ذلك دفعني لدراسة أسسها القيمية؛ والحكم الشرعي لإنشائها، ومقارنتها بالصيرفة الإسلامية الرائدة الرشيدة.

٦. وهنا يمكن أن نطرح تساؤلات: هل يجوز لمن كان ماله في الغالب مكتسباً من الربا أن يُدَّوِرُهُ في عجلة الصيرفة الإسلامية؟، وهل تنطبق المقولة نفسها على تاجر المخدرات؟ أو من اكتسب مالاً من كازينو القمار؟، أو من تربية الخنازير في المزارع؟، إذا أراد أن يعيد تدويره في الصيرفة الإسلامية؟ عن طريق غسيل أمواله إسلامياً؟ فهل يجيز مؤيدو التحول إلى الصيرفة الإسلامية(٧) الغسيل القذر السالف الذكر للتحول إلى الصيرفة الإسلامية؟؛ وماذا يختلف ذلك عما يقوم به المرابون؟!.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في إطار الهدف الذي تسعى لتحقيقه، وهو معرفة الحكم الشرعي المشدود بالقيم الاقتصادية الإسلامية لهذا النوع من المصارف عند الفقهاء، والطرق التي من خلالها يتخلص من الأموال الربوية الخبيثة، وهل إعادة استثمارها بطرق شرعية أمر جائز شرعاً؟.

أسئلة الدراسة وفرضيتها:

يتحقق هدف الدراسة باستخدام المنهج الفقهي الاقتصادي التحليلي القائم على التحليل العميق للنصوص الشرعية، والقواعد الفقهية، لاستنباط الحكم الشرعي لاستثمار الأموال الربوية بطرق شرعية، وانطباق حكم الأغلبية على الأقلية، وتنطلق هذه الدراسة من أن إنشاء مصارف إسلامية بأموال ربوية، أو تحويل المصرف الربوي إلى إسلامي بالتدريج، أو فتح نوافذ تكون غايتها جميعها تأدية الغرض نفسه، وهو استثمار المال الربوي بطريقة إسلامية؛ وهو ما أسميناه "غسيل الأموال القذرة بطريقة إسلامية"، ولا بد من الانصياع لدور القيم في استثمار الأموال، وذلك بقبول هيمنة فكرة الحلال والحرام على كل جزئيات الاستثمار من بدايته إلى منتهاه.

ويتكون البحث من مقدمة، ومباحث، وخاتمة، ومراجع.

مقدمة الدراسة، أهداف الدراسة، أهمية الدراسة، مشكلة الدراسة، تساؤلات الدراسة وفرضيتها.

المبحث الأول: الضوابط القيمية لإنشاء مصارف إسلامية.

المبحث الثاني: طرق التحلل من الكسب الخبيث.

المبحث الثالث: إعادة تدوير الكسب الخبيث بالاستثمار الشرعي.

المبحث الرابع: الآثار القيمية للمكاسب الخبيثة على الشركات المالية الإسلامية.

المبحث الخامس: تطبيقات مصرفية لمصارف منشأة بأموال ربوية.

ملاحظات ختامية، المراجع.

المبحث الأول: الضوابط القيمية لإنشاء مصارف إسلامية:

إن دراسة الضوابط القيمية والشرعية لإنشاء المصارف الإسلامية، وبخاصة عند تطبيق جزئيات الصيرفة الإسلامية، ممثلة بقيمة الحلال والحرام وهيمنتها على النشاط الاقتصادي عموماً في غاية الأهمية. ومن أهم الضوابط القيمية والشرعية لإنشاء المصارف الإسلامية[٨]: التَقَيُّدْ بقواعد القيم الاقتصادية، وأولها تساوي الاهتمام بالحلال والحرام قبل الإنشاء وبعده، فهيمنة فكرة الحلال والحرام على عناصر النشاط عند إنتاج السلعة وبعده يعتبر من مقاصد التشريع المهمة، هذا ويمكن أن نضع الضوابط القيمية الاقتصادية الإسلامية والشرعية لإنشاء المصارف الإسلامية على النحو الآتي:

الضابط الأول: أن تكون مصادر الأموال التي تنشأ بها الشركات المالية الإسلامية حلالاً [٩].

لتحقيق هذا الضابط من ضوابط إنشاء المصارف الإسلامية، فإن القواعد الفقهية والأصولية، والضوابط الاقتصادية المؤيدة بالنصوص؛ تقوم بضبطه وتحقيقه على الوجه الأمثل؛ فالقاعدة الفقهية والأصولية التي تضبط الإنشاء؛ تنص على: ((إِذَا اجْتَمَعَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ غُلِّب الْحَرَامُ))[١٠]، وَحَكَاهُ الْغَزَالِيُّ في «الْمُسْتَصْفَى»[١١] عَنْ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ، هذا وقد استدل فقهاء الشافعية للقاعدة بِأَنَّ في تَغْلِيبِ الْحَرَامِ تَقْلِيلًا لِلتَّغْيِيرِ في الْأَحْكَامِ، واسْتَدَلُّوا لِهَذِه الْقَاعِدَةِ بِأَنَّ تَرْجِيحَ التَّحْرِيمِ أَحَبُّ، لِأَنَّ فِيهِ تَرْكَ مُبَاحٍ لِاجْتِنَابِ مُحَرَّمٍ وَذَلِكَ أَوْلَى وَأَحْوَطُ، وقال أحمد في معرض النهي عن الأكل ممن أكثر ماله من كسب خبيث: ((إذا كان أكثر ماله النّهب أو الربا (...) ينبغي له أن يتنزه عنه))[١٢]، وأكثر إفتاءات الونشريسي في «المعيار» تتفق مع تحريم أو كراهة التّعامل مع من كان ماله حراماً من غصب أو ربا[١٣].

وَمِنْهَا مَا ذَكَرَ السُّيُوطِيّ مِنْ أَنَّ: مُعَامَلَةُ مَنْ أَكْثَرُ مَالِهِ حَرَامٌ إذَا لَمْ يُعْرَفْ عَيْنُهُ لَا تَحْرُمُ، وَلَكِنْ تُكْرَهُ[١٤]، ثُمَّ قَالَ ابْنُ السُّبْكِيّ[١٥] في تعليقه على القاعدة الفقهية: غَيْر أَنَّ الْقَاعِدَةَ فِي نَفْسِهَا صَحِيحَةٌ. قَالَ الْجُوَيْنِيُّ: لَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا إلَّا مَا نَدَرَ[١٦]، فأنت ترى أن القاعدة معمول بها لدى أغلب الفقهاء؛ وبما أن أموال المرابي الذي يفتح بنكاً ربوياً أو يساهم فيه بأسهم أغلب ماله الحرام؛ فإن في تغليب ماله الخبيث على الطيب أمر ثابت، يمكننا تطبيق قاعدة ((الْحُكْمُ لِلأَغْلَبِ))[١٧]، وكذلك قاعدة ((لِلأَكْثَرِ حُكْمَ الْكُلِّ))[١٨] عليه، والقاعدة سليمة وتنطبق على موضوعنا؛ فمن ينشئ بنكاً إسلامياً من أمواله التي أغلبها مكتسب بالربا، أو يقوم بإعادة استثمارها بفتح مصرف أو مؤسسة مالية إسلامية لا ينفي عن ماله اختلاطه بالمال الحرام حتى وإن تاب، ولم يخرج المال الحرام لمصارفه، فيبقى حاله على سابق عهده، وَقَدْ خَرَّجَ الْحَنَفِيَّةُ عَلَى غرار القَاعِدَةِ الفقهية الأولى قاعدة نصها: « إذَا تَعَارَضَ الْمَانِعُ وَالْمُقْتَضِي، قُدِّمَ الْمَانِعُ»[١٩]، فإذا ربا المانع على المقتضى قدم المانع الحاظر للتصرف[٢٠]، والحاظر موجود وهو ضرورة إهلاك المال المكتسب بطرق خبيثة في وجوه الخير، عبر تطبيق قيمة التوبة على الكسب، وليس إعادة استثمارها بطرق مشروعة.

ولتطبيق القواعد الفقهية والأصولية[٢١] على البنك أو المؤسسة المنشأة بمكاسب خبيثة؛ فإنه لا بد من تأكيد الحقيقة التالية؛ أن إيرادات البنك الربوي أو الإسلامي هي: (الأرباح والفوائد، والأجور والعمولات)، وهي في الغالب من عوائد العمليات الاستثمارية القادمة من أموال البنك من ودائع التوفير والأجل، والخدمات المصرفية، يجتمع في البنك الربوي عوائد حرام وأخرى حلال، عند اتفاقنا على أن إيرادات الخدمات المصرفية حلال، والقاعدة لدينا» إِذَا اجْتَمَعَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ غَلَبَ الْحَرَامُ»[٢٢]، وبما أن الخدمات المصرفية كمورد لا يزيد عن ٣٠٪ خصوصاً بعد دخول منتجات أخرى معها جديدة؛ كخدمة بنك المعلومات، والتورق والاضطلاع بأعباء أمناء الاستثمار، وأمناء الاكتتاب ودراسات الجدوى... إلخ[٢٣]، وعليه؛ فإذا كان الغالب هو الحرام فلا نحتاج إلى تغليب طبقاً للقاعدة السالفة، وبما أن إيرادات البنك من الخدمات والأجور جزء أقل بكثير، وبما أن الإيرادات البنكية المتأتية من الأجور والعمولات من أرباح البنك، والإيرادات حصيلة ودائع الاستثمار، طويل الأجل وقصيره، وعوائد السندات، والمتاجرة في العملات الآجلة، والمضاربة في سوق العملات هي الأكثر، فإن أغلب مال المرابي صاحب البنك كسب خبيث حرام، لا يجوز له أن يغسلها بطريقة إسلامية، وعليه؛ فإن فتح بها مصرفاً إسلامياً، أو مؤسسة مالية إسلامية فهو مخالف لهذا

الضابط، وبه يفقد القبول العام من الجمهور الذي هو أهم معايير قبول المصرف الإسلامي، ويؤيد ما سبق من القواعد الفقهية والأصولية، الضوابط القيمية الاقتصادية الإسلامية، ومنها الضابط الذي تجسده فكرة الحلال والحرام في عناصر النشاط الاقتصادي عموماً، في سوق النقد: ((الإبقاء على فكرة الحلال والحرام مهيمنة على عناصر النشاط الاقتصادي)) [٢٤]، وكذا ضابط الربح المشروع المشتق من هذه القيمة المهمة وهو: ((عدم السماح إلا بالربح المشروع))[٢٥]، فإن الربح المتأتي بسبب المال الحرام وبوساطته يلحق به؛ كما الربح المتأتي من المال الحلال يلحق به، ولذلك قال رسول الله ﷺ: ((...**إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ فَقَالَ لَا هُوَ حَرَامٌ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ**))[٢٦]، فإعادة تدوير الكسب الحرام لتحقيق مكاسب بطريق مشروع لا يحل، والحديث نص في المطلوب؛ مال خبيث استثمر بطرق مشروعة حرمه رسول الله ﷺ، ومنع إعادة غسله بطريقة مشروعة، ليتحقق الضابط الذي ذكرناه آنفاً: الربح المشروع لا يتأتى إلا بالمال المشروع.

وبإنشاء المصارف الإسلامية بأموال خبيثة؛ فإن هذين الضابطين ينخرمان، وبما أن فكرة الحلال والحرام يجب أن تهيمن على إنشاء المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية؛ فإن الأموال التي تنشأ بها هذه المؤسسات يجب أن تكون أموالاً مكتسبة بطرق حلال، وليست بطرق خبيثة. فالغاية من الإنشاء نبيل، وهو تجسيد النظام الاقتصادي في جانبه المالي على أرض الواقع، وتوفير الاستثمار الحلال لعموم المسلمين، فلا يجوز أن تكون الوسيلة أموالاً مكتسبة من الربا، فقد جاء في الحديث عن رسول الله: ﷺ ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** (٥١)﴾ [سورة المؤمنون:٢٣]، وَقَالَ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** (١٧٢)﴾[٢٧] [سورة البقرة:٢]، فلا يقبل من منشيء المصرف أن يكون حريصاً على دين الناس، مضيعاً لدينه، بارتكابه ما حرم الله؛ فالغاية لا تبرر الوسيلة القذرة؛ كما لا يقبل من تاجر المخدرات، والخمور، ومن بائعة منافع نفسها، والمرابي؛ أن يعيدوا استثمار ما كسبوه من حرام عن طريق غسله غسيلاً نظيفاً، وبطريقة إسلامية، فالغسيل النظيف يبدأ بتخلصه من المال الخبيث، وإنفاقه في مصارفه، وليس في الصيرفة الإسلامية.

الضابط الثاني: انحراف التطبيق الصحيح للمعاملات ينقل الأرباح إلى كسب خبيث يجري عليه أحكامه(٢٨).

عند عدم سير المعاملة وفق إجراءات العمل المقرة من هيئة الرقابة الشرعية، أو المعايير الشرعية للمعاملات المالية الإسلامية، نتيجة لسوء تطبيقها من الموظف، ينقلها من معاملة صحيحة إلى معاملة باطلة أو فاسدة، والفاسد هو كلُّ بَيْعٍ فَاتَهُ شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ الصِّحَّة؛ كَأَنْ كَانَ في الْمَبِيعِ جَهَالَةٌ، كَبَيْعِ سيارة مما في المعرض، أَوْ كَانَ مَنْهِيًّا عَنْهُ، كَبَيْعِ السلعة قَبْلَ قَبْضِهَا، وَبَيْعِ الْعِينَةِ، وَمَعَ الاتِّفَاقِ عَلَى وُجُوبِ فَسْخِهِ، وَخُبْثِ الرِّبْحِ النَّاشِئِ عَنْهُ(٢٩)، ففي حالات كثيرة يمكن تصويبها، وتصحيح شروطها ما دامت تتابع من المراقب الشرعي الداخلي، وفي بعض الأحيان يفوت الأوان على التصويب، فأين تذهب الأرباح المتأتية من هذه المعاملة؟.

من الأمثلة على الفاسد من المعاملات؛ أن يعقد البنك الإسلامي مع الموعود بالشراء عقد بيع للبضاعة وهي في ميناء بلد المستورد، فإن هذه المعاملة فاسدة، يمكن تصويبها بأن يفسخ العقد، ويتسلم البنك البضاعة من الميناء، ثم ينقلها البنك إلى مخازنه وعندئذ يعقد عقد البيع مع التاجر، ولذلك قال الفقهاء: ((هَذَا الْحُكْمُ يَشْمَلُ الْفَاسِدَ أَيْضًا عِنْدَ الْحَنَفِيَّة، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ يُفِيدُ بَعْضَ الْأَحْكَام؛ كَإِفَادَته الْمِلْكَ بِالْقَبْضِ في الْبَيْعِ مَثَلًا، إِلَّا أَنَّ الْإِقْدَامَ عَلَيْه حَرَامٌ، وَيَجِبُ فَسْخُهُ حَقًّا لِلَّهِ تَعَالَى دَفْعًا لِلْفَسَادِ؛ لِأَنَّ فِعْلَهُ مَعْصِيَةٌ، فَعَلَى الْعَاقِدِ التَّوْبَةُ مِنْهُ بِفَسْخِهِ))(٣٠).

أما في حالة البطلان، كأن يُبرم العقد والبضاعة في طريقها إلى ميناء بلد التاجر في عرض البحر أو في ميناء المصدر ولم يتسلم البنك بوالص الشحن بعد، ويتبين من تاريخ البيعتين بعد التسليم بالتدقيق الشرعي أن عقد البيع تم قبل تسلم البنك للبضاعة، ولا وكل الموعود بالاستلام، فأين تعكس الأرباح؟ على الأرباح الحلال أو على حساب المكاسب غير المشروعة؟، أما في التطبيق فيتم التحايل بأن يقوم الموظف بعدم كتابة تاريخ البيعتين ثم بعد تمام العملية يكتب تواريخ المعاملات لتظهر للتدقق الشرعي بأنها معاملة تمت وفق إجراءات العمل، وقلما يتم ضبطها من قبل هيئة الرقابة الشرعية، فانحراف التطبيق الصحيح ينقل الأرباح محاسبياً إلى حساب المكاسب الخبيثة، ولذلك قال الفقهاء: ((الْعَقْدُ الْبَاطِلُ في اصْطِلَاحِ الْحَنَفِيَّة لَا وُجُودَ لَهُ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ، فَلَيْسَ لَهُ وُجُودٌ شَرْعِيٌّ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ عَدَمٌ، وَالْعَدَمُ لَا يُنْتِجُ أَثَرًا، وَهُوَ مَنْقُوضٌ مِنْ أَسَاسِه، وَلَا يَحْتَاجُ لِحُكْمِ حَاكِمٍ لِنَقْضِه، وَلَا تَلْحَقُهُ الْإِجَازَةُ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُنْعَقِدٍ أَصْلًا فَهُوَ مَعْدُومٌ، وَالْإِجَازَةُ لَا تَلْحَقُ الْمَعْدُومَ؛ لِأَنَّهُ مُتَلَاشٍ،

وَلَا يُمْلَكُ بِالْعَقْدِ الْبَاطِلِ مَا يُمْلَكُ بِغَيْرِهِ، وَإِذَا حَدَثَ فِيهِ تَسْلِيمٌ يَجِبُ الرَّدُّ، فَفِي الْبَيْعِ الْبَاطِلِ لَا يَنْتَقِلُ الْمِلْكُ بِالْقَبْضِ وَلِذَا يَجِبُ الرَّدُّ، يَقُولُ ابْنُ رُشْدٍ مِنْ الْمَالِكِيَّةِ: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْبُيُوعَ الْفَاسِدَةَ (وَهِيَ الْبَاطِلَةُ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ) إِذَا وَقَعَتْ وَلَمْ تَفُتْ، حُكْمُهَا الرَّدُّ، أَيْ أَنْ يَرُدَّ الْبَائِعُ الثَّمَنَ، وَيَرُدَّ الْمُشْتَرِي الْمُثَمَّنَ، (...) وَفِي الْإِجَارَةِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي لَيْسَتْ مَحَلًّا لِلْإِجَارَةِ، لَا تُمْلَكُ الْأُجْرَةُ وَيَجِبُ رَدُّهَا؛ لِأَنَّ أَخْذَهَا حَرَامٌ، وَتُعْتَبَرُ مِنْ أَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ))(٣١)، وعليه فيجب عكس المكاسب الخبيثة على حساب المال الحرام، ويصرف في مصارفة التي سيتم تحديدها.

الضابط الثالث: **عدم جواز الصرف من الكسب الخبيث على عمليات البنك**:

جاءت الفتاوى التي صدرت عن البنوك الإسلامية فيما يتعلق بالفوائد التي تؤخذ من ودائعهم الموجودة في البنوك الربوية بالنص على شكل تساؤل على النحو الآتي: هل يجوز للبنك أن يتصرف بالفائدة المأخوذة من (البنوك التجارية على أمواله المودعة لديها) في المجالات التالية: التدريب، الأبحاث والدراسات، القروض الحسنة، الدعاية والإعلان بما فيه مصلحة المجتمع الإسلامي، التبرعات للهيئات الإسلامية؟.

والجواب: لقد سبق وذكر لكم الرأي الشرعي في مسألة الفوائد الربوية التي تؤخذ اضطراراً من البنوك التجارية أنها توزع على الجهات المحتاجة ولا تدخل في أموال البنك ولا المودعين، وبهذا صدرت فتوى المجمع الفقهي في دورته ١٩٨٧م، وبناءً على نصها المذكور يجوز أن يتصرف البنك في الفوائد الربوية في المجالات المذكورة أعلاه(٣٢)، ومن الملاحظ أن الأموال المودعة خلال عام في البنوك الأجنبية في أحد المصارف المنشأة بأموال ربوية (...) تجاوزت مليون دولار(٣٣)، ولسوء الإدارات يتم صرفها على تغطية الجوائز الإسلامية؛ الحج والعمرة، بالجو أو البر، أو البحر، ورواتب الموظفين ورفاهة كبارهم، وأما كونها موضوعة اضطراراً، فلا يقبل، لأنها موضوعة بالاختيار والرضا مع وجود البديل، فالصرف من الكسب الخبيث على عمليات البنك والدعاية له وأجور الموظفين وجوائز حسابات الاستثمار، لا يحل، ولم يقل بحلِّه فقيه معتبر، وأما تحديد الصرف في وجوه الخير والمنفعة العامة؛ فقد ورد جوازه في المعيار السادس من المعايير الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية، ولقد نصت المعايير الشرعية على أنه "**يجب أن تصرف الفوائد وغيرها من الكسب غير المشروع في وجوه الخير وأغراض النفع العام، ولا تجوز استفادة المصرف منها بأي طريقة مباشرة كانت أو غير مباشرة، مادية أو معنوية،...**"(٣٤)، فأنت ترى أن المعيار اشترط أن لا ينتفع البنك من المكاسب الخبيثة بكل الصور المباشرة وغير المباشرة المعنوية أو المادية(٣٥)، والتطبيق على خلاف المعيار.

الضابط الرابع: دور البنك المركزي في منع غسيل المال الحرام بالصيرفة الإسلامية:

إن الدور الأساسي للدولة الإسلامية هو المحافظة على الدين وتقويته(٣٦)، وفي سوق الصيرفة يجب أن يقوم البنك المركزي بهذه المهمة، من خلال وضع القوانين والقواعد التي تمنع غسيل الأموال القذرة بطريقة إسلامية، وفي ظل خلو الزمان من الإمام القوّام؛ فلا بد لهيئة الرقابة الشرعية(٣٧) في المصرف المركزي من القيام بهذا الدور، ومنع اندفاع الأموال الخبيثة إلى طرق الاستثمار المشروعة، قبل أن تغسل بطريقة إسلامية، عبر قنوات الترشيد والتنقية؛ والقيم والأخلاق الإسلامية بما فيها قيمة التوبة، وذلك بالتخلص من المال الحرام، ولقد نص المعيار الشرعي للمؤسسات المالية الإسلامية على أنه «يجوز للمؤسسة إشراك غير المسلمين، أو البنوك التقليدية معها في عمليات مقبولة شرعاً، إلا إذا تبين أن المال المقدم، نقداً كان أو سلعاً، محرم، مع اتخاذ الضمانات اللازمة للالتزام بأحكام ومباديء الشريعة الإسلامية في تطبيق العمليات، وبأن تُدار من المؤسسة، أو من جهة أخرى ملتزمة بالشريعة» ويمكن تحليل هذا المعيار من خلال مُستنده، وهو:

أولاً: أن عدم مشاركة اليهودي أو النصراني ـ إشراك غير المسلمين ـ في المؤسسة كانت بسبب تعاملهم بالربا، أو بالعقود الباطلة، وهذه العلة منتفية في حالات أخذ الضمانات الكافية لتطبيق الأحكام الشرعية؛ فإذا كان المشترك بأسهم المؤسسة عند الإنشاء له بنك يعمل بالطريقة الربوية ومكاسبه خبيثة فإنه طبقاً لمفهوم المعيار؛ لا يجوز له أن يشترك في إنشاء مؤسسة إسلامية، لخبث ماله المكتسب من الربا، أو غيرها من المكاسب الخبيثة، فيَجْدُرُ بالهيئة الشرعية التابعة للمصرف المركزي أن تمنعه من إنشاء مصرف إسلامي؛ لأنها إن وافقت قامت بمساعدته على غسيل المال بطريقة إسلامية، وهو من باب التعاون على الإثم والعدوان المنهي عنه: ﴿....وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.......(٢) ﴾ [المائدة:٥]، ومن وجهة نظر المصرف المركزي جلب لرأسمال جديد لسوق الاستثمار في الدولة، وهو ما تدحضه النصوص الشرعية بالاستغناء عن المال الحرام، ﴿ ....وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)﴾ [التوبة:٩]، فالرساميل الحلال بالالتزام بالقيم ومنها الالتزام بفكرة الحلال والحرام ييسرها الله تعالى.

والأمر الثاني، تعارض المعيار السادس من المعايير الشرعية التي تجيز للمؤسسات الربوية التحول إلى الصيرفة الإسلامية، مع هذا الضابط، وذلك لأن غسيل أموالها بطريقة شرعية له طريقة، وهناك إجراءات لنجاح هذا الغسيل القذر، عند تطبيق قواعد القيم المنظفة للمكاسب القذرة، على من يكتسب ماله من خبيث، بالتخلص منها، مع ما عليه من تبعات

عدم العودة لارتكاب هذه الكبيرة، أكل الربا، مما يشعرنا بوجود التضارب وعدم الانسجام مع حيثيات الشريعة بطريقة كلية، مع بنود المعيار السادس الشرعي للمؤسسات، وهذا كما قال الإمام الجويني: ((يستدعي ـ من المفتين والهيئات الشرعية ـ نخل الشريعة من مطلعها إلى مقطعها، وتتبع مصادرها ومواردها،...))[٣٨]، وعلى ذلك فعلى الهيئات الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية أن تمنع غسيل الأموال القذرة بطريقة إسلامية في إطار ما تضعه من معايير شرعية لها.

الضابط الخامس: منع توظيف الأموال الخبيثة في أسهم الشركات المالية الإسلامية:

إذا وجد المال الطيب الحلال يمكن أن نفتح مصرفاً إسلامياً بقوى بشرية إسلامية، إن أسهل طريقة لغسيل الأموال بطريقة إسلامية هو شراء أسهم لبنك إسلامي ناشيء، غير أن المعيار الإسلامي السادس للمؤسسات المالية لم يلاحظ حالة الإنشاء بمكاسب خبيثة، ولاحظ حالة الأموال بعد التحول إلى الصيرفة الإسلامية فقط، فقرر في البند ١/٧ ((يجب إيقاف طرق توظيف الأموال بالإقراض بفائدة، وإحلال صيغ الاستثمار والتمويل المشروعة محلها،...))[٣٩]، فالملاحظ مراعاته تطبيق أحكام الشريعة بعد التحول دون النظر إلى مصادر الأموال.

وفي البند ٢/٧ نص ((السعي ما أمكن على إنهاء القروض الربوية التي أقرضها البنك للغير قبل قرار التحول، سواءً كانت قصيرة الأجل أم طويلة الأجل ثم تحويل أصل مبالغ القروض إلى تمويلات متفقة مع أحكام ومباديء الشريعة الإسلامية، وما لم يستطع المصرف إنهاءه، فإنه يتخلص من فوائده على النحو المبين في البند (٢/١٠)[٤٠]، لكن كيف يتم ذلك لأموال أقرضت بالربا أن تتحول إلى تمويلات شرعية، وتحل مكاسبها؟. والملاحظ أن المعيار أغفل أن أصل هذه القروض من الرساميل مال مختلط بين الحلال والحرام من أموال المصرف الربوي، والثاني فيه غالب؛ لأن أموال البنك نتيجة لقروض (فوائد ربوية) وإيرادات الخدمات المصرفية (عمولات)، والأولى تتجاوز ٧٥٪ من الإيرادات، بالإضافة إلى الخدمات المحرمة التي يقدمها، فالحرام هو الغالب فكيف نُدَوِّرُه بتمويلات متفقة مع أحكام الشريعة الإسلامية؟.

كما أن من الضروري أن لا تسمح المصارف المركزية لأعضاء مجالس الإدارة في البنوك الربوية في الاستثمار بروؤس أموالهم في مصارف إسلامية قبل إعلانهم الإقلاع التام عن الصيرفة الربوية، وتقوم بالتحقق من هذه المهمة الهيئة الشرعية التابعة للمصرف المركزي، حال وجودها، وعند وجود دولة تطبق أحكام الشريعة في نظامها الاقتصادي.

المبحث الثاني: التحلل من الكسب الخبيث[٤١]:

التوبة من القيم الدينية المهمة التي من خلالها يستطيع المسلم أن يفك قيوده المعنوية وينطلق بحرية نحو ربه، متخففاً من الذنوب التي ارتكبها، ومنها التخلص من المكاسب الخبيثة الآثمة التي اكتسبها بطرق تخالف مقصد الشارع من امتلاك الحلال، وبما أنه اكتسب من حرام فقد جعل له الشارع الحكيم طرقاً للتطهر من هذا الحرام.

المطلب الأول: التوبة من المكاسب الخبيثة:

لقد ذَكَرَ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ أَنَّ لِلتَّوْبَةِ أَرْبَعَةَ شُرُوط: الْإِقْلَاعَ عَنْ الْمَعْصِيَةِ حَالًا، وَالنَّدَمَ عَلَى فِعْلِهَا فِي الْمَاضِي، وَالْعَزْمَ عَزْمًا جَازِمًا أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِهَا أَبَدًا، وَإِنْ كَانَتْ الْمَعْصِيَةُ تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ، فَيُشْتَرَطُ فِيهَا رَدُّ الْمَظَالِمِ إِلَى أَهْلِهَا أَوْ تَحْصِيلُ الْبَرَاءَةِ مِنْهُم[٤٢]، وبهذا فإن أساس التوبة في الجانب المالي التخلص من المال الحرام في وجوه البر وليس غسلها بطريقة إسلامية، فقد قال تعالى: ﴿ **الذِينَ يَأْكُلُونَ الربَا لَا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الذِي يَتَخَبطُهُ الشيْطَانُ مِنَ الْمَس ذَلِكَ بِأَنهُمْ قَالُوا إِنمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الربَا وَأَحَل ا الْبَيْعَ وَحَرمَ الربَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى ا وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ ا الربَا وَيُرْبِي الصدَقَاتِ وَا لَا يُحِب كُل كَفارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِن الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصلَاةَ وَآتَوُا الزكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا ا وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الربَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ ا وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ** (٢٧٩)﴾ [سورة البقرة:٢]، قال القرطبي: «وهذا حكم من الله تعالى لمن أسلم من كفار قريش وثقيف ومن كان يتجر هنالك»[٤٣]، فمفهوم الآية أن لهم رؤوس أموالهم قبل المتاجرة بالربا؛ فلا يطبق الحكم نفسه على المسلم الذي يفتح بنكاً إسلامياً بمكاسب ربوية مع علمه بحرمة الكسب السابق، ويقول سيد قطب في الآية الثانية: ((..والتشريع ينشىء آثاره بعد صدوره...، فأما الذي سلف، فأمره إلى الله لا إلى أحكام القانون، وبذلك تجنب الإسلام إحداث هزة اقتصادية واجتماعية ضخمة لو جعل لتشريعه أثراً رجعياً...))[٤٤]، إن سيداً يتحدث عن العرب في الجاهلية الذين لم يأتهم تشريع بعد، أما المسلمون المصلون المزكون منشئو البنوك الإسلامية بأموال خبيثة؛ فلا ينطبق عليهم نص الآية في التوبة، وعليهم الالتزام بقاعدة التوبة الرابعة، والتخلص من المال الحرام، وليس غسله في الصيرفة الإسلامية.

ولقد حث الشارع الحكيم على الكسب الطيب، وحذر من الكسب الخبيث في النصوص فقد روي عن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((... وَلَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا مِنْ حَرَامٍ، فَيُنْفِقُ مِنْهُ

فَيُبَارَكُ لَهُ فيه، وَلَا يَتَصَدَّقُ به فَيُقْبَلُ منْهُ، وَلَا يَتْرُكُ خَلْفَ ظَهْره إلَّا كَانَ زَادَهُ إلَى النَّار(٤٥)، وَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ منْ سُحْت إلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى به))(٤٦)، وَالْحَرَامُ كُلُّهُ خَبيثٌ...وَالْكَسْبُ الْخَبيثُ هُوَ أَخْذُ مَال الْغَيْر لَا عَلَى وَجْه إذْن الشَّرْع، فَيَدْخُلُ فيه الْقمَارُ وَالْخدَاعُ وَالْغُصُوبُ وَجَحْدُ الْحُقُوق وَمَا لَا تَطيبُ نَفْسُ مَالكه، أَوْ حَرَّمَتْهُ الشَّريعَةُ وَإنْ طَابَتْ به نَفْسُ مَالكه كَمَهْر الْبَغيِّ وَحُلْوَان الْكَاهن وَأَثْمَان الْخُمُور وَالْخَنَازير وَغَيْر ذَلكَ، وَالْوَاجبُ في الْكَسْب الْخَبيث تَفْريغُ الذِّمَّة وَالتَّخَلُّصُ منْهُ بردِّه إلى أَرْبَابه إنْ عَلمُوا، وَإلَّا إلَى الْفُقَرَاء.

وقَالَ الْغَزَالي: إذَا كَانَ مَعَهُ مَالٌ حَرَامٌ، وَأَرَادَ التَّوْبَةَ وَالْبَرَاءَةَ منْهُ، فَإنْ كَانَ لَهُ مَالكٌ مُعَيَّنٌ وَجَبَ صَرْفُهُ إلَيْه أَوْ إلَى وَكيله، فَإنْ كَانَ مَيِّتًا وَجَبَ دَفْعُهُ إلَى وَارثه، وَإنْ كَانَ لمَالك لَا يَعْرفُهُ، وَيَئسَ منْ مَعْرفَته، فَيَنْبَغي أَنْ يَصْرفَهُ في مَصَالح الْمُسْلمينَ الْعَامَّة كَالْقَنَاطر وَالرُّبُط وَالْمَسَاجد وَمَصَالح طَريق مَكَّةَ وَنَحْو ذَلكَ ممَّا يَشْتَركُ الْمُسْلمُونَ فيه، وَإلَّا فَيَتَصَدَّقُ به عَلَى فَقير أَوْ فُقَرَاء(٤٧)، وقد نص المعيار السادس من المعايير الشرعية في البند ٢/١٠ على أنه ((يجب أن تصرف الفوائد وغيرها من الكسب غير المشروع في وجوه الخير وأغراض النفع العام، ولا تجوز استفادة المصرف منها بأي طريقة مباشرة كانت أو غير مباشرة، مادية أو معنوية))(٤٨)، فقيام المصارف بالإفادة من المكاسب الخبيثة في تدريب القوى العاملة لديها، ومنح العملاء جوائز حج وعمرة، وزواج عزاب، ودفع رواتب الموظفين، ونحوها تظهر المخالفة للمعيار في هذا النوع من الصيرفة ذات الكسب الخبيث، فتفيد منها بكل الطرق المباشرة وغير المباشرة المادية والمعنوية.

المطلب الثاني: مصارف المكاسب الخبيثة:

حددت المعايير الشرعية مصارف المال الخبيث، وذكرت بعضاً منها الفتاوى الصادرة عن البنوك نحو(٤٩): التدريب والبحوث وتوفير وسائل الإغاثة، وتوفير المساعدات المالية للدول الأعضاء وتقديم المساعدات العينية لها، وكذلك المؤسسات العلمية؛ والمعاهد، والمدارس، وما يتصل بنشر المعرفة الإسلامية، وغير ذلك من الوجوه، يشعر بأن الأموال المكتسبة بهذه الطريقة هائلة تكفي لتغطية هذه المصارف؛ فقد أشرنا سابقاً إلى أن المعايير الشرعية تشترط أنه لا يجوز للمصرف الإفادة منها بأي طريقة مباشرة كانت أو غير مباشرة، مادية أو معنوية، ولذلك يجب على المصارف الالتزام بالمعايير الشرعية.

أما أن يجعل البنك الفائدة التي يحصل عليها لتدريب الموظفين الكبار والصغار لفائدة العمل داخل المصرف، وطبع المطبوعات الدعائية للبنك، والصرف على برامج الدعاية، في التلفاز والمذياع والصحف، وتغطية جوائز الحج والعمرة، وجوائز الزواج(٥٠)، من خلال الإيرادات الخبيثة، فإن هذا الصرف يناقض معايير التخلص من المال الحرام، والخلاصة أنه يتوجب عليه الالتزام بقيمة التوبة، والتخلص من المال الحرام في مصارفه، وليس غسله بطريقة إسلامية.

المبحث الثالث: إعادة تدوير الكسب الخبيث بالاستثمار الشرعي[٥١]:

يشبه إعادة تدوير الكسب الخبيث في عجلة الصيرفة الإسلامية بعمليات تبيض الأموال؛ فنقل الأموال المكتسبة من مصادر حرام إلى أماكن أخرى؛ وتوظيفها في مشاريع إنتاجية اقتصادية، لتصبح رساميل منتجة بالنسبة لهذه المشاريع، من غير معرفة الدولة ـ التي دخلتها هذه الأموال ـ عن مصادر هذه الأموال، وفي غالب الأحيان بمعرفة أو بتواطؤ الدولة التي دخلتها الأموال هو المقصود بالتبييض.

المطلب الأول: معنى إعادة التدوير:

العنصر الأساس في عملية إعادة استثمار الأموال المكتسبة بطريق الربا في الصيرفة الإسلامية، هي عملية تبييض للمال الحرام لكن بطريقة إسلامية، من غير أن يلحق بالمرابي عقوبة بأن يتوب إلى الله ويرد الأموال التي اكتسبها إلى مُلَّاكِهَا الحقيقيين، في نظر الشرع، وبهذا يتم إخفاء مصدر الأموال التي دخلت المشروعات الاقتصادية الإسلامية، ولذلك تعرَّف عملية تبييض الأموال أو غسيل الأموال القذرة بأنها: ((عملية من شأنها إخفاء المصدر غير المشروع الذي منه الأموال))[٥٢]، ونقصد بإعادة التدوير في الصيرفة الإسلامية، إعادة استثمارها من غير تحقق شروط التوبة عن الكسب الخبيث.

المطلب الثاني: حكم إعادة التدوير للكسب الخبيث:

الرأي الشرعي في هذه العملية: أن الإسلام لا يقبل لأتباعه مزاولة الكسب غير المشروع؛ فالمال المكتسب بسبب مال حرام؛ كالربا، يأخذ الحكم نفسه ؛ فالقاعدة الفقهية تنص على أن: ((التَّابِعُ تَابِعٌ))[٥٣] (...) فهو لَا يُفْرَدُ بِالْحُكْمِ; لِأَنَّهُ إنَّمَا جُعِلَ تَبَعًا، فالأرباح المتأتية من أصل اكتسب بالربا، ولو كان بطبيعة الاستثمار الشرعي فهو يتبع الأصل، فلا يجوز إفراده بحكم الحل، نظراً للقاعدة الفقهية، فتبعيتها للمال الحرام حاصل.

فالإسلام يمنع أتباعه من تجارة المخدرات، وكذا التعامل بمعاملات ربوية تخالف شرع الله تعالى، ولا تبييض للمال في الإسلام؛ فالمال الذي يكتسب من الحرام وبطرقٍ حرام، لا يجعله الغسيل مالاً حلالاً مهما مارسنا عليه من الحيل، فهل يجيز أحد من الفقهاء لتاجر مخدرات حقق أموالاً طائلة أو غانية أو راقصة، أن يعيد استثمار أمواله بطريقة فتح بنك إسلامي بهذا المال الخبيث.

إن الإسلام يضع العقوبات الرادعة لمن يخالفون شرع الله تعالى، فيتجاوز حدود الله تعالى ويرتكب المخالفات، وموقف الإسلام من المال المبيّض هو موقفه نفسه من المال الحرام، لا يجوز للمسلم أن ينتفع به، وإنما عليه إنفاقه في أوجه الخير؛ كالجمعيات الخيرية،

والمنظمات الإنسانية، والفقراء والمحتاجين؛ فإن هذا المال حكمه حكم كل مال مكتسب بطريق غير مشروع؛ فلا يجوز حرقه أو إتلافه، وإنما استغلاله واستثماره فيما يعود على المسلمين بالخير، كما أنه لا يجوز أن يفتح مؤسسة مالية أو بنكاً يمارس الربا أو ينقل أمواله التي كسبها بالربا؛ ـ كما يفعل أرباب البنوك الربوية ممن همهم تحقيق الربح فقط؛ ـ إلى الاستثمار في الصيرفة الإسلامية، إذ إن ذلك يخالف قواعد الإسلام بشأن التوبة وطريقة التخلص من المال الحرام، فالمكتسب من الربا هو حرام بكل استخداماته، فلا ينقلب الربوي بالاستثمار الحلال إلى الحل، لأن الشرط الرابع من شروط التوبة عن الكسب الخبيث هو إهلاكه في وجوه الخير، وليس استثماره بالطرق المشروعة، كما نص الفقهاء على حرمة إعادة تدوير المال الحرام في عجلة الاقتصاد وذلك بمفهوم قولهم: ((**وَالْمَالُ الْحَرَامُ كُلُّهُ خَبَثٌ لَا يَطْهُرُ، وَالْوَاجِبُ فِي الْمَالِ الْحَرَامِ رَدُّهُ إلَى أَصْحَابِهِ إنْ أَمْكَنَ مَعْرِفَتُهُمْ وَإِلَّا وَجَبَ إخْرَاجِهِ كُلَّهُ عَنْ مِلْكِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّخَلُّصِ مِنْهُ لَا عَلَى سَبِيلِ التَّصَدُّقِ بِهِ وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ**))(٥٤)؛ فالمال الخبيث كله حرام لا يطيبه إعادة التدوير في عجلة الصيرفة الحلال.

المبحث الرابع: الآثار القيمية للمكاسب الخبيثة على المصارف الإسلامية وعملائها:

هناك آثار قيمية على كاسب المال بطريق تخالف مراد الشارع من الكسب؛ تؤثر على أدائه للعبادة، ونذكر أعظمها، وهي الآثار القيمية التي لها علاقة بموضوع بحثنا؛ كمطاردة لعنة الربا للمال الحرام، وانتزاع البركة من الكسب نفسه، ومحق ماله نتحدث عنها في الآتي:

المطلب الأول: الحج والعمرة اللذان تقدمهما بعض المصارف أو النوافذ الإسلامية على شكل جوائز:

تقدم بعض المصارف جوائز حج وعمرة بالبر والجو؛ أو سيارات، والسؤال المطروح هنا هو: هل هذه الجوائز جائزة شرعاً، هل إذا قمت بطاعة من كسب خبيث تسقط فرضيته عنك؟ نحو أن يكسب مالاً من ربا، أو قمار، أو تجارة مخدرات، أو رقص وخنا، أو بيت للدعارة، وأراد القيام بطاعة، من حج أو عمرة، فهل تسقط عنه العبادة المفروضة وهل يحصل الثواب، هل يجوز له أن يبني بها مسجداً؟

الفرع الأول: حكم الجوائز التي تقدمها بعض المصارف التي ركبت موجة الإسلامية:

جاء في فتوى هيئة الرقابة الشرعية لبنك فيصل الإسلامي السوداني ما يلي: [يجوز أن يمنح البنك جوائز لأصحاب ودائع الادخار دون علم سابق من جانبهم وكيف يحددها البنك بحيث تتعدد وتتباين صور هذه الجوائز في كل مرة، ولا تكون في فترات ثابتة، حتى تصبح

هي الدافع للادخار ولا يجوز تقديم جوائز للمدخرين بصورة معلنة ومتكررة، وإن كانت غير مشروطة في عقد وديعة الادخار لأن ذلك سيصير بمرور الزمن عرفا وبالتالي يأخذ حكم المنفعة المشروطة في عقد الوديعة، وبما أن أصحاب الودائع أذنوا للبنك في التصرف في ودائعهم ، وضمن البنك ردها إليهم فإنها تأخذ حكم القرض ، ولا يجوز اشتراط منفعة للمقرض] (٥٥).

أقول: الجوائز التي تقدمها بعض المصارف الإسلامية على حساب التوفير حجاً أو عمرة أو للزواج،أو السيارة، بمرور الزمن أصبحت عرفاً والناس يفتحون الحسابات من أجلها، والقصد المعلن منها؛ مساعدة الناس على الطاعات، والحقيقة أنها توضع أموالاً في حسابات العملاء ولا يشترط فيهم القيام بالحج أو العمرة؛ بل أغلبهم لا يحج ولا يعتمر، فما الفرق بينها وبين جوائز البنوك الربوية ولذا أرى أنها حرام لا تحل، لعدم وجود دليل يدل على مشروعيتها، كما أنها تناقض مقاصدها القيمية، وجرت هذه الحسابات على أصحابها منافع، كما أن مصادر الأموال التي تدفع منها الجائزة ليست أرباح المساهمين، ولا من احتياطات البنك، بل بعض البنوك تدفعها من مكاسبها الخبيثة.

الفرع الثاني: الحج والعمرة بالأموال التي تقدمها المصارف على شكل جوائز:

اختلف الفقهاء فيمن أدى الحج مثلاً من كسب خبيث نحو الربا والرشا والغصب، وهو يعلم أنه مال حرام على أقوال:

القول الأول: ذهب الحنفية، والشافعية، وقول للمالكية، وقول في مذهب الحنابلة، إلى أن المال في الحج شرط للوجوب وليس شرطاً للصحة؛ فلا تلازم بين ما ينفقه الحاج وبين ما يقوم به من أعمال؛ فالحكم هو الصحة ممن أدى فريضة الحج من مال حرام ويجزئ عنه حجه من حيث إسقاط الفريضة وبراءة الذمة، لكنه يأثم بإنفاق المال الحرام في أداء الطاعة.

قال ابن عابدين فِيمَنْ حَجّ بِمَالِ حَرَام: ((كَالْحَجِّ بِمَالِ حَرَام، (...) إنَّ الْحَجَّ نَفْسَهُ الَّذِي هُوَ زِيَارَةُ مَكَان مَخْصُوص (...) لَيْسَ حَرَامًا؛ بَلْ الْحَرَامُ هُوَ إنْفَاقُ الْمَالِ الْحَرَام، وَلَا تَلَازُمَ بَيْنَهُمَا، مَعَ أَنَّهُ يَسْقُطُ الْفَرْضُ عَنْهُ مَعَهَا وَلَا تَنَافِي بَيْنَ سُقُوطه، وَعَدَم قَبُوله فَلَا يُثَابُ لِعَدَمِ الْقَبُول، وَلَا يُعَاقَبُ عِقَابَ تَارِك الْحَجِّ؛...))(٥٦)، ومع ذلك نصوا على: ((وَيَجْتَهِدُ فِي تَحْصِيل نَفَقَة حَلَال، فَإِنَّهُ لَا يُقْبَلُ بِالنَّفَقَةِ الْحَرَام كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيث، (..) الْقَبُولُ الْمُتَرَتِّبُ عَلَيْه الثَّوَابُ يُبْتَنَى عَلَى أَشْيَاء كَحِلِّ الْمَالِ وَالْإِخْلَاص))(٥٧). وَقَالَ الشَّافِعِيَّةُ كَمَا نَقَلَهُ النَّوَوِيُّ عَنْ الْغَزَالِي وَأَقَرَّهُ: إذَا لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ إلَّا مَالٌ حَرَامٌ مَحْضٌ فَلَا حَجَّ عَلَيْهِ وَلَا زَكَاة، وَلَا تَلْزَمُهُ كَفَّارَةٌ مَالِيَّةٌ(٥٨).

ورجح القرافي صحة الحج بالمال الحرام بقوله ((الْفَرْقُ السَّبْعُونَ (...) أَوْ يَحُجُّ بِمَالٍ حَرَامٍ كُلُّ هَذِهِ الْمَسَائِلِ عِنْدَنَا سَوَاءٌ فِي الصِّحَّةِ خِلَافًا لِأَحْمَد، (...) وَإِذَا حَصَلَتْ حَقِيقَةُ الْمَأْمُورِ

به مِنْ حَيْثُ الْمَصْلَحَةُ كَانَ النَّهْيُ مُجَاوِرًا))[٥٩]، وذكر ابن رجب ما نصه: ((أَمَّا الْحَجُّ بِالْمَالِ الْمَغْصُوبِ (..) رَجَّحَ ابْنُ عَقِيلٍ الصِّحَّةَ (..) وَمَنَعَ كَوْنَ الْمَالِ شَرْطًا لِوُجُوبِهِ لأَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْقَرِيبِ بِغَيْرِ مَالٍ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ شَرْطٌ فِي حَقِّ الْبَعِيدِ خَاصَّةً))[٦٠]، أما الأدلة التي استدلوا بها فيمكن تلخيصها مما سبق[٦١]:

١. إن الحج بنفسه عبادة تتحقق بزيارة مكان مخصوص للقيام بأفعال مخصوصة، فإذا تحقق ذلك بمال خبيث؛ كالربا، لم يكن مبطلاً للفريضة؛ لأنه لا تلازم بين أداء الأعمال وبين النفقة من المال الخبيث، فالحرمة جاءت لشيء خارج عن ماهية أفعال الحج؛ فيصح.

٢. أن الاستطاعة المالية ليست شرطاً في صحة الحج من حيث هو عبادة، وإنما وجود المال شرط في وجوب الحج على المسلم، ولو كان المال شرطاً لما صح من الفقير إن تمكن من أدائه.

القول الثاني: **ذهب المالكية وقول عند الحنابلة[٦٢]، وقول عند الشافعية، إلى أن الحج بالمال الحرام لا يجزئ ولا يبرئ الذمة**:

فقد نص المالكية على عدم الجواز بقولهم: ((**نَقَلَهُ الْقَرَافِيُّ وَغَيْرُهُ، نَعَمْ مَنْ حَجَّ بِمَالٍ حَرَامٍ فَحَجُّهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ كَمَا صَرَّحَ بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَقَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ**: **لا يُجْزِئُهُ لأَنَّهُ سَبَبٌ غَيْرُ مَشْرُوعٍ، وَذَكَرَ ابْنُ فَرْحُونٍ فِي** مَنَاسِكِهِ وَقَالَ: قُلْت: وَرَأَيْت فِي بَعْضِ الْكُتُبِ لَمْ يَحْضُرْنِي الآنَ عَنْ مَالِكٍ، عَدَمَ الإِجْزَاءِ، **وَأَنَّهُ وَقَفَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَنَادَى أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لا يَعْرِفْنِي فَأَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ مَنْ حَجَّ بِمَالٍ حَرَامٍ فَلَيْسَ لَهُ حَجٌّ**))[٦٣]، **وقد نص الحنابلة في الرواية الثانية على**: ((**الْحَجُّ بِالْمَالِ الْمَغْصُوبِ فَفِي صِحَّتِهِ رِوَايَتَانِ**))[٦٤]، ذلك أن النفقة في الحج شرط من شروط صحة الحج لا شرطاً من شروط الأداء والوجوب، وإن كانت من شروط الوجوب فهي كشرط الصحة، فمن حج من المال الحرام يجب عليه أن يعيد الحج من المال الحلال حتى تبرأ الذمة وتسقط الفريضة، هذا ويمكن تلخيص الأدلة التي استدلوا بها مما سبق بما يأتي:

١. **العبادات التي لها جانب مالي نحو الحج**؛ لا تكون مقبولة عند **الله** تعالى إلا إذا كانت من مصدر كسب طيب مشروع، والاستطاعة المالية شرط لوجوب الحج؛ (فَالْمَالَ شَرْطٌ لِوُجُوبِهِ، وَشَرْطُ الْوُجُوبِ كَشَرْطِ الصِّحَّةِ)، فمن لا يملك المال لا يجب عليه الحج، ولا يجوز له أن يكتسب من حرام لإسقاط الفرض.

٢. **كما أن المصدر الخبيث لا يسقط العبادة**؛ لأن المال المكتسب بالربا مثلاً أو المخدرات، لا يملكه المسلم بحيازته له، بل الواجب أن يرده إلى مالكه لتبرأ ذمته أمام **الله** تعالى، فإذا أنفق مما لا يملك كان متعدياً؛ فلا يسقط الفريضة، فهل يجوز أن يأكل المسلم الربا؛ لأجل بناء مسجد، أو مدرسة دينية، أو لأيتام، وكذلك الحج فهو تقربٌ **لله** تعالى؛ فلا

ينبغي بالكسب الخبيث، ففي الحديث: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)﴾ [سورة المؤمنون:٢٣] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ .. (١٧٢)﴾ [سورة البقرة:٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ))[٦٥]، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ ﷺ يُطِيلُ لِأَنَّ الصِّفَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ غَالِبًا لَا تَكُونَانِ إِلَّا فِيهِ قَالُوا: فَلَوْ حَجَّ بِمَالٍ حَرَامٍ لَا يُجْزِئُهُ وَحَجُّهُ بَاطِلٌ[٦٦].

٣. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ... وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)﴾ [البقرة:٢]، ومن حج بمال حرام كان زاده من أسوأ زاد، فلا يكون من التقوى ولا يقبل منه.

٤. وكذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)﴾ [المائدة:٥]، فإذا حج المسلم من المال الحرام لم يكن من المتقين؛ لأنه لم يكتسب من الطرق التي أرادها الله تعالى للكسب، فخالف أوامره سبحانه، ومن ثم لا يكون من الذين يتقبل الله منهم أعمالهم[٦٥].

٥. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ (١٦٧)﴾ [سورة البقرة:٢]، فالآية تأمر بالإنفاق الطيب في عبادة مهمة ألا وهي الزكاة[٦٨]، وتنهى عن الإنفاق الخبيث، والحج بمال الربا من الثاني وليس من الأول، وإن كان الأمر في الزكاة فهو في الحج أوجب.

٦. وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ: لَا لَبَّيْكَ وَلَا سَعْدَيْكَ زَادُكَ حَرَامٌ ونفقتك حَرَامٌ وحجك مَأْزُورًا غَيْرَ مَبْرُورٍ))[٦٩]، وإن كان الحديث مرسلاً فإنه في متنه صحيح.

والخلاصة: إن الحج أو العمرة بالكسب الخبيث الذي يكسبه المسلم بالربا أو الجوائز التي توزعها المصارف الربوية أو الإسلامية المنشأة بمكاسب خبيثة وحتى لو سمتها جائزة، فيها قولان للفقهاء: قول كثير من الفقهاء بالصحة ممن أدى فريضة الحج من مال حرام وبجزيء عنه حجه من حيث إسقاط الفريضة وبراءة الذمة، لكنه يأثم بإنفاق المال الحرام في أداء الطاعة.

والثاني: لا بجزيء ولا يبرئ الذمة. مع ملاحظة أن الواقع الماثل أن الذين لهم مكاسب خبيثة يحجون أكثر من مرة لعدم قناعاتهم بما يقومون به[٧٠]، مما يدل على أن الحج الأول لم يحقق مقاصده.

وبناء المسجد من مال المرابي أو من كسب خبيث لا يحل للأدلة التي استدل بها الفريق الثاني من الفقهاء في المسألة السالفة.

المطلب الثاني: الآثار القيمية للمكاسب الخبيثة على الشركات المالية الإسلامية:

يقوم التجسيد للصيرفة الإسلامية على تجسيد القيم الإسلامية الصحيحة في ميدان الصيرفة الإسلامية، فلا يجوز أن تقلب القيم، فتجسد القيم الخبيثة، ومن الآثار القيمية للمكاسب الخبيثة ما يأتي:

١. قلب القيم الاقتصادية الإسلامية عند الناس:، فبدلاً من تحفيز الناس على الكسب الطيب، يتجسد لديهم أصالة الكسب الخبيث الحرام، فلا يميزون بين كسب يوصل إلى الجنة، وآخر يوصل إلى النار، ولهذا يقول رسول **الله** ﷺ: ((إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ))(٧١)، فعندما تترسخ القيم السلبية للكسب، يصبح الخبيث الأسهل منالاً هو الأصل، في ظل الثقافة العلمانية السائدة؛ بالإضافة لعكس ضوابط النشاط الاقتصادي وعلى رأسها «الإبقاء على فكرة الحلال والحرام مهيمنة على عناصر النشاط الاقتصادي(٧٢)»، فعند تعمد المسلم واعتياده الأكل من الربا، فإنه عندئذ لا يفرق بين الأكل الحلال أو الحرام للمال، ولذلك تقول العامة هذه أذني، وهذه أذني، لما يرونه من الحيل.

٢. خرق مبادئ الإسلام في شأن الحلال والحرام؛ فالتحايل على الحرام باستثماره في الحلال لا يجعل المال حلالاً؛ وإنما المتولد من الحرام حتى ولو كان بطريق حلال، فهو حرام يتبع أصله(٧٣).

٣. مطاردة لعنة الربا لهذه المصارف، وللمتعاملين معها بمعاملات تسللت إليها الفوائد المحرمة، أو المعاملات الفاسدة؛ فالنص القرآني المحرم للكسب الخبيث المأخوذ عن طريق الربا، وصف هذه الآثار القيمية فقال: ﴿**الذِينَ يَأْكُلُونَ الربَا لَا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الذِي يَتَخَبطُهُ الشيْطَانُ مِنَ الْمَس...(٢٨٥) يَمْحَقُ ا الربَا وَيُرْبِي الصدَقَاتِ وَا لَا يُحِب كُل كَفارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)... فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ ا ِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)**﴾ [سورة البقرة:٢]، والمرابي أعلن **الله** ورسوله عليه الحرب، فما آثار هذه الحرب عليه، غير الدمار والخسران في الدنيا والآخرة.

٤. انتزاع البركة(٧٤) من أموال هذه البنوك والعملاء؛ لأنه لا يدخل الربا مالاً إلا محق بركته، فقد قالﷺ: ((...**وَلَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا مِنْ حَرَام، فَيُنْفِقُ مِنْهُ فَيُبَارَكُ لَهُ فِيه، وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلُ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ**))(٧٥)؛ فالحديث يظهر أن منفق المال الحرام لن يبارك له في إنفاقه قط، «الحرام مشؤوم منزوع البركة منعدم الفائدة»، والبركة هي النماء المعنوي الذي يضعه **الله** في المال بتأييده وتسديد درب استثماره الناجح المربح.

٥. حقق الإسلام عند تحريمه للكسب الخبيث أهدافاً عدة اجتماعية واقتصادية[٧٦]، منها إقامة العلاقات بين الناس على أساس من العدل والأخوة، ورعاية الحرمات، كما قضى على أهم عامل يخلق الفوارق بين طبقات المجتمع، وهو المكاسب الخبيثة، **ولقد قَالَ السَّرَخْسِيُّ: ذكرَ اللَّهُ تَعَالَى لِآكِلِ الرِّبَا خَمْسًا مِنْ الْعُقُوبَاتِ فقَالَ**[٧٧]: (**عقوبات آكل الربا ومؤكله وشاهديه**):

إِحْدَاهَا: التَّخَبُّطُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ... (٢٨٥)**﴾، وهذا عين ما عليه البنوك المنشأة بمكاسب خبيثة، من تخبط وتخليط بين الحلال الطيب والخبيث، وسرعة دوران للقوى البشرية فيها[٧٨]، إضافة إلى تخبطها في الهندسة المالية الموجودة لديها.

الثَّانِيَةُ: الْمَحْقُ(...) قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَمْحَقُ ا ُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَا ُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)**﴾ وَالْمُرَادُ: الْهَلَاكُ وَالِاسْتِئْصَالُ، وَقِيلَ: ذَهَابُ الْبَرَكَةِ وَالِاسْتِمْتَاعِ حَتَّى لَا يَنْتَفِعَ بِهِ، وَلَا وَلَدُهُ بَعْدَهُ، والتعبير بالمضارع يفيد الاستمرار بالمحق[٧٩]، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن مسعود، رَفَعَهُ، قَالَ: ((إِنَّ الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ عَاقِبَتُهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ))[٨٠]، قال ابن الأثير: القُلُّ: أي إنه وإن كان زيادة في المال عاجلاً؛ فإنه يؤول إلى نقص، ولكن المحق ليس محق الزيادة كما قال الإمام محمد عبده؛ فإن ذلك مكابرة للمشاهدة والاختبار، وإنما المراد به ما يلاقي المرابي من عداوة الناس وما يصاب به في نفسه من الوساوس وغيرها[٨١].

الثَّالِثَةُ: الْحَرْبُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ ا ِ وَرَسُولِهِ .. (٢٧٩)**﴾

الرَّابِعَةُ: الْكُفْرُ (...) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا ا َ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِ َ** (٢٧٨)﴾ فقد نفى صفة الإيمان عنهم، وَقَالَ سُبْحَانَهُ بَعْدَ ذِكْرِ الرِّبَا: ﴿**يَمْحَقُ ا ُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَا ُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)**﴾ أَيْ: كَفَّارٍ بِاسْتِحْلَالِ الرِّبَا، أَثِيمٍ فَاجِرٍ بِأَكْلِ الرِّبَا.

الْخَامِسَةُ: الْخُلُودُ فِي النَّارِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥)**﴾، وَكَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا ا َ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** (١٣١)﴾[سورة آل عمران:٣]؛ فإذا كان آكل الربا هكذا، فمن باب أولى الذي يعيد استثمار المال الحرام.

المطلب الثالث: شراء وزكاة أسهم البنوك المنشأة بأموال ربوية:

مما سبق يظهر حرمة شراء أسهم البنوك التي تتعامل بالربا، وإذا ملك سهماً في شركة، ثم علم أنها تتعامل بالربا؛ فلا يجوز له أن يستمر في ملكية الأسهم، والواجب عليه أن يتصدق(٨٠) بالربح المرصود له، ويجب عليه أن ينكر على الشركة ذلك الاستثمار المخالف لشرع الله؛ فإن لم تترك الربا، فالواجب الخروج منها ببيع أسهمه.

وأما الأسهم التي مصدرها مال خبيث وهو الربا المكتسب من الاستثمار في البنوك الربوية، وأعيد تدويره على شكل أسهم في بنوك إسلامية فهو مال حرام، لا يملكه صاحبه، فلا تجب عليه الزكاة عنه، وإنما الواجب عليه التخلص من هذا المال الخبيث في مصارف المال الحرام حال توبته، فقد قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ... فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى ا ـ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥)﴾ [سورة البقرة:٢].

فلا تزكى هذه الأموال الخبيثة مع أن الزكاة عبادة مهمة من العبادات الإسلامية، وركن من أركان الدين؛ فقد جاء في الموسوعة الفقهية ما نصه: ((المال الحرام كالمأخوذ غصبًا أو سرقةً أو رشوةً أو ربًا أو نحو ذلك ليس مملوكًا لمن هو بيده، فلا تجب عليه زكاته; لأَنَّ الزَّكَاةَ تَمْلِيكٌ، وَغَيْرُ الْمَالِكِ لا يَكُونُ مِنْهُ التَمْلِيكُ; وَلأَنَّ الزَّكَاةَ تُطَهِّرُ الْمُزَكِّيَ وَتُطَهِّرُ الْمَالَ الْمُزَكَّى لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَا سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)﴾ [سورة التوبة:٩] فكيف تطهر المكاسب الخبيثة نفس ومال المزكي للكسب الخبيث؟، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ))(٨٣)، فكيف تخرج زكاة المال الحرام.

فإذا نظرنا إليها على أنها أموال مختلطة حلال وحرام؛ فالإمام الغزالي رحمه الله يرى « أنه يجب على المسلم التحري في مقدار الحرام فيخرجه، أما إذا كان أغلب ظنه أن الغالب هو الحلال فإنه يزكيه»(٨٤).

ومن باب الورع والتطهير، يجب على المزكي الاجتهاد في تقدير المال الحرام المختلط، ويتخلص منه في وجوه الخير لما فيه مصلحة الناس، ويزكي الجزء الحلال، مع التوبة النصوح والعزم الأكيد على عدم العودة للمعاملات المشتبه فيها، ودوام الاستغفار(٨٥)، فلا يجوز له تدويرها في الاستثمار المشروع.

والخلاصة: إن استثمار المال الخبيث بأسهم بنوك إسلامية، أو استثمار المال الحلال بأسهم بنوك إسلامية منشأة بمكاسب خبيثة، أمر ممنوع شرعاً، نظراً لضرورة أن تكون الغاية والوسيلة مشروعتين، أما بالنسبة للزكاة فلا تجب إلا في الأسهم ذات المصدر الحلال وأرباحها وهو غير موجود في الحالات المذكورة.

المبحث الخامس: تطبيقات مصرفية لمصارف منشأة بأموال ربوية:

لقد انزلقت بعض التطبيقات في بعض المصارف الإسلامية وكذا المنشأة بأموال خبيثة من التطبيق الشرعي إلى الحيل الربوية المحرمة، ولنطلق عليها انحرافات التطبيق، نحو التورق المنظم، وإعادة جدولة المرابحة للآمر بالشراء على طريقة البنوك الربوية وإن اختلفت آلية الجدولة، وتمويل الديون ونحوها ويتم في هذا الجزء إلقاء الضوء على هذه الانزلاقات التطبيقية.

المطلب الأول: تطبيقات المصارف المنشأة بأموال ربوية لبيع المرابحة:

الفرع الأول: انحراف التطبيقات لبيع المرابحة كما تجريها هذه المصارف[٨٦]: من خلال متابعة عمليات المرابحة الداخلية ميدانياً كما تجريها المصارف الإسلامية المنشأة بمكاسب خبيثة، وكذا بعض المصارف الرائدة التي انحرفت تطبيقاتها عن جادة الصواب، كانت هناك ملاحظات عدة، أهمها ما يأتي:

١. **لا يتحمّل البنك الإسلامي المنُشَأ بمكاسب خبيثة المسؤولية الكاملة تجاه البضاعة:**

إن البنك الإسلامي المنشأ بمكاسب خبيثة لا يتحمل أية مسؤولية تجاه البضاعة التي يشتريها على حساب الآمر بالشراء، **حيث الوعد الذي يوقعه العميل قبل الشراء ملزم له؛ كما يتحمل المخاطر كافة، ولا يتحمل المصرف منها شيئاً، وكثير منها كلف العميل الاتصال بالبائعين والمصدرين، والتفاوض على الأسعار، ومعاينة السلعة، ويكتب الشك ثمن البضاعة باسم المشتري ويعطى للبائع ليسلمه له، ويضمن ما في السلعة من عيوب.**

فقد جاء في عقد البنك الإسلامي «ر» مثلاً ومثله «ع» ما نصه: (يقر الفريق الثاني أنه قد طلب من الفريق الأول أن يشتري البضاعة المبينة أدناه ليبيعها له بالمرابحة بعد تملك الفريق الأول لها) ولكن الأمر صوري فقط، أما البنك « ع» فإن العقود أسرار عظيمة.- حيث إن البنك لا يتملك البضاعة تملكاً فعلياً، ومن مثل ذلك لا يتملك السيارة مثلاً المراد تمويلها بالمرابحة، فتكون من المالك الأصلي إلى المشتري مباشرة، فهذه العملية تعطي الباحث شبهة حول بيع المرابحة، وحقيقة التملك.

وهو مخالف للقاعدة الشرعية التي تنص على أن «الخراج بالضمان» «والغرم بالغنم»[٨٧]، إذ إن مسؤولية البنك تنحصر فقط في إتمام إجراءات العقد بكل شروطه وضماناته، بغض النظر عن حالة البضاعة المشتراة، حتى أنه لو تبين مستقبلاً، ولو بعد مدة وجيزة عيب في البضاعة المشتراة من قبل البنك ـ كعيب في سيارة اشتراها البنك لعميل، مرابحة ـ فإن البنك لا يتحمل أية مسؤولية، ولو أراد المشتري إرجاع السيارة بسبب العيب لرفض البنك ذلك، ولأجبره على إتمام العقد، مع كامل المبالغ المطلوبة منه، لأنه يعتمد على تقرير من مختص أو مختصين.

٢. البنوك الإسلامية المنشأة بمكاسب خبيثة تبيع ما لا تملك.

هذه البنوك تقوم ببيع السلع دون أن تكون مالكة لها بصورة حقيقة في كثير من الأحيان، وهذا يدخله في باب بيع ما لا يملك، فهو يتصرف كمن يملك البضاعة، ويحدد الأرباح والمبالغ التي ستدفع بعملية حسابية بسيطة وهذا مخالف للقاعدة التي تقول: (**لا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك الغير بلا إذن أو إباحة من الشرع أو بولاية**)[٨٨]، وفي بعض الحالات يكتفي مندوب البنك بفاتورة العرض الصورية، أو خطاب أسموه مستندي، يكتب فيه الآمر البضاعة المراد شراؤها وأسعارها، ولا يكلف البنك نفسه أية مشقة، مما يقلب المعاملة إلى تمويل مضمون الربح.

فالبنك الإسلامي يبيع قبل أن يملك، وهذا مخالف لقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح عن حكيم بن حزام، قال قلت يا رسول **الله** الرجل يسألني البيع وليس عندي، فأبيعه ؟ قال: ((لَا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ))[٨٩]، وفي حديث آخر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال ﷺ: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ **اللَّهِ** ﷺ ((لَا يَحِلُّ بَيْعُ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ وَلَا رِبْحُ مَا لَمْ يُضْمَنْ))[٩٠].

فالبنك الإسلامي يبيع ما ليس عنده ويحدد الربح، قبل أن ينقل المبيع من ضمان البائع الأول إلى ضمان البنك، حيث يعد العقد منعقداً وملزماً بمجرد الوعد بالشراء، وهذا مخالف صراحة لتوصيات المؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي، فقد أصدر المؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي بالكويت ١٩٨٣م توصيات أشير لبعضها سابقاً: ((٨ - يقرر المؤتمر أن المواعدة على بيع المرابحة للآمر بشرائها بعد تمليك السلعة المشتراة وحيازتها ثم بيعها لمن أمر بشرائها بالربح المذكور في الوعد السابق جائز شرعاً ....))[٩١]؛ فالبنك الإسلامي يبيع ما ليس عنده كثيراً من السلع باتفاقه مع الآمر بالشراء على شراء السلع المطلوبة، مع التعهد المكتوب الموقع عليه بالالتزام بالشراء، كما في عقد بيع المرابحة للآمر بالشراء المعمول به في البنك الإسلامي[٩٢]، ورغم أن الأسلوب الذي يعتمده البنك الإسلامي يتضمن عقدين للمواعدة والمرابحة مما يجعل البيع فاسداً، حيث يحصل التبايع قبل أن يملك البنك السلعة بصورة فعلية[٩٣]، وجاء في الاختيارات الفقهية: ومن اشترى شيئاً لم يبعه قبل قبضه، سواء المكيل والموزون وغيرهما، لأن البائع قد يسلمه، وقد لا يسلمه[٩٤].

٣. بيع المرابحة للآمر بالشراء كما تطبقه بعض البنوك الإسلامية بيعتان في بيعة.

إن عقد المرابحة للآمر بالشراء (ومنها المرابحة الداخلية) كما يطبقه البنك هو بيعتان في بيعة، وهو من المنهي عنه، فقد روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ((نَهَى رَسُولُ **اللَّهِ** ﷺ عَنْ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ))[٩٥]، فلو كانت العملية بيعتين كل واحدة منهما مستقلة عن الأخرى

فإنها لا تدخل في ذلك النهى[٩٦]، ولكن البنك الإسلامي « ر» مثلاً عندما يُكلَّف بعملية البيع للآمر بالشراء، فإنه يأخذ عربوناً، وبهذا يتصرف تصرف البائع، ويلزم الآمر بالشراء بتنفيذ العقد، وهذا يؤكد ما قال به الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: «ولا شك في أن الشراء الأول للبنك ثم البيع ما هما إلا عمليتين اثنتين في صفقة واحدة....»[٩٧]، حيث إن عملية بيع المرابحة للآمر بالشراء ليست عمليتين منفصلتين؛ بل هما عملية واحدة لترتب الشراء على قيام الوعد الملزم، ومع أخذ الضمانات الكافية، ولذا يجب على المصارف تصحيح الأوضاع، والالتزام الحقيقي بقرارات مجمع الفقه الإسلامي، والمعايير الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية.

الفرع الثاني: إعادة الجدولة للديون الناتجة عن البيوع الآجلة السداد:

من صور إعادة الجدولة التي تمارسها البنوك الإسلامية المنشأة بمكاسب خبيثة (نحو المرابحة للآمر بالشراء) كما يأتي[٩٨]:

١. عند عجز المدين (المشتري) عن الدفع، وعلم المصرف بهذا، رأى؛ تقديراً لظروفه ورأفة به، أن يدخل مع هذا المدين في شركة بقيمة الدين، وربما كان هذا التصرف يتعارض مع قول الحق تبارك وتَعَالَى في كتابه: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ...** (٢٨٠)﴾ [سورة البقرة:٢].

٢. ومن المصارف من لجأ إلى إعادة الاتفاق على نسبة الربح، بحيث تزيد هذه النسبة لصالح المصرف تبعاً للزمن الذي يتأجل إليه الدفع، ولعل هذا عين إعادة جدولة الديون الربوية، وربما كان فيه شبه من المبدأ الجاهلي: إما أن تقضي وإما أن تربي، ومن الحيل الجديدة للوصول إلى أرباح جديدة لعملية المرابحة نفسها، مع الانتباه إلى المعيار الشرعي[٩٩]، وكذا البند٥/٧: ((**لا يجوز تأجيل موعد أداء الدين في مقابل زيادة في مقداره (جدولة الدين) سواءً كان المدين موسراً أم معسراً**))[١٠٠]؛ ولكن كيف تتم إعادة الجدولة في المصارف الإسلامية المنشأة بأموال خبيثة؟ الملاحظ الآتي:

الصورة الأولى: فسخ بيع المرابحة مع العميل بعد حلول جميع الأقساط بسبب التخلف عن السداد للإعسار؛ وليس للمماطلة؛ وإعادة بيع السلعة لولده أو زوجه أو أخيه بمدة أطول من العقد الأول وبأرباح جديدة، وعكسه إذا عجل سداد الأقساط منحه جائزة سداد مبكر مزاجية التقدير.

الصورة الثانية: بعد أن حلت جميع الأقساط على العميل بسبب عدم تسديده للأقساط وعدم قدرة البنك على بيع الرهن، باعت للعميل الرهن نفسه لمدة جديدة وأرباح جديدة[١٠١]. ويلاحظ على الصور:

١. إن مستند تحريم الزيادة في الدين مقابل الزيادة في الأجل هو من قبيل الربا وهو ربا الجاهلية، إذ نصت المادة ٨/٥، من المعيار الثامن على أنه ((إذا وقعت المماطلة من العميل المدين بالأقساط؛ فإن المستحق هو مبلغ الدين فقط، ولا يجوز للمؤسسة أن تلزم العميل بأداء أي زيادة لصالحها))[١٠٢]، فالزيادة على أصل الدين الذي ثبت في الذمة محرمة؛ لإنها ربا، والحيلة من البنك بأيلولة السلعة للبائع الأول مع زيادة هي الفائدة الجديدة.

٢. وفي الصورة الثانية باع البنك الرهن وهو ملك العميل ولا يملكه البنك، وهو بيده وسيلة توثيق للدين الثابت في ذمة العميل، نتيجة المماطلة، أو الإعسار، بزيادة ربح (فائدة)، ليقوم بالتسديد من جديد لإعادة الجدولة الجديدة، وهو حرام شرعاً؛ لأن البنك باع ما لا يملك.

والمقترح أن تقوم المصارف بدراسة أوضاع العملاء قبل التمويل للتقليل من التعثر في المديونية، إضافة إلى الكفالات الكافية التي تساعدها على تحصيل مديونياتها لا إعادة جدولتها[١٠٣].

الفرع الثالث: **تمويل المديونية عن طريق المضاربة**:

يتم تمويل ديون المرابحة للعميل المراد استقطابه للصيرفة الإسلامية، ولديه حساب في بنك ربوي؛ يقوم بتمويل مشروعاته عن طريق التمويل الربوي (دائن ومدين)، وبعد أن يغرق في بحور الربا، يفتش عن دائن ومدين بطريقة المصارف المنشأة بمكاسب خبيثة ليريح ضميره قليلاً لوجود هيئة رقابة شرعية صورية، ويموَّل بتغطية ديونه كاملة في البنك الربوي بالمرابحة (شراء دينه بالمرابحة)، من أجل التحول إلى الصيرفة الإسلامية، وصدرت فتاوى مجيزة لهذا التمويل[١٠٤]، تجيز الفتوى في هذا المصرف تمويل العميل المتعثر في البنك الربوي إذا ما أراد الانتقال للمصرف الإسلامي عن طريق تمويله بالمضاربة بأن يقوم المصرف الإسلامي بسداد ما عليه كاملاً، كأنه شريكه في الصفقات التي اشتراها بالسقف الربوي، ويبدأ بالتسديد للديون الجديدة عن طريق سداد الأقساط للمصرف الإسلامي، مضافاً إليها الأرباح.

وبطلان الفتوى ظاهر إذ إن القصد النبيل لا تبرره الوسيلة المحرمة، فإن صافي العملية شراء نقود حالَّة بنقود مؤجلة، وربح محسوب على فترة السداد، فاجتمع فيها ربا الفضل والنساء معاً، وإن تسمَّت بالمرابحة للآمر بالشراء، أو المضاربة، إضافة إلى أنه لا وجود لسلع مشتراة ولا مبيعة في العملية، فإن التمويل بهذه الصورة عملية ربوية اجتمع فيها صنفا الربا الفضل والنساء.

المطلب الثاني: مشاركة هذه المصارف مع البنوك التقليدية في التمويل المصرفي المجمع:

نص المعيار الشرعي رقم (٢٤) في البند (٥)[١٠٥] بشأن هذه المشاركة على الآتي:
١/٥ الأصل أن يتم التمويل المصرفي المجمع بين المؤسسات المالية الإسلامية.
«٢/٥ لا مانع شرعاً من اشتراك البنوك التقليدية مع المؤسسات في التمويل المصرفي المجمع ما دامت المشاركة والتمويل يتمان وفق الصيغ الإسلامية المشروعة. ٣/٥ الأصل أن تكون قيادة التمويل المصرفي المجمع لإحدى المؤسسات المالية الإسلامية، ولا مانع شرعاً من قيادة أحد البنوك التقليدية للتمويل المصرفي المجمع ومبادرته بوضع آلياته وشروط إدارة العملية منفرداً أو بمشاركة المؤسسات المالية الإسلامية، طالما كانت العقود شرعية وموضوع الأنشطة ونوع التمويل يتم وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ومبادئها. ٤/٥ يجب أن يتم تنظيم وتنفيذ ومتابعة التمويل المصرفي المجمع بإشراف هيئات الرقابة الشرعية للمؤسسات المشاركة في التمويل، ويفضل تكوين لجنة مشتركة من تلك الهيئات يكون قرارها ملزماً لتلك المؤسسات. ٥/٥ لا مانع من تقديم التمويل المصرفي المجمع من مؤسسات مالية إسلامية لحصة من مشروع واحد في حين أن الحصة الأخرى ممولة من جهات أخرى بطريق تقليدية بشرط الفصل بين حسابات التمويلين وطريقة قيادة وإدارة كل منهما، علماً بأن الإقراض الربوي حرام شرعاً ومسئوليته على من قام به».

ومستند هذه الأحكام جواز مشاركة المسلم لغير المسلم وعدم الحكم عليها بالفساد والبطلان، إلا إذا تناولت المشاركات معاملات غير جائزة شرعاً، وهذا ما أقرته ندوة البركة والندوة الفقهية الرابعة لبيت التمويل الكويتي(١٩٩٥م)[١٠٦]، وهل يعنى أن فيها فتوى من ندوات البركة أن التمويل المجمع التي تشترك به بنوك تقليدية أصبح حلالاً؟.

مناقشة البند (٥) من المعيار المذكور ومستنده الشرعي:

الأصل صحيح أن يتم التمويل المجمع بين مؤسسات مالية إسلامية، نعم اختلف الفقهاء في مشاركة غير المسلم[١٠٧]، وهل البنوك التي يقودها مسلمون كافرة ؟ أم أن ممارسات العاملين فيها تخالف الشريعة، وأما البند الثاني من الفقرة الخامسة (لا مانع شرعا...)، بشرط (ما دامت المشاركة والتمويل يتمان وفق الصيغ الإسلامية المشروعة)، والسؤال هل تقبل البنوك التقليدية أن يتم التمويل بطريقة إسلامية؟ وهل يقبل سعر الفائدة السائد في السوق إذا خسرت الصفقة أن تخسر البنوك التقليدية؟ وهل لدينا في المؤسسات هيئات رقابة شرعية قادرة على التدقيق الفعلي؟ أو علماء يعملون لدى رجال المال والأعمال؟ هل هناك إمكانية للفصل في الحسابات في التمويل المجمع؟ هل البنك المركزي يسمح للبنوك التقليدية الاستثمار بالطرق الشرعية التي فيها تملك للأشياء؟ يحتاج الأمر

إلى إجابة قبل أن نقول لا مانع شرعاً، إذ الحاظر موجود، حيث خلص أحد الأبحاث (النشاط الاقتصادي لغير المسلمين ...)[١٠٨]، إلى أن القيود على التعامل التجاري بين المسلمين فيما بينهم وكذا غيرهم، بعضها يرجع إلى طبيعة وذات العقد ويكاد ينحصر في الربا، الذي هو محظور على الجميع، فهل يتصور استثمار مجمع بخمسين مليون دولار دفع بنك إسلامي ١٢,٥ مليون، ومثله بنك تقليدي واشترك بنكان ربويان بالنصف، الآخر على أساس سعر فائدة ٩٪، والنصف الأول تمويل على طريقة المشاركة لإنشاء مصنع، والعوائد توزع بالنسب، فهل تتصور إمكانية أن يكون هذا التمويل المجمع شرعياً، ويصححه هذا المعيار وتضبطه هيئة رقابة شرعية؟.

فالمشاركة في ظل نظام ربوي تحكمه البنوك المركزية وتفرض على البنوك سعر فائدة محدد وتمنع البنوك التقليدية من المتاجرة، يجعلنا نقف أمام؛ لا مانع شرعاً، بتأمل، لأن هذا العصر عصر الربا وليس الاهتمام بشرعية التمويل المجمع، أما إذا كان التمويل المجمع كله بطريقة شرعية قائماً على قاعدة الغنم بالغرم فلا أرى ما يمنعه شرعا عند ذلك.

المطلب الثالث: ممارستها للتورق المنظم[١٠٩]:

الفرع الأول: حقيقة التورق المنظم:

التورق الذي عرفه الفقهاء هو: أن يشتري السلعة بثمن مؤَجَّل أو مقسط، ثم يبيعها لآخر بثمن معجَّل ـ أقل في الغالب ـ ليحصل على الورق النقدي ليسدَّ حاجته؛ والتورق جائز عند جمهور الفقهاء، ومنعه ابن تيمية ورواية عن أحمد أنه حرام، وارتضى ابن القيم قول شيخه ابن تيمية، وهو قول عمر بن عبد العزيز أنه أَخية الربا[١١٠]، ولقد عرفه الحنابلة: ((أن يشتري الشخص سلعة نسيئة، ثم يبيعها نقداً لغير البائع بأقل مما اشتراها به، ليحصل على النقد))[١١١]، ويختلف التورق الفردي عن التورق المصرفي وكذا عن بيع العينة[١١٢]، ولكنها جميعاً من بيوع الآجال، لأن هذه الزيادة لا يجوز اتخاذها ذريعة (حيلة) إلى بيوع لا تراد بها السلعة ولا حقيقة البيع، وإنما يراد بها الوصول إلى السلف الربوي[١١٣].

- التورق المصرفي المنظم[١١٤]: التورق المصرفي المنظم[١١٥]، الذي أجازته بعض هيئات الرقابة الشرعية في النوافذ الإسلامية، نجد أنه صيغة جديدة ظهرت في الصيرفة الإسلامية، وتتفق جميعا على تركيب المنظومة التعاقدية للتورق المنظم على النحو الآتي:

أولاً: يقوم المصرف بشراء كمية من سلعة محلية أو دولية وفق المواصفات المحددة التي يرغب بها العميل نقداً.

ثانياً: بعد تملّك المصرف (في الواقع تملك صوري) وقبضه للسلعة التي اشتراها قبضاً حكمياً، يقوم ببيعها للعميل بثمن معلوم مؤجل بحسب نظام التقسيط المتفق عليه بينهما.

ثالثاً: يوكل العميل المصرف في بيع ما امتلكه من السلع بثمن نقدي معجل لطرف لا علاقة للمصرف به.

رابعاً: يقوم المصرف ببيع تلك السلع لحساب موكله (العميل) على الممتفق عليه، ويوفر له ثمنها المقبوض لينتفع به.

الفرع الثاني: حكمه عند المعاصرين: اختلف المعاصرون في حكمه على رأيين:

القول الأول: المجيزون للتورق من المعاصرين، ذهب بعض الباحثين إلى القول بجواز التورق الفردي والمصرفي على السواء؛ من الأفراد محمد تقي العثماني لدى دفاعه عن المرابحة المصرفية الملزمة، الشيخ عبد الله المنيع، والدكتور آدم موسى والأستاذ أسامة بحر، ونزيه حماد، وعلي القره داغي (...) ومن الهيئات: هيئة كبار العلماء في السعودية، والمجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، والموسوعة الفقهية، وأكثرهم أعضاء في هيئات الرقابة الشرعية لدى البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية، وهم يقرون بطبيعة الحال بجواز التورق الفردي(١١٦)، ويعلل الدكتور موسى آدم عيسى ذلك بقوله:« إن مقصود التجار غالباً هو تحصيل نقود أكثر بنقود أقل والسلع المبيعة هي الواسطة في ذلك»(١١٧).

القول الثاني: المانعون: ذهب إلى عدم مشروعية التورق المصرفي من المعاصرين الشيخ القرضاوي، والضرير، ومحيي الدين أحمد، وسويلم، وحسين حامد، والمصري وآخرون(١١٨)، والتفصيل فيه على النحو الآتي(١١٩):

١. التورق فيه ثلاثة أطراف، والمتورق يريد الورق، أي النقود، فإن لم يعلم الطرفان الآخران بمراده، فربما يكون هذا هو الذي أجازه جمهور الفقهاء، فلماذا أجازه الجمهور، لا الجميع؟ ربما لأن أحد الأطراف، وهو المتورق، لا يريد السلعة، بل يريد النقود، دون أن يصرح بذلك للطرفين الآخرين، وإني أرى أن الحالة الوحيدة التي يكون فيها التورق جائزًا هي أن المضطر إلى المال، إذا لم يقرضه أحد، لجأ إلى التورق، بدون إعلام الطرفين الآخرين بمقصوده الحقيقي، فهو مضطر، والضرورات تبيح المحظورات(١٢٠)، ويستطيع أن يلجأ إلى القرض بفائدة، ولاسيما إذا كان معدل الفائدة على القرض أقل من معدل الفائدة على التورق، ولعل هذه الحالة التي ذكرتها هي أصل التورق الجائز، حيث الاضطرار، وحيث لم يوجد من يقرض بلا فائدة، أو بفائدة أقل، أي إن التورق في هذه الحالة يجوز عند الضرورة، كالفائدة.

٢. أما إذا علم الطرفان الآخران، في صورة تواطؤ أو اتفاق أو لائحة أو نظام (كما الحال في مصارف ونوافذ إسلامية)، فإن أحدًا لا يجيزه، لأنه يصبح في حكم العينة؛ فإذا صرح المتورق بمراده امتنع التورق عند الفقهاء.

فالعينة والتورق كلاهما فيه بيعتان، وكلاهما فيه بيعة مؤجلة وأخرى معجلة، وكلاهما فيه سلعة وسيطة لاغية، غير مقصودة حقيقة، تقبض ثم تعاد، وربما لا يتم تقابضها بالمرة، وقد لا تتحرك من أرضها، وقد لا يكون لها وجود أصلاً (سلعة افتراضية)، والفارق بين العينة والتورق هو أن في العينة طرفين، وفي التورق ثلاثة، ولكن علم الأطراف الثلاثة يجعل التورق عينة بلا ريب، ويكون الاختلاف بينهما عندئذ، في عدد الأطراف، شكليًا لا أثر له في الحكم.

الفرع الثالث: أثره على المصارف:

عندما تصبح الحيل أساس التعامل في المصارف الإسلامية في ظل المنافسة مع النظام المصرفي الربوي؛ فإن المصارف الإسلامية تفقد قبولها العام من جمهور المتعاملين، وهو أهم معيار لنجاحها، وعندها يصبح الشك في توجهاتها الإسلامية هو الحاصل، وهو ما عليه واقع كثير من المصارف الإسلامية في حياتنا المعاصرة، يجعلها موضع تهمة من المتعاملين ويؤثر على تقدمها، وعدم قيامها بدورها التنموي الذي أنشئت من أجله، كما أنها تعلم العملاء الكذب للحصول على النقد، فلا يُظهرون سبب احتياجهم للمال؛ فيمولون بطرق شرعية، أو يرسلون إلى دار الزكاة لأخذ حقوقهم.

ملاحظات ختامية:

من إعجابي بالصيرفة الإسلامية الرائدة الملتزمة بالمعايير الشرعية في حياتنا المعاصرة، وخوفي من انحراف مسيرتها، وعند دراستي للمصارف المنشأة بمكاسب خبيثة أو المتحولة إلى الصيرفة الإسلامية فإنني خرجت بالنتائج الآتية:

١. إن الكسب المتأتي من الربا أو المخدرات أو الخنا أو القمار، أو الرشا، أو الرقص والمجون، كله سواء في حرمة إعادة تدويره بالاستثمار الحلال.
٢. لقد باءت/ وستبوء، محاولات الأسلمة للمصارف المنشأة بأموال خبيثة ربوية، في نهاية المطاف بالفشل الذريع؛ ذلك لأن مطاردة لعنة الربا للمرابين، والقيم الدينية، وعدم قبول الجمهور لها، وحرب الله تعالى لهم، كفيل بتدمير فكرتهم قبل أموالهم المكتسبة بطرق خبيثة، أو المغسولة بطريقة إسلامية من أساسها، وأنه من المهم ربط القيم والأخلاق بعناصر النشاط الاقتصادي ومنها الصيرفة الإسلامية.
٣. أثبت واقع الصيرفة الإسلامية المنشأة بأموال ربوية في تطبيقها للصيرفة أنها مستعصية على الأسلمة، ومن يتجاهل هذه الحقيقة فإنه يكسب زمناً؛ غير أنه لن يستطيع أن يجد لها معياراً شرعياً لإعادة غسيل أموالها في عجلة الصيرفة الإسلامية؛ لأنها تخالف تعاليم الشارع.

٤. ضرورة الالتزام بفكرة الحلال والحرام، والقواعد الفقهية، والضوابط الاقتصادية، والقيم الأخلاقية؛ قبل إنشاء صيرفة إسلامية وبعدها، بالإضافة إلى الالتزام بالمعايير الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية، وقرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

٥. من الواجب إهلاك الكسب الخبيث كما أمرت قيمة التوبة في بندها الرابع، والمعايير الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية، في طرق الخير العامة؛ وليس تدويرها في الصيرفة الإسلامية، كما لا يجوز تدويرها في بناء المساجد، فهي مما لا يقبل إلا طيباً، وإنما إهلاكها في المصالح؛ نحو الطرق وبناء المستشفيات ونحوها.

٦. رسخت هذه الدراسة الضوابط الشرعية لإنشاء مصارف إسلامية، وهي: أن تكون مصادر الأموال...حلالاً وليست من مكاسب خبيثة، انحراف التطبيق الصحيح للمعاملات ينقل الأرباح إلى كسب خبيث يجري عليه أحكامه، وعدم جواز الصرف من الكسب الخبيث على عمليات البنك، وقيام الهيئة الشرعية في البنك المركزي من منع غسيل المال الحرام الذي اكتسبوه بالربا بالصيرفة الإسلامية، وحظر توظيف الأموال الخبيثة في المصرف المنشأ حديثاً في أسهمه.

٧. إن الحيل في التطبيقات الناتجة عن سوء اختيار الموارد البشرية، لا تجعل المعاملات شرعية، تطيب أرباحها، وإنما لا بد من عكسها على حساب المال الحرام، وإجراء المعايير الشرعية الخاصة بالتوبة منه عليها فوراً.

٨. إن قيام المسلم بالطاعات؛ كالحج أو العمرة من الكسب الربوي، أو الخبيث، فيه قولان عند الفقهاء: قول بأن الحج صحيح، ولكن صاحبه يأثم بالمال الحرام، والقول الآخر إن الحج لا يجزئ صاحبه.

٩. لا بد من مراجعة متأنية للمعيار رقم(٦) من معايير المؤسسات، والبند ٥ من المعيار (٢٤)، مع أهمية المعايير الشرعية الصادرة عن الهيئة ومكانتها، وقطع الخلاف في مجمع الفقه في أمر مشاركة (المؤسسات) البنوك التقليدية، أو تحويل الربوي إلى إسلامي، أو شراء أسهم بنوك إسلامية منشأة بمكاسب خبيثة.

وأخيراً: فإن للمكاسب الخبيثة وانحرافات التطبيق آثاراً قيمية سلبية تجعل من المؤسسات المالية الإسلامية صورة مشوهة للربوية، بل صورة أسوأ منها بكثير، فتطاردها لعنة الربا، وبذلك تفقد الأمة البديل الشرعي للتطبيق الربوي، فتقلب القيم الدينية، وتجعل الكسب الخبيث قطاراً للطاعات والعبادات، التي لا تجوز إلا بالطيب.

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ (١٧) ﴾ «سورة الرعد:١٣».

الهوامش:

١. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد؛ تحقيق حمدي آل نوفل، ط١، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م، مكتبة الصفا، القاهرة، ج٤، ص٢٤٩.// وانظر فتوى القرضاوي؛ إنفاق المال الحرام في المشروعات الخيرية لا يمحو الإثم، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٥٥، ص٤٦.// وانظر، الرماني، د. زيد بن محمد، غسيل الأموال، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٧٦، ربيع الأول ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م، ص٥٠. إننا لا نتحدث عن شركات « البغول» تعني [كبار المهربين للمخدرات الذين يستثمرون أموالهم في القطاع العقاري وينقلون أموالهم إلى خارج البلاد بواسطة شركات استثمار أجنبية تعرف باسم « شركات الدمى»]، والبغول تطلق على كل من يحصل على دخل غير مشروع من مصادر غير مشروعة،] فهذه لا يهمها الحلال والحرام، يهمها القانون والتهرب منه، وإنما نتحدث عن الأموال الخبيثة في نظر الشارع ومنها الأموال المتأتية بطريق البغول، وأموال الربا واستثمارها بطرق مشروعة..

٢. حيثما ذكرت البنوك الإسلامية مطلقة أردت بها في هذا البحث؛ المنشأة بمكاسب خبيثة، أو المتحولة من الربوي إلى إسلامي، أو النوافذ الإسلامية المنشأه في مصارف ربوية.

٣. المعايير الشرعية ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعيار الشرعي السادس ص ٧٤ وما بعدها.

٤. الصالح، أ.د محمد بن أحمد صالح، غسل الأموال في النظم الوضعية، رؤية إسلامية يقول: أن التسمية ترجع لأسباب أخرى وأن أول مرة عرف فيها مصطلح غسيل الأموال كان في عام ١٣٥٠هـ ١٩٣١م، عند محاكمة (الفونس كابوني) الشهير بآل كابوني.، المؤتمر الثالث للاقتصاد الإسلامي.

٥. الأشقر، د.عمر سليمان، (بحث: الربا وأثره على المجتمع الإنساني) كتاب بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة، دار النفائس، ط١٩٩٨م= ١٤١٨هـ، ج٢، ص٥٩٣ ـ ٥٩٦.

٦. مصطلح لم يعهد بالدراسات الاقتصادية الإسلامية نسج على منوال غسيل الأموال القذرة.ويعني: أموالاً مكتسبة بطريقة حرام كالربا أو القمار، ثم يعاد استثمارها في أسهم مصارف إسلامية، أو في مشروعات حلال.

٧. عبد الله؛ محمد، التحول من بنك تقليدي إلى بنك إسلامي، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٧١، ص٢٠ وما بعدها، إن معظم القائلين بالتحول هم من القوى العاملة في المصارف الربوية.

٨. ناصر؛ الغريب، الضوابط الشرعية لإنشاء نوافذ ووحدات إسلامية بالبنوك التقليدية، (مجلة الاقتصاد الإسلامي، دبي، بنك دبي الإسلامي) عدد ٢٤٥، ص٢٤ وما بعدها، لكني لم أجد في البحث أي ضابط شرعي لإنشاء تلك النوافذ.

٩. شحاتة؛ حسين، الضوابط الشرعية لفروع المعاملات الإسلامية بالبنوك التقليدية، مجلة الاقتصاد الإسلامي، دبي، عدد ٢٤٠، ص ٣٥، نختار من الضوابط الشرعية التي وضعها، ونصها: الثامن: يحظر عليها التعامل مع غير المسلمين المحاربين مثل اليهود والصرب ومن يواليهم أو يدعمهم أو يساعدهم مثل الأمريكان. الثاني عشر: لا يجوز تعاملها مع رجال الأعمال الذين يقومون بأعمال لا تتفق مع أحكام ومباديء الشريعة الإسلامية.

١٠. وهي نص حديث: البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج٧، ص١٦٩، وهو ضعيف من طريق جابر الجعفي، ومنقطع عن الشعبي عن ابن مسعود..// وانظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، ص١٠٦، ١١٧. // الحموي، غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، ج١، ص٣٣٦.// الزركشي، البحر المحيط، ج١، ص٣٤٣.// الزركشي، المنثور في القواعد الفقهية، ج١، ص١٢٦. ونصها: إِذَا اجْتَمَعَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ أَوْ الْمُبِيحُ وَالْمُحَرِّمُ غُلِّبَ جَانِبُ الْحَرَامِ.// جماعة من العلماء، موسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف الكويتية، ج١٨، ص٧٧.

١١. الزركشي، البحر المحيط، ج١، ص٣٤٣.

١٢. ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن، تقرير القواعد وتحرير الفوائد، تحقيق عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص ٢٧٥.

١٣. الونشريسي، أحمد بن العباس، المعيار المُعرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ج٦، ص١٧٨، ١٨١،١٨٠، ١٨٧.

١٤. ونتحدث هنا عمن أكثر ماله حرام خبيث أكثر من ٥٠ ٪ منه حرام، وليس ٥٪ ـ ١٠٪ كالنسبة التي ذكرها المعاصرون للمشاركة في الشركات التي تتعامل أحياناً بالربا، ولا أدري من أين جاءت النسبة لجعله حلال، انظر بحث: الضرير؛ الصديق محمد أمين، المقارنة والموازنة بين الآراء المانعة للمساهمة في شركات..، ص٣٣.

١٥. تاج الدين عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى أبو نصر، ((٧٢٧ – ٧٧١ ه = ١٣٢٧ – ١٣٧٠ م))، قاضى القضاه المؤرخ الباحث ولد فى القاهرة وانتقل إلى دمشق مع والده فسكنها وتوفى بها نسبه الى «سبك» من أعمال المنوفية بمصر، وهوصاحب طبقات الشافعية: جامع الجوامع. من تصانيفه « طبقات الشافعية الكبرى – ط « ستة أجزاء، و « معيد النعم ومبيد النقم – ط « و « جمع الجوامع – ط « راجع: وفيات الوفيات ٢: ٢١ وطبقات الشيرازي ١٤٣ والبداية والنهاية ١٢: ٣٢ والوفيات ١: ٣٠٤ وشذرات ٣: ٢٢٣ وتبيين كذب المفتري ٢٤٩ و ٦٦٠: // السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٤٢٨.// الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٨٤.

١٦. الزركشي، المنثور في القواعد، ج١، ص١٢٦.// السيوطي، الأشباه والنظائر، ص١٠٦.

١٧. المرتضى، البحر الزخار، دار الكتاب الإسلامي، ج٣، ص١٧١.

١٨. ابن الهُمام، فتح القدير (شرح الهداية)، دار الفكر، د ت، ج٩، ص٥١٥.

١٩. السرخسي، المبسوط، ج١١، ص٢٢٥.// الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٥، ص١٩٤.// التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح، ج٢، ص٢١٩.// الهيتمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ج٨، ص١٨٤.// الخرشي، شرح مختصر خليل، ج٣، ص١٣.// السيوطي، الأشباه والنظائر، ص١١٦.// الأنصاري، أسنى المطالب شرح روض الطالب، دار الكتاب الإسلامي، ج٣، ص١٠٨.

٢٠. الزرقا، الشيخ مصطفى، شرح القواعد الفقهية، ص٢٤٣.

٢١. قد يقول قائل: هل يجوز الاحتجاج بالقاعدة الفقهية على الحكم الشرعي بالقاعدة الفقهية: المسألة محل خلاف بين الفقهاء وفيها ثلاث أقول: راجع: شبير، القواعد الكلية، دار النفائس،٢٠٠٦م، ص٨٤ ـ ٨٧، وملخص الأقول، عدم جواز الاحتجاج بها، وجوازه، عدم جوازه ما لم يوجد عليها نص.

٢٢. سبق تخريخها في الحاشية ٣ من ص٥ .

٢٣. محمد، يوسف كمال، حوار حول الوساطة المالية والمصارف الإسلامية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، مجلد ١٣، ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م، ص٧٩. هذا في البنوك الربوية الأمريكية، أما في البنوك الربوية في العالم الإسلامي، فلم تصل المصارف إلى هذه النسبة، وما زالت العوائد الخبيثة أكثر من ذلك، وأنا مع القائلين بحرمة التورق. وكذا بعض الخدمات المذكورة التي لا تمارسها البنوك الإسلامية، أو تعارض الشريعة.

٢٤. هذا الضوابط استفدتها من هذه القيمة المهمة فكرة الحلال والحرام وكذا من كتابات: الزحيلي و جمال عطية، تجديد الفقه الإسلامي، ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م، ص٢٤٠ ـ ٢٤١ الضابط رقم ٢ للدكتور وهبة، أما هذا الضابط فقمت باشتقاقه.

٢٥. الزحيلي و عطية، تجديد الفقه الإسلامي، ١٤٢٠هـ ص ١٦٢ ـ١٦٣و٢٤١.

٢٦. ابن حجر، العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٣٤كتاب البيوع، ١١٢ باب بيع الميتة والأصنام، حديث رقم ٢٢٣٦، ج١، ص١١٨٥.

٢٧. صحيح مسلم، ١٢كتاب الزكاة، ١٩باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم ١٠١٤، ج٢، ص٧٠٢.// الشيخ الألباني، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، حديث رقم ١٧، ص٢٩ حديث حسن.

٢٨. معايير المكاسب الخبيثة هي: بيوع منهي عنها للغرر، أو اشتملت على الربا، أو اشتملت على أكلٍ لأموال الناس بالباطل، أو فيها ضرر بالأمة، أو اقترنت بشرط غير ملائم.//

انظر إرشيد، محمود، دور القيم والأخلاق وأثرهما على النشاط الاقتصادي، ٢٠٠٣م، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة النيليين، ص٢٢١ ـ ٢٤٢، ستنشر في دار الكتب العلمية قريباً.

٢٩. يُرَادَ بِالْبُطْلَانِ: في الْمُعَامَلَات عنْدَ الْحَنَفيَّة: أَنْ تَقَعَ عَلَى وَجْه غَيْر مَشْرُوع بِأَصْله وَلَا بِوَصْفه، فَبُطْلَانُ الْمُعَامَلَة لَا يُوَصِّلُ إلى الْمَقْصُود الدُّنْيَوِيِّ أَصْلًا؛ لِأَنَّ آثَارَهَا لَا تَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا. وَتَعْرِيفُ الْبُطْلَان عنْدَ غَيْر الْحَنَفيَّة هُوَ تَعْرِيفُ الْفَسَاد بِعَيْنه، وَهُوَ: أَنْ تَقَعَ الْمُعَامَلَةُ عَلَى وَجْه غَيْرِ مَشْرُوعٍ بِأَصْلِه أَوْ بِوَصْفِه أَوْ بِهِمَا.// الموسوعة الفقهية، ج٨، ص ١٠٧.

٣٠. الموسوعة الفقهية، ج٨، ص١١٠.// السَّرَخْسِيّ، المبسوط، دار المعرفة، ج١٣، ص٢٥.// الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ج٤، ص ١٩٦.// البابرتي، العناية على الهداية، دار الفكر، ج٦، ص٤٧٢.

٣١. الموسوعة الفقهية، ج٨، ص١٢١.// البابرتي، العناية على الهداية، ج٦، ص٤٠٥.// ابن عابدين؛ رد المحتار على الدر المختار في شرح تنوير الأبصار، (حاشية ابن عابدين)، دار الكتب العلمية، ج٦، ص٤٧.

٣٢. المسألة الخامسة عشر، المعروضة على الدكتور عبد العزيز الخياط، بتاريخ ١٤/١٢/١٩٩٩م.

٣٣. لكن بعض البنوك ترفض إعطائنا كشف حساب للمال الحرام وطرق إنفاقه في البنك.

٣٤. المعايير الشرعية ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م، هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، ص٨٠، البند ٢/١٠.

٣٥. الزحيلي، د.وهبة، فتاوى معاصرة، تحرير محمد وهبة سليمان، دار الفكر، ط ٢٠٠٣م، ص١٢٤.

٣٦. الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، المشهور بالغياثي، ١٩٧٩م، ص٥٥. يقول في تحديد مهمات الإمام: ((رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا، متضمنها حفظ الحوزة ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف، وكف الحنف والحيف والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفاؤها على المستحقين)).

٣٧. لقد أغفلت المصارف المركزية إيجاد هيئة شرعية تابعة للمصرف المركزي، وتكتفي بالرقابة المالية، ومن الضروري إيجاد هذه الهيئة، كما أن سوء وعدم كفاءة بعض هيئات الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية جعل كلام الإمام الجويني ينطبق عليهم، فهو يقول: ((لو ذهبنا نكذب (...) ونطبق أجوبة مسائلهم على حسب اصطلاحهم، طلباً لما نظنه فلاحهم، لغيرنا دين **الله** بالرأي، ثم لم نثق بتحصيل صلاح، وتحقيق نجاح، فإنه

قد يشيع (...) أن علماء العصر يحرفون الشرع بسببهم..، وإن صدقوهم فلا يستفيدون من أمرهم إلا الكذب على الله وعلى رسوله، والسقوط عن مراتب الصادقين والالتحاق بمناصب المخرقين المنافقين.// الإمام الجويني، الغياثي، ١٩٧٩م، ص١٧٠.

٣٨. الإمام الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص٢٥٣.

٣٩. المعايير الشرعية، ٢٠٠٧، المعيار السادس، ص٧٨.

٤٠. البند ٢/١٠ الخاص بالصرف للفوائد في مصارف الخير العام، ص٨٠.

٤١. انظر للتوسع: جماعة من العلماء، الموسوعة الفقهية، ج ١٤، ص١٢٢.// ابن قدامة، المغني، ج١٠، ص١٩٤، المسألة ٨٤٠٠.

٤٢. جماعة من العلماء، الموسوعة الفقهية، ج ١٤، ص١٢٩.

٤٣. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط ١٩٩٥م، ج٢ ص٣٣٢.

٤٤. قطب؛ سيد، في ظلال القرآن، ج١ ص٣٣٠.

٤٥. الألباني، غاية المرام، ص١١٩، قال الألباني: ضعيف، انفرد به أحمد في مسنده برقم ٣٤٩٠، عن ابن مسعود، ورقمه ٣٤٩٠. وضعفه الحافظ في التقريب.

٤٦. جامع الترمذي، ٣ كتاب الجمعة، ٧٩ باب ما ذكر في فضل الصلاة، حديث رقم ٦١٤، صحيح، ص١٢١.

٤٧. الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص١٣٠، بتصرف.// وزارة الأوقاف الكويتية؛ جماعة من العلماء، الموسوعة الفقهية، ج ٣٤، ص٢٣٥.// صقر، الشيخ عطية، في إجابته على فتوى كسبت مالاً حراماً... مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٤٢ ص ٥٠.

٤٨. المعايير الشرعية، ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م، هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، ص٨٠. وقد مثلت المعايير لوجوه الخير ب: التدريب والبحوث، توفير وسائل الإغاثة، وتوفير المساعدات المالية والفنية للدول الإسلامية، وكذلك المعاهد العلمية والمدارس، وما يتصل بها من نشر المعرفة الإسلامية، طبقاً لما تقرره هيئة الرقابة الشرعية للمصرف.

٤٩. المعايير الشرعية، ٢٠٠٧م، هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، ص٨٠.

٥٠. – هي جائزة شهرية تسحب على حسابات التوفير المشتركة في الجائزة ويدفع للفائز ثلاثة آلاف دولار من أجل الزواج بشروط.

٥١. لا يصح استثمار مال حرام لا من قبل صاحبه ولا من قبل غيره، فتوى رقم ١٦،٣٩٥١ صفر ١٤٢٠، د. عبد الله الفقيه، مركز الفتوى الشبكة العالمية.

٥٢. الباز، أحكام المال الحرام، ص ٤١٥.

٥٣. السيوطي؛ الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ص١١٨.// الحموي، غمز عيون البصائر، دار الكتب العلمية، ج١، ص٣٦١ -٣٦٢.// حيدر، علي، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، دار الجيل، ج١، ٥٢، المادة ٤٧.// الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ج١٠، ص٩٥.

٥٤. جماعة من العلماء، الموسوعة الفقهية، ج ٢٣، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠.

٥٥. عن شبكة الإنترنت.

٥٦. ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، المعروف بـ (حاشية ابن عابدين)، ج٢، ص٤٥٦.

٥٧. ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ج٢، ص٤٥٦.

٥٨. جماعة من العلماء، الموسوعة الفقهية، ج ٢٣، ص٢٤٩.

٥٩. القرافي، أنوار البروق في أنواع الفروق، ج٢، ٨٣.

٦٠. ابن رجب الحنبلي، القواعد، ص١٤.

٦١. الباز، أحكام المال الحرام، ص ٢٩٥ـ ٢٩٦.

٦٢. الحطاب، مواهب الجليل، دار الفكر، ج٢، ص ٥٢٩.وأنشد بعضهم: يحجون بالمال الذي يجمعونه، حراماً إلى البيت العتيق المحرَّم.// ويزعم كل أن تحط رحالهم، تحط لكن فوقهم في جهنم.// وقال آخر: إذا حججت بمال أصله سحت، فما حججت ولكن حجت العير.

٦٣. الحطاب، مواهب الجليل، ج٢، ص ٥٢٩. والقول يشعر بأن مالك كان له رأي بالجواز فرجع عنه في آخر حياته.

٦٤. ابن رجب، القواعد، ص١٤.

٦٥. صحيح مسلم، ١٢كتاب الزكاة، ١٩باب قبول الصدقة، حديث رقم ١٠١٥، ج٢، ص٧٠٣.

٦٦. الحطاب، مواهب الجليل، ج٢، ص ٥٢٩. (تَنْبِيهٌ) قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ: الْمُنْفِقُ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ فِي حَجِّهِ جَدِيرٌ بِعَدَمِ الْقَبُولِ وَإِنْ سَقَطَ الْفَرْضُ كَمَا قَالَهُ الْأَئِمَّةُ الثَّلَاثَةُ، قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ: أَمَّا عَدَمُ الْقَبُولِ فَلِاقْتِرَانِ الْعَمَلِ بِالْمَعْصِيَةِ وَفِقْدَانِ الشَّرْطِ وَهُوَ التَّقْوَى (وَصَحَّ بِالْحَرَامِ وَعَصَى).

٦٧. ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ١٤٠٨هـ، ط١، ج١ ص١٠٠.

٦٨. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٩٩٥م، ج٢، ص٢٩١ ـ٢٩٢.//تنبيه: قال علي بن أبي طالب وعبيدة السلماني وابن سيرين: هي الزكاة.

٦٩. المنذري، الترغيب والترهيب، المجلد ٢، ص١١٤، حديث رقم ٧، قال: رواه الطبراني في الأوسط ورواه الأصبهاني من حديث أسلم مولى عمر بن الخطاب مرسلاً.

٧٠. أما أهل التقوى والورع الذين يحجون أكثر من مرة، فعملهم محل إعجاب وغبطة عندي، وأتقرب إلى الله بحبهم وأسأله أن أحشر معهم،ولا نتعرض لهم.

٧١. جامع الترمذي، ٣ كتاب الجمعة، ٧٩ باب ما ذكر في فضل الصلاة، حديث رقم ٦١٤، صحيح، ص١٢١.

٧٢. راجع: الزحيلي و جمال عطية، تجديد الفقه الإسلامي، ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م، ص٢٤٠ ـ ٢٤١.

٧٣. القرضاوي، الحلال والحرام، ١٩٩٤م، ص٣٤.

٧٤. قيمة في غاية الأهمية ضاعت في ظل الرأسمالية المعلوماتية؛ وتعني في لغة الفقهاء: النماء المعنوي الذي يضعه الله في الشيء.// قلعه جي؛ محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، ص٨٧، ومنه؛ (...فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ...).// فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٢٤كتاب الزكاة، ٥٠ باب الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم ١٤٧٢، ج١، ص٨٩١.

٧٥. الألباني، غاية المرام، ص١١٩، قال الألباني: ضعيف، وضعفه الحافظ في التقريب، وعندي يمكن الاستدلال بالحديث الضعيف بشروط؛ كما رأي جمهور الفقهاء، خلافاً للألباني، راجع: الحضرمي؛ عبد محفوظ، السنة والبدعة، دار القلم والشامية، دمشق وبيروت، ط١٩٩٢م، ١٠٩ ـ ١١٢.

٧٦. انظر فتوى القرضاوي، (إنفاق المال الحرام في المشروعات الخيرية لا يمحو الإثم)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٥٥، ص٤٦.

٧٧. السَّرَخْسِيّ (٤٨٣هـ ١٠٩٠م)، المبسوط، دار المعرفة، ج١٢، ص١١٠.// الموسوعة الفقهية، ج٢٢، ص ٥٤.// المظهري؛ الشيخ محمد ثناء الله، التفسير المظهري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢٠٠٧م، ج١، ص ٣٩٢.

٧٨. راجع: إرشيد، محمود، أسس اختيار القوى البشرية في الصيرفه الإسلامية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مجلد ٢٢(٢). ٢٠٠٨.

٧٩. أبو النصر، عصام عبد الهادي، فوائد البنوك والربا بين الواقع والشبهات، مجلة الاقتصاد الإسلامي عدد ٣١٤، ٢٠٠٧م، ص١٧.// راجع: عطية؛ محيي الدين، الكشاف الاقتصادي لآيات القرآن الكريم، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١م، ص٤٩٩.

٨٠. مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م، حديث رقم

٣٧٥٤،ج٦، ص٢٩٧، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط حديث صحيح،// الحاكم، أبو عبد الله محمد ...النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، ج٢، ص٤٤، حديث رقم ٢٢٦٢/ ١٣٣ قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٨١. عطية؛ محيي الدين، الكشاف الاقتصادي لآيات القرآن الكريم، ص٤٩٩.

٨٢. يطلق لفظ التصدق نظراً لاتحاد المخرج، وإلا فالأصل التخلص منها عن طريق إخراجها بحسب الشرط الرابع من شروط التوبة من المال الخبيث.

٨٣. أبو داود، سنن أبي داود، ١كتاب الطهارة، ٣١ باب فرض الوضوء، حديث رقم ٥٩، صحيح عند الألباني، ص٣١. وانظر // جماعة من العلماء، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ج ٢٣، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠، الفقرة ٣٧.

٨٤. شحاتة، د. حسين تطهير الأرزاق في ضوء الشريعة الإسلامية، دار النشر للجامعات، ١٤٢٠هـ =٢٠٠٠م ص٦١ وما بعدها، و التطبيق المعاصر للزكاة، ص٢١.

٨٥. المرجع السابق، نفس الصفحات.

٨٦. لقد كفانا المعيار رقم (٨) من المعايير الشرعية لبيع المرابحة للآمر بالشراء الصادر عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، وضع الضوابط الشرعية لبيع المرابحة للآمر بالشراء، فلا نعيده هنا، راجعه ص١٠٥ ـ ١١٧. // ومن الشخصيات التي بدأت تنتقد ظاهرة التمويل ذو الهامش المحدد مع ما يصاحب تطبيقاته من مخالفات، الشيخ صالح عبد الله كامل، حيث يقول فيما نقله عنه الشيخ محمد مختار السلامي:» لا بد من تجاوز المظهر إلى الجوهر، ولا بد من تجاوز الألفاظ والمباني إلى المقاصد والمعاني، ولا بد من تجاوز نظام التقليد والمحاكاة إلى التأصيل والمبادرة، فلقد أضر كثيراً بمسيرة العمل المصرفي الإسلامي أن حبسنا أنفسنا ومنذ عشرات السنين في إيجاد المخارج والحيل الشرعية لمعاملات ربوية الأصل والمنبت، وتحولت بفضل الأوراق الإضافية والخطوات الهامشية إلى معاملات إسلامية، ولكنها ظلت وفيَّة لمنبتها الربوي ودورها الاقتصادي وانقطاعها عن المنهج الرباني ومقاصده الشرعية» ورقة مقدمة لندوة البركة الثامنة والعشرين للاقتصاد الإسلامي، المنعقدة بجدة في رمضان، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص٦.// وراجع: بلوافي؛ د. أحمد مهدي، البنوك الإسلامية والاستقرار المال،...، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، م٢١، ع٢، (٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ)، ص ص: ٨٨.

٨٧. الشيخ الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ١٩٩٣م، ص٤٢٩، ٤٣٧.

٨٨. الندوي؛ أحمد علي، القواعد الفقهية، دمشق: دار القلم، ١٩٨٦م، ص ١٢٣.

٨٩. سنن ابن ماجة، ١٢ كتاب التجارات، ٢٠ باب النهي عن بيع ما ليس عندك وعن ربح ما لم يضمن، حديث رقم ٢١٨٧، صحيح، ص٢٣٦.

٩٠. سنن ابن ماجة، ١٢ كتاب التجارات، ٢٠ باب النهي عن بيع ما ليس عندك وعن ربح ما لم يضمن، حديث رقم ٢١٨٨، حسن صحيح، ص٢٣٦.

٩١. الأشقر، د.محمد سليمان، بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة، دار النفائس، ط١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م، ج١، ص١١٨.

٩٢. البنك الإسلامي «ر»، والبنك الإسلامي « ع».

٩٣. ملحم، ملحم أحمد سالم عبد الله، بيع المرابحة وتطبيقاتها في المصارف الإسلامية، عمان، مكتبة الرسالة، ١٤١٠هـ= ١٩٨٩م، ص ٢٤١،٢٤٥.

٩٤. البعلي؛ الدمشقي، الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، المؤسسة السعيدية، الرياض، ص٢٢٣.

٩٥. سنن النسائي، ٤٤كتاب البيوع، ٧٣ باب بيعتين في بيعة ...، حديث رقم ٤٦٣٢، حسن صحيح، ص٤٧٩.

٩٦. المصري؛ رفيق، كشف الغطاء عن بيع المرابحة للآمر بالشراء، (مقال)، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٣٢، ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م، ص١٨٥.

٩٧. عبد الخالق، عبد الرحمن، مشروعية المعاملات التي تقوم بها البنوك الإسلامية المعاصرة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد٥٩=١٤٠٣هـ، ص١٠٢.

٩٨. السالوس، علي بن أحمد، مخاطر التمويل الإسلام، المؤتمر العالمي الثالث، للاقتصاد الإسلامي،جامعة أم القرى، كلية الشريعة، قسم الاقتصاد الإسلامي، ص ٢٧.

٩٩. رقم (٨)، في البند ٤/ ٨: ((يجوز الاتفاق على سداد ثمن السلعة في بيع المرابحة للآمر بالشراء على أقساط متقاربة أو متباعدة ويصبح ثمن السلعة حينئذ ديناً في ذمة العميل يجب أداؤه عند الأجل المتفق عليه، ولا يجوز بعدها المطالبة بالزيادة عليه سواءً بسبب زيادة الأجل أو التأخير لعذر أو لغير عذر. المعايير الشرعية ٢٠٠٥م، المعيار الثامن، هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، ص ١٢٤.

١٠٠. المرجع السابق، ص١٢٦.

١٠١. هاتان الصورتان من تطبيقات بعض المصارف الإسلامية.

١٠٢. ٦/٥ ونصه ((يجوز أن ينص في عقد المرابحة للآمر بالشراء على التزامات العميل المشتري بدفع مبلغ أو نسبة من الدين تصرف في الخيرات في حالة تأخره عن سداد الأقساط في مواعيدها المقررة، على أن تصرف في وجوه الخير بمعرفة هيئة الرقابة الشرعية للمؤسسة ولا تنتفع بها المؤسسة. المعايير الشرعية، ٢٠٠٧، ص١١٦.

١٠٣. حصل بنك الفقراء (جريمن) الديون دون إعادة الجدولة عن طريق الضغط الشعبي للأصدقاء، وبتغيير القيم نستطيع التقليل من المديونيات.

١٠٤. ذكر نص الفتوى المحكم الكريم مشكوراً إذ لم أستطع الحصول عليها (أن يدخل البنك الإسلامي شريكاً مع ذلك التاجر برأسمال بقيمة الدين يدفعه البنك الإسلامي للعميل نقداً شراكة لا قرضاً، وأن تكون الشراكة محددة بمدة يقدرها البنك وبما لا يتعارض مع الأنظمة وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، ....). وراجع المسائل المعروضة على الدكتور عبد العزيز الخياط، //وراجع التمويل لسداد الديون عن طريق التورق، الرشيدي، أحمد فهد، عمليات التورق، (وتطبيقاتها الاقتصادية في المصارف الإسلامية) دار النفائس، ط ٢٠٠٥، ص١٦٧ ـ ١٦٨.

١٠٥. المعايير الشرعية، هيئة المحاسبة والمراجعة، ط٢٠٠٧، ص٤٠٤.

١٠٦. نص الفتوى (لا مانع من اشتراك بنوك ربوية مع بنوك إسلامية في التمويل المصرفي المجمع الملتزم في عملياته بالإحكام الشرعية شريطة عدم انفراد البنوك الربوية بإدارة العمليات أو تمكينها من اتخاذ القرارات ذات الطابع الشرعي)، قرار رقم ١/٩، فتاوى ندوات البركة ص١٥١.

١٠٧. إرشيد، محمود، النشاط الاقتصادي الإسلامي وأثر القيم والأخلاق فيه))، ((دراسة اقتصادية إسلامية تحليلية مقارنة))، رسالة دكتوراه، جامعة النيلين، ص ١٣٨، وستنشر في دار الكتب العلمية قريباً، تحت فصل(الضوابط القيمية لتداول غير المسلمين من رعايا الدولة).

١٠٨. كميل؛ صالح شريف، النشاط الاقتصادي لغير المسلمين في الدولة الإسلامية، دراسة فقهية، مجلة جامعة النجاح الوطنية، مجلد ١٥، ٢٠٠١م، ص١٢٦.

١٠٩. الكلام في التورق طويل أحاول اختصار الحديث بما يؤدي غرض البحث.

١١٠. راجع حماد، في فقه المعاملات المالية والمصرفية المعاصرة، دار القلم، دمشق، ١٥٢ وما بعدها.

١١١. حماد؛ نزيه، معجم المصطلحات الاقتصادية، ١٩٩٣م ـ ص١٠٨.// التوني، وآخرون، دليل المصطلحات الفقهية الاقتصادية، ص ٨٨.// المصري؛ رفيق، بيع التقسيط، ص٢٩.// ابن القيم، إعلام الموقعين، ج٣، ص١٣٥.// ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، ط السعودية ١٣٩٨هـ، ج٢٩، ص٤٣١.

١١٢. والعينة والتورق من بيوع الآجال وهي: أن يبيع الرجل سلعته بثمن مؤجل، ثم يشتريها بثمن أعلى إلى أجل أبعد، أو بثمن أقل إلى أجل أدنى، أو نقداً، فبيوع الآجال بيعتان كل منهما بثمن؛ فإن كانت البيعة الثانية مشروطة في الأولى فلا = أحد من الفقهاء يجيزها، ومن هذا النوع البيوع المحرمة؛ العينة والتورق والتحليل والاستغلال وغيرها من البيوع المحرمة، التي هي حيل ربوية، انظر: رفيق، المصري؛ بيع التقسيط، ص٢٧ ـ ٢٨.

١١٣. المصري، بيع التقسيط، ص ٢٨.والجامع في أصول الربا، ص ١٧٢.// السالوس، الاقتصاد الإسلامي والقضايا المعاصرة، ط ١٤١٦ هـ، ج٢، ص٥٥٥.

١١٤. وهناك فروق بين التورق الفردي والتورق المصرفي وهي:١ . في التورق المصرفي تواطؤ واتفاق بين المصرف والشركة التي سوف تعيد الشراء، وفي التورق الفردي يفترض عدم وجود مثل هذا التواطؤ. ٢. في التورق الفردي تدور السلعة دورتها العادية بين مالك أصلي إلى متورق إلى مالك جديد إلى آخره، أما في التورق المصرفي تدور السلعة من يد مالكها اليمنى ثم البنك ثم إلى يد مالكها الأول اليسرى.٣ . في التورق الفردي فصل كامل في التصرفات التعاقدية، أما في التورق المصرفي تتداخل العمليات في جلسة التعاقد، ليقوم البنك ببيع نقد حاضر بنقد آجل بينهما سلعة،// محيي الدين، (التطبيقات المصرفية لعقد التورق...)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٥٢، ص٣١ ـ ٣٢.// لقد وضعت هيئة المعايير الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية للتورق معياراً شرعياً، تقصد التورق المنظم، وتتحدث عن التورق الفردي؛ الذي أجازه جمهور الفقهاء، وهو ما زال محل خلاف شديد عند المعاصرين، لكونه حيلة ربوية،،، راجع المعايير الشرعية، ط٢٠٠٧م، المعيار ٣٠، ص٤٩٢.

١١٥. شحاتة، (التورق المصرفي في نظر التحليل المحاسببي والتقويم الاقتصادي الإسلامي)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٧٤، ص٢٦ ـ ٢٧.// محيي الدين؛ أحمد، (التطبيقات المصرفية لعقد التورّق وآثارها على مسيرة العمل المصرفي الإسلامي)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٥٢، ص٣٠.

١١٦. أبحاثهم على التوالي: العثماني، (أحكام التورق وتطبيقاته المصرفية)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٧٤، ص٤٣ - ٤٥.// ابن منيع، (حكم التورق كما تجريه المصارف الإسلامية)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٧٤، ص٤٥ -٤٧.// عيسى، (تطبيقات التورق واستخداماته...)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٧٤، ص٤٧-٤٩.// حماد، في فقه المعاملات المالية والمصرفية المعاصرة، دار القلم، دمشق، ط٢٠٠٧م،ص ١٧٧ - ١٨٥.

١١٧. ابن خوجة، (التورّق المصرفي بين التأييد والرفض)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٦٣، ص٣٩. وهو الرأي الراجح عندي في التورق المنظم.

١١٨. انظر للتوسع: مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٧٤، ص٥٦،// السويلم، (التكافؤ الاقتصادي بين الربا والتورق)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٧٤، ص٣٢-٣٧.// الضرير، الرأي الفقهي في التورق المصرفي، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٧٤، ص٣٨-٤٢.// ابن خوجة، (التورّق المصرفي بين التأييد والرفض)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٦٣، ص٣٩.// وانظر مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٧٤، ص٥٤، لترى مع المانعين رأي عبد الرحمن يسري، ورفعت العوضي، ومن قوله ضاع من عمر البنوك الإسلامية ٢٥ في المرابحة للآمر بالشراء، فهل ستضيع ٢٥ عام في التورق المصرفي.وأحمد علي عبد الله، وأحمد محيي الدين، وحسين حامد حسان وآخرون.

١١٩. حوار الأربعاء بعنوان، التورق في البنوك هل هو « مبارك « أم مشؤوم؟ هل هو من باب « التيسير « والرخص أم من باب الحيل ؟هل هو مخرج شرعي أم وسيلة إلى الربا الفاحش ؟ المصري، مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي، الأربعاء ١٤٢٤/٨/١٢هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/٨م.

١٢٠. لشيخ الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ١٩٩٣م، ص١٨٥.// القرافي، أنوار البروق في أنواع الفروق، ج٤، ص ١٤٧.// الزركشي، المنثور في القواعد، ج٢، ص٣١٨.// الحموي، غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ج١، ص٢٧٦.

المصادر والمراجع:

١. إرشيد؛ محمود عبد الكريم، دور القيم والأخلاق وأثرهما على النشاط الاقتصادي، دراسة اقتصادية إسلامية تحليلية، رسالة دكتوراه، جامعة النيلين، ٢٠٠٣م، نشر دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م.

٢. الألباني؛ الشيخ محمد ناصر الدين، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامي، إشراف زهير الشاويش، ط٤، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

٣. الأنصاري؛ زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي، أسنى المطالب شرح روض الطالب، دار الكتاب الإسلامي، د ت.

٤. البابرتي، محمد بن محمود المتوفى سنة (٧٨٦هـ)، العناية على الهداية، دار الفكر.

٥. الباز؛ عباس أحمد محمد، أحكام المال الحرام وضوابط الانتفاع والتصرف به في الفقه الإسلامي، دار النفائس، ط٢، ١٤٢٠هـ =١٩٩٩م.

٦. البيهقي؛ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ)، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

٧. التفتازاني؛ مسعود بن عمرو (٧٩٢هـ)، شرح التلويح على التوضيح، مكتبة صبيح بمصر.

٨. ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، ١٣٩٨هـ، السعودية.

٩. التوني؛ عز الدين وآخرون، دليل المصطلحات الفقهية الاقتصادية، بيت التمويل الكويتي ـ ط ١٩٩٢مـ.

١٠. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، د ت، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

١١. جماعة من العلماء، الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف الكويتية، سنوات مختلفة.

١٢. الإمام الجويني؛ إمام الحرمين، أبو المعالي (ت٤٧٨هـ)، غياث الأمم في التياث الظلم، المشهور بالغياثي، ط دار الدعوة، تحقيق مصطفى حلمي وفؤاد عبد المنعم أحمد، ١٩٧٩م.

١٣. بلوافي؛ أحمد مهدي، البنوك الإسلامية والاستقرار المال،...، مجلة جامعة الملك عبد العزين، م٢١، ع٢، (٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ).

١٤. الحطاب؛ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني (٩٥٤ هـ= ١٥٤٧م)، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر.

١٥. حماد؛ نزيه، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١٩٩٣م.

١٦. حماد، في فقه المعاملات المالية والمصرفية المعاصرة، دار القلم، دمشق، ط٢٠٠٧م، ١٤٢٨هـ.

١٧. الحموي؛ أحمد بن محمد الحنفي، غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، د ت.

١٨. حيدر؛ علي، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ= ١٩٩١م.
١٩. الخرشي؛ محمد بن عبد الله، (١١٠١هـ=١٦٩٠م)، شرح مختصر خليل، دار الفكر.
٢٠. الخطيب؛ الشيخ محمد عبد الله، (حالة الضرورة الشرعية في التعامل الربوي)، (مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٥٠، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م).
٢١. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ط بيت الأفكار الدولية، د ت.
٢٢. ابن رجب الحنبلي؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد (٧٩٥هـ=١٣٩٣م)، القواعد، دار المعرفة، د ت.
٢٣. ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
٢٤. الزحيلي؛ وهبة و جمال عطية، تجديد الفقه الإسلامي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م.
٢٥. الزحيلي، وهبة، ورأفت عثمان، (الضرورة بعد أن اتخذها البعض وسيلة لاستحلال الحرام) مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٦٧، ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م.
٢٦. الزرقا؛ الشيخ أحمد بن الشيخ محمد، شرح القواعد الفقهية، بقلم مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤١٤هـ =١٩٩٣م.
٢٧. الزركشي؛ بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (٧٤٥هـ=٧٩٤هـ)، البحر المحيط، دار الكتبي، د ت.
٢٨. الزركشي؛ بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (٧٩٤هـ=١٣٩٢م)، المنثور في القواعد الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية.
٢٩. السالوس؛ علي أحمد، الاقتصاد الإسلامي والقضايا المعاصرة، دار الثقافة، الدوحة، ومؤسسة الريان، ط ١٤١٦ هـ.
٣٠. السرخسي؛ محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، دار المعرفة.
٣١. السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (٩١١هـ= ١٥٠٥م)، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، د ت.
٣٢. السلامي؛ الشيخ محمد مختار، ندوة البركة الثامنة والعشرين للاقتصاد الإسلامي، المنعقدة بجدة في رمضان، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م
٣٣. شحاتة؛ حسين، (الضوابط الشرعية لفروع المعاملات الإسلامية بالبنوك التقليدية)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، دبي، عدد ٢٤٠، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.
٣٤. شحاتة، د. حسين تطهير الأرزاق في ضوء الشريعة الإسلامية، دار النشر للجامعات، ١٤٢٠هـ =٢٠٠٠م.

٣٥. شحاتة؛ حسين حسين، (التورق المصرفي في نظر التحليل المحاسببي والتقويم الاقتصادي الإسلامي)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٧٤، ١٤٢٥ هـ= ٢٠٠٤م.
٣٦. الضرير؛ الصديق محمد أمين، المقارنة والموازنة بين الآراء المانعة للمساهمة في شركات، مجلة مجمع الفقه الإسلامي.
٣٧. ابن عابدين؛ محمد أمين بن عمر المشهور (١٢٥٢هـ= ١٨٣٦م)، رد المحتار على الدر المختار في شرح تنوير الأبصار المعروف بـ (حاشية ابن عابدين)، دار الكتب العلمية، د ت.
٣٨. عبد الله، محمد، (التحول من بنك تقليدي إلى بنك إسلامي)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٧١، شوال١٤٢٤هـ= ٢٠٠٤.
٣٩. عطية؛ محيي الدين، الكشاف الاقتصادي لآيات القرآن الكريم، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١م.
٤٠. عمر، د. محمد عبد الحليم، التوبة من المال الحرام، ورقة عمل مقدمة إلى الحلقة النقاشية الثانية عشرة بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، بجامعة الأزهر.
٤١. أبو عيسى؛ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، جامع الترمذي (الجامع المختصر من السنن عن ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل)، إعداد بيت الأفكار الدولية، بدون.
٤٢. غنايم، محمد نبيل، غسل الأموال، المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي، جامعة أم القرى، مارس ٢٠٠٣.
٤٣. . ابن قدامه؛ موفق الدين عبد الله بن أحمد (٦٢٠هـ=١٢٢٣م)، المغني، دار إحياء التراث العربي، د ت.
٤٤. القرافي؛ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس المشهور (٦٨٤هـ ١٢٨٥م)، أنوار البروق في أنواع الفروق، ط، عالم الكتب.
٤٥. القرضاوي؛ يوسف، (إنفاق المال الحرام في المشروعات الخيرية لا يمحو الإثم)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٥٥، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م.
٤٦. القرضاوي؛ يوسف، الحلال والحرام في الإسلام، ط١٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.
٤٧. القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، ط ١٤١٥هـ =١٩٩٥م.
٤٨. قطب؛ سيد، في ظلال القرآن، ط دار الشروق، ط ١٤، ١٩٨٧م.
٤٩. ابن قيم الجوزية؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل، محقق على منهج العلامة ناصر الدين الألباني، مكتبة المورد الصفا، ط١، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م.

٥٠. الكاساني؛ أبو بكر مسعود بن أحمد، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية.
٥١. كميل؛ صالح شريف، النشاط الاقتصادي لغير المسلمين في الدولة الإسلامية، دراسة فقهية، مجلة جامعة النجاح الوطنية، مجلد ١٥، ٢٠٠١م.
٥٢. الإمام الغزالي؛ الإمام أبو حامد، إحياء علوم الدين، ط دار المعرفة بيروت، د ت.
٥٣. ابن ماجة، أبو عبد الله، سنن ابن ماجة، بيت الأفكار الدولية، د ت.
٥٤. مجلة الاقتصاد الإسلامي، دبي، الأعداد: ٢٧٤، أبحاث: العثماني، ابن خوجة، والسويلم، الضرير، عيسى، ابن منيع، ويسري، والعوضي، وأحمد علي عبد الله، ومحيي الدين، وحسين حامد وآخرون.
٥٥. محمد؛ يوسف كمال، (حوار حول الوساطة المالية والمصارف الإسلامية)، مجلة جامعة الملك عبد العزين، مجلد ١٣، ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م.
٥٦. محيي الدين؛ أحمد، (التطبيقات المصرفية لعقد التورق...)، (مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٥٢، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠١م).
٥٧. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، فيصل عيسى البابي الحلبي، د ت.
٥٨. المرتضى؛ المهدي لدين الله الإمام المجتهد أحمد بن يحيى (٨٤٠هـ=١٤٣٧م)، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، دار الكتاب الإسلامي، د ت.
٥٩. المعايير الشرعية هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
٦٠. المصري؛ رفيق يونس، بيع التقسيط، تحليل فقهي اقتصادي، دار القلم والدار الشامية، ط ٢، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
٦١. المنذري؛ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي، ت(٦٥٦)، الترغيب والترهيب، السلام العالمية للنشر والتوزيع، مطبعة الحلبي، مصر، د ت.
٦٢. ناصر، الغريب، (الضوابط الشرعية لإنشاء نوافذ ووحدات إسلامية بالبنوك التقليدية)، بحث قدمه إلى ندوة البركة العشرين للاقتصاد الإسلامي (ماليزيا)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٤٥، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ= يونيو ٢٠٠١.
٦٣. ابن الهُمام؛ كمال الدين محمد بن عبد الواحد الإسكندري السيواسي (٨٦١هـ)، فتح القدير (شرح الهداية)، دار الفكر، د ت.
٦٤. الهيتمي؛ شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر (٩٧٤هـ=١٥٦٧م)، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، دار إحياء التراث العربي.
٦٥. الونشريسي، أحمد بن العباس، المعيار المُعرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١٤٠١هـ= ١٩٨١م.

الهندسة الإيقاعية عند شعراء السجون في العصر العباسي

د. عباس المصري*

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب، ا امعة العربية الأمريكية، جن ، فلسط .

ملخص:

هذا بحثٌ موسومٌ بـ « الهندسة الإيقاعية عند شعراء السجون في العصر العباسي »، وفيه محاولة لإلقاء الضوء على المستويات الإيقاعية بفرعيها الخارجي والداخلي، فالخارجي يتمثل بالوزن والقافية، لتناغمها مع السياق النفسي لشعر السجون، حيث توزعت الأوزان البسيطة والمركبة وفق السياق النفسي، وحققت تناغماً بين الأصوات الإيقاعية والبيئة النفسية للقصيدة، أما الداخلي، فتمثل بالمستوى الصوتي والإفرادي والتركيبي، حيث شكلت هذه المستويات بمجملها سيمفونية الإيقاع الداخلي في شعر السجون، فكان تكرار الصوت المفرد في البيت الشعري يشكل عصباً رئيساً يربط بين إيقاع الصوت مع فكرة الشاعر وإحساسه.

Abstract:

This research is marked by "The Rhythmic Engineering of prisons poets in Abbasi Regime'. It's an attempt to shed light on the two rhythmic levels; external represented by metre and rhyme which reflect the psychological status of the poet and the environment of the poem. The internal level is formulated through the vocal, on ness and structural levels all of which have composed the symphony of the internal rhythm in prisons' poetry. It is the repetition of the single sound in the one verse that constitutes the central never which relates the sound rhythm with the poets' idea and his feelings.

الإيقاع الخارجي:

أولاً: الوزن

توزع الإيقاع في شعر السجون في العصر العباسي على مستويين، الأول: الإيقاع البسيط أو المفرد، ويشمل البحور التي تتكون من تردد تفعيلة واحدة، وقد برز في هذا المستوى بحرا الكامل والمتقارب، والثاني: الإيقاع المركب ويشمل البحور التي تتألف من تردد تفعيلتين، وبرزت في هذا المستوى بحور الطويل والوافر والخفيف.

يتناغم شيوع البحور في المستويين المذكورين في شعر السجون مع النسبة المئوية لشيوع البحور في الشعر العربي(١). ويدل التناغم بين الأوزان التي شاعت في الشعر العربي والأوزان التي شاعت لدى شعراء السجون على أن الشعر في أصله انفعال داخلي بصرف النظر عن السياق المكاني الذي يقبع فيه الشاعر، فعلى الرغم من أن السجن يُعَدُّ سياقاً مكانياً استثنائياً وسياقاً نفسياً خاصاً، فإن شعر السجون لم يخرج عن دائرة الأوزان المألوفة في الموروث الشعري العربي، وذلك للسبب الذي أشرنا إليه، وهو أن الشعر انفعال داخلي غير مقيد بخصوصية مكانية. ويكشف شيوع البحور المشار إليها في شعر السجون دون غيرها إلى القيمة الإيقاعية التي تتصف بها، ومن المفيد أن نشير إلى التميز الإيقاعي للبحور التي أكثر شعراء السجون من النظم عليها.

من المعلوم أن البحر الطويل يتألف من تفعيلتين هما: فعولن ومفاعيلن على الترتيب، وتبرز القيمة الإيقاعية لتوالي التفعيلتين من خلال النسق التتابعي للحركات والسواكن للتفعيلتين وذلك على النحو الآتي:

فَعُولُنْ ← م م س م س

مَفَاعِيلُنْ ← م م س م س م س

(م ← حركة)

(س ← ساكن)

نلاحظ أن النسق التتابعي للحركات والسواكن في التفعيلتين متماثل؛ إذ تتكون تفعيلة فعولن من متحرك + متحرك + ساكن + متحرك + ساكن كذلك تفعيلة مفاعيلن. وإذا علمنا أن زحاف القبض يصيب تفعيلة (فعولن) فتتحول إلى (فعولُ)، وأن علة الحذف تصيب تفعيلة (مفاعيلن) فتتحول إلى (مفاعي). أدركنا أن الجزء الأول من تفعيلة (فعولن) وهو (فعو)، و الجزء الأول من تفعيلة (مفاعيلن) وهو (مفا) هما عصب الإيقاع في البحر الطويل، وهو ما يسميه محمد مندور (الارتكاز)، وهو (عودة ظاهرة صوتية ما على مسافة زمنية معينة) (٢)، وعليه فإن التناغم بين التفعيلتين من حيث نسق الحركات والسواكن

جعل البحر الطويل يمتاز بإيقاعه، فكثر النظم عليه، فالتناغم أو التوافق يزيد الإيقاع «لأن تعاقب الحركة والسكون في الأوزان المقصودة ليس أمراً عشوائياً، بل هو عملية تناسب داخل نظام متحد لحركة منتظمة من الزمن، تتألف داخلها الأجزاء في مجموعات متساوية، ومتشابهة في تكوينها، فيتشكل – بهذا التآلف – كل وزن على حدة، ويتميز – في الوقت نفسه – عن غيره من الأوزان»[٣].

ويتناغم ما تقدم مع سجية النفس الإنسانية التي طبعت على عشق النظام والترتيب، فالنفس تميل إلى النسق والنظام، وتنفر من الفوضى والعشوائية، وهذا ينسحب على الوجدان والمشاعر من حيث التأثر والإثارة، فالإيقاع الذي يداعب عواطفنا ينبغي أن يكون على قدر من التنسيق والنظام، وذلك أنه «كلما وردت أنواع الشيء وضروبه مرتبة على نظام متشاكل، وتأليف متناسب، كان أدعى لتعجيب النفس وإيلاعها من الشيء، ووقع منها الموقع الذي ترتاح له»[٤]. ولما كان وزن البحر الطويل يقوم على نسق إيقاعي مركب – كما تقدم بيانه – فقد كان من الإيقاعات الأثيرة لدى الشعراء عموماً .

أما القيمة الإيقاعية للبحر الوافر، فتتجلى بالانتقال من الوحدة الإيقاعية الكبرى (مفاعلتن) إلى الوحدة الإيقاعية الصغرى (فعولن)، أو بالانتقال من المساحة الإيقاعية السباعية إلى المساحة الإيقاعية الخماسية. والتنويع الإيقاعي في البحر الواحد يحقق تفاعلا بين الإيقاع وأذن المتلقي؛ لأن التنويع بحد ذاته يكسو الرتابة التي تسبب مللاً بل ضجراً للمتلقي.

وسنكتفي برصد القيمة الإيقاعية لواحد من البحور البسيطة، وقد اخترنا البحر الكامل وذلك لشيوعه في شعر السجون. وإذا كان البحر الكامل لا يتمتع بخاصية التركيب، إذ يتألف من تردد تفعيلة واحدة (متفاعلن) فإن كثرة الحركات في تفعيلته تضفي عليه حيوية إيقاعية مائزة، «فكلما زادت الحركات، ارتفعت درجة الإيقاع، وكلما كثرت السواكن، انخفضت درجة الإيقاع، وبالتالي يكون تقطع الوزن أوحيويته قرين زيادة السواكن، كلما زادت السواكن زاد التقطع، والعكس صحيح»[٥] وعدد الحركات في تفعيلة الكامل قادت التبريزي إلى تعليل تسميته فقد «سمي الكامل كاملاً لتكامل حركاته، وهي ثلاثون حركة ليس في الشعر شيء له ثلاثون حركة غيره»[٦].

وبعد أن وقفنا على جانب من المستويات الإيقاعية للأوزان التي كثر نظم شعر السجون عليها، ينبغي أن ننظر إلى علاقة الوزن بالدلالة، والنظر في هذه العلاقة ليس بالأمر اليسير. فقد شكلت هذه العلاقة مساحة اختلاف بين القدماء والمحدثين فمن الفريقين مَنْ نفى وجود علاقة بين الوزن والدلالة، ومنهم مَنْ دافع عن وجودها.

يقرر ابن طباطبا وجود علاقة بين الوزن والمعنى، يقول: «فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة فَخَصَّ المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكرة نثراً، وأعد له ما يُلْبِسُهُ إياه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه والوزن الذي يَسْلُسُ له القول عليه»(٧) . و أشار حازم القرطاجني إلى علاقة الوزن بالدلالة في الشعر اليوناني(٨). وقد لاقت هذه الأقوال صدى لدى بعض المحدثين، ومنهم إبراهيم أنيس في قوله: «على أننا نستطيع ونحن مطمئون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع، يصب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه»(٩).

ومن المحدثين من نفى العلاقة بين الوزن والدلالة ؛ لأن «الوزن الواحد يشكل أساساً عاماً – ومجرداً – يصلح معه الوزن لتجارب متعددة، ولكنه يتشكل داخل كل تجربة تشكلاً متفرداً، يميّز الوزن نفسه في قصيدة عن غيرها، ويميّز إيقاع مقطع من مقاطع القصيدة عن بقية المقاطع في آن»(١٠).

ولا يخدم الانحياز إلى فريق منهما أهداف دراستنا، ولكننا نرى جانباً من الصواب فيما ذهب إليه الفريقان، وليست وسطية الموقف هنا هروبا من تحديد رأي في الغمار الذي خاض فيه القدماء والمحدثون حول علاقة الوزن بالدلالة والمعنى، وإنما تأتي من فهمنا للتشكيل الإيقاعي لأي وزن من الأوزان، إذ إن إيقاع الوزن – عموما – لا يتسم بالثبوت والرتابة بسبب التموجات الإيقاعية التي تطرأ على الوزن، وذلك بوساطة الزحافات والعلل العروضية .

وما دام الوزن الواحد يتلون إيقاعه وفق التغيرات العروضية الجائزة ووفق ضوابط العروض، فإن الوزن الواحد ليس إيقاعاً واحداً، وإنما مجموعة من الإيقاعات المتجانسة(١١) . وعليه يمكننا القول إن الوزن الواحد يتسع لأطياف من المشاعر والعواطف من فرح وحزن وسكينة وغضب، وفي هذا نلتقي مع جابر عصفور إلى حد ما، ولكن ينبغي أن نضيف إضاءة أخرى وهي أن بعض الأوزان أكثر تناسباً من غيرها لسياقات نفسية معينة، وفي هذه الإضاءة نقترب من رأي إبراهيم أنيس فيما تقدم.

وعند تأملنا للقصائد التي اخترناها في دراستنا لشعر السجون في العصر العباسي وجدنا أن أوزاناً معينة تكثر في سياقات نفسية معينة، ففي البحر الوافر أثارتنا ظاهرة التناغم بين إيقاع الوافر وسياق المرح والدعابة والمودة، وهو سياق نفسي منسجم، ولهذا التناغم في رأينا تعليل يتصل بالتشكيل الإيقاعي للوافر، سنأتي على بيانه بعد أن نتأمل قول أبي دلامة:

(الوافر)

أُقـادُ إ السـجون بِغـ ـِ جُرْمٍ   كَأنـي بَعْـضُ عُمـالِ ا ـَراجِ

وَلَوْ مَعَهم حُبِسْـتُ لكانَ سَهْلاً   ولكني حُبِسْـتُ مَـعَ الدجاجِ

دَجاجاتٌ يُطِيْـف ـِ ـن ديـكٍ   يُناجـي بالصيـاحِ إذا يُناجـي

على أنـي وإنْ لاقيتُ شـر (١٢)   ـَ ـ كَ بَعْدَ ذاكَ الشـر راجي

فالشاعر في سياق هذه الأبيات ليس حزيناً – كما تقتضي حال السجين – إذْ إن المرح والدعابة يُغَلِّفانِ الإطار العام للأبيات، وتصل الدعابة إلى حد الفكاهة حين يصف حاله سجيناً مع الدجاَج، وفي أخبار أبي دلامة ما يعزز دلالة الأبيات فَقَدْ سُئِل «أين حُبِسْت يا أبا دلامة؟ قال: مع الدجاج . قال: فما كنت تصنع ؟ قال: أقوقي معهن حتى أصبحت»(١٣).

والشاعر ليس غاضبا من الخليفة لحبسه إياه، ففي البيت الأخير يصل تفاؤل الشاعر بالخليفة إلى حد اليقين، وهذا التفاؤل يكشف عن مودة الشاعر للخليفة الذي رماه في السجن.

ونلاحظ أن المسار النفسي لسياق الأبيات مسار أفقي مسطح – إن جاز التعبير – إذ يخلو المسار النفسي من صراع نفسي، ومن شوق وحنين للأهل والأحبة خارج السجن، ومن آهات وآلام كما هو معهود من شاعر سجين . والتساؤل عن علاقة هذا المسار بإيقاع الوافر أمر مشروع بل هو ضرورة فنية، وفي الإجابة على هذا التساؤل نرى أن بساطة إيقاع الوافر وسهولته، تنسجم مع الدلالة والسياق النفسي للأبيات، فايقاع الوافر يكاد يسير على وتيرة واحدة، فليس في حشوه زحاف إلا الإضمار، كما أن تفعيلتي عروضه وضربه تبقيان صحيحتين ؛ لذلك يخلو من التموجات الإيقاعية التي تنجم عن الزحافات والعلل العروضية، وخلوه من التموجات الإيقاعية يجعله ينسجم مع السياق النفسي الذي يخلو – بدوره – من الصراعات وما تحمله في حناياها من غضب جامح، أو من فخرٍ متعالٍ، أو من هجاء قاسٍ ولا ينبغي أن يفهم أن إيقاع الوافر يخلو من انفعال ما، ولكنه انفعالاً بسيط غير مركبٍ يتخذ مسارا واحدا .

وفي اتجاه آخر يبدو التناغم واضحاً بين ايقاع البحر الطويل والاعتداد بالنفس، يقول أبو فراس:

(الطويل)

ولا أُصْبِحُ ا ـَ ـ ـي ا ـَ ـلُوفَ بِغَـارَةٍ،   وَلا ا ـَيشَ مَـا لَمْ تَأْتِه قَبْلَـي النُذْرُ

وَحَـي رَدَدْتُ ا ـَ ـيْلَ حتـى مَلَكْتُـه   هَزِ ـ وَرَدّتْـ البَرَاقِـعُ وا ـُمْـرُ

وَسَاحِبَـةِ الأذيـالِ نَحـوي لِقِيتُهَـا   فَلَـمْ يَلْقَها جا اللّقَـاءِ ولا وَعْـرُ

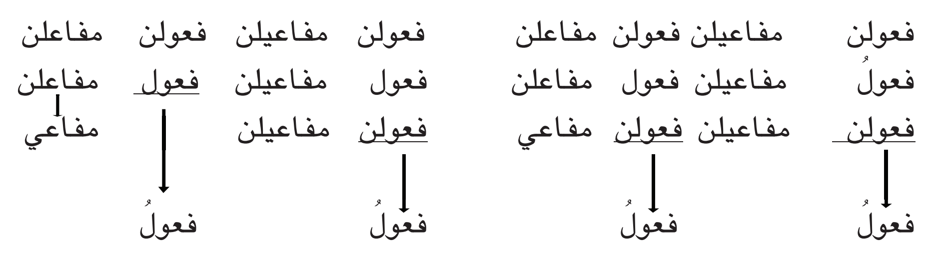
أُسِـرْتَ وَما صَحـ بِعُزْلٍ لدى الوَغى،   ولا فَرَسِـي مُهـ ـرٌ ولا رَبُهُ غَمْـرُ

وَلكِـنْ إذا حُمّ القَضاءُ علـى امـرِئٍ   فَلَيسَ لَـهُ بَر يَقيِه، ولا بَحْـرُ (١٤)

تتجلى في هذه الأبيات أطياف من الدلالات تُظَلِّلُها أبعاد نفسية مختلفة، فالشاعر يصف شجاعته وإقدامه في الحرب، وينوه إلى مروءته حينما يَعِفُّ عن قتل النساء في الحرب، ويحرص على إظهار إيمانه بالقضاء والقدر، فهي مزيج من المعاني تشكل جانبا من المعمار النفسي للإنسان، ففيها البعد النفسي للمحارب، والبعد النفسي للقيم الاجتماعية، والبعد النفسي الديني، وهذا يعني أن المسار النفسي هنا ليس مسارا بسيطا أو شفافاً كما هي الحال في المسار النفسي الذي بَرَزَ في البحر الوافر.

ويتجدد التساؤل؛ ما علاقة إيقاع الطويل بالبعد النفسي المركب ؟ والإجابة تحيلنا – ثانية – إلى التشكيل الإيقاعي للطويل، فمن المعلوم أن وزن الطويل مركب متجاوب ؛ إذ يتكون من تفعيلتي (فعولن ومفاعيلن) وتتجاوب (تتماثل) التفعيلة الأولى مع الثالثة والثانية مع الرابعة، وهذا يعني أن التموجات الإيقاعية تنجم عن ماهية التفعيلة إذ يتشكل إيقاع من مساحة إيقاعية خماسية (فعولن) ومن مساحة إيقاعية سباعية (مفاعلين)، كذلك تتشكل التموجات الإيقاعية أو لنقل التنوع الإيقاعي من الزحافات والعلل العروضية، ولسنا هنا بصدد بيان أنواع الزحافات والعلل، لأننا معنيون بالتموجات الإيقاعية التي يوفرها وزن الطويل للشاعر الذي يستطيع أن يعبّر عن حزمة من المعاني والمشاعر في إطار إيقاع البحر الطويل [١٥] .

ولعل من المفيد أن نرصد التموجات الإيقاعية لوزن الطويل بهدف إبراز قدرته الإيقاعية على استيعاب التنوعات الدلالية والنفسية، فلنتأمل الطاقة الإيقاعية للطويل .



ولا يخفى أن الطاقة الإيقاعية للبحر الطويل تتجلى بزحاف القبض في حشو البيت حين تتحول (فعولن) إلى (فعول)، وكذلك تتجلى بالعلل العروضية في تفعيلتي العروض والضرب اللتين تتحولان إلى (مفاعي) في حالة التصريع. وهي تموجات إيقاعية في القصيدة الواحدة، وما دام الأمر كذلك فإن الإيقاع يتناغم مع التنوع الدلالي والنفسي، ومن اليسير علينا أن نتبين الفرق بين إيقاع الوافر وبين إيقاع الطويل من حيث القدرة الإيقاعية على التنوع، ومن اليسير علينا أن نميل إلى القول إنَّ المسار النفسي الثابت (البسيط الشفا) يتلاءم مع الإيقاع الأقرب للثبات نحو: إيقاع الوافر، وإن المسار النفسي المركب (المتنوع بدلالاته ومشاعره) يتلاءم مع الإيقاع الأقرب للتغير والتموج .

وإذا كان ما تقدم يحتاج إلى إضاءة أخرى للكشف عن أواصر القربى بين التشكيلات الإيقاعية للوزن الواحد، والتشكيلات النفسية للقصيدة الواحدة، فإننا سنبين أواصر القربى بين المنظومة الإيقاعية والمنظومة النفسية في قول أبي العتاهية مِنْ سجنه مخاطباً زوجته:

١. أيـا وَيْـحَ قَلْـ ـمِـنْ نَحِـي البلابِـلِ   وَيـا وَيْحَ سـاقي مـن قُروحِ السلاسِـلِ

ألم يعتصر قلب الشاعر من صوت البلابل   ألم جسدي ينبعث من قروح القيود

تكامل الألم النفسي والجسدي

٢- ويـا وَيْـحَ نَفْسـي وَيْحَهـا وَيْحَهـا   أَلَـمْ تَنْـجُ يَوْمـ مـن شِـباكِ ا َبائِـلِ

مزيج من مشاعر الغضب والنقمة على الوشاة الذين تسببوا بسجنه

يتجلى في البيتين انتقال الشاعر من الإطار الذاتي للحزن (حينما وصف الألم النفسي والجسدي في البيت الأول)، إلى الإطار العام للحزن في البيت الثاني حينما أشار إلى الوشاة وفي هذا حركة نفسية من الداخل إلى الخارج.

٣- ويـا وَيْـحَ عَيْنَـي قـد أَضـرَ ـا البُـكا   فلـم يُغْـنِ عنها طِـب مـا ا كاحِلْ

يعود اطار الحزن ذاتياً، ولكنه يضيف بعداً جديداً، إذ أصبح الحزن الدفين ظاهراً، فالشاعر في البيت الأول يعتصر قلبه ألما، وهو حزن خفي لا يشعر به إلا صاحبه، أما الحزن هنا فهو حزن مرئي لأن غزارة الدموع قد أضرت بعينيه. وبين الخفاء والظهور تتموج نفسية الشاعر تناغماً مع التموجات الإيقاعية للبحر الطويل. وفي تأملنا للبحر الوافر ذي المسار النفسي الثابت لم نشعر بهذا التموج الذي تجلى في البحر الطويل .

لا يخفى أن الحالة النفسية للشاعر قد توزعت بين الدائرة الذاتية (آلامه وهمومه في سجنه)، والدائرة الخارجية (قلقه وشوقه على أهله وزوجه)، وهذا التوزيع أو لنقل الانقسام النفسي يشكل صراعاً ناجماً عن تموجات نفسية، وقد وجد هذا التموج النفسي في الإيقاع المركب للبحر الطويل إطاراً مناسباً أكثر من غيره.

٤- ذريـ أُعلـلْ نَفْسـي اليـوْمَ إنهـا رهيَـةُ رَمْـسٍ تَـرَى وجنـادِل

تعود الحركة النفسية إلى الخارج من خلال الحوار بين الشاعرالسجين وزوجته، فالشاعر بحاجة ماسة إلى مَنْ يحاوره وهو في سجنه، وإن كان هذا الحوار من طرف واحد.

وصفوة القول فيما تقدم، إن التشكيلات النفسية في الأبيات الأربعة المتقدمة، تناغمت مع التشكيلات الإيقاعية للبحر الطويل، إذ إنَّ تنوع الوحدات الإيقاعية (خماسية وسباعية)، وما يحدث فيها من تغيرات عروضية (زحافات وعلل)، يستوعب الحركة النفسية التي تجلت في الأبيات المتقدمة وذلك على النحو الآتي:

البيت الأول ← **حركة نفسية داخلية**
البيت الثاني ← **حركة نفسية داخلية خارجية**
البيت الثالث ← **حركة نفسية داخلية**
البيت الرابع ← **حركة نفسية داخلية خارجية**

كما يمكننا أن نستأنس بالعلاقة التي تجلت بين المسار الإيقاعي والمسار النفسي لنقرر بأن الحالة النفسية للشاعر السجين كانت تتراوح بين المعاناة الشديدة في حال التعذيب وطول مدة السجن، فيلجأ الشاعر في هذه الحال لتصوير آلامه من خلال إيقاع متنوع قادر على استيعاب مخزونة الشعوري من جهة، والميل إلى الدعابة والسخرية في حال عدم اقتران السجن بالتعذيب أو قصر المدة الزمنية، فيلجأ الشاعر في هذه الحال لإيقاع ثابت إلى حد ما لأن نفسية الشاعر في هذا السياق لا تحتاج إلى إيقاع متنوع.

ثانياً: القافية

يشكل مفهوم القافية لدى القدماء خلافا يمكن الإفادة من جوانبه في دراسة التشكيل الإيقاعي للقافية، فالقافية عند الخليل بن أحمد آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن. وعند الأخفش آخر كلمة في البيت، وعند الفرّاء حرف الروي(١٦). ويوفر إيقاعا الخليل والأخفش مساحة إيقاعية أكثر اتساعا مما يوفره تعريف الفرّاء الذي قصر القافية على الروي، وقد التفت بعض المحدثين إلى المساحة الإيقاعية للقافية فعرفوها على أنها «أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أوالأبيات من القصيدة، وتكرارها يكوّن جزءاً مهما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترديدها»(١٧) .

وسنعمد إلى إغفال مفهوم القافية عند الفرّاء لقصر المساحة الإيقاعية التي يوفرها؛ لأن صوت الروي «إذا تكرر وحده ولم يشترك معه غيره من الأصوات عُدّت القافية حينئذ أصغر صورة ممكنة للقافية الشعرية»(١٨) .

ومهما كانت المساحة الإيقاعية للقافية، فإنّ الإيقاع المنبعث عن وحداتها الصوتية ليست كيانا مستقلا، إذ لا تنفصل عن الدلالة وليس بمقدور أحد أن يزعم بأن « القافية لا تؤثر في معنى الشاعر ولا ينبغي أن تؤثر فيه، ولكنه خطأ أكبر أن نحسب القافية وسيلة مضمونة لتوليد المعنى، فالحق أن القافية والمعنى يتفاعلان في ذهن الشاعر، يتجاذبان ويدور كل منهما حول الآخر دون أن تختلط خطواتهما أبدا، ودون أن يتصارعا ويجب أن يسير تداعي الأصوات وتداعي المعاني جنبا إلى جنب»(١٩) .

وبناء على ما تقدم فإننا نستطيع أن نقرر، ونحن مطمئنون، أن القافية ليست ضربات إيقاعية أو نغمات موحدة تشير إلى نهاية البيت فحسب، وإنما نغمة إيقاعية وكمال دلالي للبيت، فليست القافية « هي التي تحدد نهاية البيت، بل نهاية البيت هي التي تحددها»(٢٠).

وتتميز الأصوات (الحروف) التي تقع روياً في الشعر العربي بملامح صوتية خاصة، إذ إنّ الوضوح السمعي ورنين وقعها من أبرز صفاتها، وقد وقف إبراهيم أنيس على شيوع حروف الهجاء في الروي، فوجد أن الراء واللام والميم والنون والباء والدال والسين والعين يكثر وقوعها رويا، وأن القاف والكاف والهمزة والحاء والفاء والياء والجيم أقل وقوعا في الروي، وأن الضاد والطاء والهاء والتاء والصاد والثاء أقل بكثير مما تقدم، وأن الذال والغين والخاء والشين والزاي والظاء والواو يندر وقوعها رويا»(٢١) .

تحقق هذا التوزيع المتفاوت في النصوص المختارة من شعر السجون، وكثر وقوع أصوات الراء واللام والميم والدال والسين، رويا، وقد اخترنا ما يمثلها من مطالع القصائد كما في قول أبي فراس:

(الطويل)

أراكَ عَصِيَّ الدّمعِ شِيمَتُكَ الصّبرُ ، أَمَا لِلْهَوى نَهْيٌ عَلَيْكَ ولا أَمْرُ؟ (٢٢)

وقول أبي العتاهية:

(الطويل)

أيا وَيْحَ قَلْبي مِنْ نَجِيّ البلابِلِ وَيا وَيْحَ سَاقيّ مِنْ قُرُوح السلاسِلِ (٢٣)

وقول ابراهيم بن المدبر:

(الطويل)

ألا طرقت سلمى لدى وقعة الساري فريدا وحيدا موثقا نازح الدار (٢٤)

ولا نهدف مما تقدم رصد أصوات الروي من حيث نوعها ومستواها العددي، إذ إنّ عملية الإحصاء إذا خلت من نتائج دلالية فلا فائدة منها، إذ تصبح مجموعة من الأرقام والنسب المئوية فهي أقرب إلى الرياضيات من الدراسة الدلالية الإيقاعية، ولكننا نهدف إلى الإشارة إلى نوع الأصوات التي وقعت رويا لبيان قيمتها الإيقاعية، فشيوع أصوات الراء واللام والميم والنون، يعود إلى الوضوح السمعي لهذه الأصوات ٬ فهي توصف بأنها أشباه حركات لوضوحها السمعي ورنين وقعها، فالراء صوت تكراري أو لمسي، واللام صوت جانبي، والميم والنون صوتا غنة، والباء والدال صوتان مجهوران، والسين والعين صوتان احتكاكيان، والأول منهما صوت صفيري. وشيوع هذه الأصوات هو الذي يفسر لنا ندرة الأصوات المهموسة نحو الفاء على سبيل المثال ؛ لأن الأصوات المهموسة تفتقر إلى الوضوح السمعي؛ إذ إنّ أصواتها تكاد تتلاشى عند الإنشاد، كما يمكننا القول إن شيوع الأصوات ذات الملامح الصوتية العالية الواضحة تنسجم مع الحاجة النفسية للشاعر السجين الذي يتوق لسماع أصوات من مصدر ما، ولما كانت المساحة الإيقاعية للقافية لا تقتصر على صوت الروي، وإنما تمتد لتشمل أصوات (التأسيس والردف والوصل والخروج)[٢٥]، فإننا سنشير إلى مكونات المساحة الإيقاعية للقافية في شعر السجون، لأنه « على قدر عدد الأصوات المتكررة في أواخر الأبيات تنمو موسيقى الشعر وتكمل»[٢٦] .

ومن الأصوات الايقاعية للقافية ألف التأسيس، التي تعد مبتدأ إيقاع القافية، وتعد شرطا لازما في التشكيل الإيقاعي للقافية، إذ إنّ إيقاع التأسيس في مطلع القصيدة يجب أن يستمر إلى نهاية القصيدة، وإذا ما أخلّ الشاعر بهذا الشرط الإيقاعي وقع فيما يعرف «بسناد التأسيس».

ويعني هذا الشرط أن الشاعر حينما يؤسس قافية المطلع، فإنه يؤسس للنغمة الرئيسة التي يجب أن تتابع حتى نهاية القصيدة، لنتأمل قول أبي العتاهية:

(الطويل)

أيـا وَيْحَ قلـ مـن نَجِـي البلابِلِ ... ويا وَيْحَ سـاقي من قُروُح السلاسِـلِ

ويا وَيْحَ نَفْسـي وَيْحَهـا وَيْحَها ... أَلَمْ تَنْـجُ يومـ مِنْ شِـباكِ ا َبائِلِ[٢٧]

إن ملازمة إيقاع التأسيس للقافية يشكل وحدتين إيقاعتين ثابتتين للقافية، الوحدة الإيقاعية للتأسيس، والوحدة الإيقاعية للروي، وبينهما وحدات إيقاعية مختلفة وهي الأصوات التي تقع بين التأسيس والروي والتي تسمى عروضيا بـ « الدخيل « × الذي لا يلتزم به وإنما تُلتزم حركته وهي الكسرة في البيتين السابقين والتزام الكسرة هنا يضفي على الإيقاع تنوعاً آخر يزيد من كمال موسيقى القافية التي يصبح إيقاعها مركبا من ثلاثة أصوات، التأسيس وصوت الكسرة وصوت الروي[٢٨] .

ومن أصوات القافية ما يُعرف (بالردف) وهو أصوات الألف والواو والياء التي تقع قبل الروي، وذلك نحو قول أبي نواس:

(الوافر)

وُقيـتَ ـَ الـرَّدَى زِدْ قيـودَا   وثـن علـي سـوْط أو عَمُودا

وَوَكلْ وبالأَبـوابِ دونـ ـي   مـن الرقَبـاءِ شـيطان مَريـدَا

فقـد تـركَ ا ديـدَ علي ريشـ   وأوقرَ بَعْضُهُ قلـ حديـدا(٢٩)

نلاحظ أن الواو والياء قد وقعتا ردفا، وقد أجاز العروضيون التناوب بين الواو والياء في ردف القافية على الرغم من أنهما صوتان مختلفان، ولكن الإيقاع المنبعث منهما متقارب إلى حد كبير، إذ إن الأذن تكاد لا تفرق بين ايقاعهما، ويعود التشابه بينهما إلى آلية نطقهما فقد « وجد الباحثون من علماء الأصوات اللغوية وجوه شبه بين الضمة والكسرة في طريقة تكون كل منهما، وسمي كل منهما صوتا ضعيفا، وذلك لمضيق مجرى الهواء معهما، وكذلك ما تفرع عنهما من واو المد وياء المد لأنهما متشابهان في طريقة تكونهما، فالسامع قد يخطيء في سماع واو المد، وتطرق أذنه، كما لو أنها ياء مد» (٣٠) .
وحينما يأتي صوت الردف ألفا كقول أبي العتاهية:

(الخفيف)

هِـيَ حَظِـي قـد اقتَصَـرْتُ عليها   مِـنْ ذواتِ العُقُـودِ والأطـواق

جَمَـعَ ا ُ عاجِـلا بِـكِ شَـمْلي   عـن قَريبٍ وَفَكـ مِـنْ وَثاقي(٣١)

فإن التنوع الإيقاعي يختفي عما كان عليه في الأمثلة المتقدمة التي تناوب فيها إيقاع الردف بين الواو والياء.

ومن المفيد أن نشير إلى أن اشتمال كلمات القافية على أصوات الردف ينسجم مع الحالة النفسية للسجين، لأن أصوات الردف تمنح الشاعر السجين فرصة للتصويت على اعتبار أن أصوات الردف هي أصوات مد ولين، إذ يخرج قدر كبير من الهواء أثناء نطقها، ومن المعلوم أن الإنسان المكروب ومن يعاني من هَمٍّ يثقل صدره بحاجة إلى أن ينفث الهواء خارجاً، لذلك يجد الشاعر في أصوات الردف (المد واللين) وسيلة للتصويت أو لإطلاق الصوت وبخاصة أن أصوات الردف تجاور روي القصيدة، وحينما يصل الشاعر في إنشاده نهاية البيت، فإنه يطلق لصوته العنان في أصوات الردف وحركة الروي .

وعليه فإننا نرى أن تماثل صوت الردف سواء أكان واواً أم كان ياء يخلق إيقاعا رتيبا، إذ يتتابع صوت الواو أو صوت الياء في المساحة الكلية للقافية، وأن التناوب بين الواو والياء في الردف يخلق إيقاعا متنوعاً، ولا يخفى أن التنوع يعزز المستوى الإيقاعي للقافية.

ومن نغمات القافية هاء الوصل كما في قول أبي فراس:

(المنسرح)

يـا حَسْـرَةً مـا أكادُ أحمِلُهـا آخِرُهـا مُزْعِـجٌ، وأَولُهـا!(٣٢)

لو تأملنا الحروف الإيقاعية لوجدناها ثلاثة وهي الروي (اللام) والوصل (الهاء) والخروج (الألف)، ولما كانت هاء الوصل إيقاعاً ثابتاً في أبيات القصيدة فإن المساحة الإيقاعية تتسع بها، إذ لا تقتصر على إيقاع الروي . وقد تأتي هاء الوصل معززة بصوت هاء آخر في كلمة القافية، نحو قول أبي فراس:

(المنسرح)

قـولا ـا، إنْ وَعَـتْ مَقَالكُما، وإنّ ذِكْـرِي ـا يُذهِلُهـا:
يَـا أمّتـ ـا هـَ ـذِهِ مَوارِدُنَـ ـا نُعَلُّهـا تَـ ـارَةً وَنُنْهَلُهـا!(٣٣)

فالهاء الأولى في كلمتي القافية ترفع من المستوى الإيقاعي لهاء الوصل من جهة، ومن المستوى الإيقاعي للقافية عموماً .

وتأتي الهاء رابطاً إيقاعيا بين الشطرين، كقول محمد بن صالح العلوي:

(الكامل)

طـرب الفـؤاد وعـاودت أحزانـه وتشـعبت شُـعبا بـه أشـجانه
وبـدا لـ ـه أن الـذي قـ ـد نالـ ـه مـا كان قـ ـدّره لـه ديانـ ـه(٣٤)

وخلاصة القول: إنّ الإيقاع الخارجي بنوعيه؛ الوزن والقافية، قد تناغم مع السياق النفسي لشعر السجون، فقد توزعت الأوزان البسيطةِ (المفردة) والمركبة وفق مقتضيات السياق النفسي للشاعر، وقد تحقق هذا التناغم بينَ الأصوات الإيقاعية للقافية والبيئة النفسية للقصيدةِ.

الإيقاع الداخلي:

أولاً: المستوى الصوتي

يعد التكرار منبهاً إيقاعياً مائزاً، يشارك في تشكيل المنظومة الإيقاعية للنص الشعري، وينافس عوامل الإيقاع الرئيسة من وزن وقافية وغيرهما، ويجذب المتلقي نحوه محققا إثارة وتأثيرا، وإذا كان التكرار يخلق إيقاعا من خلال تكرار الوحدات الصوتية الصغرى (الأصوات المفردة)، والكبرى (الألفاظ والتراكيب)، فإن الإيقاع الناجم عن هذه الوحدات لا ينعزل عن المستويين الدلالي والنفسي، وسنعالج هذا التناغم بين هذين المستويين والإيقاع التكراري فيما هو آت .

ولا يخفى أن إدراك علاقة الإيقاع بالمعنى يقتضي الوقوف على البيئة السياقية للنص الشعري، «فلكل نص دلالات نفسية وانفعالية تختلف من نص لآخر، لذا لا بد من التعرف على السياق والحالة النفسية للكاتب عند ولادة النص ووجوده على أرض الواقع، فالتكرار من الأدوات الجمالية التي تعكس الموقف النفسي والانفعالي»(٣٥) .

إن وقوع التكرار في النص الشعري يحتاج إلى متلقٍ قادر على كشف الصورة الجمالية المنبعثة من التناغم بين الإيقاع التكراري والمعنى، إذ قد يكون التكرار في نص ما حشوا لفظيا مبتذلا، وقد يكون ذا طاقة جمالية، فالأمر منوط بقدرة المتلقي، «فالتكرار ليس جمالا يضاف إلى النص، وإنما كسائر الأساليب في كونه يحتاج إلى أن يجيء في مكانه مِنَ النص، وأن تلمسه يد الكاتب تلك اللمسة السحرية التي تبعث الحياة في الكلمات، لأنه يمتلك طبيعة خادعة، فهو على سهولته وقدرته على إحداث موسيقى يستطيع أن يضلل الكاتب ويوقعه في مزلق تعبيري، فهو يحوي إمكانات تعبيرية تعني المعنى إذا استطاع الكاتب أنْ يسيطر عليه ويستخدمه في موضعه»(٣٦) .

وقد وقفنا على نصوص مختارة من شعر السجون، وتجلى لنا أن التكرار فيها يتوزع على ثلاثة مستويات، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: المستوى الصوتي:

وهو تردد صوت مفرد يشكل منظومة إيقاعية صغرى في حنايا المنظومة الإيقاعية الكبرى، ويأتي الصوت المفرد المتردد بأشكال مختلفة، وقد اخترنا من أشكاله أطيافاً إيقاعية، نميل إلى أنها الأكثر بروزاً وتأثيراً في هذا المستوى من الموسيقى الداخلية، وهي:

تكرار صوت الروي في سياق بيت واحد أو في سياق أبيات متتابعة ولعل قول أبي العتاهية خير ما يجسد هذا الطيف الإيقاعي:

(الخفيف)

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ مُشْتَاقِ ... شَفَّهُ شَوْقُهُ وَطُولُ الفِرَاقِ

طَالَ شَوْقِي إِلى قَعِيدَةِ بَيْتِي ... لَيْتَ شِعْرِي فَهَلْ لَنَا مِنْ تَلاقِ

هِيَ حَظِّي قَدِ اقْتَصَرْتُ عَلَيْهَا ... مِنْ ذَوَاتِ العُقُودِ وَالأَطْوَاقِ

جَمَعَ اللهُ عَاجِلاً بِكِ شَمْلِي ... عَنْ قَرِيبٍ وَفَكَّنِي مِنْ وِثَاقِي(٣٧)

فقد تردد صوت الروي (القاف) في حنايا الأبيات، مما جعل إيقاع الروي يشكل نبضات إيقاعية موزعة، ولم يعد إيقاع الروي مقصوراً على أواخر الأبيات، ويمكن تصور التوزيع الإيقاعي لصوت الروي في حنايا الأبيات على النحو الاتي:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ مُشْتَاق ... شَفَّهُ شَوْقُهُ وَطُولُ الفِراقِ

لا يخفى الرابط الإيقاعي (القاف) بين «القلب ومشتاق «وكذلك الرابط الإيقاعي بين «شوقه والفراق»، ولو واصلنا تلمس الرابط الإيقاعي (القاف) لتشكلت لدينا تموجات إيقاعية تتناغم وتنتهي مع صوت الروي . وكلما زاد عدد الرابط الإيقاعي في البيت الواحد، كلّما زاد التناغم الإيقاعي بين سياق البيت وإيقاع الروي .

ولا يقتصر تردد صوت الروي على خلق تناغم إيقاعي بين سياق البيت أو الأبيات وإيقاع الروي، وإنما يمتد إلى المستوى الدلالي، فلو تأملنا الكلمات التي حوت صوت القاف نحو: « مشتاق، شوقه، شوقي، قعيدة .... الخ» لأدركنا أن هذه الكلمات تمثل الدلالة الرئيسة، بل تمثل ما يمور في أعماق الشاعر، وعليه فان تردد صوت الروي في الأبيات المتقدمة قد حقق أمرين متكاملين؛ الأول: تناغم إيقاعي بين السياق والروي، والثاني: تناغم بين الدلالة والإيقاع . إذ إنّ تردد صوت القاف في (القلب، مشتاق، شوقه، الفراق)، هو تردد في الكلمات التي تشكل العصب الرئيس للفكرة والأحاسيس التي تختلج في وجدان الشاعر .

وتبرز ظاهرة تردد صوت الروي في سياق أبيات القصيدة لدى شعراء السجون، فهي لا تقتصر على نماذج محددة، ففي قول إبراهيم بن المهدي:

(الكامل)

وعفـوت عمّـن يكـن عـن مثلـه عفـوٌ و يَشْـفَعْ إليـك بشـافـعِ

إلا العُلُـو عـن العقوبـةِ بعــد مـا ظَفِـرت يـداك سـتكـِ خاضـع(٣٨)

تردد صوت العين تسع مرات، مما أضفى على إيقاع الروي قوة ووضوحاً وفي قول صالح العلوي:

(الكامل)

فدنـا لينظـر كيـف لاح فلـم يُطِقْ نظـر إليـه ورده سَـجانُه(٣٩)

نجد صوت النون (الروي) نبضات إيقاعية في غير موضع في البيت، تتجاذب وصوت الروي لتشكل منظومة إيقاعية نونية. وهي منظومة تتناغم مع الحالة النفسية للشاعر، وقد التفت حسن عباس لهذه الظاهرة، فصوت النون «الذي تتجاوب اهتزازاته في التجويف الأنفي هو أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع»(٤٠).

٢ـ تردد الأصوات الصفيرية:

ينبغي أن ننوه إلى الأصوات الصفيرية وهي ليست المقصودة دون غيرها، فقد يتشكل الإيقاع من تردد الأصوات المجهورة أو الاحتكاكية أو المفخمة وغيرها من المجموعات الصوتية ذات الملامح الصوتية المتماثلة، ولكنا آثرنا تأمل الأصوات الصفيرية دون غيرها لسببين؛ الأول: بروز الأصوات الصفيرية أكثر من غيرها في النصوص التي وقعنا عليها والثاني: ملاءمة الأصوات الصفيرية للمستوى النفسي لشعر السجون، وهو ما سنأتي على بيانه فيما هو آت.

وتتميز الأصوات الصفيرية عن غيرها في المجموعات الصوتية بوضوحها السمعي «وأصداؤها في أزيزها جعل لها وقعا متميزا ما بين الأصوات الصوامت .... نتيجة التصاقها في مخرج الصوت، واصطكاكها في جهاز السمع ووقعها الحاصل ما بين هذا الالتصاق وذلك الاصطكاك»(٤١).

ولعل تسميتها بصفيرية يعود إلى الصفير الذي يسمع عند نطقها، وإذا صح هذا التعليل فإن الصفير صوت أو أصوات من الطبيعة، وهذا يسوغ لنا أن نتأمل قول ابن جني: « وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق البوم .... ثم ولدت اللغات عن ذلك»(٤٢).

إن الذي دفعنا إلى أن نسوق ما نَصَّ عليه ابن جني هو السعي إلى إحداث مقاربة بين ما نص عليه ابن جني، وتردد الأصوات الصفيرية في قول إبراهيم بن المدبر:

(الطويل)

وإ لأستنشـي الشـمال إذا جـرت حنيـنـا إلـى ألآفِ قلـ ـ وأحبابـي
وأُهدي مع الريـح ا نوب إليهـمُ[43] سـلامي وشـكوى طول حز وأوصا

فقد ترددت أصوات الصفير الأربعة (السين والشين والزاي والصاد) في سياق الطبيعة ممثلة برياح الشمال ورياح الجنوب .

يتجلى التوافق بين ما نص عليه ابن جني من حيث أن أصل اللغات من أصوات مسموعة من الطبيعة، وما ورد في قول الشاعر، فقد وقعت الأصوات الصفيرية في البيتين المتقدمين في سياق أصوات الطبيعة، إذ إن الأصوات المسموعة من السين والشين والزاي تضارع الأصوات المسموعة من الرياح في سياق البيتين .

فالشاعر يريد أن يرسل سلامه وأشواقه وأحزانه مع رياح الشمال ورياح الجنوب . وما دامت الأصوات الصفيرية تضارع صوت الرياح من حيث الوقع السمعي، فإن شيوع أصوات الصفير في البيتين يتناغم مع صوت الرياح التي حمّلها الشاعر أشواقه وأحزانه، ويمكن تصور العلاقة بين الأصوات الصفيرية والحالة النفسية للشاعر على النحو الآتي:

* الوقع السمعي للأصوات الصفيرية / يضارع ⟵ الوقع السمعي لصوت الرياح
*حَمْل الرياح لأشواق الشاعر وأحزانه / يناظر ⟵ دلالة الألفاظ المشتملة على أصوات الصفير لأشواق الشاعر وأحزانه
(سلامي، شكوى، حزني، أوصابي)

إنَّ تردد أصوات الصفير ذات الملامح الصوتية المتماثلة يشكل منظومة إيقاعية داخلية تضاف إلى المنظومة الإيقاعية الناجمة عن الوزن، والمنظومة الإيقاعية الناجمة عن القافية، ويجد المتلقي نفسه مشدوداً إلى ثلاثة أشكال من الإيقاع المتكامل .

٣ـأصوات المد واللين:

لعل تسميتها بالمد يعود إلى طول زمن نطقها مقارنة بغيرها من الصوامت، ولا يخفى أن مد الصوت (التصويت) سواء كان ألفاً أم واواً أم ياء من شأنه أن يساعد المنشد أو القارىء المتلقي على تفريغ شحنات نفسية متراكمة في أعماقه، إضافة إلى أن مد الصوت في سياق البيت أو في البيئة السياقية الكلية للقصيدة يشكل تموجات إيقاعية مائزة، وبخاصة إذا قارنا التموجات الإيقاعية لأصوات المد واللين بإيقاع الصوامت الأخرى . أما

تسميتها باللين فنرجح أن السبب يعود إلى ليونة نطقها، والعلاقة بين سهولة النطق والأثر الإيقاعي مثبتة في الدراسات الصوتية والإيقاعية « فالإيقاع عموما يتجنب الحروف التي تحتاج إلى ضغط عضوي»(٤٤) .

وسهولة النطق التي تنتج إيقاعا مائزاً ترتبط بآلية النطق ذاتها، فالأصوات الصائتة (المد واللين) «هي الأصوات المأهولة بالانفتاح المتكامل لمجرى الهواء، فتنطلق دون أي دوي أو ضوضاء، وتصل إلى الأسماع مؤثرة فيها تأثيرا تلقائيا في الوضوح والصفاء، وعلة ذلك انبساطها مسترسلة دون تضيق في المخارج»(٤٥) .

ويحرص الشعراء ومتلقو الشعر على الترنم والتطريب في الإلقاء، وهو ما نص عليه سيبويه فيما يتعلق بأصوات المد واللين بقوله: « أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون وما لا ينون لأنهم أرادوا مد الصوت»(٤٦) .

والتنوع الإيقاعي في سياق البيت أو في السياق العام للقصيدة مطلب فني يحرص الشاعر عليه، ويجذب المتلقي الذي يتفاعل مع التنوع الإيقاعي ويحل من الثبوت والرتابة في الإيقاع وهذا المطلب الفني تحققه أصوات المد واللين إذ « إن لأصوات المد وظيفة فنية صوتية وهي تفسح المجال في تنوع النغمة الموسيقية للكلمة الواحدةأو الجملة الواحدة لسعة إمكاناتها الصوتية ومرونتها»(٤٧) .

وينبغي أن ننوه إلى أن القيمة الإيقاعية التي أشرنا إليها لأصوات المد واللين لا تعني أن إيقاعها يطغى على العناصر الإيقاعية الداخلية الأخرى، وإن كان إيقاع أصوات المد واللين أكثر بروزاً وجاذبية، وذلك « أننا نحس النغم المميز لحرف اللين، ولكننا لا نشعر بوجوده المستقل لتعودنا سماعه ممتزجا بسائر النغمات المؤتلفه»(٤٨) .

ولنتأمل قول أبي فراس الحمداني وهو يخاطب الحمامة في سجنه:

(الطويل)

أقـولُ وَقَدْ نَاحـ ـتْ بِقُـرْ امَـةٌ ... أيـا جَارَتَا،هَـلْ تَشْـعُرِينَ ـا ؟

مَعـاذَ اَوى !مـا ذُقْتِ طارِقَـةَ النَّوى ... وَلا خَطَـرَتْ مِنـكِ اُمُـومُ ببـالِ!

أتَحْمِـلُ مَحْـزُونَ الفُـ ـؤادِ قَـوَادِمٌ ... علـى غُصُـنٍ نَائِـي اَسـافَةِ عَـالِ؟

أيـا جَارتَـا ما أنْصَـفَ الدّهْـرُ بَيْنَنَـا ... تَعَالَـيْ أُقاسِـمْكِ اُمُـومَ تَعَالِـي !

تَعَالَـي تَـرَيْ رَوح اَ ـدَيّ ضَعِيفَـةً ... تَـرَدّدُ جِـسْـمٍ يُعَـذّبُ بَـالِ!

أيَضْحَكُ مأسـ ـورٌ، وَتَبكـي طَلِيقَـةٌ ... وَيَسْـكُتُ مَحْزُونٌ ويندبُ سـالِ ؟(٤٩)

لا يخلو بيت من أصوات المد واللين، وشيوع هذه الأصوات يتناغم مع المستوى النفسي للقصيدة، فالدموع تذرف من كلماتها، والحسرة تقطر من معانيها، والنوح يظلل السياق العام، والدموع والحسرات والآهات تقتضي أصوات المد واللين أكثر من غيرها، لأن في مد الصوت ملاذا للشاعر لتفريغ الآهات المكبوته والأحزان التي تمور في أعماقه، وما الصراخ الذي يلجأ اليه الإنسان المتألم إلا حاجة فسيولوجية ونفسية ليتخلص من آلامه وأحزانه التي تجتاح كيانه، والصراخ والصياح والعويل مدود صوتية كما هو الحال في أصوات المد واللين.

وقد جاءت أصوات المد واللين موزعة توزيعاً إيقاعياً بارعاً. وكأن الشاعر يكتب ((نوته)) موسيقية، فقد تردد صوت الألف أكثر من صوتي الياء والواو، وتردد صوت (الواو) أكثر من صوت (الياء)، وهذا التفاوت في المستوى الكمي لأصوات المد واللين يجسد براعة في التوزيع الموسيقي ؛ فصوت الألف أكثر تناسباً للبكاء والنوح من صوتي (الياء والواو)، ونزعم أنّ هذا التناسب ناتج عن آلية نطق الألف التي تمكن المتكلم من فتح فاه إلى أبعد مسافة ممكنة، إذ يبتعد الحنك الأعلى عن الحنك الأسفل ابتعادا كلياً، فتخرج أكبر كمية من الهواء خروجا حرا طليقا دون أنْ يعترض الهواء أياً من أعضاء النطق، وخروج الهواء بهذه الآلية يريح صدر المكروب. أما صوت الواو فقد اختص بالألفاظ ذات الدلالة الرئيسة في القصيدة، نحو: (الهموم) في البيت الثاني والرابع، و(محزون) في البيت الثالث والسادس و(مأسور) في البيت السادس، والهم والحزن والأسر هي النسيج النفسي لكيان الشاعر. أما صوت الياء الذي تردد في ألفاظ قليلة نحو:(بقربي، تشعرين، نآئي)، فنزعم أنّ قلة تردده يعود إلى توافره في صوت الروي، أي أنّ قلة تردده في سياق الأبيات يعوضه تردده في روي القصيدة، سواء كان ياء نحو(بحالي، تعالي)، أم ياء ناجمة عن إشباع صوت الكسرة نحو(ببال، عالِ) .

٤ـ قافية الشطر الأول.

حينما تتردد أصوات متماثلة في نهاية الشطور الأُولى، فإن إيقاعاً ينشأ من هذا التردد، وبخاصة أنّ نهاية الشطر محل وقف، ونعني بالوقف انقطاع الصوت لمدة وجيزة، كما يقتضي تلقي الشعر أو إنشاده، وهذا التردد يوفر إيقاعاً مناظراً لإيقاع الروي في نهاية البيت، والفرق بين الإيقاعين أن إيقاع الشطر الأول يُعَدُّ إيقاعاً داخلياً، وإيقاع الروي يُعَدُّ إيقاعاً خارجياً، ولا ينبغي أَنْ يُفْهَم من هذا أننا ندعو إلى التفريق بَيْنَ الإيقاعين، وإنما نسعى إلى إيجاد علاقة تكامل إيقاعي بين النوعين.

وقد التفت بعض المحدثين إلى هذه الظاهرة الإيقاعية ونصوا على أهميتها إذْ إنَّ «هذه الكلمات تحدث تجاوباً موسيقياً من خلال حضورها وغيابها، هذا بالإضافة إلى أنها قافية قبل القافية التي ينتهي بها بيت الشعر، ولا يظهر تساوي مثل هذه الكلمات في الرنة الموسيقية فقط وإنما يظهر التساوي في موقعها وهذا يمنحها قيمة كبيرة»(٥٠) .

ففي قول ابي فراس معاتباً سيف الدولة وهو في سجنه:

(المنسرح)

أرحامُنا مِنكَ، لِمْ تُقَطِّعُهَا؟ وَلَمْ تَزَلْ دَائِباً، وَتَفْعَلُهَا؟

أينَ المعالي التي عُرِفْتَ بها، تَقولُها دائماً وَتَفْعَلُها؟

يا واسِعَ الدّارِ؛ كيفَ تُوسِعُها وَنَحْنُ في صَخْرَةٍ نُزَلْزِلُها!؟(٥١)

يتجلى التناغم الإيقاعي بين تردد صوت الهاء في نهاية الشطور الأولى، وهاء الوصل في كلمة القافية . ويأتي إيقاع الشطر الأَول في مستويات إيقاعية متباينة من حيث ارتفاع درجة الإيقاع وانخفاضه، ففي النموذج المتقدم حقق صوت الهاء درجة إيقاعية عالية بسبب تماثل حركة الهاء وصوت الخروج (الألف) الذي زاد من درجة إيقاع الهاء.

ثانياً: المستوى الإفرادي (اللفظي):

وهو تردد كلمة واحدة في سياق البيت أو في حنايا القصيدة، إذ ينشأ عن ترددها إيقاع مشبع بالدلالة النفسية التي ينطوي عليها السياق . ويتخذ تردد الكلمة الواحدة أشكالاً إيقاعية تمتاز عن بعضها وذلك على النحو الآتي:

١. تكرار كلمة القافية:

يشكل موقع كلمة القافية محوراً إيقاعيا، لأنها تاتي في نهاية البيت، وتنتهي بصوت الروي الذي يعد ركناً أَساسياً للإيقاع الخارجي الممثل بالوزن والقافية (الروي) .

وحين تتكرر كلمة القافية في حنايا البيت فإن تفاعلاً إيقاعياً ينشأ بين الموسيقى الداخلية والموسيقى الخارجية. ويمتاز هذا النوع من التكرار عن التكرار اللفظي الذي لا يتضمن كلمة القافية.ويأتي تكرار كلمة القافية بأشكال إيقاعية، وذلك على النحو الآتي:

- وقوع اللفظين في بداية البيت ونهايته وقد أطلق عليه البلاغيون القدامى "رد العجز على الصدر"(٥٢)، كقول علي بن الجهم وهو في السجن يخاطب الخليفة المتوكل:

(المتقارب)

ومُفْسِدِ أمْرٍ تَلافيْتَهُ فَعادَ فَأصْلَحَ ما أفْسَدا (٥٣)

إنَّ تردد الوحدات الصوتية (مفسد، أفسدا) في بداية البيت ونهايته يمنح البيت نغمة موسيقية موحدة في بدايته ونهايته، مما يجعل السياق الدلالي ذا إيقاع واحد .

- وقوع اللفظين في نهاية البيت، كقول علي بن الجهم من سجنه مخاطباً أخاه:

(الوافر)

وليسَ يَبيدُ مالٌ عَنْ نَوالٍ ولا يُؤْتى سَخِي مِنْ سَخاءِ (٥٤)

إنّ تجاور اللفظين (سخي، سخاء) يمنح البيت مساحة سياقية إيقاعية، تعزز إيقاع الروي.

٢ـ التكرار الافقي:

وهو «حاصل حركة الألفاظ التي تتكرر على مستوى البنية اللغوية للبيت الشعري الواحد» (٥٥). وقد رصدنا أنماطاً من التكرار الأفقي في النصوص المختارة التي وقفنا عليها من شعر السجون، ونكتفي بالإشارة إلى بعض منها وذلك على النحو الآتي:

١. **التكرار في الشطر الأول والثاني نحو قول علي بن الجهم:**

(الطويل)

إذا جاءنا السجانُ يوماً لِحاجَةٍ عَجِبنا وقُلْنا جاءَ هذا مِنَ الدنيا (٥٦)

نلاحظ أن الوحدات الصوتية للفعل (جاء) قد تكررت في الشطرين، مما شكل ضربات إيقاعية متماثلة تعزز المستوى الإيقاعي الداخلي، كما أن التكرار يحمل في طياته ثراءً دلالياً؛ إذْ إن مجيء إنسان إلى السجن الذي يقبع به علي بن الجهم يعد حدثاً مميزاً وأمراً خارقا للعادة والمألوف، وهذا يدل أنه يقبع في ظلمات سجن لا يرى فيه إنسانا، ولذلك كَرّرَ فعل المجيء للدلالة على الدهشة والاستغراب .

ويتجلى التناغم بين الإيقاع التكراري والأثر النفسي في قول أبي فراس:

(الكامل)

أأبا العَشائِرِ، إنْ أُسِرْتَ فَطالَما أسَرَتْ لكَ البيضُ الخِفافُ رجالا (٥٧)

فالتكرار الأفقي الواقع في الشطرين (أسرت) يشكل دلالتين متكاملتين، فالدلالة الأولى هي خطاب الشاعر لأبي العشائر (الحسين بن حمدان) الذي أسره الروم، والدلالة الثانية هي

الأخبار عن أسرى الروم الذين أسرهم أبو العشائر، وقد جاء التكرار بأسلوب الشرط (إن أسرت فطالما أسرت لك ..) ومجيء لفظي التكرار بأسلوب الشرط يعزز الترابط بين الدلالتين المتكاملتين، ووجود دلالتين مختلفتين يجعل إيقاع التكرار يتوزع على مستويين نفسيين، الأول: الحزن على أسر أبي العشائر،والثاني: الفخر بأبي العشائر الذي طالما أسر الروم.

٢. **التكرار في الشطر الأَول**: حينما يقتصر التكرار على سياق الشطر الأول، فإن النغمات الإيقاعية لا تتوزع على سياق الشطرين – كما رأينا في النمط الأَول – يقول ابن الجهم من سجنه مخاطبا أخاه:

(الوافر)

وَجَرَّبْنا وَجَرَّبَ أَولونا فلا شيءٌ أعزُّ من الوَفاءِ(٥٨)

لا يخفى أن التجاور بين لفظي التكرار يرفع من درجة الإيقاع، ولكن التجاور لا يوفر توزيعا موسيقيا بين شطري البيت، واحتواء القصيدة الواحدة على النمطين يوفر للإيقاع الداخلي تنوعا يضاعف وضوحه وقوته.

وتأتي الصيغة الصرفية للفظ التكرار متنوعة، ففي المثال السابق جاءت الصيغة الصرفية فعلا ماضيا، فبقي إيقاع البناء الصرفي واحدا في الكلمتين،أما إذا تغيرت الصيغة الصرفية، نحو قول أبي العتاهية:

(الطويل)

أَلا شافِعٌ عِنْدَ المَليكِ يَشْفَعُ فَيَدفَعَ عَنّا شَرَّ ما يُتَوَقَّعُ (٥٩)

فان الإيقاع يتنوع وفق تنوع الصيغة الصرفية (شافع، يشفع) .

٣. **الايقاع التكراري الثلاثي**، وهو نمط من أنماط التكرار الأفقي يمتاز بمستوى إيقاعي عال، إذ تتكرر فيه الكلمة ثلاث مرات في البيت الواحد، نحو قول أبي العتاهية:

(الوافر)

تُساسُ مِنَ السَماءِ بِكُلِّ بِرٍّ وَأَنتَ بِهِ تَسوسُ كَما تُساسُ (٦٠)

فقد توزع الإيقاع التكراري بين الشطرين، ومن البيِّن أن الإيقاع في الشطر الثاني أعلى درجة من الإيقاع في الشطر الأول، فالضربات الإيقاعية تبدأ بطيئة في الشطر الأَول ثم سرعانَ ما تقوى في الشطر الثاني.

٤. **الإيقاع التكراري المزدوج الثنائي**: وهو تكرار كلمتين في سياق البيت، نحو قول علي بن الجهم:

(الطويل)

وَنَفْـرَحُ (بالرُّؤيـا) فَجُـل حَدِيثِنا   إذا نَحْنُ أصْبَحْنا ا دِيثُ عَنِ الرؤيا (٦١)

فقد تكررت كلمة (الرؤيا) مرتين، وتكررت كلمة (حديث) مرتين أيضاً، وقد وفر هذا النمط توزيعا موسيقياً منظما، إذ جاء تكرار (الرؤيا) في الشطرين وكذلك تكرار (حديث) وقد يأتي التكرار المزدوج ثلاثيا، وسنكتفي بإيراد الإيقاع المزدوج الرباعي .

٥. **الإيقاع التكراري المزدوج الرباعي**: وهو تكرار أربع كلمات في سياق البيت، نحو قول ابراهيم بن المدبر في وصف السجن:

(الطويل)

وهـل هو إلا مـ ِـ لُ مثـلُ مَنْز   وبيتٌ ودارٌ مثلُ بيـ أو داري ؟(٦٢)

يمكننا تصنيف التوزيع الإيقاعي للمزدوج الرباعي على النحو الاتي:

منزل / منزلي ⟵ إيقاع قوي لتقارب اللفظين المكررين.

مثل / مثل ⟵ إيقاع ضعيف لتباعد اللفظين.

بيت / بيتي ⟵ إيقاع متوسط لتوسط اللفظين بين القرب والبعد.

دار / داري ⟵ إيقاع متوسط لتوسط اللفظين بين القرب والبعد .

إن توزع الإيقاع بين القوة والضعف والتوسط يحقق متعة لدى المتلقي الذي ينشد التنوع في درجات الإيقاع، فكأنه يسمع ألحانا تتفاوت في درجاتها الموسيقية.

٥- **التكرار الرأسي**: وهو «حاصل حركة الألفاظ المتكررة في الأبنية اللغوية للأبيات الشعرية المتتابعة»(٦٣) .

إن تردد كلمة في أبيات متتابعة يشكل منبهاً يثير انتباه المتلقي للدلالة التي تختزلها الكلمة المكررة؛ إذ يشرع المتلقي بتصور الدلالة المحورية التي تمور في أعماق الشاعر، على اعتبار أن الكلمة المكررة هي مفتاح لغوي يسعف المتلقي لفتح الحصن النفسي لسياق القصيدة ففي قولِ أبي نواس:

(الطويل)

مَضَتْ   شـهورٌ مذ حُبِسْـتُ ثلاثةٌ   كأَ   قـد أذنَبْـتُ مـا ليـس يَغْفَـرُ

فإنْ كُنْـتُ   أذنبْ فَفِيمَ حَبَسْـ   وإنْ كُنتُ ذا ذَنْـبٍ فعفوكَ أكبَرُ(٦٤)

تكرر لفظ الحبس في البيتين (حبست، حبستني)، وقد تضمن البيتان أموراً عديدة، منها المدة الزمنية التي قضاها أبو نواس في السجن، وتساؤله عن الذنب الذي اقترفه،

وتذمره من وجوده في الحبس، ونجد أن الأمر الأخير هو الأكثر حضورا في وعي الشاعر، لذا تكررت كلمة الحبس، وعليه فإن «للتكرار وظيفة هامة تخدم النظام الداخلي للنص وتشارك فيه لأن الشاعر يستطيع بتكرار بعض الكلمات أن يعيد صياغة بعض الصور من جهة، كما يستطيع أن يكثف الدلالة الإيقاعية للنص من جهة أخرى»(٦٥) .

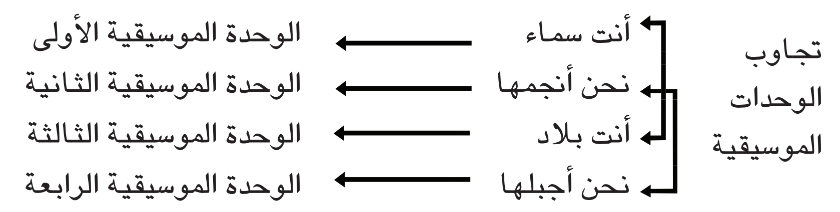
وقد جاء التكرار الرأسي قريبا من بدايات الأبيات وفي مواقع متماثلة إلى حد ما، ويحقق هذا الموقع أمرين متداخلين؛ الأول: أولوية الدلالة التي تأسر وجدان الشاعر، لذلك جاءت في بدايات الأبيات . والثاني: النسق الإيقاعي، إذ إن وقوع التكرار الرأسي في مواقع متماثلة أو متقاربة يخلق إيقاعاً ذا نسق زمني، لأن نطق الألفاظ المكررة في بدايات الأبيات يتحقق بزمن واحد أو متقارب، فالإيقاع «يجيء من تردد زمني يمتع الأذن برنينه، ولا يسمّى البناء بناء إيقاعيا إلا إذا اشتمل على تردد»(٦٦) .

٦. **التكرار الرأسي والأفقي**: يأتي الإيقاع في هذا النمط مركباً، إذ يتحقق من خلال ترددالوحدات الصوتية على المستويين الأفقي والرأسي، فتصبح القصيدة ذات شبكة إيقاعية متداخلة، وذلك نحو قول أبي فراس:

(المنسرح)

أَنـتَ سَـمَاءٌ، وَنَحْـنُ أَنْجُمُهَـا،   أَنـتَ بِـلادٌ وَنَحْـنُ أَجْبُلُهَـا!
أَنـتَ سَـحَابٌ، وَنَحْـنُ وابِلُـهُ   أَنـتَ يَمٌ ، وَنَحْـن أَنْمُلُهَـا!(٦٧)

لو تأملنا الضمائر المكررة لوجدناها متماثلة موقعياً، وهذا التماثل الموقعي جعل كلا البيتين موزعاً على أربع وحدات موسيقية متعاقبة أومتجاوبة، وذلك على النحو الآتي:



وقد اتسم الإيقاع بالتجاوب ؛ فالوحدة الأولى تتجاوب مع الوحدة الثالثة، والوحدة الثانية تتجاوب مع الوحدة الرابعة، – كما ورد في الشكل – ويتسم كذلك بالتسارع، لأن المساحة السياقية للوحدات الموسيقة متجاورة، إذ لم يفصل بينها عناصر لفظية، وتتناغم هذه التقسيمات الإيقاعية مع القسمة بين الشاعر والمخاطب فالمخاطب سماء والشاعر نجومها، والمخاطب بلاد والشاعر جبالها، وتستمد هذه التقسيمات الإيقاعية وهذه القسمة التي ارتضاها الشاعر في البيت الثاني، وتكرار الضمائر يجسد رؤية الشاعر للحياة إذ « إنَّ

الضمير يشكل على نحو من عالم الشاعر وحدود رؤيته له، وإدراكهِ لأبعاده «[٦٨]، ويقترب ما تقدم من مفهوم الموازنة عند البلاغيين القدامى إذ إن الموازنة « أن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساويي الألفاظ وزنا»[٦٩] .

كما أن تكرار الضمائر حقق تكاملاً بين الإيقاع والدلالة، لأن تكرار الضمائر في بداية شطور القصيدة « يمنحها تتابعاً شكلياً يثير توقع المتلقي، ويعبّر عن غنائية متسارعة، تؤدي إلى تمجيد الذات وإثباتها على ساحة الوجود»[٧٠] .

ثالثاً: المستوى التركيبي

لا يخفى أن طول المساحة السياقية التي تشغلها الوحدات الصوتية المكررة يحقق زمناً إيقاعياً طويلاً موازنة بقصر المساحة السياقية لتكرار الألفاظ المفردة كما تقدّمَ بيانه في المستوى الثاني .

وقد وقفنا على أبرز التراكيب اللغوية التي تكررت في النصوص المختارة من شعر السجون، واجتهدنا في اختيار تركيب النداء لما يحوية من أبعاد نفسية تتناغم مع السياق العام للسجن، وليتنا نستطيع أن نستحضر اللحظات الزمنية التي نظم فيها أبو فراس قصيدته التي رثى بها أمه وهو أسير في بلاد الروم، إذ يقول فيها:

(الوافر)

أيا أُمَّ الأسيرِ، سَقاكِ غيثٌ، بِكُرْهٍ مِنْكِ، ما لَقِيَ الأسيرُ!

أيا أُمَّ الأسيرِ، سَقاكِ غيثٌ، تَحَيّرَ، لا يُقيمُ ولا يَسيرُ!

أيا أُمَّ الأسيرِ، سَقاكِ غيثٌ، إلى مَنْ بالفِدا يأتي البَشيرُ؟

أيا أُمَّ الأسيرِ، لِمَنْ تُربّى، وَقَدْ مُتِّ الذّوائبُ والشّعورُ؟[٧١]

نلاحظ أن الإيقاع التركيبي قد شغل الشطور الأولى من الأبيات الثلاثة الأولى وقصرت مساحته في البيت الرابع، ويكشف طول المساحة السياقية للتكرار عن حرارة العاطفة التي ألهبت مشاعر الابن تجاه أمه، فهو لا يستطيع التوقف عن مناداتها ومناجاتها والدعاء لها وبخاصة أنها ماتت دون أن يراها .

كما يظهر طول الإيقاع التركيبي عن ملازمة إيقاع النداء والمناجاةِ لوجدان الشاعر، وهو وجدان يفيض حزنا ولوعة ومشاعر يلائمها إيقاع النداء أكثر من غيره .

وقد التفت المحدثون في دراستهم لظاهرة التكرار التركيبي إلى أهمية هذا النمط من الناحيتين الدلالية والإيقاعية، وأطلقوا عليه مصطلح «التكرار البنيوي النسقي المشجّر »، وهو «نمط تكراري جديد يشمل ثلاثة أبيات متتالية مع تغير طفيف في البيت الثالث، حيث تتغير فيه كلمة أو كلمتان وهذا اللفظ المتغير أشبه بمؤشر رمزي يؤدي إلى تكثيف الطاقات الكامنة في النص، إذ يتحول – اللفظ المتغير – إلى شحنة تتآزر رواسبها وتتآلف وما لحقها مشدودة إلى وتر السياق العام، وذلك بتشكيليها فيضا من الإيحاءات المتتالية التي تختزل أفكارا متعددة، تسهم في تعميق رؤية النص، وتعدد إمكاناته وطاقاته الدلالية» (٧٢) .

ويمكننا أن نسجل قبولا ورفضا في آن واحد لمفهوم التكرار البنيوي النسقي المشجر، أما القبول فيتصل بالجدوى الدلالية والإيقاعية، إذ إنَّ اللفظ المتغيّر بعد عدد من الأبيات يؤدي إلى تكثيف الطاقات الدلالية في النص، ففي الأَبيات المتقدمة جاء اللفظ المتغير في البيت الرابع «أيا أم الأسير لمن تُرَبَّي» فأضاف التغير بعداً دلاليا جديدا وتنوعاً إيقاعياً، إذ تحولت الدلالة من المناجاة والدعاء بالرحمة لأمه إلى تعداد مظاهر الحزن والحداد على أمه، فهو يتساءل بحزن عميق عن جدوى « تربية» ذوائب شعره والاعتناء بمظهره بعد وفاةِ أمه . وتحول الدلالة من حالة إلى حالة يقتضي بالضرورة تحول الإيقاع من إيقاع هادىء فيه خشوع وتضرع ورهبة الموت وذلك في سياق تكرار النداء والدعاء، إلى إيقاع يصبغه سياق الحداد وشتان بين إيقاع الدعاء وإيقاع مظاهر الحداد .

وأما الرفض فيتصل بعدد الأبيات؛ إذ ورد في تعريف مصطلح التكرار البنيوي أن اللفظ المتغير يقع في البيت الثالث، ولكننا نرى أن تحديد عدد الأبيات ليس شرطا أساسياً إذ وقع اللفظ المتغير في النموذج الذي عالجناه في البيت الرابع، وقد يقع في الثالث أو في الخامس.

والمتأمل في القصيدة التي اخترناها يجد أن التكرار التركيبي للنداء قد وقع في مطلعها (الأبيات الأربعةِ الأولى)، وتكرر تركيب النداء بصيغة مختلفة قبيل نهاية القصيدة، وذلك في قوله:

(الوافر)

أيا أُمّاه، كَمْ هَمٍّ طَوِيلٍ مَضَى بِكِ لَمْ يَكُنْ منه نَصِيرُ

أيا أُمّاه كَمْ سِرٍّ مَصونٍ بِقَلْبِكِ مَاتَ لَيْسَ لَه ظُهُورُ

أيا أُمّاه كَمْ بُشْرى بِقُرْبِي أَتَتْكِ، وَدُونَها الأَجَلُ القَصِيرُ (٧٣)

إن وقوع تكرار النداء في بداية القصيدة ونهايتها ينم عن الأبعاد النفسية التي يحويها أسلوب النداء في مقام الرثاء ويطلق عليه تكرار اللازمة إذ « يقوم تكرار اللازمة على انتخاب سطر شعري أوجملة شعرية تشكل بمستوييها الإيقاعي والدلالي محوراً أساساً ومركزياً من محاور القصيدة»(٧٤) .

وتأتي اللازمة للتكرار التركيبي على شكلين، الأول: اللازمة القبلية، وهي التي تتكرر في بداية القصيدة ويشكل ورودها مفتاحاً يلقي بظلاله الإيقاعية والدلالية على عالم القصيدة، والثاني: اللازمة البعدية وهي التي تتكرر في نهايات القصيدة، وتشكل استقراراً دلالياً وإيقاعياً يمنح القصيدة عنصر الارتكاز والتمحور (٧٥) .

وقد تجلى لنا أن فعالية التكرار التركيبي في النص تقوم على ركيزتين، الأولى: نوع التركيب المكرر ومدى تحمله للشحنات النفسية،والثاني: موقعه في حنايا القصيدة وهاتان الركيزتان، هما اللتان تحددان المستويين الدلالي، والإيقاعي للتكرار التركيبي « لأن العبارة المكررة تؤدي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية تغني الشاعر عن الإفصاح المباشر، وتصل القارىء بمدى كثافة الذروة العاطفية عنده»(٧٦) .

كما أن وقوع التكرار التركيبي في موضعين مختلفين، وبخاصة في المطلع والخاتمة – كما تقدم بيانه – يوفر للقصيدة روابط دلالية وإيقاعية تعمل على صهر النص نفسيا وإيقاعيا وذلك « أن قيمة كل عنصر مكرر بنائيا تكمن على وجه التحديد في كيفية اندماجه وتصاعده إلى ما يليه، لذلك تكتسب بعض الصيغ أهمية خاصة من خلال تكرارها، إذ يصبح تكرارها ليس مجرد توقيع رتيب، بل هو إمعان في تكوين التشكيل التصويري، للقصيدة وإدغام لمستوياتها العديدة (٧٧) . فحينما يتكرر تركيب ما في سياق نفسي معين في بداية القصيدة وخاتمتها، فإن هذا التكرار يجعل أبيات القصيدة مغلفة بسياق نفسي واحد إلى حد كبير .

وقد ارتأينا أن نجمع أشكال التكرار الثلاثة (المستوى الصوتي والمستوى الإفرادي والمستوى التركيبي) بنمط شامل متكامل أطلق عليه بعض النقاد مصطلح «التكرار التراكمي» وهو تكرار مجموعة من المفردات، سواء على مستوى الحروف، أم الأفعال، أم الأسماء، تكرارا غير منتظم، لا يخضع لقاعدة معينة سوى لوظيفة كل تكرار، وأثره في صياغة مستوى دلالي وإيقاعي محدد، ودرجة اتساقه وتفاعله مع التكرارات الأخرى التي تتراكم في القصيدة بخطوط تتباين في طولها وقصرها(٧٨) .

وقد تحقق ما تَقَدَّمْ في قول أبي العتاهية:

(الطويل)

أيا وَيْحَ قلبي مِنْ نَجِيِّ البلابِلِ ... ويا وَيْحَ سَاقي مِنْ قُرُوحِ السّلاسِلِ

وَيا وَيْحَ نَفْسي وَيْحَهَا ثُمَّ وَيْحَها ... أَلَمْ تَنْجُ يَوْماً مِنْ شِباكِ الحَبائِلِ

وَيا وَيْحَ عَيْني قَدْ أَضَرَّ بها البُكا ... فلَمْ يُغْنِ عنها طِبُّ ما لِلكَواحِلِ

ذَريني أُعَلِّلْ نَفْسي اليَوْمَ إنها ... رَهينَةُ رَمْسٍ ذي تُرابٍ وَجَنادِلِ

ذَريني أُعَلِّلْ بالشرابِ فَقَدْ أرى ... بَقيةَ عَيْشي هذِه غَيْرَ طائِلِ (٧٩)

حوت الأبيات المتقدمة تكراراً متراكما بمستوياته الثلاثة، ففي البيت الأول تحقق المستوى الصوتي، من خلال تكرار صوت القاف الذي منح سياق البيت إيقاع القلقلة وذلك في قوله: (قلبي، ساقي، قروح)، وفي البيتين الأول والثاني تحقق المستوى الإفرادي من خلال تكرار لفظ (ويح) على المستويين الأفقي والرأسي، وفي الأبيات الثلاثة الأولى تحقق المستوى التركيبي (أيا ويح) وتبعه تكرار تركيبي آخر (ذريني) .

وخلاصة القول: إنّ مستويات التكرار الثلاثة ؛ المستوى الصوتي والإفرادي والتركيبي قد شكلت أيقونة الإيقاع الداخلي في شعر السجون، فقد كان تكرار الصوت المفرد في حنايا البيت أو الأبيات عصباً رئيساً يربط بين إيقاع الصوت من جهة وبين الفكرة والإحساس من جهة أُخرى . كما جسد الإيقاع الناجم عن تكرار الألفاظ والتراكيب الدلاليةِ التي يحرص عليها الشاعر، والظلال النفسية له .

الهوامش:

١. ينظر: أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٨: ١٩٣-١٩٤ .
٢. مندور، محمد: في الميزان الجديد،ط دار نهضة مصر، مصر، ب ت: ٢٣٢ .
٣. عصفور، جابر: مفهوم الشعر، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨: ٣٦٨ .
٤. القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الجيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦: ٢٤٥ .
٥. عصفور، جابر: مفهوم الشعر: ٣٩٣ .
٦. الخطيب،التبريزي:الكافي في العروض والقوافي، تحقيق،الحساني حسن عبد الله،عالم المعرفة بيروت، ب ت: ٥٨.
٧. العلوي، ابن طباطبا: عيار الشعر، شرح وتحقيق، عباس عبد الستار، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢: ١١ .
٨. ينظر القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء: ٢٦٦ .
٩. أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر: ١٧٧ .
١٠. عصفور، جابر: مفهوم الشعر: ٤١٤ .
١١. ينظر، عصفور، جابر: مفهوم الشعر: ٦ .
١٢. أبو دلامة، ديوانه، تحقيق إميل بديع يعقوب، ط دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٩٤: ١٣٠-١٣١.
١٣. أبو دلامة، ديوانه: ١٣١.
١٤. أبو فراس، ديوانه، شرح يوسف شكري فرحات، ط دار الجيل، بيروت، ط٣، ٢٠٠٥: ١٨٠-١٨١ .
١٥. ينظر مندور، محمد: في الميزان الجديد: ٢٢٧، وعصفور، جابر: مفهوم الشعر: ٣٠٨ .
١٦. ينظر القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق، محمدمحيي الدين عبد الحميد دار الجيل، ط ٤، ١٩٧٢ .
١٧. أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر: ٢٧٣ .
١٨. المرجع السابق: ٢٤٧ .
١٩. جوير، مسائل فلسفة الفن المعاصر، ترجمة: سامي الدروبي، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر دمشق، ط٢، ١٩٦٥: ٢١٨-٢١٩ .
٢٠. جون، توهين: بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦: ٧٤ .

٢١. ينظر: أنيس، ابراهيم: موسيقى الشعر: ٢٤٨ .
٢٢. أبو فراس، ديوانه: ١٧٧ .
٢٣. أبو العتاهية، ديوانه: تحقيق شكري فيصل، ط دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٦٤: ٦٢٥ .
٢٤. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٧: ٢٢/ ٣٧٩ .
٢٥. ينظر: العروضي، أبو الحسن أحمد بن محمد: الجامع في العروض والقوافي، تحقيق: زهير غازي زاهد وهلال ناجي، ط دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٦:٢٧٤ وما بعدها.
التأسيس: ألف ساكنة قبل حرف الروي بحرف متحرك، نحو: الرواحل .
الردف: ألف أو واو أو ياء قبل الروي .
الوصل: ألف أو واو أو ياء بعد حرف الروي المطلق .
الخروج: ياء أو واو أو ألف، نحو الألف في « أجمالها « .
٢٦. أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر: ٢٦٨ .
٢٧. أبو العتاهية، ديوانه: ٦٢٥ –٦٢٦.
× الدخيل: حرف بين الروي والتأسيس، ينظر العروضي، ابوالحسن أحمد بن محمد: الجامع في العروض والقوافي: ٢٧٨ .
٢٨. ينظر: العروضي، أبو الحسن أحمد بن محمد: الجامع في العروض والقوافي: ٢٧٨ .
٢٩. أبو نواس، ديوانه، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٢: ٤٥٤ .
٣٠. أنيس، ابراهيم: موسيقى الشعر: ٢٦٥ –٢٦٦ .
٣١. أبو العتاهية، ديوانه: ٥٨٦ .
٣٢. أبو فراس، ديوانه: ٢٧١ .
٣٣. أبو فراس، ديوانه: ٢٧٢ .
٣٤. الأصفهاني،أبو الفرج: الأغاني: ١٦/ ٥١٠ .
٣٥. الجيار، مدحت: الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٤: ٤٧ .
٣٦. الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣: ٢٧٦ .
٣٧. أبو العتاهية، ديوانه: ٥٨٦ .
٣٨. الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني: ١٠/ ٣٢٣ .
٣٩. الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني: ١٦/ ٥١٠ .

٤٠. عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨: ١٦٠ .
٤١. الصغير، محمد حسين علي: الصوت اللغوي في القرآن . ط دار المؤرخ العربي، بيروت، ب ت: ١٧٩ .
٤٢. ابن جني، الخصائص:١/٤٦ .
٤٣. الأصفهاني،أبو الفرج: الأغاني:٣٩٦/٢٢.
٤٤. الهزايمة، خالد محمد: الأوزان والقوافي في شعر ابن عتيق الأنصاري، دراسة تطبيقية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات م ١٢/ ع٢ / ١٩٩٧:٢٤ .
٤٥. الصغير، محمد حسين علي: الصوت اللغوي في القرآن:١٨٢ .
٤٦. سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ط١: ٢/ ٢٩٨.
٤٧. نافع،عبد الفتاح صالح: عضوية الموسيقى في النص الشعري، مكتبة المنار، الاردن، ط١، ١٩٩٧: ٥٨ . ٤٨ –
٤٨. عياد، شكري: موسيقى الشعر العربي، أصدقاء الكتاب، ط ٣، ١٩٩٨: ١١٣ .
٤٩. أبو فراس الحمداني، ديوانه: ٢٦٧ .
٥٠. ربابعة، موسى: قراءة النص الشعري الجاهلي، ط دار الكندي، ط١، ١٩٩٨: ١٤٤ .
٥١. أبو فراس، ديوانه: ٢٧٤ .
٥٢. ينظر: العلوي، يحيى: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢: ٢ / ٢٠٥ .
٥٣. علي بن الجهم، ديوانه، تحقيق خليل مردم بك، ط منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٥٩: ٧٧ .
٥٤. علي بن الجهم، ديوانه: ٨٢ .
٥٥. القرعان، فايز: التكوين التكراري في شعر جميل بن معمر، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الحادي عشر، العدد السادس،كانون أول، ١٩٩٦: ٨١ .
٥٦. علي بن الجهم، ديوانه: ٩٦ .
٥٧. أبو فراس، ديوانه: ٢٥٤ .
٥٨. علي بن الجهم، ديوانه: ٨٣ .
٥٩. أبو العتاهية، ديوانه: ٥٧٤ .
٦٠. أبو العتاهية، ديوانه: ٥٦٥ .
٦١. علي بن الجهم، ديوانه: ٩٦ .
٦٢. الأصفهاني، أبو الفرج:الأغاني: ٣٧٩/٢٢ .

٦٣. القرعان، فايز: التكوين التكراري في شعر جميل بن مَعْمَر: ٨١ .
٦٤. أبو نواس، ديوانه: ٤٢٦ .
٦٥. عياشي، منذر: مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط ١، دمشق، ١٩٩٠: ٨٣ .
٦٦. كوهن، جون: بناء اللغة الشعرية، ترجمة أحمد درويش، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٩٣:١١٢.
٦٧. أبو فراس، ديوانه: ٢٧٣ .
٦٨. عبد المطلب، محمد: قراءات أسلوبية في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧: ١٤٤ .
٦٩. العلوي، يحيى: الطراز: ٢٢/٣ .
٧٠. شرتح، عصام: ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٥: ١٤.
٧١. أبو فراس، ديوانه: ١٨٣ .
٧٢. شرتح، عصام: ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل: ٣٧ .
٧٣. أبو فراس الحمداني، ديوانه:١٨٤ .
٧٤. عبيد، محمد صابر: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية- حساسية الانبثاقة الأُولى جيل الرواد الستينيات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١: ٢١٤ .
٧٥. ينظر المرجع نفسه: ٢١٤، ٢١٧ .
٧٦. السيد علي، عز الدين: التكوير بين المثير والتأثير، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٨: ٢٩٨ .
٧٧. فضل، صلاح: إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧: ٨٣ .
٧٨. ينظر، عبيد، محمد صابر: القصيدة العربية الحديثة: ٢١٩ .
٧٩. أبو العتاهية، ديوانه: ٦٢٥ -٦٢٦ .

المصادر والمراجع:

١. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٧ .
٢. أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، مكتبة الإنجلو المصرية، ط ٥، ١٩٧٨ .
٣. جون، كوهين: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٦ .
٤. جوير، مسائل فلسفة الفن المعاصر، ترجمة سامي الدروبي، ط دار اليقظة العربية للتأليف والنشر، دمشق، ط ٢، ١٩٦٥ .
٥. الجيار، مدحت:الصورة الشعرية عند ابي القاسم الشابي، الدار العربية للكتاب، ليبيا،١٩٨٤.
٦. الخطيب، التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، تحقيق الحساني حسن عبد الله، عالم المعرفة، بيروت، (ب . ت) .
٧. أبو دلامة، ديوانه: تحقيق إميل بديع يعقوب، ط دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٩٩٤ .
٨. ربابعة، موسى: قراءة النص الشعري الجاهلي، ط دار الكندي، ط ١ ١٩٩٨ .
٩. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ط١ .
١٠. السيد علي، عز الدين: التكوير بين المثير والتأثير، ط دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٨.
١١. شرتح، عصام: ظواهر أُسلوبية في شعر بدوي الجبل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.
١٢. الصغير، محمد حسين علي: الصوت اللغوي في القرآن، ط دار المؤرخ العربي، بيروت، (ب ت).
١٣. عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨ .
١٤. عبد المطلب، محمد: قراءآت أُسلوبية في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧ .
١٥. عبيد، محمد صابر: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، حساسية الانبثاقة الأولى جيل الرواد والستينيات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.
١٦. أبو العتاهية، ديوانه: تحقيق شكري فيصل، ط دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٦٤ .

١٧. العروضي، أبو الحسن أحمد بن محمد: الجامع في العروض والقوافي تحقيق زهير غازي زاهد وهلال ناجي، ط دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٦ .

١٨. عصفور، جابر: مفهوم الشعر، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨ .

١٩. العلوي، ابن طباطبا: عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢.

٢٠. العلوي، يحيى: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ .

٢١. علي بن الجهم، ديوانه: تحقيق خليل مردم بك، ط منشورات دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط٢، ١٩٥٩ .

٢٢. عياد، شكري: موسيقى الشعر العربي، ط أصدقاء الكتاب، ط ٣، ١٩٩٨ .

٢٣. عياشي، منذر: مقالات في الأُسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العربي ط ١، دمشق، ١٩٩٠.

٢٤. أبو فراس الحمداني، ديوانه، شرح يوسف شكري فرحات، ط دار الجيل، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٥ .

٢٥. فضل، صلاح: إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧.

٢٦. القرطاجي، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦.

٢٧. القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط ٤، ١٩٧٢ .

٢٨. كوهن، جون: بناء اللغة الشعرية، ترجمة أحمد درويش، ط دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٩٣.

٢٩. الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٣ .

٣٠. مندور،محمد: في الميزان الجديد،ط دار نهضة مصر، مصر، ب.ت.

٣١. نافع، عبد الفتاح صالح: عضوية الموسيقى في النص الشعري، مكتبة المنار، الاردن، ط ١: ١٩٩٧ .

٣٢. أبو نواس، ديوانه: تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٢ .

٣٣. القرعان، فاين، التكوين التكراري في شعر جميل بن معمر، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الحادي عشر، العدد الخامس، كانون أول، ١٩٩٦.

٣٤. الهزايمة، خالد محمد: الأوزان والقوافي في شعر ابن عتيق الأَنصاري، دراسة تطبيقية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مجلد ١٢ عدد ٢، ١٩٩٧ .

(ذو) في القرآن الكريم
دراسة نحوية دلالية

د. مؤمن عمر محمد البدارين*

* أستاذ النحو والصرف ا ساعد دائرة اللغة العربية/ جامعة بيت م.

ملخص:

تناولت في هذا البحث كلمة (ذو) في اللغة العربية مفردة ومثنّاة ومجموعة ومؤنّثة مبيّناً أحكامها وأحوالها، ثمّ استقريت جميع مواضعها في القرآن الكريم ودلالاتها، فجاءت في مائة وموضعين.

وكنت قد بنيت بحثي على مقدّمة وتمهيد ومحورين وخاتمة. أما المقدمة فقد ذكرت فيها موضوع البحث وخطته ومنهجه، ووقفت في التمهيد على أصل كلمة (ذو) ووزنها، وأنواعها في كلام العرب، ومجيئها مؤنّثة ومثنّاة ومجموعة. وأما المحور الأول فقد استعرضت فيه الأسماء الستة من حيث شروط إعرابها بالحروف، وبيان اللغات الواردة فيها، ومذاهب النحاة في توجيهها، وأحكام (ذو) الخاصة في الإضافة.

وأما المحور الثاني فقد استقريت فيه مواضع (ذو) في القرآن الكريم، ومشتقاتها تأنيثا وتثنية وجمعا، ثم بيّنت مواقعها الإعرابية رفعا ونصبا وجرا، وقد قسّمت هذا المحور تبعا لعلامة إعراب (ذو)، فقد جاءت معربة إعراب الأسماء الستة في ست وستين موضعا، ومعربة إعراب المثنّى في ثلاثة مواضع، ومعربة إعراب جمع مذكر سالم في موضع واحد، وجاء مؤنّثها (ذات) مفردة في ثلاثين موضعا، وجاءت مثنّاة في موضعين، في حين لم يرد جمعها»ذوات» في القرآن مطلقا.

وقد ختمت البحث بحصر مواضع «ذو» في الكتاب العزيز ومشتقاتها، إضافة إلى أبرز النتائج ومنها: انفراد ذو بين الأسماء الستة بالإضافة في كل أحوالها، وبوجود لغة واحدة فيها هي لغة التمام، في حين ثبت للأسماء الستة لغات أربع هي: التمام والقصر والنقص والتشديد، ومنها خلو القران من مجيء «ذات» اسما موصولا.

Summary:

The study in question is an attempt to discuss the Arabic word "thoo" in its singular, dual , plural and feminine forms , indicating its rules and cases , after which I have examined all its occurrences in the Holy Quran (i.e. 102 times)

The study includes an introduction, two chapters and a conclusion.

In the Introduction, the plan and the methodology pertaining to the study are introduced, followed by a discussion about the origin and declension of the Arabic word "thoo" as well as its dual, plural and feminine inflections.

The First Chapter deals with what is known in Arabic as Al Asma' Al Sittah or the Six Names. It deals primarily with discussing their syntactic functions; showing the dialects where they occur; the grammarians' views about them, and; the rules of "thoo" with regard to the genitive construction.

As for the Second Chapter, it is concerned with the occurrences of the word in question (i.e. thoo) in the Holy Quran, and its singular, plural and feminine inflections, as well as its syntactic functions in the Holy Quran. This Chapter is sub-divided into sections according to the following syntactic functions of the word "thoo", followed by the number of times it occurred in the Quran:

- ***It has the same syntactic function of Al Asma' Al Sittah or the Six Names in 66 positions.***
- ***It has the same syntactic position of the duals or Al-Muthannā in three positions.***
- ***It has the syntactic function of the Sound Masculine Plurals or what is known in Arabic as Jama' al-Muthakkar As Sālim in one position.***
- ***Its feminine form (i.e. that in Arabic) as a single word was repeated 30 times.***
- ***Its feminine form (i.e. that in Arabic) as a dual word "thawata" was repeated twice.***
- ***The word was not used in its plural form "thawata" in the Holy Quran.***

The research in question is concluded by showing the exact number of times the word 'thoo' and it's forms occurred in the Holy Quran, in addition to the following results: 'Thoo' is characterized by the genitive construction with regard to Al Asma' Al Sittah, and it has only one dialect known as Al Tamam Language. The Six Names or Al Asma' Al Sittah have the following languages: Al Tamam, Al Qasr, Al Naqs & Al Tashdeed. The Quran does not include the Arabic word ' That ' as a relative pronoun.

مقدمة:

البحث في القرآن الكريم هو من أجلّ البحوث اللغوية وأرجاها عند الله مثوبة، نظراً لما يمتاز به كلام الكبير المتعال من فصاحة كاملة وبلاغة عالية ولغة ناضجة، فكلما أنعمت النظر في القرآن كرة بعد أخرى تفتّق لك عن بدائع وتكشّف لك عن فوائد، فمعانيه حيّة تتجدد وألفاظه محكمة لا تتردد، فهي خلاقة لا تبلى، ويافعة لا تهرم.

وتتجلّى أهمية هذا البحث من كونه مكمّلاً لبحثين سابقين لزميلين، عالج الأول[١] كلمة (أب) في القرآن الكريم، وكل ما يتعلق بها نحوياً ولغويا، في حين عالج الثاني[٢] كلمة (أخ) في القرآن الكريم، حيث تتبّعا مواضعهما وفصّلا في أحكامهما، وجاء بحثي هذا واسطة العقد في هذا الموضوع «الأسماء الستة في القرآن الكريم» حيث تناول «ذو» بمعنى صاحب، ففصّل في أحكامها، وتتبّع مواضعها في كتاب الله العزيز، وأما باقي الأسماء الستة وهي (حم، هن) فلم ترد مطلقاً في القرآن الكريم، أما (فو) فقد جاءت في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[٣]، ومن هنا فإن بحثي قد جاء متمّماً للموضوع كله.

وعندما تأمّلت (ذو) وجدتها في اللغة على صور مختلفة ومعانٍ شتّى، فأردت لمّ شعثها المتناثر في كتب النحاة، واستقراء مواضعها في كتاب الله العزيز. وبعد استقصاء مادة البحث ومصادره هدتني الدراسة إلى تقسيم بحثي إلى مقدّمة وتمهيد ومحورين وخاتمة.

أمّا المقدّمة فقد ذكرت فيها موضوع البحث وخطّته ومنهجه، وفي التمهيد وقفت على أصل كلمة (ذو) ووزنها، وأنواعها في كلام العرب، ومجيئها مؤنّثة ومثنّاة ومجموعة. وأمّا المحور الأول فقد استعرضت فيه الأسماء الستة من حيث شروط إعرابها بالحروف، وبيان اللغات الواردة فيها، ومذاهب النحاة في توجيهها، وخصائص (ذو) في الإضافة. وأمّا المحور الثاني فقد استقريت فيه مواضع «ذو» في القرآن الكريم، ومشتقاتها تأنيثا وتثنية وجمعا، ثم بيّنت مواقعها الإعرابية ودلالتها رفعاً ونصباً وجرا، وقد قسّمت هذا المحور تبعاً لعلامة إعراب «ذو»، فكانت على ثلاثة أنواع: إعراب الأسماء الستة وإعراب المثنى وإعراب الجمع المذكر السالم.

وختمت بحثي بعرض نتائج البحث ثم رتّبت آيات القرآن الكريم تبعاً لمواقع (ذو) الإعرابية، وأنهيت بحثي بالحواشي والجداول ثم بقائمة المصادر والمراجع.

تمهيد

أصل (ذو) ووزنها:

هو اسم موصول في اللغات السامية، منه بقايا في لغة الشعر العبرية [٤]، ومن أمثلتها "Ha′la′ adonay Zu′ hattanulo"[٥] أي: أليس الربّ الذي أخطأنا إليه. كما وردت ذو في نقش عربي قديم هو نقش النمارة الذي يرجع تاريخه إلى عام ثلاثمائة وثمانية وعشرين بعد الميلاد، وفيه: «تي نفس مر القيس .. كله ذو أسر التج»، وهي تعني «هذا قبر امرئ القيس .. كله الذي حاز على التاج»[٦].

ومن هنا فقد شاع هذا الاسم في لغة طيئ كاسم للموصول عام للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث بصورة واحدة لا تتغير في كل ذلك، ومنه قول سنان الطائي[٧]:

فـإنّ ا ـاء مـاءُ أ وجدي   وبئري ذو حفـرتُ وذو طويتُ

والشاهد هنا مجيء ذو ملازمة للإفراد والتذكير مع البئر مع أن البئر مؤنثة.

وتُعدّ (ذو) من الأسماء الستة، وقد اختُلف في أصلها ووزنها والمحذوف منها؟ أما وزنها فقيل فيه ثلاثة أقوال[٨]:

١. قال الخليل: «هي (فَعْلٌ) ولامها واو، فأصلها (ذَوٌّ)».
٢. قال سيبويه: "هي (فَعَل) ولامها ياء، وأصلها (ذَوَيٌ)"، ثمّ حُذفت لامه، ولو سمّيت به أتممت، بدليل قولهم (ذواتا) فعادت اللام كما في "أبوان"، وهي عندهم من باب "طويت".
٣. قال ابن كيسان: "إنها تحتمل الوزنين جميعا".

وأمّا المحذوف منها فهو اللام عند الجمهور، واختلفوا عندئذ في نوعها أواوٌ هي أم ياء؟ وانفرد أهل قرطبة فقالوا بأن المحذوف هو العين[٩].

أنواع (ذو) في لغة العرب:

جاءت (ذو) في لغة العرب على أنواع[١٠]:

١. (ذو) بمعنى صاحب، وهي الأشهر استعمالا؛ وهي كلمة صِيغت ليُتوصّل بها إلى الوصف بالأجناس، وتُعرب عندئذ بالحروف إعراب الأسماء الستة؛ فتُرفع بالواو نيابة عن الضمة، وتُنصب بالألف نيابة عن الفتحة، وتُجرّ بالياء نيابة عن الكسرة، ومنه قوله تعالى {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ}[١١].

٢. (ذو) الموصولة بمعنى الذي، وذلك في لغة طيِّئ خاصّة، وهي كلمة تُصاغ ليُتوصّل بها إلى وصف المعارف بالجمل، وهي عندئذ لا تُثنّى ولا تُجمع، وقد وردت مبنيّة على اللغة المشهورة، لكنّها جاءت عند بعضهم معربة إعراب الأسماء الستة؛ فيُقال على الوجه الأول: جاء ذو قام، ورأيت ذو قام، ومررت بذو قام، ومنه قول لشاعر طائيّ من بحر البسيط:

فإنّ بيـتَ يـم ذو معتَ به فيه تنمّتْ وأرسـت عزها مُضرُ(١٢)

ويُقال على الوجه الثاني: جاء ذو قام، ورأيت ذا قام، ومررت بذي قام، ومنه قول الفقعسي من البحر الطويل:

وإمّـا كـرامٌ موسـرون أتيتهـم فحسـبِيَ من ذي عندهم ما كفانيا(١٣)

أنواع (ذا) في لغة العرب(١٤):

١. (ذا) بمعنى صاحب، وهي من الأسماء الستة في حالة النصب، نحو: رأيت ذا مال.

٢. اسم موصول بمعنى "الذي" بشرط أن تُسبق بـ"ما" أو "من" الاستفهاميتين على رأي البصريين، ومنه قوله تعالى {ماذا أنزلَ ربكُم}(١٥)، أي ما الذي أنزله ربكم؟(١٦)، أما الكوفيّون فلم يضعوا هذا الشرط واستدلّوا بقول الشاعر:

عدسْ، ما لعبّـادٍ عليك إمارةٌ أمنتِ، وهذا مل- طليقُ(١٧)

فاعتبروا «هذا» اسماً موصولاً و«تحملين» صلته، لكن البصريين أبَوْا هذا التوجيه؛ لأنه لم يُسبق باستفهام، فقالوا: «هذا» اسم إشارة لا غير.

٣. اسم إشارة خاص بالمفرد المذكر، وهي عندئذ مبنية على السكون في جميع أحوالها، وقد تُسبق بهاء التنبيه وقد تلحقها كاف الخطاب ولام البعد، ومنه قوله تعالى: {ذَلكَ الْكتَابُ لاَ رَيْبَ فيه هُدًى لِّلْمُتَّقينَ](١٨)، وقوله: {إِن هَـذَا ٱلْقُرْآنَ يِهْدِي لِلتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشرُ ٱلْمُؤْمِنِ- الَذِينَ يَعْمَلُونَ الصالِحَاتِ أَن لَهُمْ أَجْر كِ }(١٩).

٤. حرف مركّب مع "ما" الاستفهامية، فيُنزّلان منزلة اسم استفهام واحد، نحو قوله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبينُ ا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلكُم تَتَفَكرُونَ}(٢٠)قُرئ «العفو» مرفوعاً ومنصوبا؛ فقراءة النصب على اعتبار أن «ماذا» كلها اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدّم لـ «ينفقون»، وقراءة الرفع على اعتبار أن «ذا» اسم موصول خبر للمبتدأ، وهو «ما» الاستفهامية.(٢١)

٥. حرف زائد بعد "ما" الاستفهامية، نحو: ماذا صنعت؟ بمعنى: ما صنعت؟ وبهذا قال ابن مالك ونسبه للكوفيين.(٢٢)

أنواع (ذي) في لغة العرب[٢٣]:

١. اسم بمعنى «صاحب»، وهي أحد الأسماء الستة في حالة الجر، مررت بذي علم.
٢. اسم إشارة خاص بالأنثى الحاضرة، حيث ورد في هذه عشر لغات منها ذي، وتدخل عليها هاء التنبيه دون كاف الخطاب، قال المتنبي:

أصخـرة أنـا ؟ مـا لا تحركـ هـذي المـدام، ولا تلـك الأغاريدُ[٢٤]

٣. اسم موصول بمعنى الذي عند بعض طيئ في حالة الجر، وأما باقي الطائيين فإنهم يبنونها بصورة واحدة هي «ذو» فقط.

ومنه قول مفطوم بن سحيم من الطويل:

وإمّـا كـرامٌ موسِـرون أتيتُهـم فحسـبي من ذي عندهم مـا كفانيا[٢٥]

تأنيث (ذو) في لغة العرب وتثنيته وجمعه:

❖ «ذات» مؤنّث «ذو»:

تأتي "ذات" في لغة العرب على ستة أوجه[٢٦]:

١. مؤنّث «ذو» بمعنى صاحبة، وهذا هو وجهها المشهور، وهي عندئذ معربة بالحركات الأصلية الظاهرة، ومنه قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}[٢٧].
٢. اسم موصول بمعنى "التي"، وهي عندئذ مبنيّة على الضمّ أبدا، وهي لغة طيّئ خاصة، منها ما حكاه الفرّاء: "بالفضل ذو فضّلكم الله به، وبالكرامة ذاتُ أكرمكم الله بها"[٢٨]، وهذا ما ذهب إليه جمهور النحاة من أن «ذات» هي مؤنّث «ذو» في حين ذهب بعضهم[٢٩] إلى اعتبار أن «ذو» تصلح للمذكر والمؤنّث على حدّ سواء، لكنّ رأيهم مرجوح.
٣. اسم بمعنى النيّة والإرادة، نحو: قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[٣٠]، أراد هنا السرائر.
٤. اسم بمعنى البِنية أو الخلقة، نحو: هو في ذاته صالح[٣١].
٥. كناية عن ساعة من يوم أو ليلة أو غير ذلك، نحو: ذات غداة وذات عشيّة، لكنّها مسموعة في ألفاظ محدودة مخصوصة فلم يقولوا مثلا: ذات شهر، ومنه قول الراعي النميري من الكامل:

لمّـا رأت أرَقـي وطـولَ تقلّبي ذاتَ العِشـاءِ وليليَ الموصولا[٣٢]

كناية عن الحال، ومنه قوله تعالى: {وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[٣٣]، أي:

الحال بينكم أو حقيقة وصلكم[٣٤].

ومنه قول زهير بن أبي سلمى من الوافر:

وأهـلِ خِبـاءٍ صـالحٍ ذاتُ بينِهم قـد احتربُوا في عاجلٍ، أنا آجلُه[٣٥]

❖ **تثنية «ذو» وجمعها** [٣٦]:

تُثنّى "ذو" دون إعادة لام الكلمة المحذوفة، ويُعرب عندئذ إعراب المثنّى فيُقال: جاء ذَوَا مال ورأيت ذَوَي مال ومررت بذَوَي مال. حيث لم تُردّ لام الكلمة المحذوفة، ولو رُدّت لقيل: "ذَوَيا"، وقيل بل المحذوف هو عين الكلمة، لكنّ الأول أشهر وعليه جاء التنزيل قال تعالى { يحكم به ذَوا عدلٍ منكم}[٣٧]؛ لأنّ حذف اللام أكثر من حذف العين.

أما جمعه فقالوا فيه «ذَوُوْ» و«ذَوِيْ» دون إعادة للمحذوف كحالهم في التثنية، وقد فتحوا الذال فلم يقولوا: «ذُوُو»؛ لأنّ ذلك يؤدّي إلى استثقال الضمّة على عين الكلمة ومن ثم حذفها، فيلتقي ساكنان فتُحذف الواو الأولى فتبقى الكلمة على حرف واحد «ذُ» وهذا غير مستساغ. وكان قياسه ألا يُجمع هذا الجمع لأنّه ليس بمشتقّ[٣٨].

❖ **تثنية «ذات» وجمعها** [٣٩]:

وأما «ذات» – مؤنث «ذو»– بمعنى صاحبة، فتأتي تثنيتها على «ذواتا» رفعاً، و«ذواتي» نصباً وجراً؛ وعلى هذه اللغة جاء التنزيل قال تعالى [ذواتا أفنانٍ][٤٠]، وتُجمع على «ذوات» وهي عندئذ جمع مؤنث سالم؛ فتُرفع بالضمة وتُنصب وتُجرّ بالكسرة، وقيل بل تُثنّى على «ذاتان وذاتين» دون ردّ المحذوف، وهو القياس كما ثُنّي «ذو» على لفظه، قال الشاعر:

يـا دار سـلمى بـ ذاتـي العُـوجْ[٤١]

وأما «ذات» كاسم موصول فلا تُثنّى ولا تُجمع على الأفصح، بل تكون «ذات» للمؤنّثة المفردة ومثنّاها وجمعها، وأن تُبنى على الضم رفعاً ونصباً وجرّاً. وقيل بل تُثنّى كتثنية «ذات» بمعنى صاحبة.

المحور الأول:

الأسماء الستة: شروطها، اللغات فيها، خصائص «ذو»:

الأسماء الستة في لغة العرب هي طائفة من الأسماء التي انفردت عن باقي كلمات اللغة في الاستعمال، وقد جمعها ابن مالك في ألفيته فقال[٤٢]:

مـن ذاكَ ذو إن صحبـةً أبانـا   والفـمُ حيـثُ الميـمُ منـه بانـا
أبٌ أخٌ حـمٌ كـذاكَ وهـنُ   والنقـصُ هـذا الأخـيـر أحسـنُ

وتُعرب هذه الأسماء الستة بالحروف فتُرفع بالواو وتُنصب بالألف وتُجرّ بالياء، ولكنّها لا تُعرب بهذا الإعراب إلا إذا اجتمعت فيها شروط خاصة.

أولا: الشروط الواجب توافرها في الأسماء الستة حتى تُعرب بالحروف[٤٣]:

١. أن تكون مفردة، فإذا ثُنّيت أو جُمعت أُعربت عندئذ إعرابهما.
٢. أن تكون مكبّرة، فإذا صُغّرت أُعربت بالحركات الأصلية الظاهرة.
٣. أن تُضاف إلى غير ياء المتكلم، فإن أُفردت عن الإضافة أو أُضيفت إلى ياء المتكلم أُعربت بالحركات الأصلية.
٤. أن تكون غير منسوب إليها، فإذا نُسب إليها أُعربت بالحركات، وقد استغنى عن هذا الشرط كثير من النحاة؛ لأنّ النسب والإضافة لا يجتمعان في كلمة واحدة.
٥. شرط خاص بـ"ذو" وهو أن تكون "ذو" بمعنى صاحب، فإن لم تكن كذلك خرجت من باب الأسماء الستة، وشرط خاص بـ"فو" وهو تجرّدها من الميم.

ثانيا: اللغات الواردة في الأسماء الستة[٤٤]:

تفاوت العرب في استعمالهم للأسماء، فجاءت على لغات أربع:

١. لغة التمام: وهي المشهورة عند غالبية القبائل العربية، وفيها تُعرب الأسماء الستة بالحروف، فتُرفع بالواو وتُنصب بالألف وتُجرّ بالياء، وتُقيّد هذه اللغة بالشروط السالف ذكرها.
٢. لغة القصر: وفيها يُلزم الاسم الألف فيُعرب إعراب الاسم المقصور بالحركات المقدرة منع من ظهورها التعذر، وهي لغة لبعض العرب[٤٥]. وقد انفرد كل من «أب وأخ وحم» بهذه اللغة، وهي في المرتبة الثانية بعد لغة التمام، ومنها قولهم: «مُكرهٌ أخاك لا بطل»[٤٦]، قال ابن مالك:

و أبٍ وتاليـه يـنـدُرُ وقصرُها مـن نقصهـن أشـهرُ[٤٧]

وتأتي هذه اللغة مع «فو» بشرط أن تُبدل واوه ميما «فم»، وهو عندئذ يخرج من باب الأسماء الستة.

٣. لغة النقص، وهي لغة لبعض العرب[٤٨]، وفيها يبقى الاسم على حرفين فقط حيث تُحذف لاماتها كحذف لام غدٍ، ويُعرب عندئذ بحركات ظاهرة، وهذه اللغة خاصة بـ»أب وأخ وحم وهن»، بل هي المشهورة في «هن» حتى أسقطها الفراء من الأسماء الستة لتبقى خمسة، ومنه الحديث الشريف: «من تعزّى بعزاءِ الجاهلية فأعضُّوهُ بهنِ أبيهِ ولا تَكْنُوا»[٤٩]، ومنها قول رؤبة من الرجز:

بأبـهِ اقتـدى عَـدِي الكـرمْ ومـن يُشـابِهْ أبَـهُ فمـا ظَلـمْ[٥٠]

وحكى أبو زيد: «جاءني أخُكَ»، وحكى الفرّاء: «هذا حمُك»[٥١]، كما ترد هذه اللغة مع «فم» أي بعد إبدال واوه ميما، ولكنه عندئذ يخرج من باب الأسماء الستة.

٤. لغة التشديد: وهي لغة لبعض العرب، وفيه يُشدّد الحرف الثاني بعد حذف لامه، فيُقال: «أبّ وأخّ وحمّ وهنّ»، وتُعرب عندئذ بالحركات الظاهرة، وكذا ميم «فم» ولكنّه عندئذ يخرج من باب الأسماء الستة. ومنه قول الشاعر:

ألا ليت شـعري هـل أبيّ ليلة وهنّـي جاذ بـ زمـ هندِ(٥٢)

عرضنا فيما مضى لغات العرب في الأسماء الستة، أما «ذو» فلم يرد فيها إلا لغة واحدة وهي التمام، قال ابن مالك: («ذو» تختصّ بملازمة الإعراب بالحروف)(٥٣).

ثالثا: مذاهب النحاة في إعراب الأسماء الستة بالحروف:

اختلف النحاة في توجيه إعراب الأسماء الستة في لغة التمام، فقد ذكر أبو البركات الأنباري(٥٤) خمسة مذاهب، والعكبري(٥٥) سبعة، والسيوطي(٥٦) اثني عشر مذهبا، وأبرز هذه المذاهب ما يأتي:

١. أنها معربة بالحروف التي نابت عن الحركات، فالواو نابت عن الضمة رفعا، والألف عن الفتحة نصبا، والياء عن الكسرة جرا. وهذا هو المشهور من أقوال النحاة.
٢. أنها معربة من مكانين، بالحروف وبالحركات التي قبل الحروف، وبه قال الكوفيّون.
٣. أنها معربة بحركات مقدّرة على الحروف "الألف والواو والياء" وأنها أُتبع فيها ما قبل الآخر للآخر، فنحو: "جاء أبوك"، أصلها: "أَبُوُك"، ثم استثقلت الضمة على الواو فحُذفت. ونحو: "رأيت أباك"، أصلها: "أَبَوَك"، فلمّا تحركت الواو وانفتح ما قبلها قُلبت ألفا. ونحو: "مررت بأبيك"، أصلها: "أَبَوِك"، ثم استثقلت الكسرة على الواو فحُذفت الكسرة وسكنت الواو، ثم انقلبت الواو ياء بسبب سكونها وانكسار ما قبلها فصارت: أبيك. وبهذا قال سيبويه والفارسي وصحّحه ابن مالك في التسهيل.(٥٧)
٤. وقيل غير ذلك، والذي تميل إليه النفس الرأي الأول، فالحروف ما هي إلا علامات إعراب فرعية نابت عن الحركات الأصلية كما هي الحال في المثنّى وجمع المذكر السالم.

رابعا: انفراد "ذو" بالإضافة:

انفردت «ذو» عن الأسماء الستة بأنها لا تأتي إلا مضافة فقط، حيث تُضاف إلى خمسة أنواع من الكلمات(٥٨):

١. اسم الجنس الظاهر، وهذا كثير، قال العكبري: (ولا تستعمل «ذو» إلا مضافة إلى جنس، لأن الغرض منها التوصّل إلى الوصف بالأجناس إذ كان يتعذر الوصف بها بدون «ذو»، ألا ترى أنك لا تقول: «زيد مال»، حتى تقول: «زيد ذو مال»)(٥٩).
٢. العَلَم، نحو: قوله عليه السلام رواية عن ربّه: (أنا **الله** ذو بكّة)(٦٠).

٣. الوصف، نحو قوله تعالى: [وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ](٦١).
٤. الجملة، نحو: (اذهب بذي تَسْلَمُ)(٦٢)، أي في وقت صاحب سلامة(٦٣).
٥. الضمير: وقد اختلف النحاة هنا على قولين:

الأول: لا تجوز إضافتها إلى المضمر لأنه ليس بجنس، وما جاء من ذلك فشاذ أو من كلام المحدثين، وبهذا قال سيبويه في الكتاب والمبرد في المقتضب والعكبري في اللباب(٦٤).

الثاني: جواز إضافته وذلك في رواية لأبي حيان عن المبرد، فإذا أُضيف إلى ياء المتكلم، قيل: «ذِيّ»، وأصلها: «ذَوِي» كُسرت الواو لمناسبة الياء وكُسرت الذال إتباعا للواو، ثم سكنت الواو فأُدغمت في الياء، وقد نُسب ذلك إلى أبي حيّان والجمهور(٦٥). وظاهر كلام التسهيل قلة ذلك(٦٦).

وعليه قول الشاعر:

إنّمـا يعـرفُ ذا الفضـل ذووهُ(٦٧)

وقال صاحب البديع(٦٨): لم يرد مضافا للضمير إلا مجموعا، نحو قول الكميت من الوافر:

فلا أعـ بذلك أسـفليكم ولكنّي أريد بـه الذّوينا(٦٩)

ويعني بـ»الذوين» ملوكهم مثل: ذي يزن، وذي كلا ع، وذي نواس، حيث أضيفت «ذوي» إلى ضمير المتكلمين «نا»، وقول كعب:

صَبَحنـا ا زرجيّـةَ مُرهفاتٍ أبـاَن ذَوي أرُومَتهـا ذَوُوها(٧٠)

المحور الثاني:

المواقع الإعرابية لـ»ذو» في القرآن الكريم

وردت (ذو) في القران الكريم اسماً من الأسماء الستة بمعنى «صاحب»، حيث جاءت معربة بالحروف إعراب الأسماء الستة في ست وستين موضعاً، وجاءت معربة إعراب المثنى في ثلاثة مواضع، ومعربة إعراب جمع المذكر السالم في موضع واحد فقط.

أولا: إعراب (ذو) إعراب الأسماء الستة:

جاءت (ذو) في القران الكريم معربة إعراب الأسماء الستة، فكانت مرفوعة في خمس وثلاثين موضعا، ومنصوبة في ثلاثة عشر موضعا، ومجرورة في ثمانية عشر موضعا.

وقد جاءت وفق التفصيل الآتي:

١.　**الرفع**: وردت (ذو) مرفوعة في خمسة مواقع إعرابية:
خبر المبتدأ، وخبر إن، والفاعل، ونائب الفاعل، والنعت المرفوع.

– أما خبر المبتدأ فقد جاء في سبعة عشر موضعا:

- منها موضعان خبراً لمبتدأ محذوف:

قال تعالى {رَفِيعُ الدرَجَاتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي الروح مِنۡ أَمۡرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنۡ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوۡمَ التَلَاقِ}(٧١)
قال تعالى {وَإِذَا أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَانِ أَعۡرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسهُ الشر فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ}(٧٢)

ففي الموضع الأول جاءت (ذو) خبراً ثانيا لمبتدأ محذوف تقديره هو، وفي الموضع الثاني جاءت (ذو) في صدر جملة جواب الشرط المقترنة بالفاء، فتُعرب خبرا لمبتدأ محذوف تقديره (هو).

- ومنها ستة مواضع، جاءت (ذو) فيها خبرا ثانيا لمبتدأ:

قال تعالى {وَا　عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ} وقد تكررت الآية　موضع (٧٣).
وقال تعالى {وَرَبكَ ٱلۡغَنِي ذُو ٱلرحۡمَةِ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِن بَعۡدِكُم ما يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم من ذُريةِ قَوۡمٍ آخَرِينَ}(٧٤)
وقال تعالى {وَرَبكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو الرحۡمَةِ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَ بَل لهُم موۡعِدٌ لن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوۡئِلاً}(٧٥)
وقال تعالى {إِن ا　هُوَ الرزاقُ ذُو ٱلۡقُوةِ ٱلۡمَتِ ُ}(٧٦)
وقال تعالى {وهو الغفورُ الودودُ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ}(٧٧)

فقد جاءت ذو في المواضع الخمسة الأولى خبراً ثانياً مرفوعاً، ويجوز أن تُعرب بوجه آخر وهو اعتبارها خبراً لمبتدأ محذوف تقديره «هو» وهذا على رأي مَن لا يجيز تعدّد الأخبار كابن عصفور وكثير من المغاربة٧٨، وفي الموضع السادس جاءت (ذو) خبراً ثالثاً مرفوعاً أيضاً، ويجوز أن تعرب «ذو» هنا نعتا للخبر الأول، كما يجوز اعتبارها خبرا لمبتدأ محذوف تقديره «هو» عند من لا يجيز تعدد الأخبار.

- ومنها تسعة مواضع، جاءت «ذو» فيها خبراً لمبتدأ مذكور مرفوعة بالواو:

قال تعالى {وَا　ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ} وذلك　ستة مواضع}(٧٩).
وقال تعالى {وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡ وَا　ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِ َ}(٨٠)
قال تعالى {وَا　ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ}(٨١)
قال تعالى {فَإِن كَذبُوكَ فَقُل ربكُمۡ ذُو رَحۡمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَد بَأۡسُهُ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِ َ}(٨٢)

– أما خبر(إنّ) فقد جاء في تسعة مواضع وخبراً لـ(لكنّ) في موضع واحد، كما يأتي:

قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ}(٨٣)
وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ}(٨٤)
وقال تعالى {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ}(٨٥)
وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ}(٨٦)
وقال تعالى {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٨٧)
وقال تعالى {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ}(٨٨)
وقال تعالى {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}(٨٩)
وقال تعالى {مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ}(٩٠)
وقال تعالى {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}(٩١)
وقال تعالى {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}(٩٢)

في المواضع الثمانية الأولى جاءت (ذو) خبرا لإنّ، في حين جاءت في الموضع التاسع خبراً ثانياً لانّ، وجاءت في الموضع الأخير خبراً لـ(لكنّ) .

– **وأما الفاعل فقد جاء في موضعين:**

قال تعالى {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}(٩٣)
وقال تعالى {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}(٩٤)

أما الموضع الأول فقد جاءت فيه «كان» تامة ولذا جاءت «ذو» فاعلا، وهناك وجه آخر على هذه القراءة وهو اعتبار «كان» ناقصة، و«ذو» اسما لها أما الخبر فهو محذوف والتقدير: «وإن كان ذو عسرة غريماً» على رأي بعض الكوفيين.

ولكن ورد للآية قراءة أخرى [وإن كان ذا عسرة] وهي قراءة شاذة لعبد **الله** وأبيّ وعثمان؛ أي: وإن كان المشتري ذا عسرة، لكن الجمهور على القراءة العامة.(٩٥)

– **وأما نائب فاعل فجاء في موضع واحد:**

قال تعالى {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}(٩٦)

– **وأما النعت فقد جاء في أربعة مواضع مرفوعا تبعاً لمنعوته المرفوع:**

قال تعالى {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ}(٩٧)
وقال تعالى {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى}(٩٨) أي: ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه(٩٩).

وقال تعالى {فيها فاكهةٌ والنخلُ ذاتُ الأكمامِ وَٱلحَب ذُو ٱلعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ}(١٠٠) أي: ذو الورق أو التبن واللب(١٠١).
وقال تعالى {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِكَ ذُو ٱلجَلَالِ وَٱلإِكْرَامِ}(١٠٢)

- **وأما الاسم المعطوف فقد جاء في موضع واحد:**

قال تعالى{مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرسُلِ مِن قَبْلِكَ إِن رَبكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ}(١٠٣)
فقد عطف (ذو) الثانية بالرفع على (ذو) الأولى الواقعة خبراً لإنّ.

٢. **النصب**: فقد وردت (ذو) منصوبة في ثلاثة عشر موضعاً متخذة أربعة مواقع إعرابية: خبراً لكان، ومفعولا به، ومنادى، ونعتاً.

- **أما خبر كان فقد جاء في أربعة مواضع:**

قال تعالى {وَلَو كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ ا أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصاكُم بِهِ لَعَلكُمْ تَذَكرُونَ}(١٠٤)
وقال تعالى {فَيُقْسِمَانِ بِا إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَو كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ ا إِنا إِذاً لمِنَ الآثِمِينَ}(١٠٥)
وقال تعالى {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَو كَانَ ذَا قُرْبَى إِنمَا تُنذِرُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبهُم بِالغَيبِ وَأَقَامُوا الصلاَةَ وَمَن تَزَكى فَإِنمَا يَتَزَكى لِنَفْسِهِ وَإِلَى ا ٱلمَصِيرُ}(١٠٦)
وقال تعالى {أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ}(١٠٧)

- **وجاء المفعول به في موضعين:**

قال تعالى {وَآتِ ذَا ٱلقُرْبَى حَقهُ وَٱلمِسْكِينَ وَٱبْنَ السبِيلِ وَلاَ تُبَذرْ تَبْذِيراً}(١٠٨)
وقال تعالى {فَآتِ ذَا ٱلقُرْبَى حَقهُ وَٱلمِسْكِينَ وَٱبْنَ السبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ للذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ا وَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلمُفْلِحُونَ}(١٠٩)
حيث جاءت (ذا) في الموضعين مفعولاً به أول لفعل الأمر (آتِ).

- **وجاء المنادى في موضعين فقط:**

قال تعالى: {حَتى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوماً قُلْنَا يَا ذَا ٱلقَرْنَيْنِ إِما أَن تُعَذبَ وَإِما أَن تَتخِذَ فِيهِمْ حُسْناً}(١١٠)
وقال تعالى {قَالُوا يَا ذَا ٱلقَرْنَيْنِ إِن يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَداً}(١١١)
حيث يعرب (ذا) منادى منصوبا وعلامة نصبه الألف، وهو مضاف.

- وأما النعت فقد جاء في خمسة مواضع:

قال تعالى {حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}(١١٢)

وقال تعالى {اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ}(١١٣)

وقال تعالى {إِنَّ لدينا أنكالا وجحيما وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً}(١١٤)

وقال تعالى {أو إطعامٌ في يومٍ ذي مسغبةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ}(١١٥)

وفي الآية الأخيرة جاءت (ذا) الأولى نعتاً لـ(يتيماً) المفعول به للمصدر (إطعام)، في حين جاءت (ذا) الثانية نعتاً لـ(مسكيناً) المعطوفة على (يتيما) .

٣. **الجر**: وردت (ذو) مجرورة في تسعة عشر موضعاً في ثلاثة مواقع إعرابية: المضاف إليه، والاسم المجرور بحرف الجر، ونعت المجرور.

- أما المضاف إليه، فقد جاء في ستة مواضع:

قال تعالى {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ}١١٦

وقال تعالى {وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ}(١١٧)

وقال تعالى {فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ من نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}(١١٨)

وقال تعالى {ربَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}(١١٩)

وقال تعالى {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(١٢٠)

وقال تعالى {قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}(١٢١)

- أما النعت، فقد جاء في عشرة مواضع تابعاً لاسم مجرور فجاء نعتاً مجروراً بالياء وذلك كما يأتي:

قال تعالى {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً}(١٢٢)

وقال تعالى {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ}(١٢٣)

وقال تعالى {وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ }(١٢٤)

وقال تعالى {غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ}(١٢٥) والطول هو الفضل والزيادة.(١٢٦)

وقال تعالى {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِّنَ اللَّهِ(١٢٧) ذِي الْمَعَارِجِ}(١٢٨)، أي: ذي المصاعد أو الدرجات.(١٢٩)

وقال تعالى { انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ }(١٣٠)، والظل هنا هو دخان جهنم ويتشعب لعظمه إلى ثلاث شعب.(١٣١)

وقال تعالى {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ }(١٣٢)

وقال تعالى {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ}(١٣٣)، أي: صاحب الأوتاد؛ لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا، أو لتعذيبه بالأوتاد كما فعل بماشطة بنته وآسية زوجته.(١٣٤)

وقال تعالى {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ}(١٣٥)

وأما قوله { تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ }(١٣٦)

فقد قرأ ابن عامر «ذو الجلال» بالواو، فجعله تابعاً لـ(اسمُ) وهكذا رُسمت في مصحف الشاميّين، في حين قرأ الباقون بالياء صفة لـ (ربِّك) فهو الموصوف بذلك، وأجمعوا على الوجه الأول في قوله تعالى {ويبقى وجهُ ربك ذو الجلالِ والإكرامِ}(١٣٧).

أما الاسم المجرور بحرف جر فقد جاء في ثلاثة مواضع، بأحرف جرّ متباينة: الباء وإلى وعن: قال تعالى {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا }(١٣٨)

قال تعالى {قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا}(١٣٩)

قال تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا }(١٤٠)

ثانياً: إعراب (ذو) إعراب المثنى:

وردت كلمة (ذو) التي بمعنى «صاحب» معربة إعراب المثنى في ثلاثة مواضع في موقعي الرفع والنصب: أما الرفع فجاءت (ذو) في موضعين فاعلاً ونعتاً، فأُعربت إعراب

المثنى المرفوع:

قال تعالى {يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ منكم هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ}(١٤١)

و(ذوا) هنا هي فاعل للفعل (يحكم) مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى وهو مضاف.

وقال تعالى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ منكم}(١٤٢)، و(ذوا) هنا نعت مرفوع لـ(اثنان) وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى، والملاحظ أن لام الكلمة لم تُرد – فلم يقل «ذويا» – وهذه اللغة المشهورة .(١٤٣)

– **وأما النصب فجاء في موضع واحد مفعولاً به:**

قال تعالى {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ منكم وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا}(١٤٤)، حيث جاءت (ذوي) مفعولاً به منصوباً، وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى، وهو مضاف و(عدل) مضاف إليه مجرور.

ثالثاً: إعراب (ذو) إعراب جمع المذكر السالم:

وردت (ذو) ملحقة بجمع المذكر السالم في موضع واحد حيث جاءت منصوبة على المفعولية وعلامة نصبها الياء: {وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ١٤٥ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ}(١٤٦)

حيث جاء (ذوي) مفعولا به ثانياً للفعل (آتى) منصوبا وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وهو مضاف و(القربى) مضاف إليه مجرور.

وقد اختلف في توجيه (ذوي) في الآية على قولين(١٤٧):

القول الأول: هي مفعول به للفعل (آتى)، واختلفوا عندئذ هل هي المفعول الأول أم الثاني؟ فالجمهور على أن المفعول الأول هو (ذوي) و (المال) هو المفعول الثاني، وقُدِّم المفعول الثاني على الأول للاهتمام. وقال السهيلي بأن (ذوي) هو المفعول الثاني وعندئذ فلا تقديم ولا تأخير.

القول الثاني: هو مفعول به للمصدر (حبّ) الذي أضيف إلى فاعله (هاء الضمير) على اعتبار أن الضمير عائد على (مَنْ أمن)(١٤٨) أي: آتى المال مع حب المؤمن لذوي القربي.

والذي يظهر أن القول الأول هو الراجح؛ لأن معناه أن المؤمن يعطي المال مع حبه لهذا العمل أو لهذا المال يعطيه أولي القربى، وهذا أشق على النفس ومن هنا فهو محمدة في حق المتصدّق.

رابعا: إعراب «ذات» مؤنث (ذو):

ذات هي المعادل المؤنث من «ذو» لكنها ليست ضمن الأسماء الستة لذا فهي تُعرب بحركات ظاهرة، وقد وجدتني ملزما بتناول هذه الجزئية إتماما للفائدة حيث جاءت «ذات» مفردة في تسعة وعشرين موضعا، متخذة سبعة مواقع إعرابية:

مفعولا به في موضع واحد، ومفعولا فيه في أربعة مواضع، واسما مجرورا بحرف الجر في اثني عشر موضعاً، ومضافا إليه في موضعين، ونعتا مرفوعا في موضع واحد، ونعتا منصوبا في موضعين، ونعتا مجرورا في سبعة مواضع.

١. **ذات المرفوعة:**

وقد جاءت نعتا مرفوعاً في موضع واحد: قال تعالى {فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ}(١٤٩)، والأكمام هي أوعية التمر واحدها كِم، وقيل الأكمام: كل ما يكم، أي يغطي من ليفة وسعفة(١٥٠).

٢. **ذات المنصوبة:**

جاءت "ذات" منصوبة في ثمانية مواضع في أربعة مواقع إعرابية:

- المفعول به: وذلك في موضع واحد؛ قال تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}(١٥١)
- فـ"ذات" هنا مفعول به منصوب للفعل (أصلحوا) وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. وقيل هي صفة لمفعول محذوف تقديره: وأصلحوا أحوالا ذات افتراقكم وذات وصلكم، أو ذات المكان المتصل بكم.(١٥٢)
- المفعول فيه: حيث جاءت «ذات» منصوبة على الظرفية المكانية في ثلاثة مواضع:

قال تعالى {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا}(١٣٥)، أي: جهة اليمين وجهة الشمال(١٥٤).

قال تعالى {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا}(١٥٥)

وذات في المواضع الثلاثة ظرف مكان بمعنى جهة.

- النعت المنصوب: وجاء ذلك في موضعين: قال تعالى {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ}(١٥٦) وحدائق؛ أي: بساتين عليها حائط تتصف بالحسن(١٥٧)، وقال تعالى {سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ}(١٥٨) فجاءت «ذات» نعتا منصوبا لمنعوت نكرة، وهي عندئذ نكرة لأنها مضافة إلى نكرة.

- الاسم المعطوف المنصوب: وذلك في موضع واحد قال تعالى {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ}(١٥٩) فـ «ذات» الثانية اسم معطوف بالنصب على «ذات» الأولى المنصوبة على الظرفية.

٣. **ذات المجرورة:**

جاءت "ذات" مجرورة في واحد وعشرين موضعا في ثلاثة مواقع إعرابية:

- الاسم المجرور بحرف الجر، وذلك في اثني عشر موضعا:

قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أي: عليم بمضمرات الصدور أو الخواطر القائمة بها وهذا من كمال علم الله سبحانه وتعالى(١٦٠)، وقد وردت في ثلاثة مواضع(١٦١).

وقال تعالى {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}، وقد وردت في موضعين(١٦٢).

وقال تعالى {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}، وقد وردت في ستة مواضع(١٦٣).

وقال تعالى {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}(١٦٤)

- المضاف إليه، وذلك في موضعين:

قال تعالى {وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ}(١٦٥)، والشوكة: السلاح، أي: تودون القافلة لا المعركة(١٦٦).

وقال تعالى {وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا}(١٦٧)

حيث أضيفت «غير وكل» إلى «ذات»، فجُرّت ذات على أنها مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة.

- النعت المجرور، وذلك في سبعة مواضع:

قال تعالى {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}(١٦٨)، والربوة هي الأرض المرتفعة، وقد وصفت بأنها ذات قرار؛ والقرار: المستقرّ من أرض مستوية منبسطة، والمعين: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض(١٦٩).

وقال تعالى {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ}(١٧٠)، أي: ذات الطرائق(١٧١).

وقال تعالى {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ}(١٧٢) والبروج هي النجوم التي هي منازل القمر، وقيل عظام الكواكب وسميت بروجا لظهورها(١٧٣).

وقال تعالى {النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ}(١٧٤)

وقال تعالى {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ}(١٧٥)، أي: السماء التي تحمل الرجع وهو المطر، والأرض التي تحتمل الصدع وهو ما تتصدع عنه الأرض من النبات(١٧٦).

وقال تعالى {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ}(١٧٧)، وإرم: عطف بيان لعاد، وهي اسم لبلدتهم، و«ذات العماد» إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة، وإذا كانت صفة للبلدة فالمعنى ذات البناء الرفيع (١٧٨).

وهنا جاءت «ذات» نعتا لنكرة في الموضع الأول (ربوة) المجرورة، فجُرّت مثلها وقد أضيفت إلى نكرة فبقي توافقها مع درجة المنعوت من حيث التعريف والتنكير.

في حين جاءت «ذات» نعتا لمعرفة في المواضع الستة الأخيرة، وقد اكتسبت «ذات» تعريفا من خلال إضافتها إلى معرفة.

٤. « ذات » **المثنّاة والمجموعة:**

وردت «ذات» مثنّاة في موضعين فقط في القرآن الكريم في موقعين إعرابين:

- نعتا منصوبا في موضع واحد:

قال تعالى {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ(١٩٧) وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ من سِدْرٍ قَلِيلٍ}(١٨٠)، فـ«ذواتي» نعت منصوب لـ«جنتين» وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى وقد حُذفت النون للإضافة، ومفردها (ذات) لكنّها جاءت هنا «ذوات» على الأصل.

- نعتا مرفوعا في موضع واحد:

قال تعالى {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ(١٨١) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}(١٨٢)

حيث جاءت «ذواتا» نعتا مرفوعا لـ«جنتان» وعلامة رفعه الألف. وأمّا الجنتان فهما جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي؛ لأن التكليف دائر عليهما، وقد وصفهما رب العزة والجلال بكثرة الأغصان، وقيل الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين(١٨٣).

ولم ترد «ذات» مجموعة في القرآن مطلقا.

الخاتمة:

عالج الباحث في هذه الرحلة الاستقرائية أحكام «ذو» في لغتنا العربية بتتبّعها في كتب النحاة، ثم استقرى الباحث جميع مواضع «ذو» في القرآن الكريم مبيّنا مواقعها الإعرابية واختلافات النحاة في توجيه بعض المواضع.

وجاءت «ذو» في القرآن الكريم معربة إعراب الأسماء الستة: مرفوعة في خمسة وثلاثين موضعا، ومنصوبة في ثلاثة عشر موضعا، ومجرورة في ثمانية عشر موضعا، وجاءت معربة إعراب المثنّى مرفوعة في موضعين ومنصوبة في موضع واحد، وجاءت معربة إعراب جمع مذكر سالم فلم تتجاوز موضعا واحدا، وجاء مؤنّثها (ذات) مفردة في تسعة وعشرين موضعا: رُفعت في موضع واحد ونُصبت في سبعة مواضع وجُرّت في الباقي، وجاءت مثنّاة في موضعين اقتسمهما الرفع والنصب، في حين لم يرد لها جمع في القرآن مطلقا.

وبالعودة إلى الجداول الثلاثة الموجودة في نهاية البحث يمكن الخروج بنتائج إضافية، أبرزها:

١. جاءت «ذو» بمعنى صاحب مع صفات **الله** تعالى وذلك في نحو واحد وثلاثين موضعا، وكانت إضافتها إلى مصادر معرفة بأل في سبعة عشر موضعا وكانت وفق الصيغ التالية:

ذو الفَضل (ستة مواضع) / ذو العَرش (ثلاثة مواضع) / ذو الرحمة (موضعين)

ذو الجَلال (موضعين) / ذو القوّة (موضع واحد) / ذي الطِول (موضع) / ذي المَعارج (موضع)

في حين جاءت إضافتها إلى مصادر نكرات في أربعة عشر موضعاً كالتالي:

ذو فضل (سبعة مواضع)/ ذو انتقام (أربعة مواضع)/ مغفرة (موضعين)/ ذو رحمة (موضع)

قال أبو حيّان: (الوصف بـ«ذو» أبلغ من الوصف بصاحب، ولذلك لم يجئ في صفات **الله** «صاحب»)١٨٤.

٢. وجاءت «ذو» مع غير الذات الإلهية مضافة إلى نكرات في صفات بشر وجمادات في نحو تسعة عشر موضعاً، دون تكرار لصيغة كما كان مع صفات الذات الإلهية، في حين جاءت مضافة إلى معارف في خمسة عشر موضعاً تكرر فيها تركيبان: «ذا القربى» في أربعة مواضع، و«ذا القرنين» في ثلاثة مواضع، والملاحظ في «ذو» أنها جاءت بمعنى صاحب في جميع مواضعها في القرآن الكريم.

٣. وجاءت «ذات» في القرآن الكريم بمعنى صاحبة في ثلاثة عشر موضعاً، وجاءت بمعنى النية والإرادة أو السريرة [ذات الصدور] في اثني عشر موضعاً، وجاءت ظرفية بمعنى جهة [ذات اليمين] في أربعة مواضع، وجاءت كناية عن الحال [ذات بينكم] في موضع واحد.

هوامش البحث:

١. انظر: عبد الله عبد الرحمن المهوس، المواقع الإعرابية لـ «أب» في القرآن الكريم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد ١٤، العدد ٢٤، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢. انظر: جهاد يوسف العرجا، «أخ» في القرآن الكريم- دراسة موقعية إعرابية، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، يونية ٢٠٠٦، ص ٦١-٨٧.

٣. سورة الرعد: ١٤.

٤. سفر أشعيا ٢٤/٤٢، وانظر أمثلة أخرى في المزامير ١٣٢/١٢؛١٤٢/٤؛١٤٣/٨ وغير ذلك.

٥. انظر: Gesenius، Hebräische Grammatik ١١٥; ٤٦٧ نقلا عن "ظواهر لغوية من لهجة طيئ القديمة" ص٧-١٣ وهو من محاضر وبحوث مؤتمر الدورة الخمسين، الجلسة الخامسة، ٢٨ من فبراير سنة ١٩٨٤.

٦. انظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية ٥٥-٥٦، و"ظواهر لغوية من لهجة طيئ القديمة" ص٧-١٣ وهو من محاضر وبحوث مؤتمر الدورة الخمسين، الجلسة الخامسة، ٢٨ من فبراير سنة ١٩٨٤.

٧. انظر: وأبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، بيروت، عالم الكتب، ١٤٧/٣، و ومحمد بن علي "ابن نور الدين"، مصابيح المغاني، تحقيق: عائض العمري، القاهرة، دار المنار، ط١٤١٤،١- ١٩٩٣م، ص٢٤٨.

٨. انظر: أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م، ٢٦٢/٣-٢٦٣، ٣٥٨، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب، ٣٢/١، وأبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسي، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م، ١٦١/١-١٦٣.

٩. انظر: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي طليمات وعبد الإله نبهان، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ٨٩/١، وابن يعيش، شرح المفصل، ٥٣/١، والتذييل والتكميل ١٦٣/١، ومحمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، بيروت، دار الفكر،٧١/١.

١٠. انظر: أبو الحسن علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور الأِشبيلي، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: صاحب أبو جناح، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، ١٧٨/١، وأبو محمد عبد الله جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ط٢،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص ٣٥، وابن نور الدين، مصابيح المغاني، ص٢٤٧-٢٤٨، وأبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل ١٦١/١، ومجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٣- ١٩٩٣ م، مادة ذو.

١١. سورة الرعد من الآية ٦.

١٢. انظر:: أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل ١٦١/١، و"ذو" فيه بمعنى "الذي".

١٣. رواه ابن جني بالياء "ذي"، في حين رواه الآخرون بالواو "ذو" وهي مبنية عندئذ. (انظر: أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، بغداد، مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ١٢١/١-١٢٢).

١٤. انظر: بدر الدين الحسن بن قاسم المرادي المصري المعروف بابن أم قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص ص ٢٣٨-٢٤٢، وأحمد بن عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: احمد الخراط، دمشق، دار القلم، ط٢، ١٩٨٥، ص ص٢٦٤-٢٦٥.

١٥. سورة النحل:٢٤.

١٦. انظر: ابن هشام، شرح قطر الندى ص ص ٨٩-٩٠.

١٧. البيت ليزيد الحميري عند ابن يعيش، شرح المفصل ٧٩/٤، وابن هشام، شرح قطر الندى ص٩٠، وخالد بن عبد الله الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، دمشق، دار الفكر، ١٣٩/١، وأحمد بن الأمين الشنقيطي، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ٢٦٩/١-٢٧٠.

١٨. سورة البقرة:٢.

١٩. سورة الإسراء:٩.

٢٠. سورة البقرة:٢١٩.

٢١. انظر: ابن نور الدين، مصابيح المغاني ص ص ٢٤٩-٢٥١، والمالقي، رصف المباني ص ٢٦٥.

٢٢. انظر: ابن نور الدين، مصابيح المغاني ص ٢٥١.
٢٣. انظر: المرجع السابق، ص٢٥٢، وجمال الدين عبد الله المعروف بالمكي الفاكهي (-٩٧٢هـ)، مجيب الندا في شرح قطر الندى، تحقيق: مؤمن عمر البدارين، الأردن، الدار العثمانية، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨، ص ١٩٥.
٢٤. انظر: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦ م، ٢/١٤١.
٢٥. انظر: ارتشاف الضرب ٢/١٠٠٧، وشرح المفصل ١٤٨/٣، ومجيب الندا في شرح قطر الندى ص ١٩٦.
٢٦. انظر: أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص ص ٢٢٦-٢٢٧، وابن نور الدين، مصابيح المغاني ص ص ٢٥١-٢٥٢، والفيروز آبادي، القاموس المحيط-ذو.
٢٧. سورة المؤمنون:٥٠.
٢٨. انظر: أبو منصور محمد بن أحمد المعروف بالأزهري، تهذيب اللغة، مصر، ١٣٨٤هـ، ١٥/٤٤، وأبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل ٣/٤٠-٤١.
٢٩. انظر: ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي ١/١٧٩، وابن نور الدين، مصابيح المغاني ص٢٤٨.
٣٠. سورة آل عمران:١١٩.
٣١. انظر: ابن نور الدين، مصابيح المغاني ص٢٥١-٢٥٢.
٣٢. البيت للراعي النميري في ديوانه ص٢١٥، وابن سيده، المخصص ١٣/٢٢٢، وإميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ٦/١٢٦.
٣٣. سورة الأنفال:١.
٣٤. انظر: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، تحقيق:عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١،١٤١٧هـ،١٩٩٧م، ٢/١٨٥.
٣٥. انظر: الأعلم الشنتمري، شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص٦١، وابن نور الدين، مصابيح المغاني ص ٢٥١.
٣٦. انظر: أبو نصر اسماعيل بن جماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مصر، ١٩٥٦م، مادة ذا، وابن نور الدين، مصابيح المغاني ص٢٤٧، وأبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل ٢/٦٢-٦٣.

٣٧. سورة المائدة:٩٥.
٣٨. انظر:: أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل ٢/٤٢.
٣٩. انظر: المرجع السابق ٣/٤٠-٤١، والفيروز آبادي، القاموس المحيط-ذو، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ١/١٤٩.
٤٠. سورة الرحمن: ٤٨.
٤١. الرجز لرجل من بني سعد في لسان العرب-سمهج، وبلا نسبة في السيوطي، همع الهوامع ١/١٤٩، والشنقيطي، الدرر اللوامع ١/١٣٠، وقبل البيت قوله: (جرَّت عليها كلّ ريح سيهوج)، وسيهوج: شديدة، وذاتي العوج: موضعان.
٤٢. انظر: أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي، شرح المكودي على الألفية في النحو والصرف، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ص١٣/١٤.
٤٣. انظر: أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب ٢/٨٤١، وبهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دمشق، دار الخير، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ١/٥٣-٥٤، والفاكهي، مجيب الندا في شرح قطر الندى، ص ٤٨-٤٩.
٤٤. انظر: أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب ٢/٨٤٠، وأبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل ١/١٦٤-١٦٦، وبهاء الدين عبد الله بن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار المدني بجدة ودار الفكر بدمشق، ١٤٠٠هـ-١٤٠١هـ، ١/٢٨، وابن عقيل، شرح ابن عقيل ١/٤٥-٥٣.
٤٥. انظر: الشنقيطي، الدرر اللوامع ١/١٠٦.
٤٦. تعرب "أخاك" نائبا للفاعل مرفوعة، وعلامة رفعها الضمة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر.
٤٧. انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل ١/٤٩، وقصد الناظم بتاليه: "أخ وحم" الواردتين في البيت السابق:
أب أخ حم كذاك وهن والنقص في هذا الأخير أحسن.
٤٨. انظر: الشنقيطي، الدرر اللوامع ١/١٠٦.
٤٩. انظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، بيروت، المكتب الإسلامي،ج ١/ حديث رقم ٢٦٩.
٥٠. انظر: المكودي، شرح المكودي على الألفية ص١٤، والأزهري، شرح التصريح ١/٦٤، والفاكهي، مجيب الندا ص٧٧، والشنقيطي، الدرر اللوامع ١/١٠٦.

٥١. انظر: أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل ٢/١٦٦.

٥٢. البيت لسحيم عبد بني الحسحاس عند أبي عبد الله جمال الدين محمد بن مالك (–٦٧٢ هـ)، شرح التسهيل، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م، ١/٤٨–٤٩، وأبي حيّان محمد بن يوسف الأندلسي (–٧٤٥ هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م، ٢/٨٣٩–٨٤٠، والتذييل والتكميل ١/١٦٤. واللهزمتان: مضيغتان عليّتان في أصل الحنكين في أسفل الشدقين، وجذا الشيء: ثبت قائما.

٥٣. انظر: ابن مالك، شرح العمدة ١/١٢١، وانظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب ٢/٨٤٠، وعلي بن محمد الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، بيروت، دار الفكر، ١/٧٠.

٥٤. انظر: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين: البصريّين والكوفيّين، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م، ١/١٧–٣٣.

٥٥. انظر: العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب ١/٩٠–٩٤.

٥٦. انظر: السيوطي، همع الهوامع ١/١٢٥–١٢٨.

٥٧. انظر: ابن مالك، شرح التسهيل ١/٤٧، وانظر: أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: موسى بناي العليلي، نشر وزارة الأوقاف والشئون الدينية، الجمهورية العراقية، ١/١١٦–١١٧، وابن عصفور، شرح جمل الزجاجي ١/١٢٠–١٢٢، ورضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق: أحمد السيد أحمد، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ١/٦٣–٦٨، وأبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل ١/١٧٥–١٧٧، وبدر الدين الحسن بن قاسم المرادي المصري المعروف بابن أم قاسم، توضيح المقاصد والمسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، القاهرة، دار الفكر العربي، ط١،١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، ١/٣١٣–٣١٤، والمكي الفاكهي، مجيب الندا في شرح قطر الندى ص ص ٥٠–٥١.

٥٨. انظر: المكي الفاكهي، مجيب الندا في شرح قطر الندى ص ص ٤٧–٤٨.

٥٩. انظر: العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب ١/٨٩.

٦٠. جزء من حديث نبوي رواه البيهقي، وبكّة من أسماء مكة، وسمّيت بهذا لأن الرجال والنساء يبكون فيها على حد سواء، أو لأنها تبكّ الجبابرة، أي: تدقّ أعناقهم. (انظر: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١،١٤١٠هـ، ٣/٤٤٥).

٦١. سورة يوسف:٧٦.

٦٢. مثل عربي (انظر: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، بيروت، دار الفكر، ط٥،١٩٧٩م، ص ص ٥٤٩-٥٥٠).

٦٣. الباء في ذلك ظرفية ولكن اختلفوا في توجيه "ذي" على قولين:"ذي" صفة لزمن محذوف، ثم قال الأكثرون: هي بمعنى صاحب فالموصوف نكرة، أي اذهب في وقت صاحب سلامة. وقيل بمعنى "الذي" فالموصوف معرفة، والجملة "تسلم" صلة، أي: اذهب في الوقت الذي تسلم فيه. (انظر: ابن هشام، مغني اللبيب ص٤٤٩-٥٥٠، والفاكهي، مجيب الندا ص٧٠).

٦٤. انظر: سيبويه، الكتاب ٣/٤١١-٤١٢، والمبرد، المقتضب ٣/١٢٠، والعكبري، اللباب في علل البناء والإعراب ١/٨٩، وأبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل ١/١٦٠، والسيوطي، همع الهوامع، ٢/٤٢٤-٤٢٥.

٦٥. انظر: أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل ١/١٦٠، والسيوطي، همع الهوامع ٢/٤٢٤-٤٢٥، والشنقيطي، الدرر اللوامع ٥/٢٧.

٦٦. انظر: تسهيل الفوائد ص ٤٧، والشنقيطي، الدرر اللوامع ٥/٢٧.

٦٧. انظر: ابن يعيش، شرح المفصل ١/٥٣، ٣/٣٨، والشنقيطي، الدرر اللوامع، ٥/٢٧.

٦٨. انظر: أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل ١/١٦٠.

٦٩. البيت للكميت الأسدي عند سيبويه، الكتاب ٣/٢٨٢، وأبي حيان الأندلسي، التذييل والتكميل ١/١٦٠، وعبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٨٩م، ١/١٣٩-١٤٧. وعنى بالذوين: ملوكهم ؛ مثل: ذي يزن، وذي قلاع، وذي حدن، وذي نواس.

٧٠. انظر: علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (-٦٦٩ هـ)، المقرب، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، ط١، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، ١/٢١١، وابن يعيش، شرح المفصل ١/٥٣، ابن منظور، لسان العرب، مادة "ذو"، والشنقيطي، الدرر اللوامع ٥/٢٨.

٧١. سورة غافر: ١٥.

٧٢. سورة فصلت:٥١.

٧٣. سورة آل عمران: ٤، وسورة المائدة: ٩٥، وانظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه ١/٤٥٥.

٧٤. سورة الأنعام: ١٣٣.
٧٥. سورة الكهف: ٥٨.
٧٦. سورة الذاريات: ٥٨.
٧٧. سورة البروج: ١٤-١٥.
٧٨. انظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب ١١٣٦/٣-١١٣٧، وابن هشام، أوضح المسالك ٢٢٨/١، والسيوطي، همع الهوامع ٣٤٦/١.
٧٩. سورة البقرة: ١٠٥، وسورة آل عمران: ٧٤، وسورة الأنفال: ٢٩، وسورة الحديد: ٢١ و٢٩، وسورة الجمعة: ٤.
٨٠. سورة آل عمران: ١٥٢.
٨١. سورة آل عمران: ١٧٤.
٨٢. سورة الأنعام: ١٤٧.
٨٣. سورة البقرة: ٢٤٣.
٨٤. سورة يونس: ٦٠.
٨٥. سورة النمل: ٧٣.
٨٦. سورة غافر: ٦١.
٨٧. سورة يوسف: ٦٨.
٨٨. سورة الرعد: ٦.
٨٩. سورة القصص: ٧٩.
٩٠. سورة فصلت: ٤٣.
٩١. سورة إبراهيم: ٤٧.
٩٢. سورة البقرة: ٢٥١.
٩٣. سورة البقرة: ٢٨٠.
٩٤. سورة الطلاق: ٧.
٩٥. انظر: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، إعراب القراءات الشواذ، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط١ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ٢٨٤/١، و أبو محمد مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: ياسين محمد السواس، دمشق، دار اليمامة، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص١٢١، وأبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ٣٤٠/٢، وأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ٦٤٤/٢-٦٤٥.

٩٦. سورة فصلت: ٣٥.
٩٧. سورة ص: ١٢.
٩٨. سورة النجم: ٥-٦.
٩٩. انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/٤١٩.
١٠٠. سورة الرحمن:١١-١٢.
١٠١. العصف: ورق الزرع وقيل التبن، والريحان: الرزق وهو اللب؛ أراد ما يتلذذ به من الفواكه، والجامع بين التلذذ والتغذي هو ثمر النخيل، وما يتغذى به وهو الحب (انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/٤٤٤).
١٠٢. سورة الرحمن: ٢٧.
١٠٣. سورة فصلت: ٤٣.
١٠٤. سورة الأنعام: ١٥٢.
١٠٥. سورة المائدة: ١٠٦.
١٠٦. سورة فاطر: ١٨.
١٠٧. سورة القلم: ١٤.
١٠٨. سورة الإسراء: ٢٦.
١٠٩. سورة الروم: ٣٨.
١١٠. سورة الكهف: ٨٦.
١١١. سورة الكهف: ٩٤.
١١٢. سورة المؤمنون: ٧٧.
١١٣. سورة ص: ١٧.
١١٤. سورة المزمل: ١٢-١٣.
١١٥. سورة الكهف: ١٤-١٦.
١١٦. سورة الأنعام: ١٤٦.
١١٧. سورة هود: ٣.
١١٨. سورة يوسف: ٧٦.
١١٩. سورة إبراهيم: ٣٧.
١٢٠. سورة النحل: ٩٠.
١٢١. سورة الزمر: ٢٨.
١٢٢. سورة النساء: ٣٦.
١٢٣. سورة ص: ١.

١٢٤. سورة الزمر: ٣٧.
١٢٥. سورة غافر: ٣.
١٢٦. انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/١٥٢.
١٢٧. قال السمين الحلبي: ("من الله" يجوز أن يتعلق بـ"دافع" بمعنى: ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته، أو أن يتعلق بـ"واقع"، وبه بدأ الزمخشري، أي: واقع من عنده)، انظر: الزمخشري، الكشاف، ٤/٦١١، والسمين الحلبي، الدر المصون ١٠/٤٤٩.
١٢٨. سورة المعارج: ١-٣.
١٢٩. انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/٦١١.
١٣٠. سورة المرسلات: ٣٠.
١٣١. انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/٦٨١.
١٣٢. سورة التكوير: ١٩-٢٠.
١٣٣. سورة الفجر: ١٠.
١٣٤. انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/٧٥١.
١٣٥. سورة البلد: ١٤.
١٣٦. سورة الرحمن: ٧٨.
١٣٧. انظر: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ص٢٢٢، وأبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٨٣م.١٩٨/٨ -١٩٩، والسمين الحلبي، الدر المصون ١٠/١٨٨.
١٣٨. سورة النساء: ٣٦.
١٣٩. سورة الإسراء: ٤٢.
١٤٠. سورة الكهف: ٨٣.
١٤١. سورة المائدة: ٩٥.
١٤٢. سورة المائدة: ١٠٦.
١٤٣. وقد اختلف العلماء في تفسير الآية وتوجيهها وإعرابها، فيقول مكي بن أبي طالب: (هذه الآية في قراءتها وإعرابها وتفسيرها ومعانيها وأحكامها من أصعب آي القرآن وإشكالها)، وقال عنها السمين الحلبي:(هذه الآية وما بعدها من أشكل القرآن حكما وإعرابا وتفسيرا)، فمن إشكالاتها ورود قراءتين شاذّتين (لشهادة) (شهادةً، شهادةٌ) أما قراءة الجمهور (شهادةُ) وقد خُرّجت على خمسة أوجه:

- مرفوعة على الابتداء وخبرها اثنان، وشهادة هناك بمعنى شهود، أو أن شهادة أصلها (ذوا شهادة ...اثنان)، أو أن (اثنان) أصلها (شهادة ... شهادة اثنين).

- شهادة مبتدأ وخبرها محذوف، و(اثنان) فاعل للمصدر (شهادة).
- شهادة مبتدأ وخبرها (إذا حضر).
- شهادة مبتدأ وخبرها (حين الوصية).
- شهادة مبتدأ و(اثنان) فاعل سدّ مسدّ الخبر. (انظر: أبو محمد مكي بن أبي طالب (-٤٣٧هـ)، الكشف عن وجوه القراءات، تحقيق: محيي الدين رمضان، دمشق، المجمع العلمي، د.ت.، ٤٢٠/١، والسمين الحلبي، الدرّ المصون ٤٥٣/٤-٤٥٧، ومحيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دمشق، دار ابن كثير، ط٤، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ٣٦/٣-٣٧).

١٤٤. سورة الطلاق: ٢.

١٤٥. تعرب "على حبّه" في محل نصب على الحال، وصاحب الحال ضمير "آتى".

١٤٦. سورة البقرة: ١٧٧.

١٤٧. انظر: مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ص٩٤، وأبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ٧/٢، والسمين الحلبي، الدرّ المصون ٢٤٨/٢.

١٤٨. أي في قوله تعالى{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}البقرة١٧٧

١٤٩. سورة الرحمن: ١١.

١٥٠. انظر: الزمخشري، الكشاف ٤٤٤/٤.

١٥١. سورة الأنفال: ١.

١٥٢. انظر:: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ٤٥٦/٤، والسمين الحلبي، الدرّ المصون ٥٥٦/٥.

١٥٣. سورة الكهف: ١٧.

١٥٤. انظر: الزمخشري، الكشاف ٦٦١/٢.

١٥٥. سورة الكهف: ١٨.

١٥٦. سورة النمل: ٦٠.

١٥٧. انظر: الزمخشري، الكشاف ٣٨٠/٢.

١٥٨. سورة المسد: ٣.

١٥٩. سورة الكهف: ١٨.

١٦٠. انظر: الزمخشري، الكشاف ٤٣٥/١، ومحمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م، ٥٠٧/١.

١٦١. سورة آل عمران: ١١٩، سورة المائدة: ٧، سورة لقمان: ٢٣.
١٦٢. سورة آل عمران: ١٥٤، سورة التغابن: ٤.
١٦٣. سورة الأنفال: ٤٣، سورة هود: ٥، سورة فاطر: ٣٨، سورة الزمر: ٧، سورة الشورى: ٢٤، سورة الملك: ١٣.
١٦٤. سورة الحديد: ٦.
١٦٥. سورة الأنفال: ٧.
١٦٦. انظر: الشوكاني، فتح القدير ٢/٣٦٥.
١٦٧. سورة الحج: ٢.
١٦٨. سورة المؤمنون: ٥٠.
١٦٩. انظر: الزمخشري، الكشاف ٣/١٩٢.
١٧٠. سورة الذاريات: ٧.
١٧١. انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/٣٩٩.
١٧٢. سورة البروج: ١.
١٧٣. انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/٧٣٠.
١٧٤. سورة البروج: ٥.
١٧٥. سورة الطارق:١١-١٢.
١٧٦. انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/٧٣٧.
١٧٧. سورة الفجر: ٧.
١٧٨. انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/٧٥١.
١٧٩. الخمط: شجر الأراك، وقيل: كل شجر ذي شوك، وقيل: كل نبت أخذ طعما من مرارة، وقيل: شجرة لها ثمر تشبه الخشخاش لا ينتفع به (انظر: السمين الحلبي، الدر المصون ٩/١٧٣).
١٨٠. سورة سبأ: ١٦.
١٨١. أفنان: أغصان جمع فنن، أو هي الأغصان الدقيقة التي تتفرّع من فروع الشجر، وخُصّت بالذكر لأنها تورق وتثمر وتمدّ الظل (انظر: محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه ٩/٤١٣).
١٨٢. سورة الرحمن: ٤٧-٤٨.
١٨٣. انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/٤٥١.
١٨٤. انظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ٢/٣٩٤.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الحاجب النحوي، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر (- ٦٤٦هـ)، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: موسى بناي العليلي، نشر وزارة الأوقاف والشئون الدينية، الجمهورية العراقية.

٣. ابن أم قاسم، بدر الدين الحسن بن قاسم المرادي المصري (-٧٤٩هـ):

توضيح المقاصد والمسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، القاهرة، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤. ابن خالويه، أبو عبد ا الحسين بن أحمد (-٣٧٠هـ)، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. .

٥. ابن عصفور الإشبيلي، أبو الحسن علي بن مؤمن (-٦٦٩هـ):

شرح جمل الزجاجي، تحقيق: صاحب أبو جناح، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

المقرب، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبد ا الجبوري، ط١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٦. ابن عقيل، بهاء الدين عبد ا (-٧٦٩هـ):

شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دمشق، دار الخير، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار المدني بجدة ودار الفكر بدمشق، ١٤٠٠هـ.

٧. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (-٣٩٥هـ)، الصاحبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٨. ابن مالك، أبو عبد ا جمال الدين محمد (-٦٧٢ هـ):

شرح التسهيل «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد»، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، بغداد، مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٩. ابن نور الدين، محمد بن علي (-٨٢٥هـ)، مصابيح المغاني، تحقيق: عائض العمري، القاهرة، دار المنار، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

١٠. ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد ا جمال الدين بن عبد ا بن يوسف (- ٧٦١ هـ):

شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ط٢،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد ا ، بيروت، دار الفكر، ط٥،١٩٧٩م.

١١. ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي (-٦٤٣هـ)، شرح المفصل، بيروت، عالم الكتب (د.ت).
١٢. أبو حيّان الأندلسي، محمد بن يوسف (-٧٤٥ هـ):
ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.
التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.
تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٣هـ -١٩٨٣م.
١٣. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (-٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، مصر ١٣٨٤هـ.
١٤. الأزهري، خالد بن عبد ا (-٩٠٥هـ)، شرح التصريح على التوضيح، دمشق، دار الفكر (د. ت).
١٥. الأشموني، علي بن محمد (-٩٠٠هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، بيروت، دار الفكر(د. ت)
١٦. الأعلم الشنتمري، شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.
١٧. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، بيروت، المكتب الإسلامي (د. ت).
١٨. الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (-٥٧٧هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين: البصريّين والكوفيّين، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.
١٩. البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦ م.
٢٠. البغدادي، عبد القادر بن عمر (-١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٨٩م.
٢١. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (-٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١٠، ١٤١٠.
٢٢. العرجا، جهاد يوسف، «أخ» في القرآن الكريم- دراسة موقعية إعرابية، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، يونية ٢٠٠٦، ص ص ٦١-٨٧.
٢٣. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (-٣٩٣هـ)، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مصر، ١٩٥٦م.
٢٤. الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دمشق، دار ابن كثير، ط٤، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٥. رضي الدين الاسترابادي، محمد بن الحسن (-٦٨٦ هـ)، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق: أحمد السيد أحمد، القاهرة، المكتبة التوفيقية.
٢٦. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (-٥٣٨هـ)، الكشاف، تحقيق:عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١ ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٢٧. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (-٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٨. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (-١٨٠ هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.

٢٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣٠. الشنقيطي، أحمد بن الأمين، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣١. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (-١٢٥٥هـ)، فتح القدير، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

٣٢. الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، بيروت، دار الفكر (د. ت).

٣٣. العكبري، أبو البقاء عبد ا بن الحسين (-٦١٦هـ):

اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي طليمات وعبد الإله نبهان، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

إعراب القراءات الشواذ، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط١ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٤. الفاكهي، جمال الدين عبد ا المكي (-٩٧٢هـ)، مجيب الندا في شرح قطر الندى، تحقيق: مؤمن عمر البدارين، الأردن، الدار العثمانية، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨.

٣٥. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (-٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٣- ١٩٩٣ م.

٣٦. القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب (-٤٣٧هـ):

مشكل إعراب القرآن، تحقيق: ياسين محمد السواس، دمشق، دار اليمامة، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

الكشف عن وجوه القراءات، تحقيق: محيي الدين رمضان، دمشق، المجمع العلمي، د.ت.

٣٧. المالقي، أحمد بن عبد النور (-٧٠٢هـ)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: احمد الخراط، دمشق، دار القلم، ط٢، ١٩٨٥م.

٣٨. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (-٢٨٥ هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب.

٣٩. المكودي، أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح (-٨٠٧هـ)، شرح المكودي على الألفية في النحو والصرف، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤٠. المهوس، عبد ا عبد الرحمن، المواقع الإعرابية لـ «أب» في القرآن الكريم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد ١٤، العدد ٢٤، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤١. يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

ملاحق

الجدول (١)

يبيّن هذا الجدول توزّع مواقع (ذو) في الأبواب النحوية المختلفة وفروع كل باب:

الباب	الفرع	عدد ا واضع ال وردت فيها "ذو"
ا بتدأ وا	خ مبتدأ	١٧
إن وأخوا ا	خ إنّ	٩
كان وأخوا ا	خ كان	٤
الفاعل		٤
نائب الفاعل		١
مفعول به		٤
منادى		٢
النعت		١٩
العطف		١
مضاف إليه		٦
اسم رور		٣

الجدول (٢)

يبيّن هذا الجدول توزّع مواقع (ذات) في الأبواب النحوية المختلفة وفروع كل باب كما يأتي:

الباب	عدد ا واضع ال وردت فيها "ذات"
مفعول به	١
مفعول فيه	٣
مضاف إليه	٢
اسم رور رف جر	١٢
اسم معطوف	١
نعت	١٠

الجدول (٣)

وهذا الجدول رُتّبت فيه الآيات الكريمة التي اشتملت على (ذو) وفق ترتيبها في المصحف الشريف مع ربطها بالموقع الإعرابي.

السورة	الآية	رقمها	الموقع الإعرابي
البقرة	**ذو مرفوعة:** ١ - { ما يَود الذِينَ كفَرُواْ مِنْ أَهلِ الكِتابِ وَلاَ المُشرِكِ ـ أَن يُنزل عَلَيكُم مِّنْ خَيرٍ من ربكُم وَا يَختَص بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَا **ذو** الفَضْلِ العَظِيمِ }	١٠٥	خبر مبتدأ مرفوع
البقرة	٢ - { أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ا مُوتُواْ ثُم أَحْيَاهُمْ إِن ا **لَذُو** فَضْلٍ عَلَى الناسِ وَلَـكِن أَكثَرَ الناسِ لاَ يَشْكُرُونَ }	٢٤٣	خبر لكنّ مرفوع
البقرة	٣ - { فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ا وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ ا المُلْكَ وَالحِكْمَةَ وَعَلمَهُ مِما يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ ا الناسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِن ا **ذو** فَضْلٍ عَلَى العَالَمِ ـ }	٢٥١	خبر إنّ مرفوع
البقرة	٤ - { وَإِن كَانَ **ذو** عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدقُواْ خَيْرٌ لكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }	٢٨٠	فاعل مرفوع
آل عمران	٥ - { مِن قَبْلُ هُدًى للناسِ وَأَنزَلَ الفُرْقَانَ إِن الذِينَ كفَرُواْ بِآيَاتِ ا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَا عَزِيزٌ **ذو** انتِقَامٍ }	٤	خبر ثان مرفوع
آل عمران	٦ - { يَخْتَص بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَا **ذو** الفَضْلِ العَظِيمِ }	٧٤	خبر مبتدأ مرفوع
آل عمران	٧ - { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ا وَعْدَهُ إِذْ تَحُسونَهُم بِإِذْنِهِ حَتى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم من بَعْدِ مَا أَرَاكُم ما تُحِبونَ مِنكُم من يُرِيدُ الدنْيَا وَمِنكُم من يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُم صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَا **ذو** فَضْلٍ عَلَى المُؤْمِنِ ـ }	١٥٢	خبر مبتدأ مرفوع
آل عمران	٨ - { فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ منَ ا وَفَضْلٍ لمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتبَعُواْ رِضْوَانَ ا وَا **ذو** فَضْلٍ عَظِيمٍ }	١٧٤	خبر مبتدأ مرفوع
المائدة	٩ - { يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم متَعَمدًا فَجَزَاءٌ مثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النعَمِ يَحْكُمُ بِهِ **ذوا** عَدْلٍ منكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الكَعْبَةِ أَوْ كَفارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِ ـ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ليَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا ا عما سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ا مِنْهُ وَا عَزِيزٌ **ذو** انْتِقَامٍ }	٩٥	خبر ثان مرفوع

السورة	الآية	رقمها	الإعراب
الأنعام	١٠ - {وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ **ذو** الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم من ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ }	133	خبر ثان مرفوع
الأنعام	١١ - {فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ **ذو** رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ }	١٤٧	خبر مبتدأ مرفوع
الأنفال	١٢ - {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا ا يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَا **ذو** ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ }	٢٩	خبر مبتدأ مرفوع
يونس	١٣ - {وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ا ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ا **لَذُو** فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ }	٦٠	خبر إنّ مرفوع
يوسف	١٤ - {وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ا مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ **لَذو** عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }	٦٨	خبر إنّ مرفوع
الرعد	١٥ - {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ **لَذو** مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ }	٦	خبر إنّ مرفوع
إبراهيم	١٦ - {فَلَا تَحْسَبَنَّ ا مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ ا عَزِيزٌ **ذو** ٱنتِقَامٍ}	٤٧	خبر ثان لإنّ مرفوع
الكهف	١٧ - { وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ **ذو** الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا }	٥٨	خبر ثان مرفوع
النمل	١٨ - { وَإِنَّ رَبَّكَ **لَذو** فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ}	٧٣	خبر إنّ مرفوع
القصص	١٩ - { فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ **لَذو** حَظٍّ عَظِيمٍ }	٧٩	خبر إنّ مرفوع
ص	٢٠ - { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ **ذو** ٱلْأَوْتَادِ }	١٢	نعت مرفوع
غافر	٢١ - { رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ **ذو** ٱلْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ }	١٥	خبر ثان لمبتدأ محذوف مرفوع
غافر	٢٢ - { ا الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ا **لَذو** فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ }	٦١	خبر إنّ مرفوع
فصلت	٢٣ - {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا **ذو** حَظٍّ عَظِيمٍ}	٣٥	نائب فاعل مرفوع
فصلت	٢٤ - { مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ **لَذو** مَغْفِرَةٍ **وَذو** عِقَابٍ أَلِيمٍ }	٤٣	خبر إنّ مرفوع اسم معطوف مرفوع

فصلت	٢٥ - {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشر فَ**ذو** دُعَاءٍ عَرِيضٍ }	٥١	خبر لمبتدأ محذوف مرفوع
الذاريات	٢٦ - إِن ا هُوَ الرزاقُ **ذو** الْقُوَّةِ الْمَتِ ُ }	٥٨	خبر ثان مرفوع
النجم	٢٧ - {**ذو** مِرَّةٍ فَاسْتَوَى }	٦	نعت مرفوع
الرحمن	٢٨ - {وَالْحب **ذو** الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ }	١٢	نعت مرفوع
	٢٩ - {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبكَ **ذو** الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ }	٢٧	نعت مرفوع
الحديد	٣٠ - {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ من ربكُمْ وَجَنةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدتْ لِلذِينَ آمَنُوا بِا ـ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ ا ـ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَا **ذو** الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }	٢١	خبر لمبتدأ مرفوع
الحديد	٣١ - لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ من فَضْلِ ا ـ وَأَن الْفَضْلَ بِيَدِ ا ـ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَا **ذو** الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }	٢٩	خبر لمبتدأ مرفوع
الجمعة	٣٢ - {ذَلِكَ فَضْلُ ا ـ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَا ُ **ذو** الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}	٤	خبر لمبتدأ مرفوع
الطلاق	٣٣ - {لِيُنفِقْ **ذو** سَعَةٍ من سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِما آتَاهُ ا ُ لَا يُكَلفُ ا نَفْسا إِلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ ا بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرا }	٧	فاعل مرفوع
البروج	٣٤ - {**ذو** الْعَرْشِ الْمَجِيدُ}	١٥	خبر ثالث للمبتدأ مرفوع
المائدة	**ذا منصوبة** ١ - {ا أَيهَا الذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِ ـ الْوَصِيةِ اثْنَانِ **ذوا** عَدْلٍ منكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِا إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنا وَلَوْ كَانَ **ذا** قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ ا إِنا إِذا لمِنَ الآثِمِ ـ }	١٠٦	نعت مرفوع خبر كان منصوب
الأنعام	٢ - {وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتى يَبْلُغَ أَشُدهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلفُ نَفْسا إِلا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ **ذا** قُرْبَى وَبِعَهْدِ ا أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصاكُم بِهِ لَعَلكُمْ تَذَكرُونَ}	١٥٢	خبر كان منصوب
الإسراء	٣ - {وَآتِ **ذا** الْقُرْبَى حَقهُ وَالْمِسْكِ ـ وَابْنَ السبِيلِ وَلاَ تُبَذرْ تَبْذِيرا }	٢٦	مفعول به منصوب
الكهف	٤ - {حَتى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْما قُلْنَا يَا **ذا** الْقَرْنَيْنِ إِما أَن تُعَذبَ وَإِما أَن تَتخِذَ فِيهِمْ حُسْنا }	٨٦	منادى منصوب

الكهف	٥ - {قَالُوا يَا **ذَا** الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا }	٩٤	منادى منصوب
المؤمنون	٦ - {حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا **ذَا** عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}	٧٧	نعت منصوب
الروم	٧ - {فَآتِ **ذَا** الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}	٣٨	مفعول به منصوب
فاطر	٨ - { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ **ذَا** قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ }	١٨	خبر كان منصوب
ص	٩ - {اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ **ذَا** الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ}	١٧	نعت منصوب
القلم	١٠ - {أَن كَانَ **ذَا** مَالٍ وَبَنِينَ }	١٤	خبر كان منصوب
المزمل	١١ - وَطَعَامًا **ذَا** غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا }	١٣	نعت منصوب
البلد	١٢ - {يَتِيمًا **ذَا** مَقْرَبَةٍ }	١٥	نعت منصوب
البلد	١٣ - {أَوْ مِسْكِينًا **ذَا** مَتْرَبَةٍ}	١٦	نعت منصوب
النساء	**ذي المجرورة** ١ - {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا **وَبِذِي** الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ **ذِي** الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا }	٣٦	اسم مجرور بحرف الجر نعت مجرور
الأنعام	٢ - {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ **ذِي** ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ}	١٤٦	مضاف إليه مجرور
هود	٣ - {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ **ذِي** فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ }	٣	مضاف إليه مجرور
يوسف	٤ - {فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ **ذِي** عِلْمٍ عَلِيمٌ}	٧٦	مضاف إليه مجرور

إبراهيم	٥ - {رَبَنَا إِنِي أَسْكَنتُ مِن ذُرِيتِي بِوَادٍ غَيرِ **ذي** زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرمِ رَبَنَا لِيُقِيمُوا الصلاة فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ الناسِ تَهوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِنَ الثَمَرَاتِ لَعَلهُمْ يَشْكُرُونَ} البلد٣٧	٣٧	نعت مجرور
النحل	٦ - {إِن ا يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء **ذي** الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلكُم تَذَكَرُونَ}	٩٠	مضاف إليه مجرور
الإسراء	٧ - {قُل لَو كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلَى **ذي** الْعَرْشِ سَبِيلاً}	٤٢	اسم مجرور
الكهف	٨ - {وَيَسْأَلُونَكَ عَن **ذي** الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِنْهُ ذِكْراً }	٨٣	اسم مجرور
ص	٩ - {ص وَالْقُرْآنِ **ذي** الذِكْرِ}	١	نعت مجرور
الزمر	١٠ - {قُرآناً عَرَبِياً غَيْرَ **ذي** عِوَجٍ لَعَلهُمْ يَتَقُونَ}	٢٨	مضاف إليه مجرور
الزمر	١١ - وَمَن يَهْدِ ا فَمَا لَهُ مِن مُضِل أَلَيْسَ ا بِعَزِيزٍ **ذي** انتِقَامٍ}	٣٧	نعت مجرور
غافر	١٢ - {غَافِرِ الذَنبِ وَقَابِلِ التَوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ **ذي** الطَوْلِ لاَ إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ }	٣	نعت مجرور
الرحمن	١٣ - { تَبَارَكَ اسْمُ رَبِكَ **ذي** الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}	٧٨	نعت مجرور
المعارج	١٤ - { مِنَ ا **ذي** الْمَعَارِجِ}	٣	نعت مجرور
المرسلات	١٥ - { انطَلِقُوا إِلَى ظِل **ذي** ثَلَاثِ شُعَبٍ}	٣٠	نعت مجرور
التكوير	١٦ - { **ذي** قُوةٍ عِندَ **ذي** الْعَرْشِ مَكِينٍ }	٢٠	نعت مجرور
الفجر	١٧ - { وَفِرْعَوْنَ **ذي** الْأَوْتَادِ }	١٠	نعت مجرور
البلد	١٨ - { أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ **ذي** مَسْغَبَةٍ }	١٤	نعت مجرور
آل عمران	**ذات** ١ - {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبونَهُمْ وَلاَ يُحِبونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِن ا عَلِيمٌ **بذات** الصدُورِ}	١١٩	اسم مجرور بالباء
آل عمران	٢ - { ثُم أَنزَلَ عَلَيْكُم من بَعْدِ الْغَم أَمَنَةً نعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً منكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنونَ بِا غَيْرَ الْحَق ظَن الْجَاهِلِيةِ يَقُولُونَ هَل لنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِن الأَمْرَ كُلهُ لِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم ما لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ ا مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَا عَلِيمٌ **بذات** الصدُورِ }	١٥٤	اسم مجرور بالباء

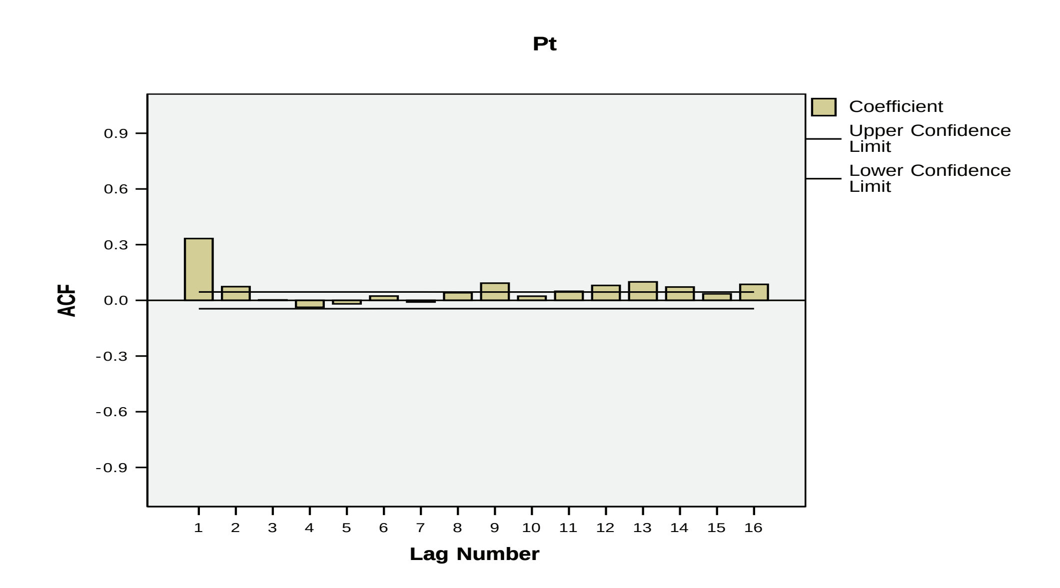
المائدة	٣ - {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ ا عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا ا إِن ا عَلِيمٌ **بذات** الصُّدُورِ}	٧	اسم مجرور بالباء
الأنفال	٤ - {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا ا وَأَصْلِحُوا **ذات** بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا ا وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِ }	١	مفعول به منصوب
الأنفال	٥ - {وَإِذْ يَعِدُكُمُ ا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ **ذات** الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ا أَن يُحِق ا ق بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ}	٧	مضاف إليه مجرور
الأنفال	٦ - { إِذْ يُرِيكَهُمُ ا فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِ لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَـكِن ا سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ **بذات** الصُّدُورِ}	٤٣	اسم مجرور
هود	٧ - { أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ **بذات** الصُّدُورِ }	٥	اسم مجرور
الكهف	٨ - { وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ **ذات** الْيَمِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ **ذات** الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ ا مَن يَهْدِ ا فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِد }	١٧	ظرف مكان منصوب
الكهف	٩ - { وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظ وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ **ذات** الْيَمِ وَ**ذات** الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَار وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْب }	١٨	ظرف مكان منصوب
الحج	١٠ - {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ **ذات** حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ ا شَدِيدٌ}	٢	مضاف إليه مجرور
المؤمنون	١١ - وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ **ذات** قَرَارٍ وَمَعِ }	٥٠	نعت مجرور
النمل	١٢ - { أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ **ذات** بَهْجَةٍ ما كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ ا بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ }	٦٠	نعت منصوب
لقمان	١٣ - { وَمَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِن ا عَلِيمٌ **بذات** الصُّدُورِ }	٢٣	اسم مجرور
فاطر	١٤ - {إِن ا عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ **بذات** الصُّدُورِ}	٣٨	اسم مجرور

الزمر	١٥ - {إِن تَكْفُرُوا فَإِن ا - غَنِي عنكُم وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ **بذات** الصُّدُورِ}	٧	اسم مجرور
الشورى	١٦ - {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى ا - كَذِبًا فَإِن يَشَأِ ا - يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ ا - الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ **بذات** الصُّدُورِ }	٢٤	اسم مجرور
الذاريات	١٧ - {وَالسَّمَاء **ذات** الْحُبُكِ}	٧	نعت مجرور
القمر	١٨ - { وَحَمَلْنَاهُ عَلَى **ذات** أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ}	١٣	اسم مجرور
الرحمن	١٩ - { فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ **ذات** الْأَكْمَامِ}	١١	نعت مرفوع
الحديد	٢٠ - {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ **بذات** الصُّدُورِ}	٦	اسم مجرور
التغابن	٢١ - { يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَا - عَلِيمٌ **بذات** الصُّدُورِ }	٤	اسم مجرور
الملك	٢٢ - {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ **بذات** الصُّدُورِ }	١٣	اسم مجرور
البروج	٢٣ - { وَالسَّمَاء **ذات** الْبُرُوجِ }	١	نعت مجرور
البروج	٢٤ - { النَّارِ **ذات** الْوَقُودِ }	٥	نعت مجرور
الطارق	٢٥ - { وَالسَّمَاء **ذات** الرَّجْعِ }	١١	نعت مجرور
الطارق	٢٦ - { وَالْأَرْضِ **ذات** الصَّدْعِ }	١٢	نعت مجرور
الفجر	٢٧ - { إِرَمَ **ذات** الْعِمَادِ }	٧	نعت مجرور
المسد	٢٨ - { سَيَصْلَى نَارًا **ذات** لَهَبٍ }	٣	نعت منصوب
البقرة	**مثـ "ذو" و عه** ١ - {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِا - وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ **ذوي** الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}	١٧٧	مفعول به منصوب

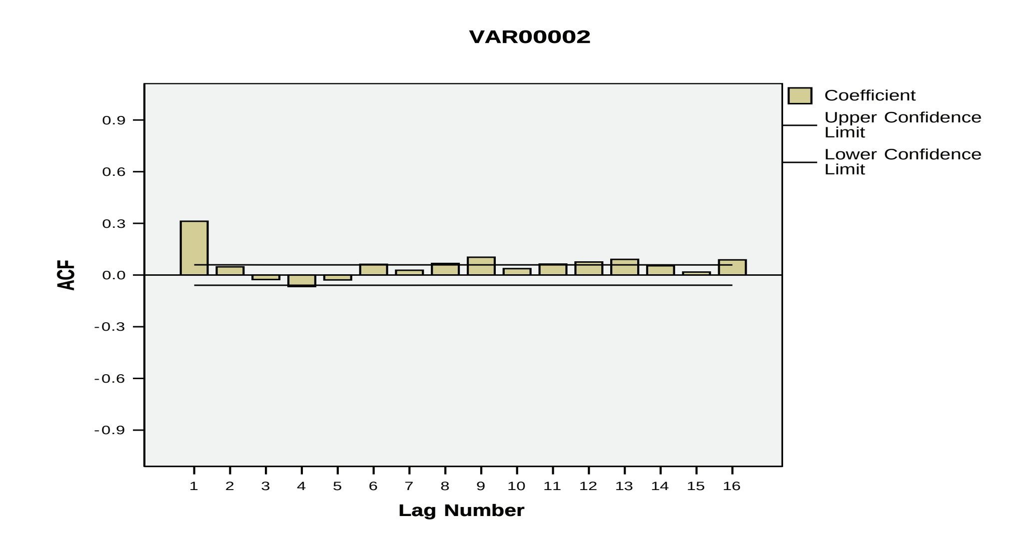
المائدة	٢ - { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ **ذَوَا** عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا ا عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ا مِنْهُ وَا عَزِيزٌ **ذُو** انْتِقَامٍ }	٩٥	فاعل مرفوع
المائدة	٣ - { يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ **ذَوَا** عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِا إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ ا إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ }	١٠٦	نعت مرفوع
سبأ	٤ - {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ **ذَوَاتَى** أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ من سِدْرٍ قَلِيلٍ}	١٦	نعت منصوب
الرحمن	٥ - { ذَوَاتَا أَفْنَانٍ }	٤٨	نعت مرفوع
الطلاق	٦ - { فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِا وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ ا يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً }	٢	مفعول به منصوب

الأبحاث

باللغة الإنجليزية



Auto-correlation coefficients at different lags (all Period)



Auto-correlation coefficients at different lags (Partial Period)

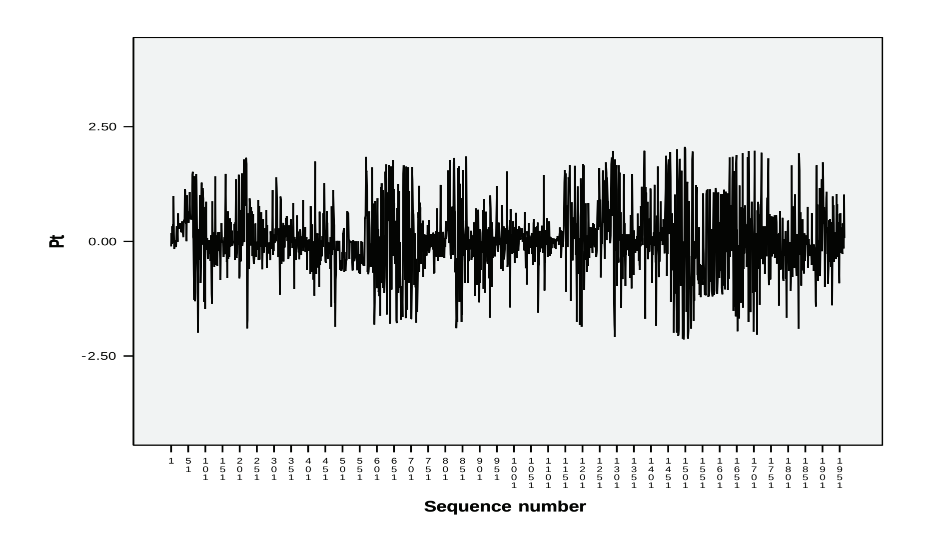


Figure (5): Index Daily Returns Chart (All Period).

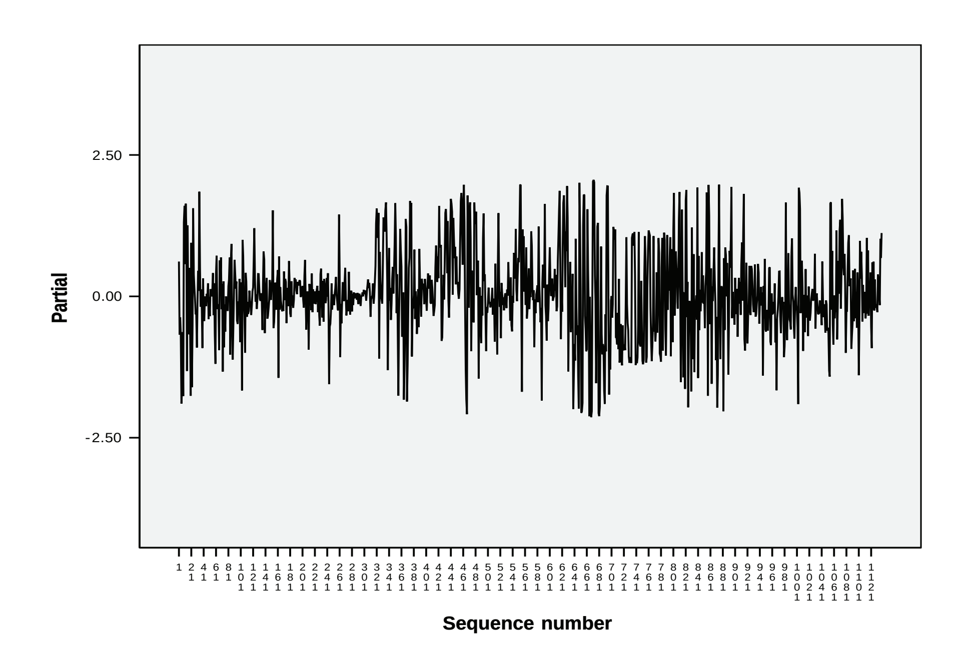


Figure (6): Index Daily Returns Chart (Partial Period).

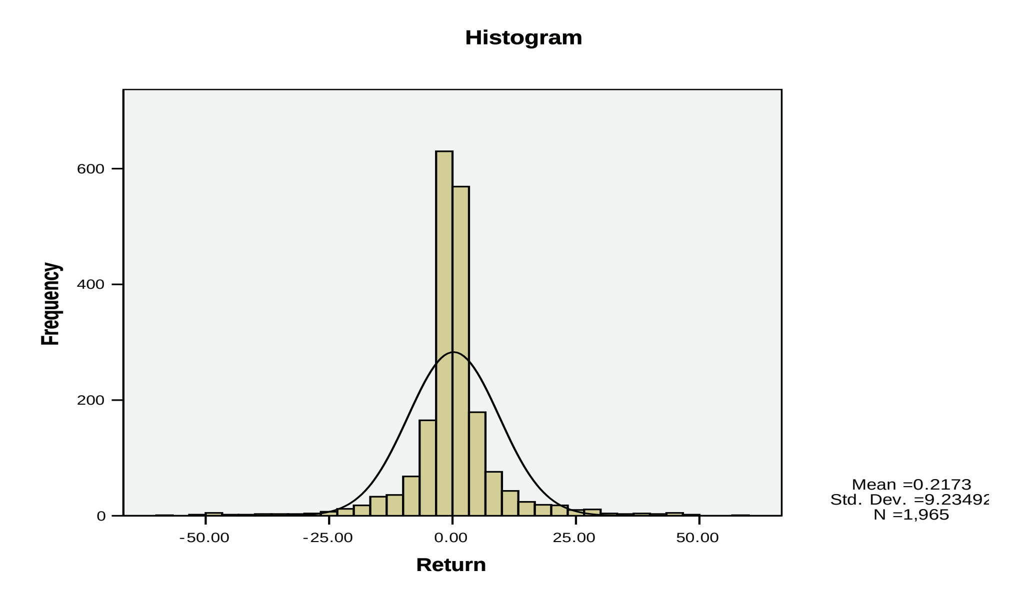


Figure (3): Index Daily Returns Histogram (All Period).

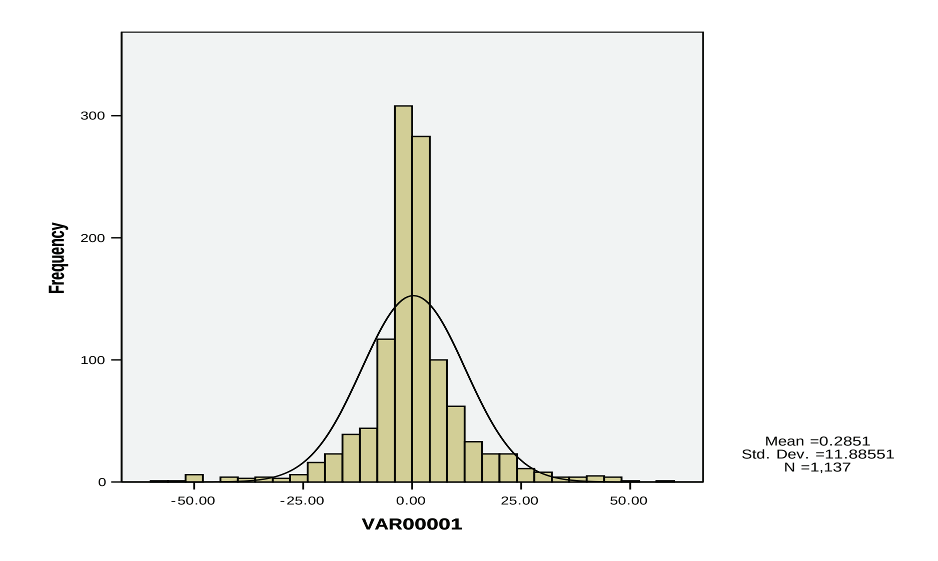


Figure (4): Market Profits Chart (Partial Period).

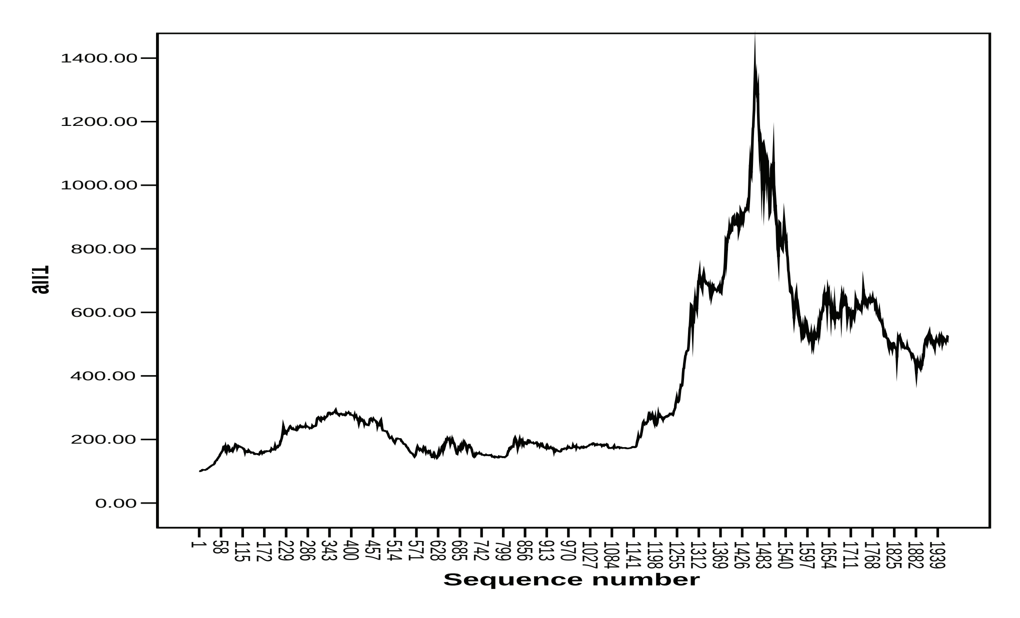


Figure (1): Index Daily Prices Chart (All the Period).

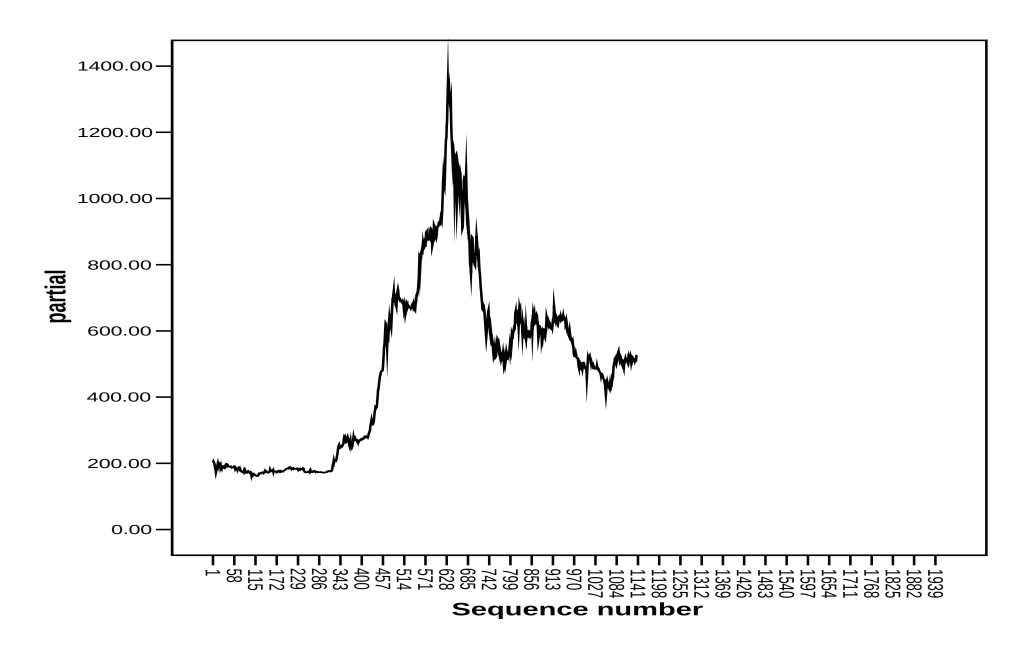


Figure (2): Index Daily Prices chart (Partial Period).

26. Muthuswamy, J. (1990) Nonsynchronous Trading and the Index Autocorrelation Problem. Ph.D. Dissertation, Graduate School of Business, University of Chicago.

27. Ojah, K. and Karemera, D. (1999) Random walks and market efficiency tests of Latin American emerging equity markets, The Financial Review, 34(1), 57-72.

28. Palestine Stock Exchange PSE. Public Relation Department and web site WWW.P-S-E.

29. Palestinian Central Bureau of Statistics.

30. Poshakwale S. (1996), "Evidence on the Weak-form efficiency and the day of the week effect inthe Indian Stock Market", Finance India, Volume 10(3), September, pp. 605-616.

31. Summers, Lawrence H. 1986. Some skeptical observations on real business cycle theory. Federal Reserve Bank of Minneapolis Quarterly Review, 10, 23-27.

32. Smith, G, 2004, Random Walks in Middle East Stock Markets, Working Paper, University of London.

33. Urrutia, J.L., 1995, Test of random walk and market efficiency for Latin American emerging equity markets, The Journal of Financial Research 18, 299-309.

المراجع العربية:

1. الفيومي، نضال ، 2003 م ، " أثر خصائص الأسواق الناشئة على اختبارات الكفاءة: دراسة تطبيقية على سوق عمان المالي" مجلة دراسات للعلوم الادارية. العدد 30 :2: 2003 الجامعة الاردنية، عمان. الاردن.

2. لقرع، بشار، 2001، "سلوك أسعار الأسهم في الدول النامية"– دراسة عملية على سوق فلسطين للاوراق المالية، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية.

3. عبد الكريم، نصر، 1995، "سوق فلسطين للأواق المالية (بورصة)". مجلة السياسة الفلسطينية، العدد السادس، نابلس.

4. صبري، نضال، 2003 م ،" مصادر التمويل للقطاع الخاص، دراسة تحليلية". جامعة بيرزيت– فلسطين.

13. *Fama, E. (1965), "The behavior of Stock Market Prices", Journal of Business, vol 38, p.34-105.*
14. *Fama, E., 1991, "Efficient Capital Markets: II," Journal of Finance 46 (5), 1575-617.*
15. *Fama, Eugune F.,and Kenneth R. French, (1988), "Permanent and temporary components of stock market prices", Journal of Political Economy, vol. 96, pp-246-273.*
16. *Fama. E. (1970), "Efficient Capital Markets: A review of theory and Empirical Work", Journal of Finance, vol-25, no-2(May, 1970), Pp.383-417.*
17. *Grieb, T. and Reyes, M.G. (1999) Random walk tests for Latin American equity indexes and individual firms, Journal of Financial Research, 22(4), 371-383.*
18. *Jokivuolle, E. (1995) Measuring true stock index value in the present of infrequent trading, The Journal of Financial and Quantitative Analysis, Vol.30, No.3, pp.455-464.*
19. *Lagoarde-Segot, T. and Lucey, B., (2005). Financial Integration in the MENA: in search for portfolio diversification opportunities, IIIS Discussion Paper 71, Trinity College Dublin.*
20. *Lo, A. W., and A.C. Mackinlay, (1988), "Stock market prices do not follow random walks. Evidence from a simple specification test", Review of Financial Studies, vol.1, pp.41-66.*
21. *Lo.A, and Mackinlay.A, (1990) an econometric analysis of infrequent trading Journal of Econometrics 45, pp.181-211.*
22. *Mas Publications, El Jafary & Makhool 2004. Palestine Economic Policy Research Institute. MAS.*
23. *Miller, M. H., J. Muthuswamy and R. E. Whaley, 1994, Mean reversion of Standard & Poor's 500 index basis changes: Arbitrage-induced or statistical illusion?, Journal of Finance, Vol. 49, 479-513.*
24. *Mobarek, A; Keasey, K. 2000. "Weak - form market efficiency of an emerging market: Evidence from Dhaka Stock Market of Bangladesh", the paper presented at the ENBS Conference held on OSLO.*
25. *Moustafa, M. A. (2004) Testing the Weak-Form Efficiency of the United Arab Emirates Stock Market, International Journal of Business, 9, 309-25.*

References

1. *Abraham, A. Seyyed, F.J. and Alsakran, S.A. (2002) Testing the random behavior and efficiency of the Gulf stock markets, The Financial Review, 37(3), 469-480.*
2. *Abuzarour, Bashar, (2005). The Effect of Infrequent Trading on Market Efficiency: The Case of the Middle East Stock Markets, Working Paper. University campus, Rio, Patras, Greece.*
3. *Al-fayyoumi. Nedal, 2003, Information Arrival, Trading Volume and Price Variability: An Applied Study on the Palestinian Securities Exchange. Yartmouk University journal, (0165-1023). ISSN.*
4. *Antoniou, A, and Nuray Ergul, 1997, "Market Efficiency, Thin Trading and Non-linear Behavior: Evidence From an Emerging Market", European Financial Management, vol.3, no. 2, P175-190*
5. *Arab Monetary Fund (AMF) bulletin, several issues.*
6. *Azzam, Henry T., 1997, "The Emerging Arab Capital Markets," Kegan Paul International, London.*
7. *Basset, G. W., France, V. G. and Pliska, S. R. (1991) Kalmen filter estimation for valuing non-trading securities, October 19 and 20, 1987 Review of Quantitative Finance and Accounting 1, pp.135- 151.*
8. *Blasco, N., Rio, C.D., and Santamaría, R., (1997). The random walk hypothesis in the Spanish stock market: 1980-1992, Journal of Business Finance & Accounting 24, 667-683.*
9. *Blavy, R. (2002). Changing volatility in emerging markets: a case study of two Middle Estern stock exchanges, Revue Entente Cordiale 02.*
10. *Butler, K. C. and S. J. Malaikah, 1992, "Efficiency and Inefficiency in Thinly Traded Stock Markets: Kuwait and Saudi Arabia," Journal of Banking and Finance, 16 (1), 197-210.*
11. *Civelek, M.A, (1991). Stock market efficiency revisited: evidence from the Amman stock exchange. The Middle East Business and Economic Review, 3, 27-31.*
12. *El-Erian, M.A. and M.S. Kumar. 1995. Emerging Equity Markets in Middle Eastern Countries- World Bank Conference on "Stock Markets, Corporate Finance, and Economic Growth.*

6.3 Recommendations

The question is: what can be done to improve the efficiency of the PSE and to ensure its contribution to the development of the Palestinian economy? There are a series of policy actions that could improve the role of the PSE and improve its efficiency. However, these actions might not be as effective as hoped for as far as the political and economic instability continues to prevail in the Palestinian Territories.

Recommended actions can be classified under six related headings: (1) Improving disclosure and corporate governance requirements by the Capital Market Authority, by enforcing compliance of listed companies with these requirements. (2) Improving investment culture and overall analyzing process for traders and brokers, via education training and public awareness. (3) Increasing the market depth, by increasing the number of companies listed. (4) Capital Market Authority must accelerate the process of issuing by-laws and regulations that are necessary to organize and monitor the activities of the market as well as the financial intermediaries. (5) The efforts to incorporate the PSE should be completed, so that the PSE becomes a publicly held corporation that gains more confidence credibility. (6) The Palestinian Monetary Authority might consider amending the Banking Law to allow for more active role of banks in the trading activities in the PSA that will lend more depth and liquidity to the market.

6.2 Conclusions

The main conclusions can be summarized as follows:

- The PSE is found to be inefficient weak form market, since the random walk hypothesis was rejected. Expected returns may be predicted by technical analysis. These results agree with other previous studies on the market [Al-gareh (2001), Alfayoumi (2003), Abuzarour (2005)], and in other emerging markets.
- In particular, relevant information was not sufficient as companies did not comply with information quality requirements in their reports, besides there is the problem of reliability and timeliness of information. Investor's rely on the market rumors. This lag in information is being impounded into prices; (Al-Fayoumi 2003). There were restrictions on the repatriation of capital which may have deterred foreign participation, thus, contributing to illiquidity and low volume of trading. there were also no restrictions on insider trading which impact the market confidence and perceive risk less of the market.
- The Palestinian Capital Market Authority (PCMA) could take in to consideration, the disclosure matter, particularly the information availability, quality, especially timeliness, the company's obligation to keep up with, and the Corporate Governance issue, while regulating and controlling over the market as a private sector.
- The inefficiency of PSE follows from the violation of the necessary conditions for an efficient market. This leads to the conclusion that policies and regulations such as those concerning liberalization, deregulation and privatization have generated a perceived inconsistency, and a tendency to produce instability. The implication is that the benefits of a well functioning stock market are not being realized in the economy. Indeed, the weak-form inefficiency of the stock market demonstrated in this study is most likely caused by a combination of the lack of its development and the implication of policy choices. It is necessary to gain more insights into the operation and characteristics of the stock market of Palestine of its efficiency and the valuation processes to make an informed assessment of the empirical characteristics of the market.

information in the market. Second: Companies listed in PSE are subject to less investment research or the amount of information companies divulge is not disclosed properly and promptly. Thirdly: The market may be strongly influenced by poor investment culture and analysis process, thus trading is done on the basis of fad or just speculation (Poterba and Summers, 1988). Third, information is impounded first in large capitalized firms (PADICO and PALTEL) and then small capitalized firms, with a lag. This induces serial correlation in the index . Four: The scarcity of relevant and uncertain validity of corporate information, the existence of market rumors, lead to truncated fundamental analysis. Lastly: As traders in the market received information in a sequential of non random fashion, therefore stock prices and returns could be characterized by non random process also.

Despite the impressive growth of the PSE in recent years [See 2005 indicators in table (4-1)], it does not yet offer a real investment or finance option in the Palestinian economy. Evidently, only three companies (PADICO, PALTEL, BOP) take hold of more than 70% of the whole market trading capitalization, and about 10 companies of 36 listed in the PSE are involved in active trading.

The implication of these results for decision makers is that; the removal of restrictions and barriers to the flow of capital in this market is expected to improve and enhance growth and liquidity. Since a more liquid capital market offers lower borrowing costs for firms wishing to raise funds locally. Increasing the market liberalization will not only increase a locative efficiency within the Palestinian context, but will also provide locally and foreign investors with greater opportunities to diversify their portfolios and reduce risk. Although the Arab capital markets especially the Palestinian market, are sensitive to the country’s political changes (Azzam 1997), Palestinian Financial Market has a unique case of uncertain political and economical conditions, which could be taken in consideration.

Where the null hypothesis is that VR (q) = 1 or that the chosen index follows a random walk. Returns are positively serially correlated for short time horizons and consistent with the findings of [Urrutia (1995), Lo and MacKinlay (1988)] When the random walk hypothesis is rejected and VR (q) >. For emerging markets, positive serial correlation in returns could simply describe market growth (Urrutia 1995).

When the random walk hypothesis is rejected and VR (q) < 1, returns are negatively serially correlated. This situation is often described as a mean-reverting process and consistent with the findings of (Fama and French 1988). This has been interpreted as an efficient correction mechanism in mature markets (Fama and French 1988) and as a sign of a “bubble” in emerging financial markets (Summers 1986).

6. Summary, Conclusions, and Recommendations

6.1 Summary

The random walk and weak-form efficient hypotheses were rejected for the general index at conventional levels of statistical significance, according to the auto-correlation and variance ratio test, even after correcting for infrequent trading. See Tables (5-3), (5-4).

Stock returns are also found to be mean-reverting which may signal frequent market corrections potentially due to high market volatility or over inflated prices from a bubble effect. This is alarming as it signals that investment in the market can be risky in the short run and result in substantial losses or substantial gains.

Nevertheless, as risk may decrease in the long-run in the market with mean-reverting returns (Giannetti 2005), investment in the PSE may only be beneficial over a longer time span. Several factors may explain why the PSE is weak-form inefficient. First: The movements of daily prices of quoted companies in PSE are restricted to a maximum of 5% below or above the opening prices. Accordingly, more than one day may be needed to capture the new information which creates dependencies, consist with (Al-Fayoumi 2003) results that there is a lag to response to

negative Z-values for market indicate positive serial correlation. Results show that the successive returns for the market is not independent at the 5% level (critical value -1.96), which consistent with the finding of (Abraham et al. 2002).When indices are corrected for infrequent trading, the results still the same.

Results of runs test for Palestine Securities Exchange market, observed vs. corrected index levels, Palestine. The runs test, tests for a statistically significant difference between the expected numbers of runs vs. the actual number of runs. A run is defined as a successive price changes with the same sign.

n (+) / n (-) / n (0) represent the number of successive sequence of positive/negative/zero price changes. Panel B shows the results for the index, corrected for infrequent trading.

Table (5-4): Runs Test Results

Panel A: Observed Index Returns	*All Period*	*Partial Period*
Observations (N)	1965	1137
n (+)	1087	586
n (-)	878	551
n (0)	0	0
Expected runs (m)	765	357
Actual runs (R)	639	294
Standard error (σm)	15.252	11.308
Z – Statistic	-7.288**	-5.233**

Panel B: Corrected Index Returns	*All Period*	*Partial Period*
Observations (N)	1965	725
n (+)	757	372
n (-)	795	353
n (0)	0	0
Expected runs (m)	775	356
Actual runs (R)	535	278
Standard error (σm)	15.313	13.456
Z – Statistic	-8.690**	-6.227**
Asymp. Sig. (2-tailed)	0.000	0.000

** Indicates rejection of the null hypotheses that successive price changes are independent at the 0.05 level.

$$Z(q) = \frac{VR(q) - 1}{\dfrac{2(2q-1)(q-1)}{3q(nq)}} \quad \ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots(4)$$

$$Z^{*}(q) = \frac{VR(q) - 1}{\left[\phi(q)^{*}\right]^{\frac{1}{2}}} \approx N(0,1) \quad \ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots (5)$$

As reported in tables (5-3), the null hypothesis of a random walk is rejected for all periods under homoscedasticity and heteroscedasticity. The results for the PSE are consistent with the results presented by (Urrutia 1995). However, because the reported values of the variance-ratio VR (q) are below 1, returns appears to be negative serial correlation in the series, consistent with mean-reversion and the likelihood of a “bubble”.

In fact, when the random walk hypothesis is rejected in a particular market, the alternative hypothesis is that returns are serially correlated and this says nothing about efficiency. In this case, it is important to identify the type of correlation and complete further tests.

5.4 Runs Test:

In this section, we report results of weak form efficiency using the non-parametric runs test. This test is found to be preferable to its equivalent parametric test (serial correlation) under the circumstances here that returns data do not conform the normal distribution. The J-B and K-S tests statistic is reported in table (3-1). We examine in this section the independence of price changes using the runs test.

Results of the runs test are reported in table (5-4), both for observed indices and indices after corrected for infrequent trading.

In panel A for observed indices, the actual number of runs (R) in the market can be seen to fall short of the expected number of runs under the null hypothesis of stock return independence. The resulting

5.3 Variance Ratio Test:

The variance ratio test is used to test the RWH for the Palestine market, the variance is computed for multiples of 2, 5, 10, 20, and 40 days as holding periods with one-day return used as a base, results for the observed and the corrected indices are shown in panel A and B of table (5-3) respectively.

The variance ratios are defined as the ratio of (1/q) σq2 to σ1 2 for values of q = 2, 5, 10, 20, and 40, where σ2 is the variance of the index return defined as Ln (pt / pt – I).Panel B shows the results for the index, corrected for infrequent trading.

Table (5-3): Variance Ratio Test Results

Panel A: Log relatives of the observed index levels, Daily frequency

Days (q)	2	5	10	20	40
All Period					
VR (q)	0.8603	0.3518	0.2237	0.1711	0.0437
Z Value	-14.9060**	-11.4136**	-8.2944**	-5.5048**	-4.2221**
Z* Value	-9.6341**	-8.6787**	-6.0608**	-4.5694**	-4.0712**
Partial Period					
VR (q)	0.6572	0.2884	0.1672	0.0878	0.03421
Z Value	-12.8104**	-9.6326**	-8.4662**	-6.5714**	-4.4696**
Z* Value	-8.8234**	-8.2622**	-6.8246**	-4.9218**	-3.6248**

Panel B: Log relatives of the corrected index level

Days (q)	2	5	10	20	40
All Period					
VR (q)	0.7578	0.2854	0.1824	0.0862	0.0468
Z Value	-10.5068**	-8.3816**	-6.2042**	-4.5618**	-3.2884**
Z* Value	-7.6782**	-6.2760**	-4.2312**	-3.1835**	-2.4492**
Partial Period					
VR (q)	0.5652	0.2286	0.1282	0.0654	0.0389
Z Value	-9.1286**	-8.3028**	-5.4138**	-4.1048**	-2.4482**
Z* Value	-6.8734**	-6.2865**	-4.2620**	-3.2335**	-2.2404**

Asterisks, ** denote respectively statistical significance at the 0.05 level. Rejection of the RWH at 0.05 levels. The standard Z and Z* tests statistic as described in chapter three is:

is evident that there are significant (positive sign) auto-correlation coefficient at 1th, 2th, 3th, 6th, 7th, 8th, and 9th lag and significant (negative sign) auto-correlation coefficient at 4th, 5th, and 7th lag. The presence of non-zero auto-correlation coefficients in the log of the market returns series of the two samples clearly suggests that there is a serial dependence between the values.

To confirm the results, the autocorrelation co-efficient of the return series without outlier and for the two different periods are also calculated, results from Figures (2, 3) Confirm that there is a significant autocorrelation of daily market returns for the whole and partial samples period. The first order auto-correlation in all period is less than the partial sample period. On the other hand, second order autocorrelation and standard autocorrelation at higher lags is larger in the partial period sample than the all sample period.

The none zero auto-correlation of the series associated with Ljung -Box Q statistics, which are jointly significant at 5% level at 16 degrees of freedom (lags), suggest that return series does not follow random walk model. See figures (2.3.4.5).

Table (5-1): Autocorrelation Stand. All Period Samples.

Lags	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
*P*k	0.333	0.074	0.002	-0.038	-0.019	0.023	-0.009	0.042	0.092	0.022
Stand Err.	0.023	0.023	0.023	0.023	0.023	0.023	0.023	0.023	0.022	0.022

Total cases: 1965 observations

Table (5-2): Autocorrelation Stand. Partial Period Samples.

Lags	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
*P*k	0.312	0.048	-0.026	-0.067	-0.028	0.062	0.028	0.067	0.103	0.037
Stand Err.	0.030	0.030	0.030	0.030	0.030	0.030	0.030	0.030	0.030	0.029

Total cases: 1137 observations.

be obtained. Specifically, this model involves estimating the following equation:

R1 = a1 + a2 Rt-1 + εt ………………………………………………..…… (1)

Using the residual from the regression, adjusted returns are estimated as follows:

$$R_t^{adj} = \frac{E_t}{(1-a_2)}$$

…………………..………. (2)

Where R_t^{adj} is the return at time t adjusted for thin trading?

Miller, Muthuswamy, and Whaley find that thin trading adjustment reduces the negative correlation among returns. The model above assumes that non-trading adjustment is constant over time. While this assumption may be correct for highly liquid markets, it is not the case for emerging markets. Therefore, equation (1) will be estimated recursively.

5. Empirical Findings

5.1 Results of Testing the Random Walk Hypothesis.

H01: The PSE is weak form efficient market.

In the first part, the auto-correlation test, and variance ratio test for the RWH of the Palestine market are carried out and comparisons are made between observed and corrected true index. A non-parametric runs test is explained and efficient markets hypothesis assessed in context of infrequent trading in part two.

5.2 The Auto-Correlation Test:

The auto-correlation coefficients have been computed for the log of the market return series shows significant auto-correlation at different lags for the whole period sample, and partial period sample. In Tables (5-1), (5-2), the results of auto-correlation analysis are presented. It

$$m = \frac{N(N+1) - \sum_{i=1}^{3} n_i^2}{N} \quad \text{..(6)}$$

Where N is the total number of return observations and ni is a count of price change in each category. For a large number of observations (N>30), m approximately corresponds to a normal distribution with a standard error (σm) of runs as specified in equation (2).

$$\sigma_m = \left[\sum_{i=1}^{3} n_i^2 \left\{ \sum_{i=1}^{3} n_i^2 + N(N+1) \right\} - 2N \sum_{i=1}^{3} n_i^3 - N^3 \right]^{\frac{1}{2}} \quad \text{...............(7)}$$

The standard normal Z-statistic (Z = (R-m) / σm) can be used to test whether the actual number of runs is consistent with the independence hypothesis. When actual number of runs exceeds the expected runs, a positive (negative) Z value is obtained. Positive (negative) Z value indicates negative (positive) serial correlation in the return series.

A lower than expected number of runs indicates a market's overreaction to information, subsequently reversed, while a higher number of runs reflect a lagged response to information. Either situation would suggest an opportunity to make excess returns.

The runs test provides further evidence against weak- form market efficiency by indicating that the data is not consistent with a random series.

4.4 Estimating the True Index-correcting for Infrequent Trading

To correct the index we apply a correction to the observed index by using a methodology proposed by (Miller, Muthuswamy, and Whaley 1994) to separate the effect of infrequent trading. And to correct for infrequent trading, this methodology basically suggests that to remove the impact of thin trading a moving average model (MA) that reflects the number of no trading days should be estimated and then returns be adjusted accordingly. However, given the difficulties in identifying the non-trading days, Miller et al. have shown that it is equivalent to estimate an AR (1) model from which the non-trading adjustment can

First: we calculate the compounded daily returns on the index, find its variance and repeat the procedure for 2, 5, 10, 20, and 40 day returns. Second: calculate the variance ratios for all four times intervals, and test the hypothesis that it equals one, as the null hypothesis is that V R (q) = 1 means that the chosen index follows a random walk, when the random walk hypothesis is rejected and V R (q) > 1, in emerging markets, positive serial correlation in returns could simply indicate market growth (Urrutia 1995).

4.3 Non-parametric, Runs test

Runs test is used to examine statistical dependencies. The main advantage of this non-parametric test is that it ignores the distribution of the data [(Mobarek and Keasey, 2000), (Abraham, 2002)]. A run is defined as a succession of identical signs (+, - , 0) running through the data. If an abnormally high (or low) number of runs are present, then there is evidence against the null hypothesis of a random series.

This test determines whether successive price changes are independent. Unlike its parametric equivalent the serial correlation test, the runs test does not require returns to be normally distributed. A run is a sequence of successive price changes with the same sign. If the returns series exhibit grater tendency of change in one direction, the average run will be longer and the number of runs fewer than that generated by random process.

To assign equal weight to each change and to consider only the direction of consecutive changes, each change in returns was classified as positive (+), negative (-), or no change (0). The runs test can also be designed to count the direction of change from any base; for instance, a positive change could be one in which the return is grater than the sample mean, a negative change one in which the return is less than the mean, and zero change representing a change equal to the sample mean. The actual runs (R) are then counted and compared to the expected number of runs (m) under the assumption of independence as given in equation (1) below;

Where, P k is the Auto-correlation coefficients at lag k, n = sample size.

The presence of non-zero auto-correlation coefficients in the log of the market returns series clearly suggests that there is a serial dependence between the values. To confirm the results, the autocorrelation co-efficient of the return series without outlier and for the two different sample periods are also calculated.

4.2. Variance Ratio Test of Random Walk

Lo and MacKinlay (1988) suggested another method for testing the randomness of stock prices, the variance ratio test. We can apply the test to both, the stock price index and the individual stocks (Urrutia, 1995). The test is based on one of the properties of the random walk process, namely that the variance of the random walk increments must be a linear function of a time interval (q). This means that, for identically independently distributed (continuously compounded) returns ri,q, the variance must be q times the variance of ri,t, where ri,t, is defined as in (2.3) and

$$r_{i,q} = \log\left(\frac{P_{i,t}}{P_{i,t-q}}\right) \quad (3)\text{...}$$

q = the time interval for which we compute a compounded return.

The variance ratio is calculated as:
(4.)...
VR(q) = variance ratio
σ^2 (q) = (1/q) times the variance of q-day returns
σ^2 (1) = the variance of daily returns

Under the random walk null hypothesis, the expectation for this is equal to one. For testing this null hypothesis we use the test statistics as defined in Urrutia (1995):

$$(5)\text{....................................} \quad z(q) = \frac{VR(q) - 1}{\sqrt{\phi(q)}}$$

Where

$$\phi(q) = \frac{2(2q-1)(q-1)}{3q(nq)} \quad (6)\text{......................................}$$

4. Methodology

In this study, the methodology proposed by (Miller, Muthuswamy, and Whaley 1994) was used to correct for infrequent trading. Separating the effects of infrequent trading allows us to draw a definitive conclusion regarding market efficiency and random walk. Such infrequent trading introduces bias into efficiency results. The main source of bias is that prices recorded at the end of a time period have a tendency to represent transactions that occurred earlier in, or prior to, the period in question. Thus, infrequent trading induces false autocorrelation in the series. Miller, in 1994 has shown that estimating AR (1) can solve the problem of infrequent trading. Specifically, the following relation can be employed:

$$r_t = \beta_0 + \beta_1 r_{t-1} + \varepsilon_t \quad \ldots\ldots(1)$$

Using the residuals from the regression, adjusted returns are estimated as follows:

$$r_{t\,adj} = \varepsilon_t / (1-\beta_1) \quad \ldots\ldots(2)$$

Where $r_{t\,adj}$ is the return at time t, adjusted for infrequent trading. Equations (1) and (2) assume that the non-trading adjustment required to correct returns are constant over time.

4.1. Auto-correlation Function Test

Auto-correlation test is usually the first reliable measure for testing either dependence or independence of random variables in a series. Kendall, 1948, compute the price changes at different lagged 1, 2, 3, 4, 5 time periods. Later the test is used to investigate dependency structure [(Balesco, and Santamaria, 1997), (Abraham, 2002)].

The serial correlation coefficient measures the relationship between the values of a random variable at time t and its value in the previous period. Auto correlation test is evidence whether the correlation coefficients are significantly different from zero. For a large sample, the Ljung-Box statistic follows the chi-square distribution with m degrees of freedom:

$$LB = n(n+2) \sum_{K=1}^{m} \left(P^2_K / n-k \right) X^2$$

3.2 Palestine Securities Exchange Indicators:

Table (3-3) presents the main indicators of the PSE over the period 1998-2007.

Years / Indicators	1998	1999	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007
M. Capitalization (millions $)	587.88	848.94	766.02	722.63	576.60	650.47	1096.52	4456.18	2728.811	2474.679
Listed Companies	18	20	22	23	24	24	26	28	35	35
Shares Traded (millions shares)	16.78	68.89	93.35	33.46	18.67	40.35	103.64	369.567	222.689	299.422
Trading Value (millions $)	68.64	150.24	188.98	74.53	45.08	58.33	200.56	2096.16	1067.37	813.47
Turnover (%)	0.94	1.74	1.70	0.94	0.60	0.76	1.66	6.44	5.74	4.87
Market Value (%GDP)	1.81	1.83	2.42	1.99	2.33	1.93	2.15	7.41	4.14	3.36
Value Traded (%GDP)	0.02	0.03	0.04	0.02	0.01	0.02	0. 02	0.07	0.05	0.04
Real GDP (Millions of US$)	4,534	4,712	4260.8	3988.5	3839.8	4325.5	4415.3	4750	4432.65	-
Al-Quds Index	154.98	236.76	207.62	195.00	151.16	.81	277.56	882.38	605	27.26
N0. of Trading Sessions	100	146	211	161	100	223	244	246	238	248

Sources: Arab Monetary Fund (AMF) bulletin, several issues, PSE Public Relation Department Publications, and Palestinian Central Bureau of Statistics.

3.1 Al-Quds Index:

The base date for the Al-Quds index is July 8, 1997 = 100. Al-Quds Index is calculated using a market-value weighted method. Al-Quds Index consists of 10 companies; these companies were chosen to represent all the sectors in the market, the most liquid in the marketS. Each year, this sample of companies is edited according to the statistics of that year. Table (3-2) below shows the company's symbols included in Al-Quds index:

Companies Included in Al-Quds Index.

#	**Company Symbol**	***Sector***
1	PALTEL	Service
2	PEC	Service
3	PRICO	Service
4	PADICO	Investment
5	AIG	Insurance
6	AIB	Banking
7	BOP	Banking
8	BPC	Industry
9	PIIC	Industry
10	JCC	Industry

Table (3-2): Source: PSE Public Relation Department Publications.

2.2 Study Hypotheses

This present study seeks evidence, whether the PSE market follows random walk hypothesis. The market is consistent with the weak form efficient hypothesis. To investigate empirically the Weak Form Efficiency of the PSE, the random weak hypothesis, we tested using the market returns time series data.

To facilitate our analysis, the following hypothesis was developed, and was stated in its null form as follows: ***H01: The PSE is Weak Form Efficient Market.***

3. Research Data and Description

The data consisted of daily index closing values for the PSE, Composite Index (Al-Quds). The first sample taken for the period: July 8th 1997 to December 30th 2007 totaled to (1966) observations, as the (All Period). The second sample taken for the period: April 30th 2003, to December 30th 2007 totaled to (1137) observations, as the (Partial Period), with frequent trading for three hours and five trading days per week. For more information about the PSE data see appendix (1). Figure (1-6).

Table (3-1): Market Returns Description, and Normality Tests.

Daily index returns are computed as Rt = 100 * ln (Pt / Pt-1)

Statistical	All Period	Partial Period
Mean	0.2173	0.2851
Median	0.0000	0. 0116
Maximum	2.0600	2. 0600
Minimum	-2.1400	- 2. 1400
Std. Dev.	9.2349	11.8550
Skewness	0.5500	-0.039
Kurtosis	9.6510	4.974
K-S	3.2990**	2.5460**
Jarque-Bera	1852.6700**	1376.4300**
Probability	0.0000	0.000
Observations	1965	1137

*: Normality Significance Level rejected is 5%.

2.1 Infrequent and Thin Trading

Emerging markets are typically characterized by low liquidity, thin trading, and possibly less well informed investors with access to unreliable information and considerable volatility. A number of studies have investigated the impact of thin trading and discussed its consequences. {(Miller, Mathuswamy and Whaley, 1994), (Lo and MacKinlay, 1995), (Blavy, 2002), (Moustafa, 2004), and (Abuzarour, 2005)].

Existents dependency is not necessarily evidence of predictability, but rather may be a statistical illusion brought about by thin trading. A number of different approaches have been suggested to correct for infrequent trading, (Stoll and Whaley, 1990) use the residual from an ARMA regression as a proxy of the true index, whereas; (Bassett, France, and Pliska, 1991) proposed the use of a Kalman filter to estimate the distribution of the true index. Jokivuolle, 1995 suggested a modified version of the Stoll and Whaley approach to estimate the true unobserved index from the history of the observed index. The correction consists of decomposing the log of the observed index in its random and stationary components.

In emerging markets, it is necessary to take into account thin trading which typically characterizes these markets when testing efficiency, since each stock trades at the end of each price change measurement interval, the observed stock price change will be equal to the true stock price change.

However, with non-synchronous trading, all securities in the portfolio are traded at least once during each interval but not necessarily at the end point. A number of studies have investigated the impact of infrequent trading, see, for example; [(Lo and Mackinlay, 1990), (Stoll and Whaley, 1990), and (Miller, Kmuthuswamy, and Whaley, 1994)].

In the context of Palestine, financial disclosure procedures are weak, and there is little public awareness about securities, poor investment culture, poor accounting and auditing procedures. All these factors have weakened the liquidity, volume of trading and limited the role of the PSE to mobilizing financial resources and direct them towards productive investment (El Jafary & Makhool.B 2004). But there are little studies that empirically investigated the investor's behavior recently. Because little is known about the stock price behavior in this market, the aim of the study is to investigate the effect of infrequent trading on market efficiency and the validity of the RWH.

In the literature of Palestine securities exchange, to the best of our knowledge, there are few literature studies that deal with this issue or particularly about the PSE. (Al-Gareh, 2001), in his MA dissertation, tested empirically the PSE daily price index in the periods (1997-2000), using multivariate methodology, and concluded that the market is rejecting the RWH on the weak form efficiency.

Al-Fayyoumi, 2003 tested the informational efficiency by testing the relationship between trading volume and stock-price volatility. His paper main results were that price volatility is not explained directly by the flow of information, so in the absence of volume as mixing variable, the GARCH model describes the market index returns quite well, upon introducing contemporaneous or lagged trading volume as proxy for information arrival, the volatility persistence does not vanish; Mixture of Distributions Hypothesis (MDH) is not relevant in the PSE, and he concluded that:

1. Price volatility is not explained directly by the flow of information.
2. Investors in the PSE should pay more attention to the fundamental (financial) information in order to improve the rationality of the decision making process.

Abuzarour, 2005 using the variance ratio test developed by Lo and Mackinlay in 1988 and the nonparametric runs test during the period from 1997 to 2004, examined the effect of non-trading on market efficiency for three emerging Arabian equity markets in the Middle East; Jordan, Egypt, and Palestine, which are typically characterized by low liquidity, thin trading, and possibly less well informed investors with access to unreliable information and considerable volatility, using the (Miller, Muthuswamy, and Whaley 1994) approach to estimate the true underlying index.

Results indicate that infrequent trading can affect the results of empirical studies on efficiency by introducing serious bias into the results of empirical work. In addition, inferences drawn from tests of market efficiency are rendered imprecise in the presence of infrequent trading. As the observed indices in thinly traded markets may not represent the true underlying index value, there is a systematic bias toward rejecting the efficient market hypothesis.

El-Erian and Kumar in the same year examined the RWH in emerging markets by choosing two countries from the Middle East region, namely Jordan, Turkey, and three other emerging markets from different regions. They found that there is serial dependence among the day to- day price changes in the stock market of Jordan and Turkey, indicating that the random model does not hold for these markets.

Urrutia in 1995 assessed the efficiency of the financial markets of Argentina, Brazil, Chile, and Mexico. Results reject the existence of a random walk when using a variance-ratio test and indicate that all four markets to be weak-form efficient when using a runs test, Urrutia further adds that the rejection of the random walk hypothesis suggests the presence of positive serial correlation in returns. Later Grieb and Reyes in 1999 revisited the Brazilian and Mexican markets using variance-ratio tests and found evidence of a random walk only for the Brazilian case.

Antonios, Ergul, and Holmes 1997 studied the Istanbul stock exchange and found it to be inefficient in the early times and its efficiency has improved as the country started liberalization and deregulations. In 1999 Ojah and Karemera found that the Latin American equity returns follow a random walk and are generally weak form efficient.

Omran and Farrar, 2001 tested the validity of the random walk hypothesis (RWH) in five Middle Eastern emerging markets; namely Jordan, Morocco, Egypt, Israel, and Turkey. Their results reject the RWH for all markets; instead they suggested that the stock returns in these markets exhibit calendar effects.

Abraham, 2002 tested the RWH for three Gulf equity markets; namely, Saudi Arabia, Kuwait, and Bahrain. After adjusting for infrequent trading, they found that both RWH and weak form efficiency are rejected for the Gulf markets when the observed index levels are used. In contrast, inferences are reversed with the use of the corrected true indices.

Al-Fayyoumi, 2003 and after adjusting the returns time series data of two periods; (1993-1996) and (1997-2000), found some evidence of efficient weak form of ASE in the second period results, attributing the different results to thin trading, prices non linear behavior, and new legislations. More recently, (Smith 2004) used a variance ratio methodology for Jordan and Lebanon and found support for the random walk hypothesis.

then its cost of capital is likely to be higher than that of a company with unrestricted access to the regional and international capital markets.

While conventional wisdom suggests that mature stock markets are generally weak form efficient (Fama, 1965 and 1970), conclusions for emerging markets are slightly more tentative. In these markets, a number of theoretical arguments support the rejection of the random-walk hypothesis because:

1. In thinly traded markets, the low level of competition and the subsequent dominance of some players may allow individual traders to set stock prices at levels significantly different from their intrinsic value.
2. The scarcity and uncertain validity of corporate information, the lack of auditing experience and the weaknesses of regulations and disclosure requirements lead to truncated fundamental information.
3. A number of structural and institutional specificities such as the fragmentation of capital markets and the presence of political and economical uncertainties may also account for departure from efficiency {(El-Erian and Kumar, 1995), and Blavy, 2002)}.

Standard empirical testing of the Weak Form Efficient Market hypotheses can be divided into two sub approaches: one is to determine the existence of predictability using past return series or price information, and the other, is to check whether technical trading rules can be exploited as a profit making strategy. Our study encompasses the first methodology.

Results from empirical investigation over different times are mixed: while some researchers can not reject the random-walk hypothesis for emerging markets {(Urrutia, 1995), and Smith, 2004)}; others find evidence of non-randomness of stock price behavior, {(Poshakwale, 1996), Lagoarde-Segot and Lucey, 2005)}.

However, evidence from emerging markets is not the same. Leading studies of market efficiency in the Middle East by Butler and Malikah in 1992 found that Saudi and Kuwaiti markets not to be weak-form efficient using serial correlation and runs tests. Using variance ratio test Al- Loughani, 1995 found further evidence of an inefficient Kuwaiti stock market.

1.2 Objectives of the Study

1. To empirically investigate the weak form efficient hypothesis in the (PSE) market.
2. To formulate policy recommendations that may enhance the efficiency and development of the PSE, especially with regard to the role of the Palestinian Capital Market Authority (PCMA), which was established recently in the year 2005 by the Palestinian authority (PA).

1.3 Importance of the Study

The study is considered important in the view of the following:

1. The efficiency of the security market is necessary for the harmonious growth of the capital market and particularly in an emerging economy. This paper looks at the case of the PSE, and uses the most widely accepted statistical tests based on stratified samples of stocks on daily data over a ten years period.
2. PSE has received less attention than other markets elsewhere. The evidence that does exist is incomplete in that it focuses on a small number of markets similar to this market. It draws upon low frequency and short sample data, and relies on a narrow range of empirical techniques.
3. Specific recommendations are needed to improve the efficiency of the market as a whole.

2. Literature Review and Hypothesis Development

The rising interest in investment opportunities in emerging economies has raised questions about the efficiency of financial markets. Why is it so important that they are efficient? When financial markets are (weak-form) efficient, the prices paid for stocks reflect past prices and the trading history of a security at each point in time and thus reflects the true value of stocks and result in the optimal allocation of private and social resources. This helps the investors to evaluate and decide their investment position and style.

In the context of the Arab region, questions of market efficiency are of concern both to Arab equity investors and companies in the region that make capital budgeting decisions. Specifically, if stock market is found to be not efficient and segmented and a firm is forced to raise capital locally,

Rejection of the weak form efficiency hypothesis (WFEMH) indicates that there exists potential for a profitable investment rule. While traditional knowledge suggests that mature stock markets are generally weak form efficient, (Fama, 1965 and 1970). There are Conclusions that emerging markets are slightly more tentative.

I**n the Palestinian Securities Exchange (PSE) Case**, it is usually believed that the market is not efficient in semi-strong or strong form. Many previous studies seek evidence of weak form efficient market hypothesis in least developed and shallow markets like the Palestine Securities Market. It is more logical to test the weak form efficiency of the market rather than semi-strong form and strong-form efficiency. The test of semi strong and strong form efficiency is very rare in emerging markets because of the absence of sufficient information in a convenient form of structural profile, inadequacy, regulation, weak supervision and administrative existing rules, poor quality and quantity of company's disclosure, and poor investment culture [El-Erian and Kumar, 1995), (Blavy, 2002)]. In the Palestinian case, many of these characteristics are found (El Jafary & Makhool, 2004).

1 .1 Problem of the study:

Palestinian economy is a unique case, due to limited resources and poor quality of small and medium family enterprises. So the need for an efficient capital market to attract and absorb foreign capitals, gather and protect the Palestinian savings is important.

The establishment of PSE has provided public shareholdings with new opportunities for financing at a time when the banking credit offered to the private sector in Palestine is low due to the banks conservative credit policies (Abdelkarim, 1995), (Sabri, 2003).

For financial markets to be meaningful and useful to the economy, they must be efficient. Here in the case of Palestine, there is evidence that the PSE is inefficient (Shaheen, 2006), (Alfayoumi, 2003), and (Abuzarour, 2005). Disclosure procedures are weak, and there is little public awareness about securities. These factors have weakened the liquidity, volume of trading and limited the role of the PSE to mobilize financial resources and reallocate them towards productive and competitive investments (El Jafary & Makhool, 2004).

1. Introduction:

Stock markets especially in emerging countries have an important role in the economy since they are able to allocate resources, both directly as a source of funds and as a determinant of firm's value and borrowing capacity. Public shareholding companies play a major role in the economy since they are able to calculate, absorb, and invest large amounts of long term capitals. The success of such companies is partly due to the desire of the public to invest in these companies. Therefore, sufficient information is needed to prior making Investments decisions.

Private capital flows into capital markets are very important also, as this would go a long way augmenting the limited domestic savings and developing market links with sources of the private capital. Efforts to attract such capital flows rely on important government initiatives for the development of the country. Information collected on private capital flows and stocks are important for economic and financial analysis, thereby assisting in the decision-making process by the government agencies, and institutions, individual investors, and other interested parties specifically, data collected on private capital flows and stocks. (Freedman and Stagliano, 2002).

Informational efficiency of financial markets which means the relationship between stock prices and information has attracted much interest among financial scholars and practitioners. At 1970 Fama has been the first to develop the Efficient Markets Hypothesis (EMH). Two decades later, he reviews the voluminous theoretical and empirical work undertaken by numerous researchers on the informational efficiency of stock markets. The basic assertion given by the EMH is that stock prices fully reflect any changes in the information set of investors.

A market following random walk is consistent with equity being appropriately priced at an equilibrium level, whereas the absence of a random walk infers distortions in the pricing of capital and risk. This has important implications for the allocation of capital within an economy and hence overall economic development.

Abstract:

This study aimed at empirically testing the efficiency of the Palestine Securities Exchange (PSE) in terms of the Composite Index (Al-Quds) for the period 8 July 1997 – 30 December 2007, i.e. (196s Observations). The random walk test is performed to ascertain whether the (PSE) is Weak Form Efficient. Three widely accepted statistical tests have been used, namely: Auto-Correlation Function (ACF), Variance Ratio (VR) based on (Lo and McKinley's 1988) Parametric tests, and Run tests as nonparametric tests.

Results showed that the PSE was inefficient for all and partial period samples, even after modification of date and analysis for the true underlying index using (Miller. Muthuswamy and Whaley 1994) approach. However, these results are consistent with evidence provided in {(Shaheen, 2006), (AbuZarrour, 2005), (Al-Fayoumi, 2003)}.

Thus, on the repatriation of capital, which may have deterred foreign participation, and contributed to illiquidity and low volume of trading, are due to the weakness confidence and perceived risks of the market. Therefore, the study presented a number of recommendations that may be helpful in improving the efficiency of the PSE, which in turn increases its role in the Palestinian economy as whole.

Keywords: Stock Markets and Economy, Efficient Market Hypothesis, Abnormal Returns.

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى اختبار تجريبي للكفاءة المعلوماتية في سوق فلسطين للأوراق المالية، من خلال استخدام بيانات مؤشر القدس اليومية للفترة من ٨ تموز ١٩٩٧– ٣٠ كانون الأول ٢٠٠٧ (١٩٦٦، مشاهدة). وقد استخدمت فرضية السير العشوائي لمعرفة ما إذا كان السوق كفؤاً على المستوى الضعيف، من خلال استخدام ثلاثة من الفحوصات الإحصائية المقبولة والمستخدمة على نطاق واسع لفحص كفاءة الأسواق المالية الناشئة وهي: فحص الارتباط الذاتي(ACF)، وفحص نسبة التباين (VR) باعتبارها فحصين معلميين، وفحص (Run Test) باعتباره فحصاً لا معلمياً.

وقد رفضت فرضية كفاءة السوق على المستوى الضعيف، وتبين من خلال النتائج أن السوق غير كفؤ على كل فترات عينة الدراسة، حتى بعد معالجة البيانات وتعديلها باستخدام منهجية (Miller، Muthuswamy and Whaley ١٩٩٤) وهو ما يتفق مع نتائج الدراسات الأخرى التي أجريت على هذا السوق. (Shaheen، ٢٠٠٦)، (AbuZarrour، ٢٠٠٥)، (Al-Fayoumi، ٢٠٠٣).

وبالتالي فإن القيود على عودة الأموال للسوق وتحويلها، حدت من مشاركة الاستثمارات الأجنبية، مما ساهم في وجود مشكلة السيولة، وانخفاض حجم التداول نظرا لضعف الثقة والمخاطر المتوقعة في السوق. ولذلك فإن الدراسة قدمت عددا من الاقتراحات التي قد تكون مفيدة في تحسين كفاءة السوق، بما يمكن ان يساهم في زيادة دوره وفعاليته في الاقتصاد الفلسطيني كله.

Empirical Testing of the Informational Efficiency in Palestine Securities Exchange (PSE).*

Naser Abdel-karim**

Yasser. A. Shahin***

* ـث مستل من رسالة دكتوراة أعدها الباحث بإشراف الدكتور نصر عبد الكر

**Associate Professor, Department of Accounting, Birziet University, Palestine.

*** Assistant Professor, Palestine Ahliya University, Palestine.

Contents

9. References should follow rules as follows:
    (a) If the reference is a book, then it has to include the author name, book title, translator if any, publisher, place of publication, edition, publication year, page number.
    (b) If the reference is a magazine, then it has to include the author, paper title, magazine name, issue number order by last name of the author.
10. References have to be arranged in alphabetical order by last name of the author.
11. The researcher can use the APA style in documenting scientific and applied topics where he points to the author footnotes.

Opinions expressed in this journal are solely those of their authors

Guidelines for Authors

The Journal of Al-Quds Open University For Research & Studies Publishes Original research documents and scientific studies for faculty members and researchers in Alquds Open University and other local, Arab, and International universities with special focus on topics that deal with open education and distance learning. The Journal accepts papers offered to scientific conferences.

Researchers who wish to publish their papers are required to abide by the following rules:

1. Papers are accepted int both English and Arabic.
2. each paper should not exceed 35 pages or 8000 words including footnotes and references.
3. Each paper has to add new findings or extra knowledge in its field.
4. Papers have to be on a floppy diskette“Disk A“ or on a CD accompanied by three hard copies. Nothing is returnable in either case: published or not.
5. An abstract of 100 to 150 words has to be included. The language of the abstract has to be English if the paper is in Arabic and has to be Arabic if the paper is in English.
6. The paper will be published if it is accepted by at least two revisers. The Journal will appoint the revisers who has the same degree or higher than the researcher himself.
7. The researcher should not include anything personal in his paper.
8. The owner of the published paper will receive five copies of the Journal in which his paper is published.

Journal of Al-Quds Open University
for Research & Studies

P.O.Box 51800
Tel: 2984491
Fax: 2984492
Email: hsilwadi@qou.edu

Journal of
Al-Quds Open University
for Research & Studies